

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر - 2 -

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا

تخصص علم الاجتماع الثقافي

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تحت عنوان:

مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي

مقاربة نفسية إجتماعية لمفهوم الشخصية

دراسة ميدانية بمستشفى الأمراض النفسية و العقلية

فرانز فانون - البليدة -

تحت إشراف الأستاذ:

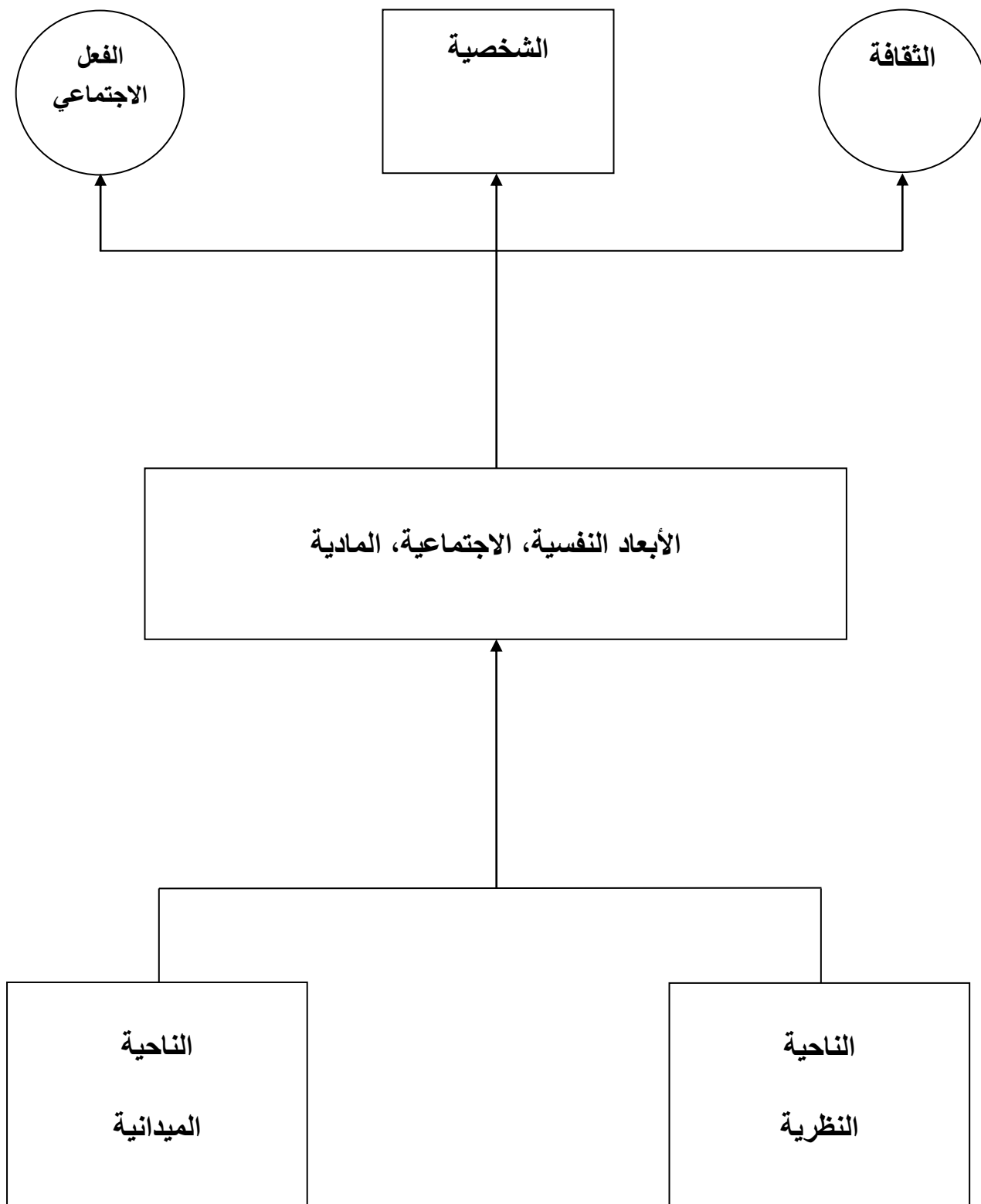
عبد الغني مغربي

من إعداد الطالبة:

نواري ريم

السنة الدراسية 2016 - 2017

شكل رقم 01 :المخطط العام لأسس الدراسة وأبعادها



شكر و تقدير

أتقدم بكامل الشكر و التقدير لأستاذي عبد الغني مغربي

الذي أشرف على عملي و الذي قدم لي كل المساعدة و التوجيه

والذي لطالما كان مثلي الأعلى و قدوتي العلمية

شكرا

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أعز ما لدي والدي
أبي و أمي و كل أخواتي و إخوتي
و كل صديقاتي و أصدقائي
و إلى روح الغالي
نور الدين

و إلى كل من شجعني على القيام
بهذا العمل

شكرا

الفهرس

المقدمة

الفصل الأول: المقاربة المنهجية العامة للدراسة

تمهيد.

1. أسباب اختيار الموضوع

07 1.1 الأسباب الموضوعية

09 2.1 الأسباب الذاتية

11 2. الاشكالية

14 3. الفرضيات

4. التحديد الاجرائي للمفاهيم

17 1.4 مفهوم الثقافة

28 2.4 مفهوم الشخصية

33 3.4 مفهوم الذات

37 4.4 مفهوم الفعل الاجتماعي

44 5.4 مفهوم التغير الاجتماعي

5. المقاربة النظرية السبولوجية

55 1.5 النظرية الانتشارية

65 2.5 التنشئة الاجتماعية

75 3.5 التفاعلية الرمزية

83 6. المناهج والتقنيات والعينة

ملخص

الفصل الثاني: دراسات سابقة حول الموضوع

تمهيد

- المبحث الأول: دراسة سامية حسن الساعاتي 97
- المبحث الثاني: دراسة جورج هريبرت ميد 101
- المبحث الثالث: قراءة انتروبولوجية لروث بندكت ومارغريت ميد 106
- المبحث الرابع: قراءة لكتاب سسيولوجيا الثقافة لعبد الغني عماد 114
- المبحث الخامس: دراسة عبد الغني مغربي من خلال قراءة لكتابه:
- 122 La Culture Et La Personnalité Dans La Société Algérienne (De Massinissa à Nos Jours)
- ملخص

الجزء الأول:

الباب النظري

الباب الأول : علاقة الثقافة بالشخصية و أهمية التفاعل الاجتماعي

الفصل الثالث: العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية

تمهيد

المبحث الأول: ماهية الثقافة

1. تعريف الثقافة من المنظور الشامل..... 137
2. خصائص الثقافة ومحدداتها..... 146

المبحث الثاني: أبعاد الشخصية

1. تعريف الشخصية من المنظور العام..... 153
- 1.1 نظريات الشخصية..... 157
- 2.1 العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية..... 166

2.	الشخصية من منظور القياس الاجتماعي	175
3.	الشخصية من منظور الاكتئاب	179
1.3	تصنيف الاكتئاب	180
2.3	اضطرابات مزاجية راجعة لاسباب طبية عامة	184
4.	الشخصية من منظور القلق	185
1.4	تعريف القلق	185
2.4	أنواع القلق	185
5.	الشخصية من منظور الفصام	188
6.	الشخصية من منظور النوبة الهذيانة	190
7.	الشخصية من منظور الهستيريا	192
8.	الشخصية من منظور السند الاجتماعي	194
1.8	تعريف السند الاجتماعي	194
2.8	أنواع السند الاجتماعي	195

الفصل الرابع: العلاقة بين التفاعل الاجتماعي والجماعة الاجتماعية

المبحث الأول: أهمية التفاعل الاجتماعي

1.	التفاعل الاجتماعي	204
1.1	التفاعل الاجتماعي لدى قوفمان Goffman	208
2.1	التفاعل الاجتماعي لدى جورج سيمل George Simmel	210

المبحث الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية

1.	العلاقات الاجتماعية	214
2.	الجماعة الاجتماعية	216
1.2	بناء الجماعة	219
2.2	من البنى الاجتماعية إلى التفاعل بين الأفراد	226
3.2	من التفاعل بين الأفراد إلى البنى الاجتماعية	231
4.2	دور الاتصال في التفاعل الاجتماعي	235

ملخص

الباب الثاني: الشخصية بين مفهوم الفعل والتغير الاجتماعي

الفصل الخامس: الفعل الاجتماعي وعلاقته بإعادة صياغة الشخصية

تمهيد:

المبحث الأول: الفعل الاجتماعي

1. فكرة الفعل الاجتماعي 255
2. خصائص الفعل الاجتماعي لدى بارسونز.....259

المبحث الثاني: أنساق الفعل الاجتماعي

1. أنساق الفعل الاجتماعي.....262
2. شروط نسق الفعل الاجتماعي 263
- 2.1 العناصر البنائية لأنساق الفعل.....264
- 2.2 المستلزمات الوظيفية لأنساق الفعل. 268
- 3.2 الأنساق الفرعية للفعل.....272
- 4.2 ديناميات أنساق الفعل. 274

ملخص

الفصل السادس: التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه.

تمهيد

المبحث الأول: التغير الاجتماعي

1. مفهوم التغير الاجتماعي.....281
2. أهمية الدراسات الانترولوجية للتغير الاجتماعي.....282

المبحث الثاني: أسباب التغير الاجتماعي

287.....	1. الإنسان محور عملية التغير الاجتماعي
289.....	2. العوامل المسببة في التغير الاجتماعي
289..	1.2: العوامل الايكولوجية والطبيعية
291.....	2.2: العامل الديمغرافي
293.	3.2: العوامل الثقافية والايكولوجية
296.....	4.2: دور الاتصال في التغير
301.	5.2: العوامل الاقتصادية
	ملخص
305.....	خلاصة الباب النظري

الجزء الثاني:

الباب الميداني

314.....	الفصل السابع: تحليل جداول الفرضية الأولى
329.....	الفصل الثامن: تحليل جداول الفرضية الثانية
344.....	الفصل التاسع: تحليل جداول الفرضية الثالثة
357.....	الفصل العاشر: تحليل جداول الفرضية الرابعة
370.....	الفصل الحادي عشر: تحليل جداول الفرضية الخامسة
389.....	الفصل الثاني عشر: تحليل جداول الفرضية السادسة
401.....	الاستنتاج الميداني العام
404.....	الخاتمة
407.....	قائمة المراجع

الملاحق

المقدمة:

يساير التيار الثقافي الجديد شعار " الثقافة والشخصية " بالجمع بينهما مع الإلمام بنتائج علوم
السيكولوجيا والسسيولوجيا والأنثروبوجيا، بمعنى أننا لكي نتابع الاتجاه الثقافي الجديد، علينا أن نعالج
الإنسان كوحدة متكاملة، فندرسه كفرد له تكوينه الفريد، وله ماضيه البيولوجي في تاريخ أسرته، كما
ندرسه أيضا كذات أو شخصية لها مكوناتها المكتسبة من سمات البناء الثقافي كله في ظل التفاعل
الاجتماعي من خلال أفعاله و ممارساته الاجتماعية عن طريق الفعل الاجتماعي باعتباره عملية
تطبيقية جوهرية تسعى إلى نمو وتطور العقل و الذات (الشخصية).

وبرغم الصعوبات التي تعترض التيار الجديد و تتصل بجوهر الاتجاه الثقافي البيولوجي حيث
تبدأ بتركيز الانتباه على الثقافة ثم دراستها كركيزة سسيولوجية في بناء الشخصية (دراسة البعد
النفسي الاجتماعي)، أم أننا العكس ندرس الشخصية أولا كذات اجتماعية ونصل في النهاية إلى أن
التعرف على الثقافة هو السبيل الحاسم لفهم الشخصية لأن الثقافة هي البعد الرئيسي إذ أن التوصل إلى
معرفة أنماط الثقافة يؤدي بالضرورة إلى معرفة سمات الشخصية.

لا شك أن نمط الثقافة على ما يؤكده بحث بندكت إنما يكون له رد فعله العميق في تركيب
سمات الشخصية تلك التي قد تضطرب وتهتز وقد يطرأ التغير على مستوى الشخصية خلال احتكاك
الإنسان بالآخرين (التفاعل الاجتماعي) وأثناء تكيفه مع الثقافة التي يعيش فيها وقد تمرض الشخصية
وتنحل حين تعاني اضطرابا وقلقا نتيجة لعدم التكيف ..

واستنادا إلى تلك الصلة الدينامية التي تصل الإنسان بثقافته وهي صلة تمتاز بالضرورة والحتم
ولإلزام يوضح البحث في تاريخ الفكر الاجتماعي عن وجود، موجات متتابعة من النقد الاجتماعي
الشامل الذي يظهر عادة نتيجة لعجز النظام الاجتماعي عن التكيف إما مع البيئة الخارجية المحيطة أو
متطلبات التطور المستقبلي فيدرك الإنسان ضعف القدرة التكييفية لتنظيم اجتماعي للتلاؤم مع البيئة
أو قصوره عن إشباع حاجاته الأساسية أو عجزه عن تطور آليات الحركة والاتصال والتحول
الاجتماعي، بحيث يبدأ عادة بنقد الأفكار التي تؤكد على شرعية التنظيم الاجتماعي القائم (الثقافة
الخاصة به) ثم الانتقال إلى نقد التنظيم ذاته لفصح تناقضاته و طرح تنظيم اجتماعي بديل يتلاءم مع
الزمان والمكان و إشباع حاجات الإنسان في إطاره، إلى جانب امتلاكه القدرة على الربط بين المعنى
الاجتماعي والمضمون الثقافي و بين ما ينتج عن عملية التفاعل الاجتماعي الناتج أصلا عن
الحاجات الضرورية للحياة الجديدة للإنسان، ولهذا نتساءل من خلال عرض بحثنا بعد التعرض
لأسباب اختيار الموضوع وصياغة إشكاليته وطرح فرضياته إلى دراسة العلاقة الجدلية بين الثقافة
من جهة وبين إشكالية الشخصية التي تتعرض إلى تغيرات سسيولوجية ثقافية، نفسية اجتماعية، من

خلال الفعل الاجتماعي باعتباره نبض تشكل المجتمع الإنساني الجديد الذي لا يمكن فصله عن العقل والذات الاجتماعية .

وسوف ينقسم البحث إلى مقدمة، وجزأين النظري والميداني، وينقسم الجزء الأول إلى بابين نظريين، ويتكون الباب الأول وهو علاقة الثقافة بالشخصية وأهمية التفاعل الاجتماعي من الفصل الثالث تحت عنوان العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية ويتكون من مبحثين أساسيين أولهما يتناول ماهية الثقافة وثانيهما يتناول أبعاد الشخصية من حيث التعريف، نظريات الشخصية، ومنظور الشخصية من حيث أنواع مرضية نفسية معينة.

ثم ننتقل إلى الفصل الرابع تحت عنوان العلاقة بين التفاعل الاجتماعي والجماعة الاجتماعية من خلال مبحثين الأول ويتناول أهمية التفاعل الاجتماعي أما المبحث الثاني فيتناول أهمية العلاقات الاجتماعية وارتباطها بالمبحث الأول ارتباطاً أساسياً جوهرياً من خلال أهمية الاتصال وكيفية إدارة علاقات الذات داخل الجماعة الاجتماعية.

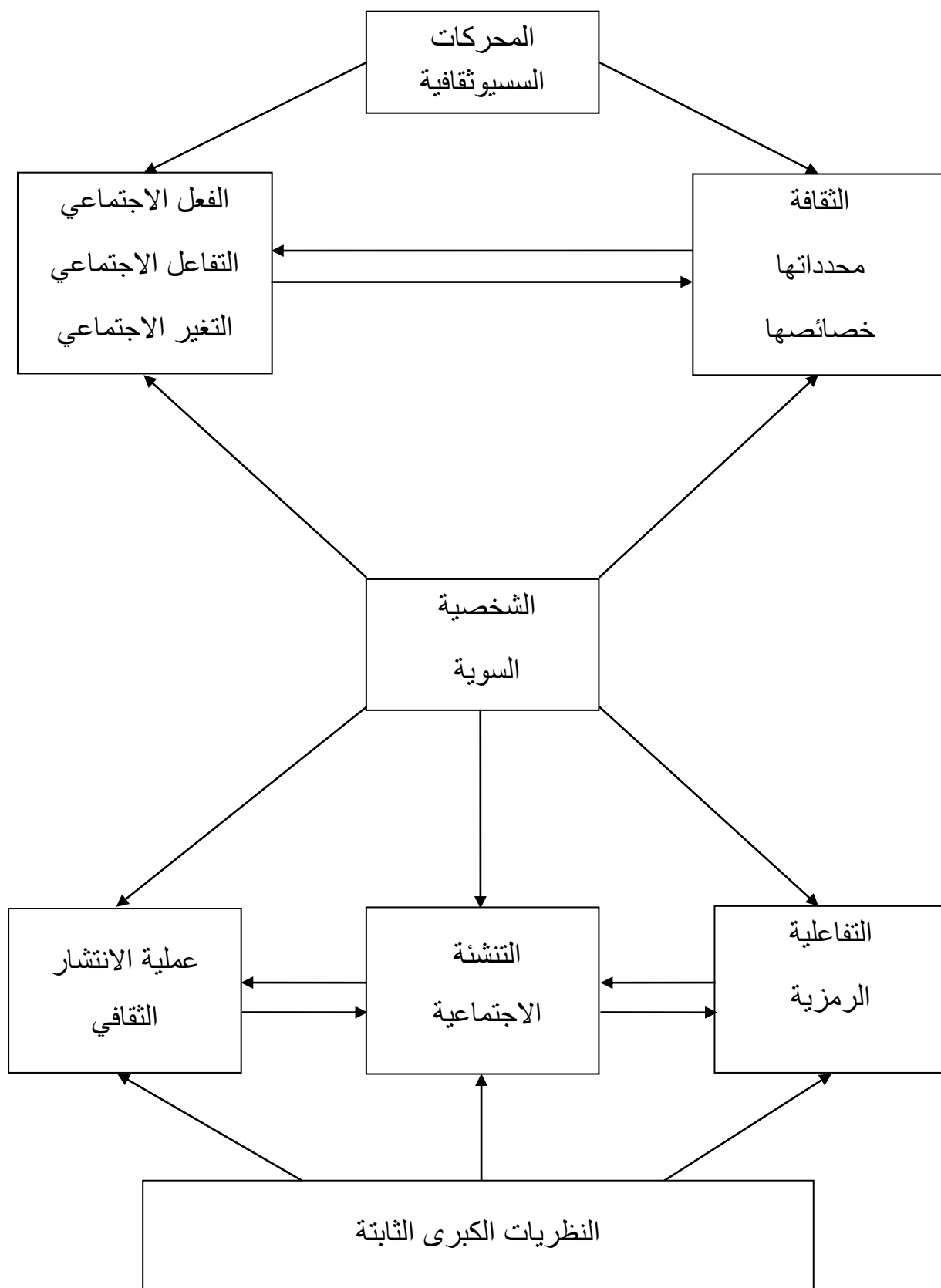
أما الباب الثاني فيتناول أهمية الشخصية بين مفهوم الفعل و التغير الاجتماعي، وينقسم إلى الفصل الخامس و عنوانه الفعل الاجتماعي وعلاقته بإعادة صياغة الشخصية والذي بذاته ينقسم إلى مبحثين الفعل الاجتماعي كفكرة وخصائص ومبحث ثانٍ ويتناول انساق الفعل الاجتماعي من خلال شروطه وعناصره ومستلزماته وديناميته.

أما الفصل السادس وعنوانه التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه ويتكون هو أيضاً من مبحثين الأول يتكلم عن التغير الاجتماعي كمفهوم وأهمية دراسته أما المبحث الثاني فيتناول أسباب التغير الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيه، ثم نصل إلى خلاصة الباب النظري .
علماً أن هذا الجزء النظري (الباب الأول والثاني)، يتقدمه كل من الفصل الأول وهو المقاربة المنهجية العامة للدراسة، ويتناول أهم وجوه النقاط الأساسية للبحث، كأسباب اختيار الموضوع إشكالية البحث، الفرضيات، التحديد الإجرائي للمفاهيم الخاصة بالبحث، وأهم النظريات السوسيولوجية التي تؤثر موضوع البحث نظرياً، ثم المنهج والتقنيات والعينة .

والفصل الثاني يتناول الدراسات السابقة التي اخترناها لموضوع بحثنا وعلاقتها بالموضوع وعن كيفية خدمتها لموضوع بحثنا.

ونصل أخيراً إلى الجزء الثاني وهو الباب الميداني ويتناول الفصول الميدانية التي تتناول كل فرضية من فرضيات البحث على حدى من خلال تحليل جداول كل فرضية، والنتائج التي توصلنا إليها من خلال تحليل هذه الجداول.

لنصل في النهاية إلى الاستنتاج الميداني العام ثم خاتمة البحث.



شكل رقم 02: التقدير النظري للشخصية السوية

الفصل الأول:

المقاربة المنهجية العامة للدراسة

تمهيد

1-أسباب اختيار الموضوع

2-الاشكالية

3-الفرضيات

4-التحديد الاجرائي للمفاهيم

5-المقاربة النظرية السسيولوجية

6-المناهج والتقنيات والعينة

خلاصة

تمهيد :

لدراسة أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، لابد على الباحث ان يضع موضوع البحث الذي هو بصدد الدراسة في اطار منهجي ونظري معين، يستجيب لجميع المحددات التي تلم بالموضوع، ويستلهم خطوات منهجية عامة تجعل من الموضوع موضوعا علميا مرتبا، ودقيقا وتكون هذه الخطوات المنطقية الشاملة المتسلسلة قادرة على تحديد الموضوع وتسييره عن جميع المواضيع الأخرى، وقد تكون إشكالية البحث التي يترتب عنها جملة من الفرضيات القابلة للتجريب، النقطة الرئيسية والمركزية، التي تضع الموضوع موضع العلمية، والمصادقية، ويكون إذن التساؤل المطروح، حول موضوع البحث، تساؤلا دالا على ميزة هذا الموضوع عن غيره، وسيكون الفصل الأول من الدراسة وهو الاطار المنهجي والنظري العام، فصلا شاملا لهذه النقاط التي نتكلم عنها، ونخص بالذكر أهمية المقاربة النظرية السوسيولوجية للموضوع، من حيث ارتباط النظريات الخاصة به، بمحتوى الموضوع .

1. أسباب اختيار الموضوع:

1.1 الأسباب الموضوعية

2.1 الأسباب الذاتية

1.1 الأسباب الموضوعية :

قد يلاحظ القارئ للوهلة الأولى ضرورة ارتباط الأسباب الذاتية بالأسباب الموضوعية لتناول موضوع البحث، فإذا كانت الأسباب الذاتية الدافعة لتناول هذا الموضوع يتمثل في ملاحظة ظهور وتفاقم العديد من الأمراض والحالات السيكوباتولوجية داخل مجتمعنا وفي أحيان كثيرة لا تقدم على الإعراف بها أو نصفها بحالات مرضية عصبية بعيدة عن الحياة الاجتماعية وهذا ما زاد الأمر سوءا وخطورة.

فإن من الأسباب الموضوعية لتناول الموضوع (موضوع البحث) هي أن نتبث عمليا وعلميا أن المرجعية الثقافية هي مرجعية متناقضة تؤدي إلى نشأة صراعات واضحة لدى الفرد أم أنها مرجعية تقيم على إشباع الفرد توازنه، فتجعل منه فردا فاعلا اجتماعيا ومنتجا فعالا في توازن مجتمعه.

وأن الثقافة السائدة تجبر الفرد وتلزمه على سلوكات معينة، قد تقدم على إجباره بالإكراه والقوة على التقيد بها، مما ينتج عن ذلك التسبب في أمراض نفسية اجتماعية تخل بمعايير توازنه داخل مجتمعه وتبعده عن تناول حريته الفردية.

وهل الحرية الفردية في اختيار معايير وأنواع الحياة الاجتماعية والثقافية على جميع الأصعدة، يحدث خلافا كبيرا في توازن العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية في إطارها النظري كما ذكرنا سابقا.

نريد أيضا من خلال بحثنا التركيز على الصحة النفسية الاجتماعية باعتبار أن التحول من الحياة البسيطة إلى الحياة العصرية أي التحول التدريجي للبنية الاجتماعية والثقافية وتطورها نحو أنماط مشابهة للأنماط الغربية من خلال التطبيع والتقليد و أحيانا كثيرة الهيمنة العالمية و بالتالي تتغلب سيطرة الحالة الاجتماعية الجماعية على الفردية النفسية من خلال متطلبات الحياة الاجتماعية الجديدة المعقدة، لكن في جل متغيرات ومتطلبات الحياة

الاجتماعية العصرية هل يمكن أن نبين العكس، أي أن الفردية النفسية غلبت الصفة الجماعية في مجتمعاتنا حالياً، وكيف تستطيع أن تقوم بذلك، وما هي المشاكل التي يمكن أن تتعرض لها من خلال محاولاتها في السيطرة على الحالة الاجتماعية الجماعية، وكيف لها أن تتصدى لمجمل المفاهيم الراسخة المتعلقة بثقافتها من جهة ، وبالأشكال الاجتماعية الجماعية العصرية من جهة أخرى؟

إن الانتقال الذي حققه الشخص من الحياة البسيطة إلى الحياة العصرية قد تم محاصرته في حقل اجتماعي متشابك، معقد، قد أثر على الحياة النفسية الثقافية التي يعيشها يومياً لأن فهم الشخصية يتعلق بالنمو النفسي الاجتماعي الذي يمر به الفرد عبر مراحل المتعاقبة من الميلاد إلى الرشد وما يتميز به من خصائص وملامح وتغيرات وتفاعلات اجتماعية يعيشها في كل مراحل الحياة.

فاذا سلمنا بأن الفرد أو الشخص بحاجة الى هذه التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافية للاندماج في الحياة الاجتماعية العصرية، فانه من المفيد التذكير بشواهد ثابتة أن الفرد نتاج صيرورة تاريخية تتولد عن خبرات مشتركة بناها مع أفراد مجتمعة لتضمن استمرارية الحياة الاجتماعية الثقافية السوية، التي تتميز بالصحة، والاستقرار والتوازن الاجتماعي.

فنريد من بحثنا هذا متابعة وتحليل الصراع الثقافي من خلال هذه الضرورة التاريخية والاجتماعية، وكما هي عليه اليوم، وما تتميز به من أمراض وعلل نفسية، تسبب في إخلال التوازن الثقافي والنفسي الاجتماعي لبعض الأشخاص الذين أصبحوا ضحايا الحياة الاجتماعية العصرية، وما تسبب من أشكال نفسية مرضية.

(الاكتئاب، الهذيان، الفصام) ينبغي أن نشير إليها وهذا هو الهدف أو السبب الذي دفعنا إلى القيام بهذه الدراسة، لنبين مدى صعوبة البعض في التماثل أو الاندماج للحياة العصرية، في صورة حالات مرضية يكمن على ضوءها فهم العلاقة الجدلية القائمة بين الثقافة والشخصية من جوانب أخرى لم نكتشفها بعد.

2.1 الأسباب الذاتية:

هذا الموضوع كغيره من المواضيع الاجتماعية، قد تم تناوله من العديد من الجوانب خاصة منها المتعلقة بالعلاقة الجدلية القائمة بين الثقافة والشخصية، في إطارها العام والتي ترتبط دائما بأحد المفاهيم المركزية التي تدور حول موضوع البحث، وهو مفهوم الشخصية وكيفية تناوله من بعض النظريات وكيفية تصنيف الذات أنواعها، أقسامها... الخ.

باعتبارها أن الذات تعني مدى تحقيق مستوى الفرد إدراكه بكل أعماله وأفكاره ودوافعه وانفعالاته واستعداداته وممتلكاته المادية والمعنوية ومدى قدرته على التعبير عن كل أنماطه السلوكية وكيفية الاندماج مع كل ما يحيط به، بكل ثبات وتوازن اجتماعي بغض النظر عن كل ما ما تضيفه الثقافة السائدة، وقدرته على التعامل معها بصورة موضوعية هادفة الى اكتسابه منها ما يشبع احتياجاته الكمالية التي تهدف الى تحسين صورته كشخص أو كفرد فاعل، نافع في مجتمعه قادر على الاستيعاب وخاصة على الاستمرار الاجتماعي الثقافي.

ولهذا نريد في بحثنا هذا أن نغير اهتماما كبير للخلفية الثقافية التي تشكل في إطارها مجموعة من الحالات السيكوباتولوجية على جميع المستويات ومحاولة الكشف عن مميزاتها وأشكالها الثقافية، أي من اهتماماتنا الذاتية موضوع الانتقال من البعد الجماعي والى البعد الفردي وقد لاحظنا قلة الاهتمامات العلمية المرتبطة بصورة عامة بالإشكالية.

بما أن كل فرد قد يبتعد عن الثقافة التي ترعرع فيها وعن كل القيم والمعايير التي استمدتها من خلفيته الاجتماعية الثقافية.

ومن الأسباب إثبات أن الثقافة والشخصية ليستا موضوعين منفصلين بل هما وجهان لشيء واحد، إن جزء من عملية التفاعل يتكيف بها الناس لبيئتهم و لمجتمعاتهم، إن كل من الثقافة و الشخصية يعيش داخل الفرد وإن كيفية تناول الشخص لثقافته مادة وروحا يؤدي

الى فهم أعمق لطبيعة الشخصية واختلاف الشخصيات داخل مجتمع واحد على حسب تناول كل شخص بطريقته الخاصة وهذا مايجعلنا نغير اهتماما كبيرا للخلفية الثقافية التي تتشكل في اطارها مجموعة من الحالات السيكوباتولوجية على جميع المستويات ومحاولة الكشف عن مميزاتها و أشكالها الثقافية.

2. الإشكالية:

إن الفرد يبدأ حياته دون أي فكرة عن ذاته، ثم عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي يبدأ في تنمية استعدادات رمزية تساعده على تكوين فكرته عن نفسه ومفهوم الفرد عن ذاته يشير إلى كل خواص الفرد من أعمال وأفكار ودوافع وانفعالات واستعدادات وممتلكات مادية، وكذلك كل أنماط سلوكه ومفهوم الذات ليس ثابتاً، بل متغير نتيجة لتعبير قدرة الفرد على إدراك سماته المختلفة وكذلك نتيجة تعرضه لوسائل التقييم الاجتماعية من القائمين على تربيته وبكل من يتصل بهم.

وبذلك يصبح مفهوم الفرد عن ذاته معقداً لتعدد الاستجابات التقسيمية من الغير، ومع أن مفهوم الفرد عن ذاته شعوري يستطيع أن يعبر عنه، إلا أن بعض مضموناته التي تحمل شحنات انفعالية سيئة أو مؤلمة بالنسبة للذات قد يبعدها الإنسان إلى اللاشعور، بوسيلة من الوسائل الدفاعية، وتظل تؤثر في الجانب الشعوري من هذا المفهوم، فمفهوم الفرد عن ذاته يتأثر بتكوينه الخاص، واستعداداته وقدرته على إدراك هذه الاستعدادات ثم نظرة المجتمع إلى الفرد والعوامل الثقافية المختلفة الموجودة، في إطارها الاجتماعي ومدى اهتمام الثقافة بهذا المفهوم عامة، بمعنى مدى ما تضيفه الثقافة عليه من قيمة اجتماعية.

إن سلوك الفرد الاجتماعي يتأثر بمفهومه عن ذاته إلى حد كبير. فهذا المفهوم هو أول ما يعطي للفرد الإحساس بفرديته وتميزه عن غيره ثم أنه حينما نشير إلى حاجتنا ودوافعنا نربطها بهذا المفهوم ونستطيع أن نوضحها للآخرين الذين يتوقف عليهم إشباع هذه الدوافع، كذلك يتدخل في تحديد استجابات الآخرين بالنسبة له ويساعد أيضاً مفهوم الفرد عن ذاته في تحقيق الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها، وقد يدفعه الغرور أحياناً إلى أكثر مما تتطلبه الأدوار.

إن مفهوم الذات يبني أو يتحقق من خلال اتصالات وخبرات اجتماعية ويتكون كذلك أثناء عمليات النمو التي تلازم الفرد، فالإنسان لا يعيش في فراغ حضاري وإنما هو يعيش في مجتمع يندمج فيه ويتشابك معه، فأينما يكون الإنسان تكون السيكيوباتولوجيا، وغالبا ما تكثر في المحيط الاجتماعي ظروف الضغط والعناء والقهر التي تؤدي إلى الشعور بالانهيار، والفرد دائم الحاجة إلى الشعور بقيمته، وقدرته على القيام بما يعتبره الآخرون أمرا له قيمة اجتماعية.

والإنسان المضطرب يمنعه اضطرابه من النشاط الذاتي المستقل ومن إثبات إمكاناته، وقلقه من الاعتماد على الغير يجعله عاجزا عن مودة الناس وحبهم وصادقتهم وقد يكون الشخص المضطرب شديد الحساسية لدرجة صعوبة التعامل معه، فعلى إذن من خلال موضوع بحثنا هذا التساؤل حول كل التفاصيل، وما هي الأسباب التي تؤدي بالفرد للوصول إلى هذه الدرجة من الاضطراب والحساسية، مع أنه من المفروض أن يعيش حياة اجتماعية سوية تدعو إلى السلام والطمأنينة والاستقرار النفسي والاجتماعي.

ويكون التساؤل المركزي لموضوع بحثنا أي إشكالية البحث كالاتي:

هل الشخص أو الفرد داخل المجتمع حاليا، يعيش نوعا من الإشباع الثقافي الاجتماعي يجعله يتميز بالتوازن والاستقرار، أم أن متطلبات الحياة الاجتماعية العصرية، خلقت داخل مجتمعا نوعا من الأمراض السيكيوباتولوجية نظرا لما يعيشه الفرد حالة من اللامعيار بين ثقافته الأصلية وبين ما تمليه الحياة العصرية من متطلبات دخيلة على مجتمعا من خلال الفعل الاجتماعي وإلى أي مدى نستطيع قياس معايير الصحة النفسية والسسيوثقافية للفرد داخل المجتمع؟

ويتم حصر موضوع البحث في التساؤلات التالية والتي تهدف إلى الاستجابة لمتغيرات البحث بعد دراستها من خلال العمل الميداني وهي:

1- هل تقوم الأسرة الجزائرية على مساندة التركيب الاجتماعي والثقافي وتأييده من خلال القيام بوظائفها؟

2- هل الرفض مع المؤسسات الثقافية ناتج عن حالات عدم إشباع الأنا الاجتماعي الثقافي جعل الفرد يعيش حالة من اللامعيار سبب في نشأة الاضطرابات الاجتماعية؟

3- هل عدم الانسجام بين ما يطلبه الفرد وما تمليه عليه الجماعات الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي، سبب في اضطراب توازن شخصيته ونشأة صراعاتها؟

4- هل يحقق الفعل الاجتماعي، كعامل تقوية للمجتمع بنقد التنظيم القائم بفضح تناقضاته وطرح تنظيم اجتماعي بديل يخدم مصالح الفرد ورغباته؟

5- هل يمكن اعتبار الثقافة الخاصة بمجتمعنا ثقافة تسمح بإعادة صياغة العلاقة بين الفرد وعالمه المحيط به مما استدعى ذلك تطور الفعل الاجتماعي ووظائفه؟

6- هل نستطيع في ظل التغيرات الاجتماعية القائمة قياس مدى صحة الشخصية من خلال ازدواجية الثقافة والفعل الاجتماعي من منظور الاضطرابات الاجتماعية والنفسية المنتشرة (من البعد الاجتماعي – النفسي)؟

و التي تدرج منها الفرضيات التالية

3. الفرضيات:

الفرضية الأولى:

تقوم الأسرة الجزائرية في مجتمعنا على مساندة أفرادها اجتماعيا وثقافيا وتؤيد التركيب الاجتماعي والثقافي من خلال القيام بوظائفها.

الفرضية الثانية:

الرفض مع المؤسسات الثقافية ناتج عن حالات عدم إشباع الأنا الاجتماعي الثقافي جعل الفرد يعيش حالة من اللامعيار سبب في نشأة الاضطرابات الاجتماعية.

الفرضية الثالثة:

عدم الانسجام بين ما يطلبه الفرد وما تمليه عليه الجماعات الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الأفراد، سبب في اضطراب توازن الشخصية ونشأة صراعاتها.

الفرضية الرابعة:

يقوم الفعل الاجتماعي بنقد التنظيم الاجتماعي القائم وطرح تنظيم اجتماعي بديل يخدم مصالح الفرد ورغباته.

الفرضية الخامسة:

الثقافة الخاصة بالمجتمع الجزائري تسمح بإعادة صياغة العلاقة بين الفرد وعالمه المحيط به من خلال تطور نظرية الفعل الاجتماعي وأهمية وظائفه.

الفرضية السادسة:

نستطيع في ظل التغيرات الاجتماعية القائمة قياس مدى صحة الشخصية من خلال ازدواجية الثقافة والفعل الاجتماعي من منظور الاضطرابات الاجتماعية والنفسية المنتشرة (من البعد الاجتماعي – النفسي).

4. التحديد الاجرائي للمفاهيم:

1.4 مفهوم الثقافة

2.4 مفهوم الشخصية

3.4 مفهوم الذات

4.4 مفهوم الفعل الاجتماعي

5.4 مفهوم التغير الاجتماعي

1.4 مفهوم الثقافة:

الثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوجية هي عمل التراث الاجتماعي، أو هي أسلوب حياة المجتمع وعلى ذلك فكل شعب في الأرض ثقافة، بمعنى أن له أنماط معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته، والتفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي وعن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة.

وبما أن الإنسان في كل مكان على وجه الأرض يحتاج إلى الغذاء والكساء والمأوى والأمن من الهلاك كما يحتاج أيضا لإشباع رغبته الجنسية.

نجد أن ثقافات الشعوب تتفق جميعا على تنظيم الحاجات الاجتماعية لأفراد المجتمع، ومعنى هذا أن بعض عناصر الثقافة مشابهة في كل المجتمعات وكما تشابه الثقافات فإنها أيضا تختلف وتتفاوت تبعا لأمر كثيرة من أبرزه وأهمها الوسائل المؤدية إلى إشباع هذه الحاجات وصور التنظيم نفسه الذي تنتهجه الجماعة لتحقيق رغباتها وإشباع حاجاتها.

والثقافة دائمة التغيير بما تضيفه الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وأنماط سلوكية أو بالعكس بما تستبعده أو تحذفه من بعض الأساليب أو الأفكار أو الأدوات الفرعية التي لم تعد تتفق مع ظروف حياتها الجديدة وتفاوت المجتمعات في تغييرها الثقافي من حيث طبيعة هذا التعبير وسرعته والأسباب الداعية له، فقد تكون جغرافية أو اقتصادية أو فكرية وقد تتضافر كلها وتشارك مع غيرها من العوامل الأخر.

ربما كان أشهر تعريفات الثقافة على الإطلاق، "تعريف تايلور" أحد أقطاب علم الأنثروبولوجيا ورواده، وهو من أعطى مفهوم الثقافة، معناه الاصطلاحي وقد استخدم هذا المفهوم متأثر بعالم ألماني هو جوستاف كلم Gustav Klemm وقد ذكر تايلور أنه اعتمد علم كلم في كتابه تاريخ الثقافة ثم الثقافة كالعالم وذلك في كتابه "أبحاث في التاريخ القديم و تطور البشرية" و كتابه الثاني "الثقافة البدائية" وهو أشهر أعماله فقد أظهر فيه

اهتمامه البالغ بمفهوم الثقافة لدرجة أنه جعله عنوانا لهذا الكتاب و يعرف فيه الثقافة بأنها "ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات و المعتقدات و الفن و الأخلاق و العرف والتقليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الانسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في مجتمع"¹

سنحاول أن نعرض صورة شاملة أهم التعريفات التي قدمت للثقافة من علماء مختلفين من علم الاجتماع والنفس والطب والطب العقلي والاثنولوجيا، والانتروبولوجيا، كل حسب تخصصه يعطي صورة للثقافة بحسب اهتماماته الخاصة و منها تعريفات وصفية، تاريخية، معيارية، سيلولوجية، بنيوية، تطورية وأخرى تعريفات شمولية.

وتتغير التعريفات الوصفية للثقافة بانها تبرز تعداد محتويات الثقافة و هي غالبا ما تكون متأثرة بتعريف تايلور الشهير للثقافة مثل تعريف بندكت Benedict "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل العادات التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع " و غيره من التعريفات التي تنظر الى الثقافة باعتبارها كل أو وحدة شاملة و بتعدد ذكر الأعراف و العادات كأحد محتويات الثقافة.

أما التعريفات التاريخية فانها تجعل التراث الاجتماعي أو التقاليد في بؤرة اهتمامها مثل تعريف "ميد Mead" في قوله "ان الثقافة ذلك الكل المركب من السلوك التقليدي و الذي طوره الجنس البشري و الذي يتعلمه جيل بعد آخر دون توقف أما اصطلاح الثقافة فهو أكثر تحديدا لانه يمكن أن يعني أشكالا من السلوك التقليدي الخاصة بمجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات أو جنس معين أو منطقة بعينها أو زمن بعينه "²

ومن هنا تبين أن للبشر تراث اجتماعي وجانب التراث البيولوجي، وهو تراث يبنع عضويتهم في جماعة لها تاريخها.

¹ سامية حسن الساعاتي، الثقافة و الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص23

² عاطف وصفي، الانتروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص27

أما التعريفات المعيارية فهي تنقسم الى فئتين فرعيتين فئة تهتم بالثقافات كقاعدة وطريقة أو أسلوب وفئة تبرز أهمية المثل و القيم أمثال تعريف وسيلر للثقافة على أنها أسلوب حياة تتبعه الجماعة أو القبيلة وهو يضم كل الاجراءات الاجتماعية المقننة وثقافة القبيلة تتضمن مجموعة المعتقدات و الاجراءات التي تتبعها القبيلة " 1

وتتميز التعريفات المعيارية التي تهتم بالثقافة كقاعدة وطريقة واسلوب يتبعها الناس في أعمالهم وافكارهم بل وفي حياتهم العامة، بأنها تحيي من جديد فكرة الأعراف الاجتماعية (coutumes) أما التعريفات المعيارية التي تبرز أهمية المثل والقيم فتري أن النثل والقيم تشكل وحدها أهم نماذج السلوك و مخططات العقل.

ومن اللافت للنظر بالنسبة للتعريفات السيكولوجية للثقافة التي تصب اهتمامها على الثقافة كعملية توافق وتكيف وأداة حل كل المشكلات أن معظمها متأثر بالعالم (وليم جراهام سمنر).

ف نجد أن (بونج) على سبيل المثال قد استخدم مصطلح سمنر المفضل (الأساليب الشعبية) والحقيقية أن سمنر كان شخصية مؤثرة في علم الاجتماع الأمريكي لفترات كويلة كان دائما يؤكد على فكرة التكيف و التوافق و في تعريفه لمفهومه الرئيسي الأساليب الشعبية الذي يقترب في معناه كثيرا من مفهوم الثقافة يقول: " إن الأساليب الشعبية هي عادات الأفراد وعادات المجتمع والتي تتبع من مجهودات الناس لإشباع حاجاتهم وهي تغلف بالاعتقاد في الجن والشياطين والأفكار البدائية عن الحظ ولذلك فهي تكتسب سلطة تقليدية وتصبح بعد ذلك قوة اجتماعية ولا أحد يعرف كيف نشأت ولا متى، وهي تنمو إلى وقت محدد بفضل الجهود الهادفة للناس وفي وقت معين تفقد قوتها فتضمحل أو تموت أو تتحول، وحيثما تكون في قوتها فإنها تمارس ضبطا على الأفراد، لكنها ليست عضوية ولا مادية انها تنتسب إلى نسق فوق عضوي من العلاقات والاعتقادات والترتيبات النظامية" 2

¹ سامية حسن الساعاتي، نفس المرجع السابق، ص40

² محمد سعيد الجندي، القلق في الثقافة، منشورات عويدات، بيروت، 1960، ص46

يؤكد على هذه التعريفات أنها تؤكد فقط أن الثقافة هي وسيلة كل المشكلات وللتكيف والتوافق مع أن الثقافة أحيانا ما تخلق مشكلات لأنها كثيرا ما تخلق حاجات تتطلب الإشباع وليست دائما تمد الأفراد بوسائل إشباع الحاجات، وهذا هو الأمر المتعلق بموضوع بحثنا، لهذا نجد أن هذا التعريف مثير جدا للإهتمام، فإذا كانت تعتبر الثقافة وسيلة كل المشكلات وفي نفس الوقت قد تخلق مشكلا بسبب عدم توفر الوسائل الضرورية لتحقيق عملية الإشباع، فكيف لنا وإذا أن نعطي وزنا كبيرا لعملية التعلم والإكتساب وأن نترك المجال مفتوحا أمام مسألة توفر الوسائل الضرورية لتحقيق الإشباع، ومن أين لنا أن نأتي بهذه الوسائل الضرورية في حالة عدم توفرها في ثقافتنا الأم أو ثقافتنا الأصلية، وكيف لنا أن نأتي بها من ثقافات أخرى دون المساس بثقاليدنا وعاداتنا المكتسبة بالفطرة من الأجيال السابقة، وكيف لنا أن نضمن عملية الانتقال هذه دون التفريط في مجموع العادات والتقاليد السارية من دون حذف أو تغيير.

أما بالنسبة للتعريفات البنوية فهي تتميز بسميتين أساسيتين أولهما وجود تأكيد على العلاقة التنظيمية المتبادلة بين مظاهر الثقافة المختلفة، وثانيها إبراز الصفة التجريدية للثقافة.

وتتطو تحت التعريفات التطورية ثلاثة اتجاهات هامة أولها ينظر إلى الثقافة باعتبارها نتاج والثاني ينظر إلى الثقافة بوصفها أفكار، والثالث ينظر إليها على كونها رموز، وتلتقي هذه الاتجاهات في أنها جميعا اتجاهات تطورية بمعنى أنها تقول أن تفسر نشأة الثقافة.

والحقيقة أن الإتجاه الأول من التعريفات التطورية يلتقي على نحو ما مع التعريفات التاريخية التي تؤكد جانب الثقاليديوالثرات إلا أن هذا الإتجاه ينجو إلى التأكيد على الثقافة بوصفها نتاج أو نتيجة بدلا من وضع عملية التواصل والانتقال في بؤرة إهتمامه كما تفعل التعريفات التاريخية، أما الإتجاه الثاني من التعريفات التطورية فهو يركز على الثقافة بوصفها أفكار فيحاول أن يبرز الجانب غير المادي من الثقافة

ويهتم أصحاب الإتجاه الثالث من التعريفات التطورية اهتماما بالغاً بالرموز في تعريفهم للثقافة.

أما أصحاب التعريفات الشمولية للثقافة وأهمهم ماركس " كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها أني يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ" فإنه يحدد بوضوح أهم مكونات الثقافة فهو يرى أن الثقافة ظاهرة تاريخية كما انه يربط بين الثقافة وبين النظم الاجتماعية الاقتصادية، أي أنه يربط ما بين الثقافة والمجتمع الذي نشأ فيه ويعطي تفسير النشأة الثقافة وتغيرها وهو التفسير المادي التاريخي ويهتم هذا التعريف أيضاً ببعد الطبقة الاجتماعية ويربط بينها وبين الثقافة في المجتمعات الطبقية ويؤكد على أهمية القيم بصفة خاصة في تعريف الثقافة.

لم تشهد كلمة ازدهار وانتشار ككلمة الثقافة، وليس هناك مفهوم أكثر تداولاً كمفهوم الثقافة ومع ذلك يبقى الغموض والالتباس متلازمين كلما طرح الموضوع للنقاش، وليس من الهين تناول موضوع الثقافة ذلك أنه يختلف اختلافاً نظرياً من مدرسة إلى أخرى ولكن نحن نركز اهتمامنا في موضوع بحثنا هذا ليس على التحليلات الوصفية والتاريخية للثقافة ، وأن ما يخدم عملنا فعلاً هو التركيز على كيفية تناول الثقافة كمادة وروحا وكيف لها أن تؤثر في الشخصية من حيث تركيبتها، سماتها، محدداتها، تنظيمها، إترانها، قوتها، ضعفها، وكيف للفعل الاجتماعي كعملية يمكن له أن تتداخل وتشابك وأحيانا يدخل في صراعات مع البنية الأساسية للثقافة ولأسلوب ونمط الحياة اليومية، فكيف لنا أن نتصدى لهذه الصراعات، وكيف نتغلب عليها، ما هو موقفنا من ثقافتنا المحلية، كيف يمكن السيطرة على عملية الفعل الاجتماعي كعملية ديناميكية دائمة السيورة ؟ من حيث المبادئ والأسباب المؤدية إلى التغير الاجتماعي عن طريق الفعل الاجتماعي.

هكذا نود أن نبين للقارئ أن طرحنا لمفهوم الثقافة، أو للموضوع بصورة عامة، لا تشبه الطرح الكلاسيكي للموضوع، فهناك بحوث تخصصت عن نشأة المفهوم (الثقافة) وتطوره من الناحية التاريخية، وأخرى ركزت على الجانب المعرفي، وقد أحصى عالما

الانثروبولوجيا الأمريكيان كروبير (krober) وكلوكهون (kluckhohn) ما لا يقل عن 160 تعريفا للثقافة قاما بفرزها على سبعة أصناف: وصفية وتاريخية وتقييمية وسيكولوجية وبنائية وتكوينية وجزئية غير كاملة¹.

وقد اكتسبت كلمة ثقافة (culture) معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن "فلاحة الأرض" ومع القرن الثامن عشر اتخذت معنى بعيد عن التكوين الفكري عموما، وعن التقدم الفكري الخاص بالشخص. وعمايتطلبه ذلك من عمل وما ينتج عنه من تطبيقات، هذا هو المعنى الموجود في المعاجم الكلاسيكية ولكن انتقال الكلمة إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أكسبها لأول مرة وقبل رجوعها إلى فرنسا مضمونا جماعيا، فقد أصبحت تدل بخاصة على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة². أما الجانب المادي في حياة الأشخاص والمجتمعات فقد أفردت له الألمانية كلمة "حضارة" ومع ذلك فإن مفهوم الثقافة سوف يمر بتحول آخر عند انتقاله من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية وقد قامت بهذه الاستعارة الانثروبولوجيا الإنكليزية وتحديدا مع تايلور صاحب أشهر تعريف للثقافة والذي أخذ أوائلا علماء الانثروبولوجيا الإنكليز والأمريكان أمثال سمير (Simner) وكلر (Keller) ومالينوفسكي (Malinoveski) ولوي (Lowie) وفيسلر (wissler) وسابير (Sapir) وبواز (Boas) وبندكت³ (Benedect).

وصلت الانثروبولوجيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحد الذي عرفت فيه نفسها كعلم للثقافة وفي الوقت الذي كانت يتم فيه التمييز في بريطانيا بين الانثروبولوجيا الطبيعية (دراسة وتطور ونمو جسم الانسان) وبين الانثروبولوجيا الاجتماعية، كان الأمريكيون يقابلون بين الانثروبولوجيا الثقافية والانثروبولوجيا الطبيعية وفي أوساط

¹ عبد الله الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1988، ص 58

² غي روشيه، مقدمة إلى علم الاجتماع العام، ترجمة مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

1985، ص 130

³ عبد الله الجوهري، نفس المرجع السابق، ص ص (60-62)

علماء الاجتماع الأمريكيين تم الإعتماد على مصطلح الثقافة بشكل سريع، ونخص منهم سمول (Small) وبارك (Park) وبرغس (Burguss) وعلى الأخص أوغبرن (Ogburn)

وحيث أن رواد علم الاجتماع الكبار أمثال كونت (Comte) وماركس (Marx) وفيرر (Weber) ودوركاييم (Durkheim) لم يستخدموا مصطلح الثقافة بشكل واسع، فقد أدى هذا إلى انتشاره البطيء، وفي اللغة الفرنسية كان استخدامه أكثر بطناً في الوقت الذي تشمل فيه قواميس اللغة الإنجليزية جميعها على تعريف سسيولوجي أو انتروبولوجي للثقافة غالباً ما يكون شديد الوضوح، فإن نظير ذلك كان غير متوافر حتى في طبعات القواميس الفرنسية الأكثر حداثة، ولا شك في أن ذلك يعود نوعاً ما إلى أن علم الاجتماع الفرنسي كان لفترة طويلة لا يزال مصبوغاً بصبغة مصطلحات دوركايم الخاصة¹ ولم يصبح اصطلاح "الثقافة" شعبياً في فرنسا بتأثير من علم الاجتماع الأمريكي إلا بفضل الجيل الجديد من علماء الاجتماع الفرنسيين هذا الجيل الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية.

لعل هذه اللمحة التاريخية عن تطور استخدام مصطلح الثقافة تساعد في تحديد المفهوم الذي أخذ من اللغة الفرنسية ثم أعيدت ترجمته من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية وكان يضاف إليه في كل مرة مضمون جديد، سواء بطريق التعميم أو بطريق القياس، دون أن يفقد معناه الأصلي، وإنما يكتسب معاني جديدة تكون دائماً أكثر بعداً عن المعنى الأول، فمن "فلاحة الأرض" كما كان يعني في اللغة الفرنسية القديمة إلى المعنى السسيولوجي في اللغة الفرنسية الحديثة، هناك من غير شك فرق شاسع، كان ثمرة تطور شق طريقه بصورة يمكن أن نسميها متكاملة وبدون تقطع أو انقطاع²

¹ نفس المرجع، ص 132

² لويس دوللو، الثقافة الفردية و ثقافة الجمهور، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 73

وإذا كانت كلمة الثقافة قد مرت بهذه التطورات فإن كلمة المثقف هي كلمة مولدة، إذ هي ترجمة للكلمة الفرنسية (Intellect) ومعناها العقل أو الفكر وبالتالي فهو يدل عندما يستعمل وصفاً لشيء على ارتباط أو إنتماء هذا الشيء بالعقل.

أما الكلمة في اللغة العربية فهي لا تحيل على الفكر أو الروح . إن لفظ الثقافة الذي هو ترجمة لكلمة « Culture » الفرنسية التي تدل في معناها الحقيقي الأصلي على " فلاح الأرض" إنما هو لفظ لا نكاد نعثر له على أثر في الخطاب العربي القديم، وهو إسم مفعول من "ثقف" بمعنى حذق، جار في لسان العرب "ثقف" الشيء وثقافاً وثقوفه، حذقه ورجل ثَقَفَ وَثَقَّفَ: حاذق فهم ولم يرد فيه لفظ مثقف. أما لفظ الثقافة فقد ورد كمصدر بمعناه الحذق. وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً حقيقاً. وقد استعمل – ولكن بندرة – في هذا المعنى، معنى الحذق في صبغة من الصبائغ المادية أو الفكرية¹

إذا فالثقافة التي يحيل عليها لفظ "المثقف" في خطابنا المعاصر ليست هي كما تفهم في الخطاب العربي القديم، وليست هي بمعناها في اللغات الأوروبية القديمة لقد تطور استخدام الكلمة إلى أن أصبحت مفهوماً له دلالات معرفية خاصة، وأبعاداً سوسيولوجية متعددة.

لاشك في أن أقدم التعريفات وأكثرها ذيوعاً حتى الآن هو تعريف الانتروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور (1832-1917) والذي قدمه في كتابه الثقافة البدائية عام 1871 والذي يذهب فيه إلى التعريف التالي: "هي كل مركب يشمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين"

¹ - محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص40.

إن هذا التعريف الذي هو أقرب إلى الوصف، نقل الثقافة من مستوى الوقائع الاجتماعية التي يمكن ملاحظتها مباشرة في فترة زمنية محددة، كما يمكننا تتبع تطورها وهذا ما فعله تايلور نفسه¹

وتبقى في الحقيقة التعريفات المصرحة للثقافة أسيرة المنظومة الفكرية للباحث وتعكس طبيعة انتماءاته واهتماماته، لعلماء ينتمون إلى تخصصات مختلفة منها الانتروبولوجيا والاثنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والطب العقلي وعلم الاقتصاد و السياسة... إلخ. من الطبيعي أن يركز اهتمامه النابع من تخصصه ومن هدفه من تناول المفهوم كموضوع بحث ونقاش ولعل أبسط التعريفات وأحدثها تعريف روبرت بيرستد الذي ظهر في أوائل الستينيات والذي يعتبر الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله أو نشكله كأعضاء في مجتمع².

إلا أن تعريف غيروشييه أكثر شمولاً وعمقاً وهو استفاد قبل وضعه من كل التعاريف الأخرى وتقديمه على الشكل التالي: "الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، وهي طرق صيغت تقريباً في قواعد واضحة والتي اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص - يستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معاً. من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة"³ ومن الواضح أن هذا التعريف استعان بصيغة دوركايم الموفقة جداً "طرق التفكير والشعور والعمل" وفي صيغة أكثر شمولاً وتركيباً من تعداد تايلور. ومن جهة أخرى فإنما هي أكثر وضوحاً من صيغة فهي طريقة في الحياة.

ولابد من الإشارة إلى بعض التعريفات ذات الطابع الشمولي والتي لا تركز على جانب واحد فقط من جوانب الثقافة، فالتعريف الماركسي للثقافة من هذا النوع، فهو يعتبرها شاملة "كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها التي يخلقها المجتمع

¹ - عبد الغني عماد. سوسيولوجيا الثقافة، "المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 31.

² - نفس المرجع السابق، ص 32

³ - غي روشيه، مقدمة إلى علم الاجتماع العام، مرجع مذكور، ص 198

من خلال سير التاريخ" ويمتاز هذا التعريف بأنه مجرد بوضوح أهم المكونات الثقافية. فهو يرى أن الثقافة ظاهرة تاريخية، كما أنه يربط بين الثقافة والمجتمع الذي نشأت فيه، ويعطي تفسير النشأة الثقافية وتغيرها على الرغم من أنه يغلب التفسير المادي والبعد الطبقي للثقافة.

ويتميز تعريف كروليز وكلوكهن الشمولي بأبعاد جديدة فهو يعتبر أن الثقافة تتكون من نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمتنقل بواسطة الرموز "والتي تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية والذي يظهر في شكل مصنوعات ومنتجات. أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية المتكونة والمنتقة تاريخيا وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم ويمكن أن نعد الأنساق الثقافية نتاجا للفعل ناحية، كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل"، ومن الواضح أن هذا التعريف يمتاز بأنه أكثر شمولاً من التعريف الماركسي، إذ يضم أيضا النظرة السيكلوجية للثقافة، والنظرة البنيوية لها وتظهر الأولى في قولها أن الثقافة مكتسبة، أما الثانية فتبرز من خلال نظرتها للثقافة كنماذج للسلوك.¹

كذلك يمتاز هذا التعريف بأنه يهتم بديناميكية الثقافة وكيفية انتقالها ويفسر نشأتها ولا يهمل أن الثقافة إذا ما اخترلناها لوجدنا أنها نتاج رموز وأفكار، وهذا عدا عن إبرازه للصلة بين الثقافة والشخصية² وهذا يعني أن الثقافة من خلق الانسان من ناحية، كما أنها تحدد سلوكه وأفعاله من ناحية أخرى ولا يهمل هذا التعريف الجانب التاريخي وأهمية القيم بصفة خاصة.

أظنه أكثر التعريفات التي تخدم موضوع بحثنا من حيث انه يهتم بالنقاط الجوهرية للموضوع وهي صلة الثقافة بالشخصية، تعداد الأصناف الثقافية نتاجا للفعل من ناحية، أو اعتبارها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل، أي علاقة الثقافة بالفعل، أو الأفعال الاجتماعية خاصة والإنسانية عامة، وذلك كما بينا سابقا أن الثقافة تعريفات متباينة ومختلفة ولكن كل

¹ عاطف وصفي، الانتروبولوجيا الثقافية، مرجع مذکور، ص 35

² سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع مذکور، ص 53

تعريف يخدم نوع معين أو زاوية معينة، أو اتجاه معين حسب الهدف ونوع الدراسة التي تكون لصددها لكي يتماشى معه من حيث المبادئ والأهداف، لكي نصل في النهاية إلى حقائق علمية هادفة قد تأخذ نوعا جديدا من القوانين العلمية و المسارات الفكرية.

2.4 مفهوم الشخصية:

يعد مفهوم الشخصية من أكثر مفاهيم علم النفس وعلم الاجتماع اعتقاداً وتركيباً، فهو يشمل كافة الصفات الجسمية والعقلية والوجدانية، في تفاعلها ببعضها البعض، وفي تكاملها في شخص معين يتفاعل مع بنية اجتماعية معينة، ولهذا تعددت وتباينت المحاولات التي تعالج مفهوم الشخصية، وطبيعتها، وخصائصها، ومن التعاريف ما يتناول الشخصية كما يراها الغير، فتصف الأثر الذي تتركه مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والوجدانية للشخص في الآخرين، ومن التعاريف ما يتناول الشخصية كما يحسها ويتصورها الفرد نفسه، وتدور حول شعور الشخص بذاتيته ووحده.

يهتم علماء الاجتماع بموضوع الشخصية باعتبارها أحد الأسس الجوهرية التي تقيم الحقيقة الاجتماعية، فالمجتمع يقوم كنسق من العلاقات التبادلية بين الأفراد، ولهذا لا يمكن أن يعزل الفرد عن مجتمعه وثقافته، لأنها تصبح إنساناً وإلا من خلال تفاعله مع الآخرين في الجماعة. وهذا التفاعل في حد ذاته يخضع لقيود الثقافة وضغوطها وتنميطها، ومن أهم التعريفات التي جلبت إنتباهنا وذلك لارتباطها إرتباطاً موضوعياً لموضوع بحثنا هو التعريف الذي قدمه (سوروكين) عندما نؤكد أهمية موضوع الشخصية بالنسبة لعلم الاجتماع لأنه يرى أن الأفراد هم المكونات الأساسية في كل الأصناف الاجتماعية والثقافية، ومادام الأمر كذلك فإن شخصياتهم تؤثر من غير شك في إطار الأنماط الثقافية والاجتماعية¹.

ولا ينكر سوروكين أهمية الوراثة البيولوجية في الشخصية، ولكنه يذهب إلى أن الجانب الاجتماعي الثقافي من الشخصية لا يتحدد عن طريق هذه الوراثة، لأنه يصب في قالب معين من خلال الوسط الاجتماعي الثقافي².

¹ محمد رياض، الإنسان دراسة في النوع و الحضارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص 118

² محمد عاطف غيت، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية، مصر، 1979، ص 117

فالفرد يمتص عالمه الثقافي الاجتماعي، أما البناء الاجتماعي فإنه يعكس مكوناته من الأفراد وأنماطهم الثقافية، ويرسوروكين أن الدراسات المتعددة التي أجريت في مياديعلم نفس الطفل والتحليل النفسي، وعلم الجريمة تؤكد أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يركز على دعائم المجتمع والثقافة، فالنمو العقلي والذاكرة والتحليل والتقييم، يستحيل دون التفاعل الإنساني، كذلك لا يمكن أن تتراكم الخبرات والثقافة، أو تتميز معايير الصواب والخطأ دون تفاعل الأجيال أو من غير توافر الخبرة الجمعية ولم يكن للثقافة أن تنبثق من غير التفاعل الاجتماعي¹ وإذا انتقلنا إلى تعريف الشخصية عند علماء النفس فنجد أن منها ما يصف الاستعدادات الداخلية والعوامل الخارجية التي تتفاعل مع بعضها فتكوّن الشخصية، ومنها ما يؤكد الصحة النفسية فينظر إلى الشخصية من زاوية نمط التوافق الفردي المتميز، فيرى أن ما يحدد الشخصية هو تلك الأفعال التي تقوم بها لتساعدنا على المحافظة على توازنها وتكيفنا مع الظروف التي تحيط بنا. ومنها ما يرى أن تعريف الشخصية بالأثر الذي يتركه الفرد في الآخرين لا يكفي لأنه لا يوضح لنا شيئاً عن الصفات الداخلية الحقيقية في الشخص إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عدداً من الشخصيات: وهي الشخص كما يراه غيره- والشخص كما يرى نفسه، والشخص على حقيقته.

فتعريف السلوكيين للشخصية يتناول أيضاً الصفات والمظاهر الخارجية للشخص إذ يوضح أن الشخصية هي مجموع العادات السلوكية للفرد، وهي مجموع أوجه النشاط التي يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة طويلة تكفي لأخذ فكرة يعتمد عليها عن الشخص. ولا شك في أن التعاريف غير شاملة لأنها تهتم فقط بالشخص كما يراه غيره.

وهناك تعريفات أخرى تنظر إلى الشخصية كمجموعة من الصفات، منها تعريف (مورتن برنس Morton Prince) الذي يقول: "أن الشخصية هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة"،² إن هذا التعريف يحمل في طياته خطر التفكير في هذه الصفات كوحدات منعزلة بعضها عن بعض والواقع خلاف ذلك لأن الشخصية وحدة لا

¹ ريتشارد لازاروس، الشخصية، ترجمة محمد غنيم، ديوان المطبوعات الجامعية، 1980، ص 108

² مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية والهوية، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1976، ص 56

تتجزأ، وهي أكثر من مجرد مجموع أو حاصل، ولهذا برزت بعض تعريفات جديدة تؤكد أهمية تكامل الشخصية وهي تعاريف تكاملية والتي توصف بأنها التنظيم المتكامل لجميع الخصائص المعرفية والعاطفية والنزوعية والجسمية والتي تميزه عن الآخرين.

أما تعريف مدرسة التحليل النفسي فعلى النقيض من التعاريف السابقة إذ أنها تنظر للشخصية كقوة مركزية داخلية توجد الفرد في حركاته وسكناته¹، وإذ كان هذا التعريف غير شامل لأنه يهتم بمظهر واحد للشخصية وهو الشخص كما يرى نفسه، لكنه من أهم التعاريف التي تخدم موضوع بحثنا، بحيث أنه يساعد الفرد في اختبار وقياس مدى توازنه الاجتماعي والثقافي، كما يكشف لنا عن بعض الأمراض والحالات السيكوباتولوجية التي نضيفها على موضوعنا، فمن خلال هذا التعريف، يمكن اكتشاف الحالات السوية من غيرها من الأفراد، إزاء تناولهم للثقافة السارية بمجتمعهم ومدى تقبلها والقدرة على السيطرة عليه أو على العكس، أما بالنسبة لفرويد فالشخصية عنده تتكون من عدة نظم أساسية الهو والأنا والآخر، ورغم أنه لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومبادئه وديناميته وميكانيزماته التي تعمل وفقا لها. إذ أن جميعها تتفاعل معا تفاعلا وثيقا بحيث يستحيل فصل تأثير كل منها على الآخر وتقدير وزنه النسبي في سلوك الأنا بمفرده، فسلوك الهو في الأغلب محصل تفاعل هذه الأنظمة الثلاث ونادرا ما يفصل أحدهما بالعمل دون الآخر والأنا عند فرويد هو الجهاز الإداري للشخصية لأنه يستطيع على منافذ الفعل والسلوك والبيئة أن تختار الجوانب التي تستجيب له ويقرر الغرائز التي سوف تشبع والكيفية التي يتم بها هذا الإشباع فإن الأنا المنسقة المنظمة تتمثل في كل ما هو سوي ومنطقي في الحياة العقلية للفرد، فالأنا يدرك ويميز بين الأشياء المختلفة والواقعية، وهو يتضمن الشعور ولو أن جزءا هاما فيه شعوري، والأنا في لغة فرويد تشير إلى نفس مجموعة المشكلات التي تندرج تحت "الذات"²

وتتلخص نظرية روجرز للذات "الشخصية" في التصورات الرئيسية التالية:

¹ Larouche Jean Trad, Psychologie Sociale, Groupes et Situations, Payot, Paris, 1954, p97

² نوال محمد عطية، علم النفس و التكيف النفسي و الاجتماعي، دار القاهرة للكتاب، مصر، ص 68

- 1- الكائن العضوي وهو الفرد بكيته.
- 2- المجال الظاهري وهو مجموع الخبرة.
- 3- الذات وهي الجزء المتميز من المجال الظاهري وتتكون من نمط الإدراكات والقيم الشعورية بالنسبة لـ "أنا" أو "ضمير المتكلم"¹

ويمتلك الكائن الخصائص التالية:

- 1- أنه يستجيب ككل للمجال الظاهري لإشباع حاجاته، وللمجال الظاهري خاصية أن يكون شعوريا أو لا شعوريا ولذلك حسب ما إذا الخبرات التي تكون المجال الظاهري تحولت إلى رموز أم لا.

أما الذات وهي مفهوم النواة عن الشخصية عند روجرز فلها خصائص عديدة منها:

- أ. أنها تنمو من تفاعل الكائن مع بيئته.
- ب. أنها تمتص قيم الآخرين وتدرجها بطريقة مشبوهة.
- ت. تنزع الذات إلى الاتساق.
- ث. يسلك الكائن أساليب تتسق مع الذات.
- ج. الخبرات التي لاتتسق مع الذات تدرك بوصفها تهديدات.
- ح. قد تتغير الذات نتيجة للنضج والتعلم

إذ بعرض روجرز مفهوم الخبرة الذي يكون عالم الفرد الخاص والذي تتوقف استجاباته على ادراكه لهذا العالم، ثم يبين لنا كيف يكون سلوك الفرد بهدف تحقيق وإيقاظ ذاته وتقويتها وكذلك يوضح روجرز أهمية الاعتماد على الفرد وعلى الإطار المرجعي الداخلي له كأفضل المصادر لتفسير سلوكه. ويؤكد روجرز على الذات الظاهرية كجزء متميز من المجال الإدراكي الكلي للفرد بهذه القيم إما خبرة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الآخرين وتصور الفرد لهم، ثم يعرض روجرز لأهمية الذات ومفهوم الذات في عملية إدراك الفرد

¹ محمد اسماعيل قباري، أسس الباء الاجتماعي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ص111

الشعوري أو دون الشعوري للعالم الذي يحيط به وفي اختياره لأساليبه السلوكية، الأمر الذي يدعو إلى التركيز على مفهوم الذات بغية الوصول إلى تغير في سلوك الفرد، ويوضح لنا روجرز منشأ التوافق النفسي ويكشف عنه في العلاقة بين إدراك الفرد لكل خبراته الحية ذات الدلالة من الوصول إلى مستوى الوعي وأشار إلى العلاقة بين التوافق النفسي وبين فهم الفرد للآخرين وتقبله لهم، كما يبين لنا روجرز استمرار الذات وديمومتها تتعلق بتعرض الفرد لخبرات جديدة وتتفق في ذلك مدرسة علم النفس الذات والفرويديين حول بناء الذات، وفي عرض جديد لنظريته عن الشخصية أضاف روجرز مفهومات جديدة:¹

- الحاجة إلى الاعتبار الايجابي من الآخرين وهي حاجة عامة ترتقي لظهور الوعي بالذات.
- الحاجة إلى اعتبار الذات، ويكتسبها الفرد نتيجة لخبرات الذات بإشباع وإحباط حاجتها إلى الاعتبار الايجابي، وتعمل الحاجة إلى اعتبار الذات مستقلة عن العلاقات مع الآخرين
- شروط التقدير يكتسبها الفرد كنتيجة لأن الحاجة لإعتبار الذات تعمل على نحو انتقائي، وهذه الشروط هي مايساعد الفرد على تجنب خبرات الذات و السعي وراء بعضها الآخر بناء على استحقاقها لا اعتبار الذات وتساعد هذه المفاهيم الثلاث في ايضاح الفروق بين الذات والخبرة ومقارنات السلوك والعمليات الدفاعية وعملية استعادة التعامل (1951 روجرز)²

ويرى روجرز أن مفهوم الذات يجب أن ينظر إليه في إطار أنه تشكيل منظم ومرن للإدراكات الشعورية عن الذات، وهذا المفهوم يكون من إدراكات الفرد الخاصة والمدركات والمفاهيم عن الذات في علاقتها بالآخرين وعلاقتها بالبيئة و القيمة التي تدرك على أنها مرتبطة مع هذه الخبرات وكذلك الأهداف والمثل التي تدرك على أنها ذات إيجابية أو سلبية. وعلى ذلك فإن مفهوم الذات هو الصورة التنظيمية التي توجد في الشعور سواء كشكل أو كخلفية عن الذات والذات في علاقتها بالآخرين وبالبيئة مع القيم السلبية والإيجابية المرتبطة مع هذه الإدراكات والعلاقات كما يدركها الفرد نفسه، ويقول روجرز بإمكانية التوافق النفسي عندما يكون مفهوم

¹ نفس المرجع السابق، ص 115

² أبو زيد ابراهيم احمد، سيكولوجية الذات و التوافق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1987، ص 68

الذات متفقا ومنسقا مع كل الخبرات الحسية للكائن الحي أو ربما مشابهة على مستوى رمزي في علاقات موافقة وثابتة مع مفهوم الذات، عندما يدرك الفرد ويقبل في نظام متوافق ومتكامل كل خبراته الحية، يكون من الضروري عليه أن يفهم الآخرين، ويكون أكثر تقبلا لهم كأفراد مختلفين ولا يقتصر مفهوم روجرز لمفهوم الذات على الاتساق والثبات، بل أنه يذهب إلى أن مفهوم الذات يمكن أن يعتبر نتيجة للنضج والتعلم وتحت ظروف العلاج النفسي المرتكز حول العميل(المريض)"وتصور روجرز نقطة الزمان في نمو الشخصية كمطابق بين المجال الظاهري للخبرة والبناء التصوري للذات وهو موقف إذا تحقق فإنه يمثل حد أعلى من التوافق الواقعي"¹

¹ مصطفى فهمي، علم النفس الإكلينيكي، مكتبة مصر، القاهرة، 1967، ص118

3.4 مفهوم الذات :

إن تكلمنا عن مفهوم الذات من الناحية النفسية المحضة، فإننا لابد أن نتناول تحليل وتعريف وليام جيمس للذات التي وضعها تحت ثلاث عناوين:

- مكوناتها.
- مشاعر الذات.
- نشاط البحث عن الذات وحفظ الذات¹.

ومكونات الذات هي: الذات المادية والذات الاجتماعية والذات الروحية. وتتكون الذات المادية من ممتلكاتها المادية وتتكون الذات الاجتماعية من كيف ينظر زملائه إليه، وتتكون الذات الروحية من ملكاته النفسية ونزعاته وميوله، وقد واصل جيمس بحثه لمفهوم الأنا الخالصة حتى وصل في النهاية إلى أنه بالنسبة لعلم النفس الطبيعي يمكن تعريف الأنا، بأنها ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء بهويته الشخصية²

ولكلمة الذات كما تستعمل في علم النفس معنيان متميزان: وفي تعريف من ناحية باتجاهات الشخص ومشاعره عن نفسه، ومن ناحية أخرى تعتبر مجموعة من العمليات السيكلولوجية التي تحكم السلوك والتوافق ويمكن أن نطلق عن المعنى الأول الذات كموضوع حيث أنه يعين اتجاهات الشخص ومشاعره ومدركااته وتقييمه لنفسه كموضوع، ولهذا المعنى تعتبر الذات فكرة الشخص عن نفسه ويمكن أن نطلق عليه المعنى الثاني

- كموضوع self as-Object

- كعملية self as-process³

¹Dehunk Jean, L'institution Sociale De L'esprit, PUF, Paris, 1999, p48

²سيد غنيم، سيكلولوجية الشخصية، دار المعرفة، الاسكندرية، 1987، صص (75-76)
³محمد اسماعيل قباري، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1982، ص64

فالذات هي فاعل بمعنى أنها تتكون من مجموعة نشيطة من العمليات كالتفكير والتذكر والإدراك ويختلف هذان المفهومان عن الذات اختلافا متميزا بحيث يكون من الأفضل أن يوجد تعبيران منفصلان لهما وقد درج بعض الكتاب على استعمال تعبير الأنا ego عندما يشيرون إلى مجموعة العمليات النفسية،¹ وان يحتفظوا بتعبير الذات لنظام مفهوم الشخص عن نفسه، إن الذات سواء اعتبرت موضوعا أو عملية أو الاثنين ما ليست إنسانا صغيرا بداخلنا، بل هي تشير إلى موضوع العمليات النفسية التي يحكمها مبدأ السببية، فهي ليست مفهوما ميتا فيزيقيا وإنما هي مفهوما يقع داخل دائرة علم النفس العلمي وتتمثل نظرية الذات في محاولة جديدة في مفهومات ملاحظات المرء لبعض نواحي السلوك وفي إشارتنا للذات بوصفها فاعلا لا تعني بهذا شيئا سوى أنها اسم مجموعة من العمليات، وسوف نركز على بعض المفاهيم للذات ودورها في نظريات الشخصية، وستظهر من هذه التعاريف أنه لا يوجد اتفاق عام على طريقة محدودة لإستخدام مفهومي الذات والأنا، وقد أثبتت مكانة كبيرة من قبل العلماء لنظرية الذات، ولكن يعود الفضل لكارل روجرز 1951² من أن صياغاته المتعلقة بالذات الظاهرية قد منحت طريقا مباشرا إلى وضع التنبؤات في صياغة نظرية نافعة إلى أبعد حد، هادفة جعلت من الذات موضوعا للبحث التجريبي.

فيرى لندهولم تمييزا دقيقا بين الذات الذاتية والذات الموضوعية، فتتكون الذات الذاتية من تلك الرموز والكلمات مثلا التي تعني الفرد نفسه، على حين تتكون الذات الموضوعية من تلك الرموز التي تصف الآخرين الشخص من خلالها، وبعبارة أخرى فإن الذات الذاتية ما أعتقده في نفسي والذات الموضوعية هي ما يعتقد الآخرون بي، ويشير لندهولم إلى أن صورة الذات الذاتية ليست ثابتة وإنما تتسع وتضيق اعتمادا على عوامل مثل التعاون والصراع مع الآخرين ودرجة الجهد المطلوب لإنجاز مهمة معينة ولا ينكر لندهولم الأنا مطلقا ولا الدافعية الوظيفية ولا ينكر بطريقة واضحة ديناميات العمل الخاصة بالنسق³.

¹ خير الله السيد، مفهوم الذات وأسسه النظرية والتطبيقية، دار النهضة للنشر، السعودية، 1981، ص 97
² زكريا فواد، الثقافة العربية والاعتماد على الذات، دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، 1988، ص 115
³ عاطف وصفي، الانترولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ص (107-109)

ويعتبر سارابين 1952 الذات بناء معرفيا يتكون من أفكار المرء عن مختلف نواحي وجوده فقد يكون للمرء مفهومات عن جسده (الذات البدنية) وعن أعضاء الحس لديه وبناءه العضلي (الذات المستقبلية) وعن سلوكه الاجتماعي (الذات الاجتماعية)¹.

وتكتسب هذه الذوات التي تعتبر بنية تحتية للبناء المعرفي الكلي خلال الخبرة وبالتالي تحدث سارابين عنها بوصفها ذوات تجريبية وهو يعتقد أن مختلف الذوات هذه تسير في تتابع ارتقائي منتظم فالذات البدنية أولا وفي النهاية الذات الاجتماعية ويستخدم سارابين لفظي ذات وأنا بعضهما محل بعض، ولا يهتم بتطوير نظرية عن الأنا كعملية².

وقد قام ميد 1939 بتطور فكره الذات إذ يرى أن مفهوم الذات يتكون أثناء التفاعل الاجتماعي للفرد كنتيجة لاهتمامه بموقف الآخرين منه، أو بكيفية استجاباتهم نحوه، وهو يتعلم أن يدرك العالم من خلال الآخرين ويتوقع استجابات الآخرين نحوه ويسلك سلوكه على أساس هذه التوقعات ووفقا لها. وهكذا يكون الفرد بالتدرج مركزا للتنظيم الذاتي من خلال وضع تقديرات ذاتية تتعلق بكيفية الاستجابات النشاطية المختلفة، وهو يعتمد على هذا المركز في توجيه وتحديد سلوكه حتى في حالة عدم وجود الضغوط أو المؤشرات الخارجية ويرى ميد أن "ذوات" الفرد تتحدد ويتعدد أدواره الاجتماعية كما يرى أن بعض هذه الأدوار يكون شاملا بجوانب متعددة من حياة الفرد بحيث يمثل أهمية كبيرة في حياته، بينما يكون بعضها الآخر قاصرا على مواقف معينة ويمثل بالتالي أهمية صغيرة كمتغير في الشخصية³.

¹ تلي عبد الرحمن، تحقيق الذات، مجلة دراسات نفسية تربوية، جامعة البليدة، العدد 11، مارس 2014، ص 36

² جون ميزونوف، دينامية الجماعة، ترجمة فريخ انطونيو، منشورات عويدات، بيروت، 1974، ص 73

³ George Herbert Mead, L esprit Le Soi et la Societe, PUF, France, 1930, p93

4.4 مفهوم الفعل الاجتماعي:

ليس بمستطاع سسيولوجية الفعل أن تقف عند حدود الفعل الفردي، عاديًا كان أم فرديًا، بل عليها أن تعيدها إلى الجماعات أو التجمعات البشرية، لقد أطلق علم الاجتماع الكلاسيكي تسمية جماعة إسمية أو فئة على مجموعة من الأفراد يتشاركون في سمة مشتركة¹، كما أطلق تسمية جماعة كامنة على مجموعة من الأفراد شركاء في مصلحة مشتركة. في حين تطلق تسمية جماعة منظمة على كل جماعة تسلك أولويات التقرير الجماعي. كما يمكننا الكلام عن جماعات شبه منتظمة، كما في حال الجماعات الكامنة المتمثلة في منظمات تعمل للدفاع عن مصالحها ويمكن إختصار إشكالية نظرية الفعل الجماعي في مسألتين:

الأولى: في أية ظروف تكون جماعة كامنة قادرة على القيام بفعل يرمي إلى تحريك الإهتمام المشترك بين أفرادها؟

الثانية: بأية مسارات، وفي أي ظروف يمكن تحول جماعة كامنة إلى جماعة شبه منظمة أو إلى جماعة منظمة؟

من وجهة نظر ماركس من الفعل الجماعي، أنه يسلم بكون الطبقات الاجتماعية، فهي نمط مختلف متباين من أنماط الجماعات الكامنة لدى غيره من العلماء، تعي مصالحها بدرجات متفاوتة، ويرى أن الوعي الطبقي ينسكب بشكل طبيعي في الفعل الجماعي، ويضيف ماركس أن الفعل الجماعي يمكنه الاصطدام بوجود تناقض بين مصلحة مشتركة ومصلحة فردية وهذا ما نراه جليا في الحياة الاجتماعية للأفراد داخل الجماعات، ولكن من وجهة نظر ماكس فيبر إلى أن الظاهرة الاجتماعية من صعيد التحليل النقدي والتفسي، يتم تحليلها وردها إلى الأفعال الفردية الأولية التي تكونها².

" إن الحوادث والمعطيات الفردية والقوانين الاحصائية، وبشكل أعم كل أنواع الظواهر الاجتماعية التي يسعى علماء الاجتماع لتفسيرها، إنما تنجم عن تركيبة أفعال فردية، وعليه

¹ زولتان تار، النظرية الاجتماعية و نقد المجتمع، ترجمة علي ليلة، المكتبة المصرية للطباعة و النشر، مصر، ص 67

² مصطفى الخشاب، علم الاجتماع و مدارسه، تاريخ الفكر الاجتماعي و تطوره، الدار القومية، القاهرة، 1966، ص 38

فإن فعل الفرد ينمو دائما من خلال منظومة قيود محددة بشكل واضح نسبيا، وشفافة نسبيا في وعي الفرد (الفاعل/الذات) وحازمة إلى حد ما¹

وأن الفعل ليس ضابط والتزام أو مجرد انعكاسات شرطية، ولا يمكن تجاهل حال الفاعل المتأثرة بالتركيبيات الاجتماعية، وهذا هو إذن الجانب التفسيري الذي يخدم موضوع بحثنا، وذلك لأهمية دور الفاعل وتأثره بالبنى والتركيبيات الاجتماعية، وأنه أساس الفعل الاجتماعي، فبدون الأفراد لا يمكن أن نقدم أي تفسير للتفاعلات والمعاملات المنظمة والكامنة حتى. وأن الفرد جوهر الفعل الجماعي والاجتماعي.

إذن كيف يمكن أن نحيط بالفعل الاجتماعي ؟

للإحاطة بالفعل لابد فهمه وفهم فعل الآخر يستلزم القدرة على التوضع في موضعه، والتوضع الاجتماعي يرتبط عموما بضرورة الاستعلام عن التأهيل الاجتماعي للفاعل، وعن مقومات وضعه في حالة الفعل، وعن تركيبة حقل الفعل الذي يتحرك فيه.

كما أنه لفهم الفعل الآخر، يفترض بالمراقب أن يعي الفوارق التي يتميز وضعه الخاص عن وضع الفاعل المراقب، ومهما تكن المسافة الثقافية، بين المراقب والفاعل، فإن بإمكان الأول مبدئيا أن يفهم الثاني وهذا معناه أن منطق الفعل الفردي يتضمن عناصر ثابتة بالنسبة لنوع المسافات الثقافية (حيث أن الفعل هو حدث يقرن بزمن، بفكر، بثقافة، بتاريخ فكري ومعرفي) ومعناه أيضا أنه يمكن الشعور بفهم الآخر، على الرغم من بطلان تفسيرنا لفعله وإن كان فهمنا أي فحسب ولكنه لحظة أساسية في التحليل الاجتماعي.

كما أن فهم الفعل بالمعنى الذي ذهب إليه ماكس قيبير، لا صلة له بالأسلوب التأويلي ولا يتضمن في أية حال شيئا من المعرفة الحدسية، عندئذ وبصدد موضوع بحثنا، هل يمكن لهذه الأفعال الاجتماعية أن تؤثر وبأي شكل من الأشكال على تنظيم الجماعات والأفراد، بشكل دقيق، وموضوعي يخدم مسار تطور الأفراد داخل جماعاتها، بطريقة

¹ د. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 175

تحمينا من الأخطاء والأمراض الاجتماعية، ولا تخل بتوازنها، وعملها الفعال في إنشاء مجتمعات قوية، على جميع الأصعدة، عاملة، مهيمنة، منتجة، وليست مجرد مجتمعات مستهلكة، وفي أحيان كثيرة، مجتمعات مريضة، تعاني من مشاكل الصحة النفسية والاجتماعية، وضرورة الاهتمام بالعامل النفسي خلال هذه العمليات، بحيث لا ندرسها كمجرد عمليات جامدة أو كمادة تفقد روحها ومعنوياتها، وإن كان الفرد هو الفاعل الوحيد داخل هذه العمليات، بمختلف الوسائل والإمكانات التي تشغلها أو يبدع في إكتشافها حسب ضروريات الحياة العصرية، فلا بد إذن من الاهتمام بالحالة النفسية التي يكون عليها وهو منغمسا في تناول ضرورات النظام الاجتماعي، بمختلف المعايير في إقامة الحياة الاجتماعية العصرية التي ينتمي إليها. وهذا من أهم إنشغالاتنا خلال عملنا (موضوع بحثنا).

برغم كل هذه التعريفات والتفسيرات فإننا نحاول أن نربطها دائما بموضوع بحثنا وهو مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي، وإن كنا نحصر كل جزء منه على حدى، فإننا بصدد التعرف إلى الشخصية يجب أن نذكر ولو بالإيجاز أن العلماء قد قاموا بمحاولات غزيرة في تقسيم الشخصية وتحليلها إلى وحدات أولية رئيسية ثم تحليل هذه الوحدات بدورها إلى فروع وعوامل مفصلة، و أن العناصر الأولية الرئيسية للشخصية لا بد أن ننظر إليها في ضوء البيئة الاجتماعية و الوسط الثقافي العام الذي تتكون فيه هذه الشخصية وتنمو وهي النواحي الجسمانية والمقصود بها الجهاز العصبي وتأثير الغدد الصماء وحالة الجهاز الهضمي والحواس المختلفة وكذلك تشكل الجسم العام من عضلات وتناسب التقاسيم ورنه الصوت وسرعة الحركات ... الخ، أما النواحي الفعلية المعرفية، وهي إما فطرية كالذكاء والمواهب، وإما مكتسبة كالأفكار والمعتقدات.

وإن تكلمنا عن النواحي المزاجية فنحن نقصد بها الصفات الانفعالية المميزة للفرد والدوافع الغريزية التي تتصل اتصالا وثيقا بالنواحي الفسيولوجية والعصبية وتظهر في الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر، وتشتمل النواحي الخلقية كل الصفات الخلقية المختلفة كالتعاون والصدق والأنانية والكذب والتسامح والتعصب، إلى غيرها من اتجاهات نفسية مختلفة ويجب أن نعترف ونحن بصدد دراسة هذا الموضوع أن دراسة الشخصية كوحدة

شاملة كاملة لما لها من امتزاج وتداخل وتفاعل مستمر بين هذه النواحي مما يؤدي هذا التداخل إلى التأثير في إتران الشخصية أو اختلالها. فعلى سبيل المثال فإن الأمراض، خاصة المزمنة، لها أثر لا يقل عن أثر العاهات المشوهة، إذ أنها تؤثر على الجسم كله وتحد من قدرة الشخص على استغلال طاقته العقلية كما تؤثر في الناحية المزاجية والاجتماعية فتجعله مثلاً سريع الغضب، أو مكتئباً، أو متشائماً ينظر إلى الدنيا بسواد.

فالصحة الجسمية إذن تؤثر على الصحة النفسية، وهذا ما نراه يتفاقم يوماً بعد يوم في مجتمعنا العصري اليوم وزد على ذلك كل متطلبات الحياة اليومية المعقدة إذ أحياناً يصعب على الفرد تحقيقها مقارنة بغيره، وتضعه هذه الحالة من عدم القدرة (مثلاً القدرة الشرائية، الكماليات) موضع اليأس والخمول والملل، وفي أحيان كثيرة، تخطر هذه المواقف لتصل إلى حالات نفسية عصبية مستعصية وهذا ما سنراه في الجانب الميداني من بحثنا. إن النواحي العقلية وما يتصل بها من نواحي معرفية تؤثر في النواحي الأخرى للشخصية، فشخصية ضعيف العقل يتضح فيها الشذوذ الجسمي والانفعالي والخلقي كما أن شخصية الذكي يغلب عليها أن تكون متكاملة. وذلك لأن ذكائه يسهل عليه استغلال قدراته وتكييف نفسه للبيئة التي يعيش فيها. فالذكاء يزود الشخص بالوسائل لا بالدوافع وهذا ما قد يجعل بالذكي أحياناً يسلك سلوكاً خاطئاً أو منحرفاً إذا عجز عن ضبط اندفاعاته وبالتالي يعجز عن تكييف نفسه للمواقف التي تقابله.

أما تأثير الناحية المزاجية في نواحي الشخصية فيتضح لنا من ملاحظة أثر الانفعالات في سلوك الفرد. فالانفعال حالة نفسية جسمية تتميز بتغيرات فسيولوجية عديدة. في التنفس والدورة الدموية والجهاز الهضمي وإذا أعيقت الطاقة الانفعالية المتراكمة في جسم الإنسان عن الانطلاق في سلوك خارجي مناسب (الصياح، الهروب،...) فقد تتحول إلى أمراض عضوية خطيرة قد تلازم جسم الإنسان طويلاً أو أحياناً مدى الحياة ومنها (الضغط السكري، قرحة المعدة، الصلع، البدانة، أمراض القلب، وأغلب أمراض الجلد التي لا تنتشئ

عن تلوث...) كما يمكن أن تتحول إلى أمراض نفسية عصبية يعيشها الفرد كحالات (الاكتئاب، الهستيريا، إلخ)

نستخلص فكرة الفعل الاجتماعي في النقاط التالية:

لقد عرّف فيبر الفعل الاجتماعي بأنه الفعل الذي يحمل معنى ويأخذ فيه الفاعل سواء كان فرد أو جماعة المقابلين الآخرين سواء كانوا فرد أو جماعة يأخذهم بعين الاعتبار ، متضمناً توجهه هذا الافتراض بأنّ الأفعال الفردية هي أساس ما يتشكل من بناءات ونظم وجماعات وكذلك يتضمن أنّ حقيقة الواقع الاجتماعي تتجلى في المعاني التي يحملها الفاعلون وأنّ اكتشاف تلك الحقيقة مرتبط بمحاولة فهمها بالتأويل والاستنباط وقد صنف فيبر الفعل الاجتماعي إلى أنماط مثالية هي¹ :

- الفعل الاجتماعي العقلاني المرتبط بغاية : أي يقع لقصد ما وقد أعطاه تسميات أخرى كالفعل الغائي أو الواسيلي.
- الفعل الاجتماعي العقلاني المرتبط بقيمة : أي أنّ الفاعل يحتكم عند اختياره لمسار الفعل إلى قيمة اجتماعية موجهة.
- الفعل الاجتماعي التقليدي : وهو الذي توجه اختبارات الفاعل فيه تقاليد وأعراف وقيم الجماعة التي ينتمي إليها.
- الفعل الاجتماعي الوجداني : وهو الفعل الذي توجهه المشاعر والعواطف.
- أما بارسنز فقد اعتبر الفعل الاجتماعي وحدة التحليل الأساسية في أي نسق اجتماعي وقد صنف الفعل الاجتماعي إلى :

¹ معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، 2006، ص386.

- الفعل الاجتماعي الواسيلي الموجه لتحقيق غاية ويرتبط بمستوى إدراك الفاعل.
- الفعل الاجتماعي التعبيري بما يتضمن من تعبير عن حالات الرضا والاعتبار ويعبر عن الحالة الوجدانية للفاعل.
- الفعل الاجتماعي القيمي: وهو الذي يرتبط بالمعايير والقيم والجانب الخلقي لدى الجماعة ولهذا فهو يرتبط بالنظام وينطوي معناه إلى درجة ما بالتكامل في النظام الاجتماعي¹.

يفترض تناول الفعل الاجتماعي وجود فاعل ومن تحليل الفعل تجد أنه يشمل أولاً الحوافز وتتضمن المستوى الإدراكي ويعني معرفة الفاعل بغايته والبدائل الممكنة لتحقيقها والمستوى الوجداني وهو مؤشر حماسة واهتمامة ، أما الجانب القيمي فيعبر عن القيمة والوزن المرتبط بالفعل ونتائجه هذه الحوافز الثلاثة تحرك ذهن الفاعل فيقدم على الفعل فتؤثر عليه موجّهات مقيدة وهي الجزء الثاني من تحليل الفعل إضافة للحوافز التي ذكرناها في أولاً أعلاه ، فالفاعل ليس مطلق بل عليه قيود الأول هو الموقف الاجتماعي وهذا الموقف يتأتى من مكونين أحدهما هو الظروف الموضوعية (ما يحيط بالفاعل من مؤثرات بيئية اجتماعية) والمكون الثاني هو ظرف الجانب الذاتي للفاعل ، هذين المكونين يتحدان ويكونان الموقف الاجتماعي ، وعندما يتفاعل الموقف الاجتماعي مع المعايير والقيم الثقافية يتوجه الفعل بشكل صحيح ويحقق الغاية.

إنّ بارسونز اكتشف أنّ نظرية الفعل الاجتماعي كما تمّ طرحها تساعد في تفسير السلوك لكنها لا تفسر النظام الاجتماعي واستمراره ولهذا تحول إلى تناول الفعل الاجتماعي في إطار النسق الاجتماعي .

¹ نفس المرجع السابق، ص 387

إنّ النسق الاجتماعي يشير معناه إلى مجموعة من الفاعلين في عملية تفاعل ضمن موقف يشمل على الأقل وجهاً فيزيقياً بيئياً وفاعلين لديهم حوافز لتعظيم المنفعة والرضا وحيثما تتحدد علاقاتهم بالموقف تتحدد أيضاً بالبيئة وكذلك تتحدد بالنسق الثقافي للجماعة وما يتضمنه من رموز مشتركة كما يمكن أن يحدد النسق الاجتماعي في مجال فردين أو أكثر يشتركون في تفاعل مستمر بمحيط محدد

لقد تحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفاعل والفعل في نظرية الفعل الاجتماعي إلى التركيز على الدور والمكانة واعتبرها الأساس في تحليل النسق الاجتماعي فهو بذلك انتقل من الاهتمام بالعوامل الفردية إلى اعتبار البناءات والنظم هي الأساس في تشكيل الفعل الإنساني فمثلاً يشير مفهوم الدور إلى ما يقوم به شاغله لكن المهم ما يرتبط بمفهوم الدور من مسؤوليات وحقوق وتوقعات وظيفية للنسق بينما يشير مفهوم المكانة إلى وضع شاغل الدور التراتبي في البناء الاجتماعي وفي سلم التدرج الاجتماعي وفي كلا الحالتين يحصر الفرد الفاعل ما يتضمنه الدور والمكانة من خصائص ضمن التنظيم الاجتماعي ، لأنّ خصائص الدور والمكانة تحدد اجتماعياً إذن ستكون اختبارات الفاعل مقيدة بما يرتبط بها من توقعات فتتضائل حرية الاختيار الفردي أمام قيود ما هو اجتماعي وثقافي وبهذا تحول من التركيز على البعد الذاتي إلى التركيز على البعد الموضوعي .

أجرى بارسونز دراسة النظام الاجتماعي معتمداً على التحليل البنائي الوظيفي وأسس تحليله على الفرضيات التالية:

- إنّ النظام يشكل الحالة الأساسية للنسق وما بين مكوناته من علاقات.
- تميل الأنساق الاجتماعية إلى المحافظة على النظام وحالة التوازن.
- يمكن أن يكون النسق ثابتاً مستقراً أو متغيراً تغيرات تدريجية منتظمة.
- ترتبط أجزاء النسق ومكوناته بعلاقات تكاملية منسجمة.
- يحافظ النسق على حدود معينة في علاقته ببيئته.

- تعتبر عمليات توزيع الأدوار والمكانات والتكامل بينها من العمليات الضرورية لحالة التوازن.
- يميل النسق إلى المحافظة على الحدود وعلاقات الأجزاء بالكل وفيما بينها وضبط التغيرات في البيئة وضبط الميل لتغيير النسق من الداخل.

5.4 مفهوم التغير الاجتماعي:

التغير الاجتماعي هو مفهوم مرتبط بعلم الاجتماع، والذي يشير إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية المؤثرة والمسببة فيه، ويعرف أيضاً بأنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ذات التأثير المستمر، والتي تعتمد على مجموعة من الأفكار البشرية، والنظريات المستحدثة، والآراء، والأيديولوجيات التي يتميز بها كل عصرٍ من العصور البشرية. إن فكرة التغير الاجتماعي ارتبطت بشكل مباشر بالتغير الفكري عند شعوب العالم، فكلما كان الناس يكتشفون شيئاً حديثاً، ومختلفاً عن الذي اعتادوا عليه، كلما ساهم مساهمةً مباشرةً في تثبيت مفهوم التغير الاجتماعي، والذي أدى أيضاً إلى تغيير الكثير من العادات، والتقاليد التي عرفها الناس، وصارت جزءاً من حياتهم، وهذا ما ظهرَ واضحاً في التغيرات الاجتماعية المرتبطة بطبيعة الملابس، وأوقات الخروج من المنزل، وقبول بعض الأمور التي كانت مرفوضةً في السابق، وغيرها الكثير من التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات البشرية¹.

كما أن هناك أنماط التغير الاجتماعي فتوجد مجموعة من الأنماط التي توضح طبيعة التغير، والتطور الاجتماعي الذي شهده العالم، وخصوصاً من أواخر القرن التاسع عشر للميلاد حتى هذا الوقت، والذي أدى إلى ظهور مصطلحات جديدة لم تكن معروفة مسبقاً عند الناس، أو في علم الاجتماع، والتي أشارت بدورها إلى أنماط التغير الاجتماعي ومنها: التقدم الاجتماعي: هو التغير الاجتماعي الذي يشير إلى التطورات العديدة التي

¹معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع مذكور، ص431

ظهرت في المجتمعات، وأدت إلى تغيير العديد من المفاهيم، والأفكار، والوسائل، والأدوات القائمة. الإصلاح الاجتماعي: هو التغيير الاجتماعي الذي يساهم في إصلاح، وتعديل مجموعة من المعتقدات السائدة، من خلال استبدالها بأفكار جديدة تتناسب مع الحقبة الزمنية التي توجد بها، مع الحرص على أن تتميز بالقدرة على تطبيقها في المجتمع. النمو الاجتماعي: هو التغيير الاجتماعي الذي يساهم في تعزيز دور كل من التقدم، والإصلاح الاجتماعي، وتأثيرهما الإيجابي على المجتمع.

تعتمد مصادر التغيير الاجتماعي على طبيعة تأثيرها على المجتمع، ومن أهم هذه المصادر المصادر الداخلية هي مجموعة المصادر التي تعتمد على الأفكار التي يقترحها الأفراد داخل المجتمع الواحد، والتي تظهر من خلال الوعي الفكري، والثقافي، وزيادة نسبة تأثير التعليم على كل فرد، مما يؤدي إلى العمل على التخطيط لمشاريع جديدة، وحديثة تهدف إلى تطبيق التغيير الاجتماعي. المصادر الخارجية: هي مجموعة المصادر التي يتم تطبيقها خارج المجتمع، ويتم الحصول عليها من قبل العلم، والدراسة، والبحث في طبيعة حياة المجتمعات البشرية الأخرى، وتساعد على تزويد الأفراد بالإنجازات المفيدة التي تم تحقيقها، مع تشجيعها على تجنب تكرار التجارب الخاطئة في المجتمع. نظريات التغيير الاجتماعي اهتم مجموعة من الفلاسفة، وعلماء الاجتماع بوضع نظريات تهتم بدراسة التغيير الاجتماعي، وتأثيره على المجتمعات.

ومن هذه النظريات: نظرية التغيرات الاجتماعية للفيلسوف كنت، والذي رأى بنظرية أن أي تغيير يحدث داخل المجتمع يجب أن يمر بمجموعة من المراحل، والخطوات حتى يتم تحقيقه بشكل صحيح، وحتى يتحول من حالته الأولية، إلى الحالة العمومية، والمقبولة بين كافة الناس. نظرية العالم، والفيلسوف العربي ابن خلدون، والذي رأى بنظرية أن أي تغيير يحدث داخل المجتمع يدل على التقدم، والرقي البشري، وإن التغيرات الاجتماعية تعتمد بشكل مباشر على مجموعة من الظواهر المستمرة، والتي تشمل كافة نواحي الحياة الإنسانية

إذا أخذنا هذا المفهوم تبعاً لسابقه وهو الفعل الاجتماعي، فإننا إذا نتسائل إذا ما كان التغير الاجتماعي يخضع لمفهوم الفعل الاجتماعي أو يخضع مثلاً لنموذج جاهز؟ فلقد شغل هذا التساؤل لسنين طويلة جل الفلاسفة وعلماء الاجتماع، بحصره في زاويتين مختلفتين بين العناصر الداخلية المؤثرة فيه وبين العناصر الخارجية، الداخلية، كما أنه كعملية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمان والمكان، وتداخلت العناصر الداخلية مثل الصراع الطبقي الذي أثر في مسار التغير الاجتماعي نحو الرأسمالية (ماكس قبيير) في أطروحته القائلة: "إن الإصلاح البروتستانتي إذ أنشأ نمطاً أخلاقياً متزامناً مع تطور المسالك الاستثمارية والإدخارية، إنما لعب دوراً نحو نمو الرأسمالية"¹

إذن فهناك مسارات داخلية مؤدية إلى تبادلات في النظام والمبنى، عبر مسار التغير الاجتماعي، كما أنه يجب الاعتراف بأن المجتمع البشري أو الحياة البشرية ترغم الفرد داخل الجماعات إلى التبادل الخارجي عبر جميع عمليات الإتصال الحديثة منها والقديمة، لإمكانهم من بلوغ هدفهم المشترك، مع حفاظهم على مواقعهم المتباينة وأدائهم أدواراً تتغير وتتراتب بمقتضى التنظيم ووسائله وأهدافه. هذا الهدف المتمثل في التفتح على الحياة الاجتماعية العالمية.

وقد تتضارب في أحيان كثيرة المسارات الداخلية والخارجية، في التغير الاجتماعي، وقد ينتج عن ذلك ما يسمى بالتغالب الاجتماعي الذي يتميز بطبيعة الرهانات (الربح والخسارة)

وفي أحيان كثيرة ولتعدد طبيعة الحياة الاجتماعية، فلا يمكن قياس هذه الرهانات بصورة دقيقة أو حسابية (رياضية) ولكنها تبدو في الغالب على صورة الغالب والمغلوب، أو صورة التقليد أي تقليد الآخر (الغرب) لما له من هيمنة عالمية، سياسية، اقتصادية على العالم بأسره عن طريق التأثير باعتباره شكل من أشكال الفعل، وعليه فإن التأثير يدخل في نطاق علاقات النفوذ والسلطة، فالمؤثر هو النافذ، القادر بالفعل على تغيير فعل الآخر في الاتجاه

¹ د. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984، ص 75

الذي يختاره له، ويمكن اعتبار التأثير بمثابة شكل خاص جدا من أشكال النفوذ/السلطة مستمد بشكل أساسي من الإقناع.

وإذ نحن بصدد التكلم عن عملية التغير الاجتماعي فلا بد من أن نلقي نظرة وجيزة عن نظرية الفعل الاجتماعي، لارتباطها الوثيق بسابقها أي التغير الاجتماعي و ذلك لارتباط المفهومين ببعضهما البعض ارتباطا وثيقا.

نظرية الفعل الاجتماعي :

تعتمد نظرية الفعل الاجتماعي على قضية أساسية فيما يتعلق بتفسير و تأويل السلوك الإنساني ألا و هي أن كل سلوك فهو سلوك هادف، أي أن الفاعل الاجتماعي لبلوغ هدف أو غاية ما فإنه يختار عدة وسائل و أنماط سلوك متعارف عليها اجتماعيا للوصول إلى غايته، حيث يتضمن الفعل اختيار الفاعل لعدد محدود من الوسائل التي تحقق هدفه دون وسائل أخرى ، و بذلك يحصل التمايز بين الوسائل والغايات، ولا يقتصر الفعل الاجتماعي، ولكل فاعل اجتماعي طريقته الخاصة في معرفة أساليب السلوك وسياقاتها الاجتماعية.

يذهب ماكس فيبر في كتابه " نظرية التنظيم الاجتماعي و الإقتصادي " إلى أن علم الاجتماع هو ذلك العلم الذي يحاول القيام بتفسير وفهم السلوك أو الفعل الاجتماعي لتفسير سائر الظواهر الاجتماعية، أي أن علم الاجتماع عنده يدور في إطار سيكولوجي لأن الفعل الاجتماعي يتضمن كل مظاهر السلوك الإنساني، بما فيها الفردي، فكل سلوك إنساني هو ببساطة سلوك هادف، ومن ثم يكون للإنسان - الفاعل أهدافه المحددة و يكون لسلوكه معنى يستتبطه الفاعل الاجتماعي ، و يكون معنى ذاتيا متطابقا مع المعنى السائد في عقل الآخرين - المجتمع، كما يعتبر ماكس فيبر أن الفعل الاجتماعي فعل عقلي لأن الفعل هو سلوك موجه نحو هدف محدد، أي أنه هادف وغير غامض، و بالتالي فهو فعل عقلي، ولأنه يستند لمجموعة من القيم الموضوعية المتعارف عليها اجتماعيا والتي تستند بدورها على صور اجتماعية واضحة ومنطقية، و يميز فيبر بين الأفعال الاجتماعية المرتبطة بالأفراد

فيما بينهم، و بين الأفعال الاجتماعية المتعلقة بسلوك الأفراد تجاه المادة او الموجودات الطبيعية، أي أن الفعل الإجتماعي يتحقق فقط عندما يحصل انتهاك الإنسان بالآخرين يسميه فيبر بالانتهاك الاجتماعي.

كما أنه يميز بصدد أشكال الفعل الاجتماعي بين الأفعال الاجتماعية المتصلة بالأفراد كخصام شخصين، و تلك المتصلة بالجماعات و الجموع الحاشدة، حيث أن السلوك – الفعل لا يصدر عن الفرد – الإنسان كإنسان، بل عن الفعل الاجتماعي الذي يكتسبه الفرد بالتقليد و الالتحاق في الجماعة، ويسميه فعل عام – جمعي .

المفاهيم الأساسية للتفاعلية :

أ-الفرد "الأنا" كفاعل :

رغم أن الفرد لا يكون دائما شفافا في أفعاله فإنه لا يكون أعمى في ما يفعله، أي أنه يعي جيدا ما يقوم به ، و هو ما تأخذه التفاعلية بعين الاعتبار عندما تهتم به كفاعل، كما أنها تهتم بالشروط الاجتماعية و المحيطة التي يتأطر فيها فعله الاجتماعي، إن الفرد بالنسبة لها ليس ذرة طاقية أحادية تقرر وحدها في تصرفاتها و ممارساتها، كما انه ليس مخلوقا لا حول له في مواجهة مجتمع يملئ عليه تصرفاته و سلوكه، إن كل فعل يتم إنجازه يأخذ بعين الاعتبار ردود فعل الآخرين و تقديراتهم لهذا الفعل و تفسيرهم له، إنه على الأقل خاضع لفهم و تفسير لحد أدنى يتيح التقويم والتواصل ، و حسب P.Wortier فإن التفاهم بين الأعضاء المتفاعلين هو شرط الأنشطة المتبادلة ، و كل رابط اجتماعي أو علاقة اجتماعية يتطلب عملية التأثير و توجيه الواحد للآخر.

ب-البعد الرمزي:

تتعدد الإشارات في سلوك الفاعلين بدءا من الخطاب/اللغة إلى الحركات الجسدية ، إلى الحد الذي يصبح فيه كل هذا اعتياديا، بل إن كل الأفراد يكتسبونه و يستعملونه في حياتهم اليومية و في تفاعلهم الاجتماعي مع الآخرين، إن نسيجنا من العناصر المكتسبة تغذي

باستمرار الروابط الإجتماعية ، و كل فاعل يجهل هذه العناصر يكون فإنه يكون في مواجهة مواقف و سلوكات قد لا يفهمها ، مما يتطلب منه القيام بمجهود فكري للإقتراب من الحس المشترك الذي يسمح بتفسير خطاب و سلوك الآخرين و استيعابه ثم التفاعل معه.

إن الآخرين عندما يرسلون إلينا إشارات أو علامات لفظية أو جسدية ما فإنهم يحيلون على البعد الدلالي و بالتالي الرمزي، فالإنسان في تفاعله مع العالم يجد نفسه أمام جدار سميك من الدلالات التي يستعملها للتحرك بسهولة و يسر، لذلك فالعلاقة مع العالم مشروطة بالبعد الرمزي ، و يتوفر الفاعل على ادوات مرجعية اجتماعية و ثقافية تساعد في عملية التأويل التي يقوم بها في تفاعله مع الآخر/الآخرين.

إن الدلالات المشتركة بين جماعة من الأفراد تحدد مجال و طبيعة بعض المواقف والسلوكات كما انها ترتب الأشياء وفق مجموعات محددة يتقاسم هؤلاء الأفراد شفرات معرفتها و فهمها ، و حتى عندما يتعلق الأمر بدلالة واقعة ترتبط بسياق محدد من أجل فهمها فإن كل فرد يكتسب منذ صغره القدرة على المرور من السياق العام إلى السياق الخاص قصد إسناد الدلالة الملائمة لهذه الواقعة، إنه يلتجئ في ذلك إلى مجموع المعارف والأفعال والسلوكات التي اكتسبها في جماعة المرجعية التي يرتبط بها والتي تغذي باستمرار نظرته و تصوره للعالم و للواقع.

إن الجماعة التي ينتمي إليها و ثقافتها تعد موردا أساسيا في مواجهة العالم الذي يحيط بنا، كما أنها تعتبر الأرضية المرجعية التي نستمد منها معنى الدلالات الكثيرة والعلامات التي نصادفها في وجودنا الاجتماعي و في تفاعلنا مع الآخرين.

ج - مفهوم التفاعل :

إن التفاعلية على الرغم من أخذها للفرد كقاعدة في مقاربة الوقائع والظواهر الاجتماعية، إلا أنها لا تأخذ كمبدأ في التحليل، بل أنها على مستوى التحليل تأخذ الفرد في فعله المتبادل مع الآخرين..إن التفاعل هو حقل للتأثير المتبادل لأن الاجتماعي لا يوجد

كمعطى سابق عن الأفراد/ الفاعلين، بل إن الإجتماعي حسب جورج زيمل هو شكل مستمر أو انه حسب ستروس نظام متفاوض عليه.

إن التفاعلية تعتبر المجتمع كبنية حية في تشكل مستمر، و يعتبر زيمل بأنه يوجد هناك مجتمع بالمعنى الواسع للكلمة أينما وجد فعل متبادل للأفراد، و يمكن ان نلاحظ المستويات و الكيفيات المختلفة للتجمعات من التجمع العادي لشخاص سيذهبون جماعة في نزهة، إلى الوحدة الحميمية لعائلة أو عشيرة من القرون الوسطى، و يظهر بالنسبة للرؤية التي تقتحم عمق الأشياء أن الظواهر التي تشكل وحدة جديدة فوق الأفراد و مستقلة عنهم يمكن فهمها من خلال الأفعال المتبادلة التي اشترك فيها هؤلاء الأفراد.

إن التفاعلات بين الأفراد ليست عمليات ميكانيكية يتم ربطها بالأدوار الإجتماعية للأفراد أو وضعياتهم، إن الحديث عن التفاعل بين الطبيب والمريض ، المحامي و الزبون، هي علاقة تحتل فقط على الإطار الشكلي للتفاعل، ولا تعكس قط عملية التفاعل و مضمونها ومعناها أو كيف يلعب الفاعل دوره، و ما نتائج فعله، لأن التفاعل بين شخصين أو اكثر لا يمكن توقع نتائجه، بل إن أولئك الأشخاص انفسهم لا يعرفون مسبقا مراحل علاقة تفاعلهم، وبالتالي فهي تتأسس على إطار من الإنتظار والتبادلة.

كما ان الفاعل لا يشمل الفاعلين الحاضرين في لحظة الفعل فقط، بل عناصر أخرى غير مرئية ساعدت أو ساهمت في صياغة علاقة أحد الفاعلين أو كلهم مع العالم، إن الشخص الفاعل ينبني اجتماعيا في سلوكنا اليومي و أفعالنا، يتمثل الآخرين بشكل ملموس مباشر أو ضمنيا من خلال حضورهم المعنوي.

التفاعل الإجتماعي هو عملية تشكل مستمر و ليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون و تملي عليهم سلوكهم و مواقفهم، إن الانا في إصلاح و تاويل و إعادة بناء مستمرة فيتحدث ستروس عن عملية التراكم و نمو الأنا من خلال التفاعل ، و التفاعل لا يتم من خلال اللغة و الخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه.

5. المقاربة النظرية السسيولوجية:

1.5 النظرية الانتشارية

2.5 التنشئة الاجتماعية

3.5 التفاعلية الرمزية

إن الإنسان عبارة عن علاقات اجتماعية وهو نتاج أشكال اجتماعية معينة وهو يتغير بفعل التأثير الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية، إلا أن هذه العلاقات والأنظمة الاجتماعية وأشكال التفاعل الاجتماعي تتغير بدورها بفعل النشاط الاجتماعي البشري وبما أن السلوك الثقافي للإنسان من خلال تحديد طرق نشوءه وتطوره وانتقاله من المهام القائمة على تسييره إحدى النظريات الكبرى الانتروبولوجية الثقافية والاجتماعية وهي نظرية الانتشار (المدرسة الانتشارية) فهي إحدى المدارس التي ترتبط ارتباطاً ديناميكياً، موضوع بحثنا وتأطيره النظري السوسيولوجي، باعتبار الانتشار يعمل على تعجيل تطور الثقافة، كما أنها تقوم على مبدأ هام وهو أن النظم الاجتماعية كثيراً ما تستعار وتنتقل من مكان إلى آخر، على ذلك فإن تشابه النظم الاجتماعية والعادات في المجتمعات المختلفة لا ينشئ عن النمو التلقائي الناتج عن تشابه الامكانيات الاجتماعية الإنسانية، كما نلاحظ أن تتبع انتشار النظم الاجتماعية من مجتمع لآخر يحتاج جهد أكبر من الجهد المستخدم في تتبع الاختراعات التكنولوجية المادية.

ولا شك أن النظم الاجتماعية تتغير خصائصها أثناء عملية الاستعارة والاندماج في المجتمعات المستهلكة، وهكذا تتغير خصائص تلك النظم من مجتمع لآخر، فهل يمكن الاعتراف بنظرية الانتشار الثقافي التي تعتمد على نشر السمات الثقافية وتبادلها من ثقافة لأخرى أو داخل الرحم الثقافي نفسه مادة وروحا، بأنها نظرية تتحكم بما ينتج هذه التبادلات الثقافية؟ هل نأخذ هذه النظرية بعين الاعتبار البعد النفسي والاجتماعي ومعطياته خلال عملية الانتشار؟

وإذا سلمنا بمبدأ هذه النظرية، في تفسيرها لنا كيفية انتقال وانتشار السمات الثقافية عبر المراحل التاريخية المتعاقبة بدون أي تحليل للبعد النفسي الاجتماعي، وهذا ما نود التطرق إليه من خلال موضوع بحثنا.

أما ثاني النظريات فهي نظرية التنشئة الاجتماعية التي تنص على أن للوسط الاجتماعي دور أساسي في تشكيل الشخصية وبناءها بل إن الوسط الاجتماعي يعد العنصر المتمم الضروري

للکائن البشري بما يوفر من تلبية لحاجاته وإمكانيات لاكتساب قدرات متعددة ومتنوعة تسمح له بالحصول على النمو والتكيف وهو بذلك القلب الذي يصنع الفرد بصفته والمعين الذي يحقق له تعلمه الاجتماعي ونضجه ووعيه الذي يبصره بطاقته الذاتية وبمشاعره الشخصية وبهويته، فالشخصية إذن مرهونة إلى حد كبير بطبيعة النشأة الاجتماعية وأساليبها وتقنياتها وأهدافها ومشاريعها التي يخضع لها الفرد في مختلف الأوساط التي يعيشها أو تلك التي يتوق للانتماء إليها عبر مختلف مراحل الحياة، فالأسرة بتركيباتها الخاصة وتنظيمها المحكم الذي ينسجم في الغالب مع تقاليد كل مجتمع ومعايير الثقافة ونمط حياته وقيمة معتقداته تعد أهم وسط وظيفي يسمح للقيام بعمليات التنشئة الاجتماعية في تلبية حاجات أفرادها والتكفل بهم نفسيا واجتماعيا وثقافيا ومعرفيا وفق الأشكال والأساليب الخاصة بهذه النواة كوسط اجتماعي يتمشى مع ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليها مثلها مثل جميع المؤسسات الثقافية الأخرى التي تسهر على إدماج الفرد في مجتمعه وربطه بثقافته. وآخر النظريات التي ترتبط إرتباطا موضوعيا هادفا بموضوع بحثنا هي نظرية التفاعلية الرمزية التي تقوم على اعتبار المجتمع كتلة من التفاعلات والاتصالات تحدد نمط سلوكياتهم وضبطها.

" إن المجتمع كمية أو حجم معين من التفاعلات التي تجري بين أعضائه وهو يتكون من جماعات ترتبط الأفراد من خلالها ببعضهم البعض بالإضافة إلى العلاقات التي تربط بين هذه الجماعات ذاتها ويتم تنظيم السلوك داخل الجماعات وبينها من خلال توقعات هذه الأخيرة التي تتطور بواسطة الآخر، فالناس من خلال التفاعل يتعلمون أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخرون منهم"¹

تبعاً لهذا التعريف والتحديد المحكم للتفاعلية الرمزية يتم الاعتماد عليها في بحثنا لما نقدمه من تفسيرات لطبيعة العلاقات السائدة والهدف من هذه العلاقات أو التفاعلات في ضبط السلوكيات في قوالب معينة تحدد التوازن بين النسق الثقافي والتواصل الاجتماعي، ترتبط التفاعلية الرمزية ب George Herbert Mead، فهي بالنسبة له ليست نظرية في علم الاجتماع بل هي نظرية في التنشئة الاجتماعية، وهي ركيزة فهم التفاعل الاجتماعي من

¹ سامية محمد جابر، الفكر الاجتماعي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1983، ص93

خلال عملية الاتصال ويضيفه إلى اتصال رمزي الذي يقوم على استخدام الأفكار واللغة ومن خلاله نستطيع تنظيم انطباعات الأفراد وفهمهم للعالم الخارجي الاجتماعي والطبيعي، وتطبيق ما اكتسبوه من مفاهيم ذهنية في المواقف الجديدة التي تصادفهم ومن هنا يؤكد (ميد Mead) على أنه من خلال عملية الاتصال تلك والتي تلازم الفرد منذ ميلاده ومن خلال مراحل نموه، يتولد لدى الفرد مفهوم الذات والأداء الفردي، فإن الفرد يخلق في المجتمع كل يوم من خلال تفاعله وأفعاله، بدلا من أن يكون مرتبط بقوى المجتمع وأنماطه فحسب. وعليه يكون النظام الاجتماعي نتاج تفاعل الأفراد، ومن صنع أعضاء المجتمع وبذلك لا تكون المعاني الموضوعية للأشياء، مفروضة عليهم، وإنما هي بمثابة موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين المتفاعلين في مواقف التفاعل الاجتماعي، وتعتبر نظرية التفاعلية الرمزية بأن العلاقة بين الفرد والمجتمع ليست علاقة حتمية، فإن كان الفرد مخلوق اجتماعي فإنه بذلك ينشأ من التفاعل بين معطياته الخاصة وبين الظروف الاجتماعية التي يبرمج فيها والتي يضيفها أيضا من خلال تفاعله مع الآخرين فالمجتمع إذن نتاج لعمليات التفاعل القائمة بين العديد من الأفراد والجماعات المتجانسة، والتي تدخل في علاقات متبادلة وتفاعل دائم ينتج عنه بالضرورة نتائج التنظيم الاجتماعي المختلفة ومن ثم يترتب على تنوع استجابات الأفراد والجماعات خلال التفاعل وتوافق أشكال التنظيم الاجتماعي المتنوعة، فكيف لهذه النظرية أن تخدم مجتمعنا باعتبارها نظرية تهتم بالتفاعلات الرمزية للاتصال الاجتماعي، وبما أننا بصدد دراسة إشكالية الشخصية بين أخذها للثقافة مادة وروحا وبين السلوك أو الفعل الاجتماعي باعتباره محض تطور الذات أو الشخصية الاجتماعية في ظل التغيرات السارية الناتجة عن التأثيرات الخارجية وهذا ماسنحاول دراسته من خلال موضوع بحثنا.

1.5 النظرية الانتشارية:

تعتبر النظرية الانتشارية إحدى النظريات الهامة القائمة على تفسير السلوك الثقافي للإنسان، من خلال تحديد طرق نشوئه وتطوره وانتقاله، وهي إحدى النظريات الكبرى في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية وهذا راجع لكثرة الإنتاج العلمي المنجز في إطارها.

لم يقر العلماء بأهمية آلية الانتشار تماما ولم يبدؤوا بالغوص فيما تتضمنه إلا بعد أن أصبحت خلاصة نظرية التطور موضوع إعادة نظر وتمحيص وذلك جراء الانتقادات الشديدة التي وجهت لهذه النظرية بسبب عجزها عن تقديم تفسيرات منطقية لعمليات التفاعل الاجتماعي والتبادل الثقافي.

لقد مرت المناهج الاثنولوجية التاريخية بمرحلتين هامتين، تتمثل المرحلة الأولى في أصحاب الاتجاه الاثنولوجي القديم، الذي تأثر بالنزاعات الداروينية في بحثها عن أصل الأنواع، فأمن أصحاب هذا الاتجاه بفكرة التطور، وطبقوها تطبيقا خاطئا في تفسير النظم والظواهر الاجتماعية من خلال أصولها، وراودها كثيرون أمثال:

ماكليمان macleman، مين maine، بوكوفان bochoffen، تايلور taylor، ومورجان morgan، أما المرحلة الثانية التي مرت بها النظرية الاثنولوجية فتتمثل في دراسة أصحاب الاتجاه الاثنولوجي الحديث الذين رفضوا الاتجاهات التطورية القديمة واعترضوا على منهج التاريخ الظني، وقدموا المنهج الاثنولوجي الحديث بديلا له والذي يدرس النظم فيفسر الظواهر لاعن طريق دراسة أصولها بل عن طريق تتبع عناصر الثقافة وجمع كل المعلومات التي تتعلق بها وذلك بدراسة مصادر إنتشارها ثم ترتيبها ترتيبا خاصا من البسيط إلى المركب ورواد هذه المدرسة كثيرون:¹ على رأسهم: فرانترز boaz، كروبر kroeber، روبرت لوي R. lowie.

¹ قباري محمد إسماعيل الاثنروبولوجيا العامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971، ص 182

هناك احتمال قوي يقضي بأن لا تنتشر الثقافات على شكل مجموعات من العناصر المرتبطة مع بعضها البعض ارتباطا وظيفيا، وإن كان ذلك لا يحول دون انتشار كل عنصر على حدى.

لا يتم الانتشار دون المرور بالعمليات الأساسية لذلك:

- عرض العنصر أو العناصر الثقافية الجديدة على المجتمع.
- قبولها من طرف المجتمع.
- دمج هذه العناصر في الثقافة القائمة في المجتمع.

الاستنتاجات المستخلصة من هذه العمليات:

- عندما يحتك مجتمعات مدة طويلة مستمرة كما في حالة قبيلتين متجاورتين تربطهما علاقات ودية فإن ثقافة كل منهما بكاملها ستصبح عاجلا أم آجلا في متناول القبيلة الأخرى.
- يحدد رالف لنتون مبدأ قابلية الانتقال الفطرية، ويقصد به أن العناصر الثقافية التي تحظى بأكبر قبول ممكن هي تلك التي يمكن التعبير عنها بأكثر ما يمكن من السهولة والإتقان.
- الأساليب المادية ومنتجاتها هي العناصر الثقافية الوحيدة التي يمكن نقلها كاملة ، إذ ينقلها المجتمع المستورد بسهولة أكبر ودون تعبير كبير فيها عكس العناصر النظرية كالمفاهيم الدينية والفلسفية ونماذج السلوك الاجتماعي.
- تسعى بعض الثقافات إلى فرض بعض العناصر على مجتمعات أخرى ، كمراعاة المظاهر الدينية ، ولكن مهما اشتدت الفئة المسيطرة في استخدام أساليب القسر ، فإنها لن تستطيع أن تدخل إلى الثقافة الأخرى أي عنصر لا يمكن التعبير عنه دوما ومباشرة بسلوك علني.

- يعتمد قبول العناصر الجديدة على نفع هذه العناصر وقابليتها للانسجام كما تلعب سمعة الأفراد الناقلين لهذه العناصر دورا مناسبا في التقبل أو الرفض.¹

فرانز بواز والانتشارية:

يوجد مفهوم سسيولوجي واضح لكلمة " الانتشار " والتي تتمحور حول إنتشار الأفكار إما مباشرة (الأخبار ، الإشاعات ، الحكايات) وإما غير مباشرة عن طريق الكتاب ووسائل الإعلام والاتصال السمعية البصرية²

كما هناك المفهوم الذي تعطيه الانترولوجيا والثقافة ، ويتعلق الأمر بانتشار السمات والصفات الثقافية بصورة روحية (الأساطير، الطقوس.....) أكثر منها مادية (الصناعة التقليدية) من المجتمع الذي ظهرت فيها أولا إلى مجتمعات أخرى مختلفة ثقافيا، أو جغرافيا بالرغم من وجود تشابهات بين هذه المجتمعات المتقاربة جغرافيا على وجه الصفة التطورية فسرت هذه الظواهر المتشابهة بالتسليم بأن كل الحضارات تمر خلال تاريخها بمراحل النمو نفسها ، وذلك لتشابه الحقل البشري الذي هو واحد أينما كان، وهذا يؤدي إلى التشابه في الاختراعات والإبداعات البشرية خاصة في التقاليد والطقوس وبعض الأساطير.

أما الانتشارية فتفسر هذه المحاكاة أو التشابه باستعارات بين مجتمعات وثقافات مختلفة.

فالفرق بين كل من التطورية التي تركز في عمقها على التماثل البيولوجي بين الأنواع الاجتماعية والأنواع الحية (ليفي ستروس) بينما الانتشارية تدرس التوزيع الجغرافي³

فبينما التطورية تسعى إلى إعادة بناء منطقية لتاريخ الإنسانية ، تسعى الانتشارية بطريقة أكثر موضوعية إلى وضع المقاييس والقوانين التي تسمح بتمييز الفترات المتلاحقة في المسيرات المؤقتة للانتشار ، فلهذا فالمدرسة الانتشارية شكلت مرحلة مهمة مجهودات

¹ - رالف لنتون ،دراسة الإنسان ن ترجمة عبد الملك الناشف ،منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1964 ص 433

¹ - Roger Bastide, Diffusionnisme, Encyclopedia, Universals, op.cit. Volume 5, page 473

³ - Ibid , p 473

الاثنولوجية لاكتشاف يعد مؤقت دون تاريخ حقيقي في الظواهر الاجتماعية والثقافية وهذا في غياب أي تسلسل زمني.

يمكن اعتبار بواز أبو الانتشارية ، حتى لو كانت فكرة الانتشار موجودة قبله ، ولقد قام منذ أعماله الأولى في هذا المجال بنقد التطورية لإعطاء التطور البيولوجي شكلا آخر، يسميه " التطور الثقافي " ويقول فيه:

" لا يمكن لأي حدث يقع في حياة شعب ما دون أن يكون له آثار واضحة على الأجيال اللاحقة"¹

المشكل الكبير يكمن في التمييز بين ما إذا كانت العناصر الثقافية المتشابهة هي ثمرة الوحدة النفسية للأفراد من خلال تقاربهم و احتكاكهم ببعض أم أنها ناتجة عن الاستعارة، و الطريقة المقترحة من طرفه كالتالي:

- نعتبر كل ثقافة مركبا من عدد معين من السمات الثقافية مستقلة نسبيا ويمكن للبعض منها المرور إلى ثقافات أخرى.
- يرفض أخذ سمة ثقافية منعزلة ، ولا يأخذ بعين الاعتبار إلا مجموع السمات الثقافية المترابطة ، أي الأخذ بمبدأ التركيب .
- إذا كانت الوحدات نفسها موجودة في فضاء متواصل ، أي دون فواصل جغرافية هذا يعني وجود انتشار من المركز إلى المحيط لهذا الفضاء والذي سيشهد فقدان بعض العناصر من هذه الوحدات²

فالبحت والتقصي فيما يخص الانتشارية عند بواز يجري بشكل بسيط في مناطق مغلقة ومحصورة جغرافيا ، حيث يمكن تتبع خط السير أي سمة ثقافية ، وبما أن مسافة خطوط

¹ - Ibid , p 474

² - Roger Heine – Geldre , Cultural Diffusion , InternatioanlEncyclopidia of The Social Science , The Macmillan Company And The Free Press USA , 1568 , V 4 , p.170

السير تتطلب وقتا معينا ، فإن ظواهر الانتشار يمكن أن تفيد في عملية إعادة بناء تاريخه والتعرف على الأقل على تعاقب الأحداث والوقائع.

يعتبر مبدأ الانتشار إذا أكثر المبادئ انتشارا في الفكر الاثنولوجي ولأنه مبدأ مقبول فقد تعددت صورة الانتشارية بين الاثنولوجيين في العالم تعددا كبيرا ارتبط بالمدارس الاثنولوجية المختلفة ، فالانتشارية في عمومياتها تحاول إيجاد حلقات الربط لربط الحضارات معا نتيجة تفاعلها في المكان الجغرافي وعلى البعد الزمني، ومن ثم فإن الانتشارية تدين أيضا للمبدأ التاريخي في علاقات الحضارات ببعض البعض.

اعتماد المدرسة الانتشارية على البعد التاريخي للثقافات البشرية جعلها تختلف جوهريا عن الاتجاه الاثنولوجي النفسي القائم على فكرة أن الدوافع واجدة عند كل الناس، ومن ثم فالتركيبات الحضارية تتبع من داخل الناس دون إمكانية تلقي دوافع خارجية كما تجاهل الموظفون التاريخي الحضاري للناس معتمدين على فكرة أن الدوافع تنزع إلى الاختلافات عن كل الناس ومن ثم تختلف التركيبات الحضارية دون إمكانية تلقي دوافع خارجية¹

ولتأكيد مبدأ الانتشار يرى رالف لنتون أن أي ثقافة يعمل فيها مخترع ما، توجه جهوده وتحددها وتقررها إذا كانت مخترعاته ستحظى بقبول المجتمع، ولهذا السبب كان عدد المخترعات الناجحة التي تنشأ في الأصل داخل حدود أي مجتمع أو ثقافة متصلة الأجزاء صغيرا دائما وأن كل جماعة بشرية تركت وحدها لتسير قدما في تطورها بجهودها الخاصة دون مساعدة غيرها لكان تقدمها بطيئا جدا ، حتى أنه من المشكوك فيه، ما إذا كان قد تجاوز في تطوره اليوم مستوى العصر الحجري القديم²

إن النمو السريع النسبي للثقافة البشرية ككل يوم يعود إلى قدرة جميع المجتمعات على إقتباس عناصر من ثقافات أخرى ودمجها في ثقافتها الخاصة فالانتشار عملية استطاعت بها

¹ محمد رياض. الانسان. دراسة في النوع والحضارة ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1977 ، ص 279
² رالف لنتون ، دراسة الانسان، ترجمة عبد المالك الناشف، منشورات المكتبة العمرية، بيروت لبنان، 964 ، ص 427

البشرية أن تجمع قدراتها الإبداعية ففي طريق الانتشار يمكن اختراع الأبدية والخلود للمجتمعات جميعا وللبشرية

وحسب رالف لنتون فإن الانتشار قد حقق ثلاثة أهداف رئيسية:

- 1- يعد الانتشار حافزا يساعد على نمو الثقافة ككل.
- 2- الانتشار يعني محتوى الثقافات الفردية ويدفع المجتمعات إلى الأمام في طريقها نحو التقدم والرفي.
- 3- يساعد الانتشار على تعجيل تطور الثقافة بإزالة الحاجة عند أي مجتمع للقيام بنفسه وبمفرده بإتقان كل خطوة من مجموعة خطوات أحد الاختراعات¹

يعتبر التاريخ إحدى الركائز الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الانتشارية في تتبع مسار الأحداث والظواهر الثقافية وتحديد شأنها ومجال سيرها وموضع استقرارها وهذا لما يوفره التاريخ من مادة علمية ودلائل ملموسة تمثل مرجعا هاما تقود في الأخير إلى فهم وتحليل الثقافة الإنسانية ككل.

ومن خلال التاريخ أمكن الانتشار أن يلعب دورا مهما في التطور السسيوتقافي فالتطور السريع للثقافة الإنسانية ككل كان راجعا إلى قدرة كل المجتمعات على استعارة عناصر ثقافية أجنبية ودمجها في ثقافتها، إضافة إلى أن ضرورة دمج العناصر الثقافية الجديدة المكتسبة في الإرث الثقافي للشعوب يخلق مشاكل جديدة تتطلب حولا سريعة وفعالة، وبهذا تتولد الأفكار الجديدة، ولقد كان التبادل السريع للاختراعات والأفكار ما بين عدد من الثقافات المحلية حافزا لميلاد الحضارات القديمة للشرق الأوسط يرى المنتمون للمدرسة الانتشارية ومنهم إليوت سميث Elliot Smith أن العناصر الثقافية كثيرا ما تستعار، وبناء عليه فإن تشابه العناصر الثقافية في المجتمعات المختلفة لا ينشأ عن التطور الموازي الناجم عن تشابه "الإمكانات الاجتماعية والطبيعية والإنسانية، ويقولون أنه لو استطعنا تتبع تاريخ الاختراعات و الابتكارات، مادية أم فكرية، لرأينا أنها لم تنشأ عند الشعوب نشوءا تلقائيا في

¹ - المرجع نفسه ، ص.424

كل واحد منها على حدى، وإنما اخترعت أو بالأحرى نشأت في مكان ما معين ثم انتقلت عن طريق الانتشار والاقتباس والابتكار إلى شعوب وأماكن أخرى.

الأخذ بهذا الرأي يقضي بإمكانية انتشار واقتباس وابتكار العناصر الحالية قائمة دائما¹

فالانتشار إذا يقوم على مبدأ أساسي هو تتبع مسار العنصر الثقافي والمساحة التي يقطعها في كل الاتجاهات مع تحديد العوائق التي من الممكن أن تعترض طريقه يضاف إليه تحديد الزمن الذي يلزم لقيام هذه العملية والاختلافات الناتجة عن العملية نفسها في الماضي والحاضر.

لقد بينت أعمال بواز الاستقلالية النسبية للظاهرة الثقافية، كما أظهرت أيضا أن أشكال الثقافات ليست ترجمة للاختلافات في المحيط الخارجي للبيولوجيا الداخلية، أو لقوة موجهة في الثقافة نفسها، إن الثقافات تطورات تاريخية متنوعة، كل ثقافة هي نتاج لتاريخ بارز، حيث تلعب عدة عوامل وأحداث دورها كاملا ولهذا أصبحت الثقافة عنصرا أساسيا في دراسة الإنسان²

بالرغم من كل الاختلافات بين المدارس المتعددة، إلا أنه يتم الاتفاق حول عدم إمكانية تطور أي حضارة بمفردها، بل تم ذلك من خلال الاستعارات والتبادل والاحتكاك والتفاعل فيما بينها بوسائل عديدة مثل العناصر الثقافية، الفنون، المهن، العادات والمعتقدات، كما أن تطور الحضارات عبر العصور تتم بالطريقة نفسها أي من خلال الانتشار³

عمل سابير من خلال مؤلفاته العديدة على إبراز وتوضيح المعالم الكبرى للمدرسة الانتشارية التي شهدت قفزة نوعية بفضل انضمام العديد من المفكرين إليها وكذا من خلال عدم قدرة المدارس الأخرى على مسايرة التطورات والمستجدات الحاصلة في الفكر الانتروبولوجي الثقافي، إضافة إلى الانتقادات الشديدة التي واجهتها هذه المدارس مثل:

¹ - إبراهيم ناصر ،الانتروبولوجيا الثقافية، جامعة عمان، الأردن، 1982 ، ص51

² - Roger Bastide, ibid, p475.

³ - Melville Jean Herskovits, Les Bases de l'Anthropologie Culturelle, Traduit par François Vandon, Petite Bibliothèque Payot, Paris, p197

المدرسة التطورية والوظيفية، وهو يرى بأن نظرية الانتشار هي القادرة فعلا على حل المشاكل الناتجة عن التوزيع المتواصل لأي عنصر مرتبط بصفة متواصلة ومستمرة بعناصر أخرى سابقة، يتميز عنهم، بمجموعة من التغيرات المتواصلة¹

كما يرى سابير أن المهم ليس أن يكون العنصر الثقافي حاضرا هنا أو هناك بل المهم أن يؤدي وظيفة ما محدودة في ثقافة معينة، ومنهجه في الدراسة الانثروبولوجية يحتوي على النقاط التالية :

- يضع جانبا كل ردود فعل الإنسان عن الثقافة والتي تمثل في نهاية الأمر حياة هذه الأخيرة.
- لا يسمح بالتطرف إلى دراسة الديناميكيات الأكثر أهمية للحياة الاجتماعية والثقافية.
- لا يستبعد فكرة أن كل ثقافة تشكل كلا متكاملًا ويجب تناوله بصفة شمولية²

وبما أن الإنسان في نظر سابير وبقية الانتشار بين الحاجة إلى إشباع حاجاته وتلبية رغباته فإن العناصر الثقافية لا يمكن أن تنتقل إلا عن طريق تعبيراتها العلنية وأن المجتمع المستقبل لا يقف إلا على ذلك الجزء من العنصر الذي يمكن التعبير عنه بسهولة، وبعبارة أخرى إن أول ما ينتقل إلى المجتمع المستقبل هو "الشكل" وغالبا ما يكون في البدء مجردا من صفات الاستعمال والمعنى والوظيفة، وشاركهم في هذا الرأي الموظفون، وفي خلال عملية التكامل يلحق المجتمع الجديد هذه الصفات بالعنصر المكتسب ويكيفه مع ثقافته الخاصة به ويصبح بالتالي جزءا من ثقافته³

تعتبر فترة الثلاثينات من الفترات الهامة التي شهدت زيادة وتنوع في الدراسات التي تخدم أهداف النظرية الانتشارية وتزيد من توسعها في مجال الانثروبولوجيا الثقافية ، ففيها اكتملت معالم نظرية هامة، وهي النظرية التناسبية التكاملية configurationnalisme والتي مهد

¹- Edward Sapir, Anthropologie, Cultur et Personnalite, Traduit par Cristien Baudelot et Pierre Clinquart, Edition de Minuit, Paris , 1967 p 238

²- Paul Mercier, Histoire de l'Anthropologie, PUF, Paris 1966, p.91

³- Edward Sapir, ibid, p234

لها سابير، عندما اعترض على فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها، ولذلك نادى بضرورة اهتمام الانتروبولوجيا بالفرد وبأفكاره ومشاعره وعدم ترك هذا الموضوع لعلماء النفس وحدهم، كما أكد على خاصية الرمزية symbolisme لأن كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي أي قائم على معان مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ولذلك نجده يرفض استخدام مفهوم سنبر للثقافة على أنها حقيقة موضوعية مستقلة عن شعور وعقول الأفراد، وإنما ينظر إليها كمجموعة متناسقة من أنماط السلوك التي يمكن توضيحها أو تحديدها عن طريق دراسة السلوك الواقعي لكل أو لمعظم أفراد المجتمع، ويرى أن جوهر الثقافة هو تفاعل الأفراد وما يترتب عليه من معان ومشاعر مشتركة، وهكذا فهو يصور الثقافة على أنها كل متكامل من أنماط فكري وأنماط عمل¹

إن العناصر الثقافية نادرا ما تنتشر بالمعدل نفسه في كل الاتجاهات، إنطلاقا من مركز منشئها، ومن ثمة فلا بد من إدخال المزيد من التحديدات على الفكرة القائلة بأن العناصر الثقافية التي تتباين مناطق انتشارها تتباين أيضا من ناحية العمر، فهناك بعض العوامل الجغرافية والاجتماعية ممكن أن تعيق إنتشار بعض عناصرها في اتجاه معين، وتجعل به في اتجاه آخر من هنا فالعناصر الثقافية تنتشر على امتداد طرق التجارة بسرعة أكبر من انتشارها في اتجاهات أخرى والعناصر الروحية أكثر صعوبة في الانتشار من العناصر المادية كالملابس، وطرق الزراعة والصناعة والبناء وذلك لتركيبية العناصر الروحية الأكثر تعقيدا منها عن الأخرى.

يتبين من خلال كل هذا أن الانتشار ليس عملية ميكانيكية، بمعنى أنه يتم بالطريقة نفسها بالسنة لجميع العناصر في كل الأوقات، وإنما هو عملية بالغة التعقيد، تخضع لكثير من الظروف والاعتبارات الثقافية والسيولوجية والجغرافية وحسب سابير فإن كل عنصر ثقافي مؤهل لكي يخترق حدود المجموعة التي ولد فيها، كما أن تبنيه من طرف مجموعة أخرى يعتبر شكلا من الانتشار، وحينما يواصل فضاء التوزيع انقسامه إلى عدة فضاءات منعزلة

¹ عاطف وصفي، الانتروبولوجيا الثقافية، مرجع مذكور، ص. 56

فإن العنصر يواصل انتشاره بشكل عادي داخل الجيران الجدد للمجموعات الجغرافية المنعزلة، كما أنه يستحيل إيجاد مرحلة تاريخية توقفت فيها الثقافة أو العنصر الثقافي عن الانتشار بانتظام¹

يعتبر رالف لنتون من العلماء الكبار الذين حللوا نظرية الانتشار وبينوا مبادئها العامة وشروط انتشارها، ويحددها كالتالي:

- 1- إذا تساوت الأمور الأخرى فإن عناصر الثقافة ستتبنها أولاً تلك المجتمعات القريبة إلى منابعها الأصلية وفيما بعد ستتبنها المجتمعات الأبعد.
- 2- قد يحدث وأن يمر العنصر الثقافي المنتشر بتحسينات وتعديلات في بلده الأصلي، هذه الأخيرة لا تلبث وأن تنتقل بدورها إلى البلدان والمجتمعات التي انتشر فيها العنصر الثقافي.
- 3- لا تمر عملية انتشار العناصر الثقافية في كل الاتجاهات بالعوامل والكيفيات والقدرات الزمنية نفسها، إذ أن انتشار عناصر معينة تحكمها عدة عوامل ومؤثرات مختلفة بيئية، جغرافية واجتماعية وغيرها.
- 4- التردد في قبول عناصر ثقافية جديدة يخفض معدل سرعة انتشارها، وإن كان لا يحول كلياً دون تعميمها في جهات معينة.

¹ نفس المرجع، ص. 56

2.5 التنشئة الاجتماعية :

بعد الحديث عن النظرية الإنتشارية وأهميتها في التأطير النظري السسيولوجي لأحد أبعاد موضوع بحثنا، ننتقل الآن للحديث عن نظرية أخرى بنفس القدر من الأهمية وهي نظرية التنشئة الاجتماعية .

لا يمكن للثقافة أن تشكل الشخصية وتصوغها وتتبلور فيها إلا عن طريق عملية الصياغة أو التنشئة الاجتماعية وهي عملية ادماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق ادخال التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إياه ثوريثا متعمد على تعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب اليه وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه،

وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه فتنشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والأساليب فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها ولأنه يكون قد شب عليها وتكون بدورها قد تغلغت في نفسه وأصبحت طبيعة ثانية له أي أصبحت من مكونات شخصيته ونظرا للأهمية البالغة لعملية التنشئة الاجتماعية فإن كل مجتمع يقوم بتنظيمها أي يجعلها تنشط ويصير لها فعالية في إطارها المحدد باعتبارها نظاما اجتماعيا .

فالتنشئة الاجتماعية إذن عملية تربية وتعليم تركز على ضبط سلوك الفرد بالثواب والعقاب وكفه عن الأعمال التي لا يتقبلها المجتمع وتشجيعه على ما يرضاه منه حتى يكون متوافقا مع الثقافة التي يعيش فيها ¹

وفي هذا يقول دور كايم أن جميع أنواع التربية تنحصر في ذلك المجهود المتواصل الذي نرمي به إلى أخذ الطفل بألوان من التفكير والعاطفة والسلوك التي ما كان يستطيع الوصول إليها لو ترك وشأنه وهذا لأنه منذ حداثته سانه ندفعه إلى الأكل والشرب والنوم في ساعات معينة ونوجب عليه النظافة والهدوء والطاعة ثم نجبره على التعلم وعلى مراعاة حقوق

¹ حسن الساعاتي ، علم الاجتماع القانوني ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1962 ، ص 92 .

الغير واحترام العادات والتقاليد كذلك نوجب عليه العمل وغير ذلك من الأمور وإذ لم يشعر الطفل بهذا القهر كلما تقدم به العمر فإن السبب في ذلك يرجع إلى أن القهر يخلق لديه شيئاً فشيئاً بعض العادات والميول الداخلية التي تجعل القهر عديم الفائدة .

من المعلوم أن عملية التنشئة الاجتماعية تبدأ حسب علماء النفس من المهد ثم تستمر إلى نهاية المراهقة المتأخرة ونلاحظ في ما يلي : أهم ما يجب أن يتقدم ويتعلمه الفرد (الطفل) :

- الرضاعة السوية والفظام السليم وضبط المثانة والأمعاء في مرحلته الطفولية المبكرة وهي الشيء الذي أكدته مدرسة التحليل النفسي لأن أياً خلال واضطراب يحدث في هذه المرحلة الأولى قد يؤثر لاحقاً في سلوك الطفل ويجعله غير متوازن نفسياً وإجتماعياً .

- تهذيب بعض الدوافع غير المرغوب فيها اجتماعياً بخاصة الدوافع الجنسية والدوافع العدوانية حتى وإن كانت لازمة وضرورية لبناء وبقاء الفرد في المجتمع وتكون محل صراع عنيف إن لم يحقق الفرد إشباعها¹.

- تلقين الطفل العادات والتقاليد وطرائق التصرف الملائمة والآداب الاجتماعية وتزويده المعارف التي تخدم الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل . وتؤدي عملية التنشئة الاجتماعية السليمة بالطفل إلى اكتساب شخصية متوازنة كما تؤدي به إلى تعلم السلوك المقبول في ضوء مقومات الثقافة الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه .

وتعرف " مارجریت ميد " التنشئة الاجتماعية بأنها العملية الثقافية والطريقة التي يتحول بها كل طفل حديث الولادة إلى عضو كامل في مجتمع بشري معين² ويرى " والاس " wallace أن التنشئة الاجتماعية هي همزة الوصل بين الثقافة والشخصية فبدون عملية نقل

¹ د. عبد الرحمن الوافي، في السيكولوجيا الانسان والمجتمع، مطبعة دار هومة ، الجزائر، 2011، ص22.

² نفس المرجع، ص 23

الثقافة إلى الأفراد عن طريق هذه العملية لا يمكن أن تتوقع منهم انصياعاً لمعايير مجتمعهم ولا لقيمه ونظمه¹

وعملية التنشئة الاجتماعية هي نقطة النقاء البيولوجيا وعلم الاجتماع و الانترولوجيا وعلم النفس الاجتماعية وهي بؤرة اهتمام الأولياء والمربين ، ففي عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الفرد العادات والأفكار والاتجاهات المتفق عليها ثقافيا وهو ينتج في مجموعته الاجتماعية عندما يتعلم حقوق وواجبات مركزية ودوره أمام دوافعه فيتوجه إلى منافذ معينة معترف بها، وسيدمج الفرد هذه القواعد والقيود الثقافية لدرجة أنها تصبح جزءا من شخصيته.

ويذهب (فريدريك الكن) FREDRIK ELKIN إلى أن التنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التي يتعلم بها الفرد كيف يصبح عضوا وظيفيا في المجتمع ويتعلم الوظائف التي تعرضها عليه ثقافته من التفاعل مع الآخرين ففي طريق هذا التفاعل يتحدد دور الفرد ويتبلور مركزه ويؤدي وظائفه التي تعين له في كل مرحلة من مراحل حياته وفق كل مجموعة ينتمي إليها ويصبح عضوا فيها. ويرى جورج هربرت مبدأ أن الكلمة المنطوقة هي وسيلة الإشارة الفعالة وأنها عندما تثير كلا من المتكلم والسامع لحظة فيهما الإستجابة نفسها أو الشعور نفسه ، تكون عندئذ رمزا ذا دلالة والمجموعة الشائعة من الرموز ذات الدلالة التي يشترك فيها أعضاء مجتمع ما ، هي ثقافته وما المجتمع إلا نسق من العلاقات بين الأشخاص وتكون هذه العلاقات مؤسسة على ثقافته والفرد الذي سيدمج مجموعة من الرموز المنظمة يكون اكتسب ذاتا.

ونضيف مبدأ ظهور الأنا باصطلاح اتخاذ دور الآخر (THE OTHER) (فالإنسان فقط الذي يستطيع أن يلحظ الأدوار وعلاقتها وأثناء ملاحظة الطفل لوالديه والآخرين واستجابته لهم فإنهم عندئذ يصبحون موضوعات ذات دلالة نسبية له موضوعات تجلب له السعادة والأمان أحيانا و الإحباط أحيانا أخرى.

¹ اميل دوركايم، قواعد علم الاجتماع ، ترجمة محمود قاسم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1961 ، ص ص(36)-

ولكي يتحصل الطفل الإستجابات المرغوبة من هؤلاء الأشخاص فإن عليه أن يتعلم اتجاهاتهم وهو يتخذ تدريجيا استجاباتهم واتجاهاتهم نحوه ، بمعنى أن يتحددوا الآخرين وبفعله هذا أي باتخاذ هذا الدور فإنه يصبح موضوعا لذاته وأثناء استمرار عملية التنشئة فإن معرفة الشخص بأدوار الآخرين واتجاهاتهم تصبح أكثر عمومية وشمولا ، فالطفل لا يدرك فقط أن أمه تقول له أنه ليس من الصواب فعل كذا بل أنه يعلم أنه ليس من الصواب فعل ذلك فهناك إذن معنى آخر أكثر عمومية وشمولا يوجهه وفي هذه الحالة فإنه يكون مدركا لصوت الجماعة ككل فهو يستدمج أعرافها وقيمها كما أنه يكتسب ما تسميه ميد (بالآخر المعمم) وعند وصوله إلى هذه المرحلة فإن الهيكل الأساس للذات عنده يكون قد تكون وفي ذلك تقول ميد " فعندما يستدمج الفرد في داخله نسق الاتجاهات المتبادلة في الجماعة في صلتها باوجه نشاط المجموعة ككل ، فإنه عندئذ يكون قد أصبح ذاتا كاملة ونتاجا اجتماعيا بمعنى الكلمة " ¹

وعلى غرار ما سبق ذكره فإن التنشئة الاجتماعية تدل في معناها العام على العمليات التي يصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية وما تمارس عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين ، ويسلكه معهم مسلكهم في الحياة ، أما التنشئة الاجتماعية في معناها الخاص فهي نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي وتصل تلك التنشئة إلى أقصاها في الطفولة لكنها لا تقف عندها بل تمتد بامتداد الحياة وخلال مراحلها المتفاوتة والمتتالية .

ويقصد بالتنشئة الاجتماعية العملية التي يكتسب الفرد من خلالها أنماط محددة من الخبرات والسلوك الاجتماعي أثناء تفاعله مع الآخرين بمعنى آخر هي عملية تربوية اجتماعية يتم من خلالها وضع الفرد في قالب ثقافي معين ويكتب من خلالها الخصائص الأساسية لمجتمعه (مثلا اللغة، القيم، والاتجاهات والمعايير والعادات والتقاليد والمهارات الاجتماعية

¹ سامية حسن الساعاتي، الثقافة و الشخصية، ممرجع مذكور ، ص 226 .

والتي تمكن من التوافق النفسي والاجتماعي مع المجتمع كما أنها عملية تساعد الفرد على مسابرة جماعته والتوافق معها والاندماج في الحياة الاجتماعية .

وإن تطرقنا إلى وسائل أو أدوات التنشئة الاجتماعية فتعد الأسرة بلا منازع هي الجماعة الأولية التي تكسب الشيء الجديد خصائصه النفسية والاجتماعية أي أنها الوسيلة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية¹

فالأسرة هي التي تزود الفرد بالرصيد الفردي والأول من القيم وتحدد له اتجاهاته وسلوكه واختياراته والمثل التي يتبعها بحسب ما تقدم عليه تلك الأسرة من مطالب ومصادر تمررها لطفلها ، ولهذا لاشك في أن الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والأدوار والمناصب التي يشغلها كلا من الأب والأم أو كليهما قد يؤدي مباشرة في تلك المحدورات الموروثة التي توصلها إلى طفلها في حمله من الإرشادات والأوامر وهذا ما يفسر لنا اختلاف الأفراد داخل المجتمع الواحد وإن كانوا يتفقوا في معالم معينة شمولية وعامة مثل المعايير الدينية والقيم العليا التي تجمع أفراد المجتمع باختلاف طبقاتهم الاجتماعية وميزاتهم الاقتصادية (المنصب، الدور) وحتى من الناحية المزاحية للأباء وسماتهم الشخصية.

وبالرغم من أن المظاهر الأولى للتنشئة تبدأ في الأسرة فإن المؤسسات التربوية تقوم بدور مكمل ومهم في هذا الشأن بعد اتساع مجال التنشئة الاجتماعية ليجاوز الأسرة إلى الروضة ثم المدرسة ثم الجامعة الخ.

وتأتي أهمية المؤسسة التربوية في عملية التنشئة من خلال جانبين نختص أحدهما بخبرات التعليم المنظم كما تتمثل في المقررات الدراسية المختلفة، وهو الجانب الرسمي من العملية التعليمية، أما الجانب الآخر فيتعلق بخبرات التفاعل مع زملاء الدراسة والمعلمين (الفاعلين) وما ينتج عنها من التعديل في اتجاهات الفرد وقيمة ويمثل الجزء الغير رسمي من العملية التعليمية .

فالمدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة وتوفير الظروف المناسبة للنمو جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا حيث يأتي الطفل إلى المدرسة

¹ نفس المرجع السابق، ص 230

مزودا بالكثير من المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات التي اكتسبها من الأسرة بشكل أولي وأساسي، ثم تأتي المدرسة فتوسع دائرته الاجتماعية حيث يتلقى بجماعة جديدة من الرفاق ويتعلم أدوار اجتماعية جديدة والتوافق بين حاجاته وحاجات الآخرين كما يتفاعل مع معلمه ويتأثر بالمنهج الدراسي فيزداد علما وثقافة وتنمو شخصيته من كافة جوانبها وتختلف صور ممارسة العملية التعليمية فهناك صورة تقليدية تركز على تلقين المعلومات دون استبصار بأهمية خلق كيان للفرد يساعده على التعامل مع المعلومات على نحو يستكشف من خلاله اهتماماته وقيمه .

وهناك أيضا صور أخرى تركز على الفرد بمحدداته الشخصية وعلى إعدادة بكيفية تمكنه من أن يحدد ذاته في صورة أهداف قريبة وأخرى بعيدة وهكذا تكون للمدرسة دورا هاما وفعالا في عملية التنشئة الاجتماعية كما تلعب جماعة الأقران أو الأصدقاء، الأبناء، الرفاق بدورهم في عملية النمو الاجتماعي للفرد فهي تؤثر في معاييرها وتمكنه من القيام بادوار اجتماعية عديدة ويتوقف مدى تأثير الفرد بهذه الجماعة على درجة ولائه لها ومدى تقبله لمعاييرها وقيمتها وعلى تماسك هذه الجماعة و نوع التفاعل القائم بين أعضائها¹. وعموما فان جماعة الأقران تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية لأعضائها عن طريق عدة وسائل منها :

- أ) تعطي جماعة الأقران الطفل فرصة التعامل مع أفراد متساويين ومتشابهين معه ولذلك نجد أنماط من العلاقات لا تتيحها له الأسرة والمدرسة².
- ب) تساعد الطفل على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصي عن الوالدين وعن سائر ممثلي السلطة واكتسابه الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة³.
- ت) تمثل جماعة الأقران ميدانا يجرب فيه أعضاؤها كل ما هو جديد دون خشية من الراشدين.

¹ سامية حسين الساعاتي اقتباس من G.H.Mead، Mind، Self and Society ، p 135

² د. معتز سيد عبد الله د، عبد اللطيف محمد خليفة ، علم النفس الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ،

القاهرة ، ص 214

³ نفس المرجع، ص 215

وتجدر الإشارة إلى أنه يجب مراقبة الجماعات التي ينتمي إليها أبنائنا حتى نطمئن على هذه الجماعات ، هل هي سائرة في الاتجاه المرغوب أم لا وذلك ليس بهذه المراقبة والتسلط ولكن بهدف حماية الأبناء من الانحراف .

لا بد أن نذكر ولو بشكل وحيث أهمية المؤسسات التربوية ودور الإعلام والصحافة بشتى وسائلها في عملية التنشئة الاجتماعية

أما عن دور العبادة فهي تقوم بدور مهم وحيوي في تنشئة الفرد نفسيا واجتماعيا خاصة أننا نعيش حياة صراع شديدة بين طغيان المادية للحياة العصرية وبين بساطة الحياة التقليدية مما يؤدي إلى ظهور العديد من المشكلات النفسية والعصرية والاجتماعية فإن التقرب من العبادات ومن الله قد يخفف الأمر لدى البعض من الحالات التي تحاول الإستجابة إلى هذه السلوكيات الدينية والتي تبحث عن حلا روحيا عادل وصارما ، أما عن دورها فهي تشمل على عمليات بث وتدريب وخلق مجموعة من القيم الدينية لدى الأطفال والبالغين أيضا، وما أحوجنا الآن إلى زيادة فعالية هذه الوسيلة فعن طريق السيرة النبوية الشريفة نستطيع أن نطبع أولادنا على الأخلاق الحميدة ، ومن خلال الأحاديث النبوية الشريفة يكمن أن نعلم فهم الدين لدى الناشئة قولا وسلوكا ، وعن طريق تفهم القرآن الكريم نستطيع أن نربي جيلا مؤمنا سوي في ضل القيم الدينية الإسلامية وهكذا ساري الأمر بالنسبة للمجتمعات التي تعتنق ديانات أخرى .

هذا و تؤدي وسائل الإعلام دورها في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال قيامها بوظائف ثلاث هي إكساب الفرد المعلومات، محاولة الإقناع، والترفيه وهي وظائف ليست مستقلة وإنما تتفاعل فيما بينها وإن الغاية من الجهود الإعلامية هي إحداث الأثر المنشود منها، وسواء كان هذا التعبير في منطقة المعلومات أو في الرأي والاتجاه أو في السلوك فإن الأمر يحتاج إلى معرفة حدوث هذا الأثر وحجمه وبالتالي فإن بحوث الأثر تصبح ضرورية لفهم عملية التأثير هذه والكشف عن العوامل المختلفة التي تتدخل فيها وإدراك علاقاتها مما

يسير التوصل إلى الخطوة التالية وهي التنبؤ المبني على هذا الفهم وهذا بدوره يقودنا إلى خطوة أخرى هي إمكانية التحكم والسيطرة على الوسائل بما يحترم الإنسان .

نظريات التنشئة الاجتماعية :

إذا أمعنا النظر في التنشئة الاجتماعية لتمييز أبعادها والتعرف على حدودها نجد اختلافاً كبيراً في وجهات النظر التي تفسرها طبقاً لاختلاف المدارس التي ينتمي إليها الباحثون والمختصون، وفيما يلي نعرض أمام نظريات التنشئة الاجتماعية

(أ) **نظرية التحليل النفسي:** ويتزعم هذه النظرية سيجموند فرويد S.Freud ويرى أن جذور التنشئة الاجتماعية تكمن فيما يسمى الأنا الأعلى الذي يتطور عند الطفل نتيجة تقمصه لدور والده الذي هو من نفس الجنس وذلك في محاولة من الطفل لحل عقدة أوديب عند الذكور وعقدة إكلترا عند الإناث.

كما نجد من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي أن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن امتصاص الطفل لقيم ومعايير والديه نتيجة علاقات التفاعل للولد مع أهله¹

فالطفل يحب أباه كلما كان الطفل محققاً لأهداف يحبها فإذا لم يحقق الوالدان رغبة أطفالهما اتجه الأطفال وجهة أخرى للبحث عن مثل مناسبة وهكذا يجد طفل المدرسة في المعلم وجهة مناسبة للتقمص وهذا المفهوم إلى جانب مفهوم الأنا الأعلى من أكثر مفاهيم مدرسة التحليل النفسي أهمية بالنسبة لعملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل على تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي راشد عبر مراحل حددها فرويد وهي : الهو ، الأنا ، والأنا الأعلى وهي عبارة عن عمليات تحويل الرقابة على سلوك الطفل من رقابة خارجية إلى رقابة داخلية بواسطة الضمير.

(ب) **النظرية السلوكية:** تتلخص وجهة نظر هذه النظرية في المقولة الشهيرة لواطسن: (أعطوني مجموعة من الأطفال الأصحاء أتعهد بتنشئتهم وأنا كفيل بأن أجعل منهم طبيياً أو تاجر أو عالم أو لصا الج) فالإنسان عند أصحاب هذه النظرية يولد

¹ صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط1، عمان، 1988، ص49

وهو مزود باستعدادات عامة تمثل المادة الخام لشخصية ثم تتسلل شخصية من خلال ما تعلمه من والديه أولاً ثم المدرسة وتليه المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي يتعامل معها إن عملية التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة السلوكية تهدف إلى تعلم الطفل السلوك الاجتماعي المناسب من خلال توجيهه وقيادة نمو شخصيته ليصبح قادراً على ممارسة دوره في المجتمع ولذلك نجد أن التركيز يتم على عوامل البيئة والخبرة وليس على النضج البيولوجي للطفل وأن مسؤولية التنشئة الكلية تقع على عاتق الآباء والمعلمين وغيرهم ...

ت) **نظرية التفاعلية الرمزية**: من أهم الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية هو التركيز على قدرة الإنسان على الإتصال من خلال الرموز وقدرته على تحملها معاني وأفكار ومعلومات يمكن نقلها لغيره¹

واهتم جورج ميد بدراسة علاقة اللغة بالتنشئة الاجتماعية حيث توجد عند الإنسان قدرة على الاتصال والتفاعل من خلال رموز تحمل معاني متفق عليها اجتماعياً ومع تعقد درجة البناء الاجتماعي وتنوع الأدوار فإن الإنسان يلجأ إلى التعميم فينمو لديه مفهوم الآخر ويرى نفسه والآخرين في جماعات مميزة عن غيرها.

أهداف التنشئة الاجتماعية :

تهدف التنشئة الاجتماعية في مجملها إلى إكساب الفرد مجموعة من المحددات والمعايير والتي تذكر منها:

- المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع من خلال توريثها إلى الأجيال القادمة .
- تهدف إلى تسهيل عملية اندماج الفرد في الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها وتعزيز علاقاته مع الآخرين عن طريق عملية الفعل الاجتماعي .
- خلق ما نسميه بالشخصية النموذجية والتي يحاول الفرد تحقيقها بوجود إطار مشترك يتحدد من خلاله الملامح المميزة والعامة لهذه الشخصية.¹

¹ فؤاد حيدر ، علم النفس الاجتماعي، دراسة نظرية و تطبيقية، دار الفكر العربي، بيروت، 1994، ص163

- تكوين الشخصية الإنسانية وتكوين ذات الطفل عن طريق إشباع حاجاته الأولية بحيث يستطيع فما بعد أن يجد نوعاً من التوافق مع مطالب المجتمع والثقافة السائدة في البيئة التي يعيش فيها .

ومن هنا يمكن طرح تساؤل يتعلق بموضوع بحثنا !

ماذا لو فشلت هذه العملية في تجسيد المحددات والمورثات الثقافية في الطفل أو على الأحرى تعرضت هذه العملية لنوع من الإعاقة في سيرورة الزمان وليس المكان فهل هذا هو السبب فيما نراه اليوم من مشكلات نفسية اجتماعية خطيرة تهدد توازن المجتمع بشخصياته المريضة؟؟؟.

¹ عبد الله الحربي، أساليب التنشئة الاجتماعية و علاقتها بكل من التناول و التشاؤم، رسالة ماجستير، السعودية، 2010، ص50

3.5 نظرية التفاعلية الرمزية:

بعيدا كل البعد عن النظريات الاجتماعية السابقة وهي الانتشارية والتنشئة الاجتماعية السابقتين، فإن التفاعلية الرمزية تعتبر ذات وجهة ونظرة ميكروسيولوجية وأن رواد هذه النظرية يركزون الاهتمام أكثر عن التفاعلات التي تتردد بين الأفراد وعن كيفية تأثيرها فيما بينهم، بينما تهتم الماكروسيولوجية عامة بالأنساق الاجتماعية والنظم في شموليتها، عموميتها وعملياتها وكيفية تحكمها وسيطرتها على أفعالا لأفراد وليس العكس، فإن التفاعلية وروادها كما قلنا سابقا يركزون الاهتمام عن العلاقات السائدة بين الأفراد كفاعلين اجتماعيين داخل حقول اجتماعية معينة.¹

لقد ظهرت التفاعلية الرمزية بفكر اجتماعي جديد بين الحربين العالميتين في أمريكا ولقد ابتعدت وعارضت كثيرا النظريات السابقة لها والتي تعتبر دائما الفرد حوصلة ونتيجة لما تقدمه البنى الاجتماعية باعتبارها سبب في تجديد ديتاميتها ميكانيكياته. من أكبر روادها قوفمان وجورج هربت ميد² وشارلهووتنكولاوي.

George Herbert Mead et Charles Horton،Erving Goffman
cooley.

ولهذا يمكن أن نحدد مفهوما عمليا لهذه النظرية (التفاعلية الرمزية) كنظرية تهتم بأنواع ونمط العلاقات التي تربط بين الأفراد داخل الجماعة.³

إن النظريات الكبرى لعلم الاجتماع (الماكروسيولوجيا) تميل أكثر إلى الاهتمام بتفكيك البنى الكبرى للمجتمع عن طريق الأدوار والوظائف التي تقوم بها الأنساق الاجتماعية بينما تهتم الميكروسيولوجيا بالعلاقات القائمة بين الأفراد وأن الفرد لا يعيش داخل بنى

¹Claire denis, David descent, Jaques Fournier, Gilles Millette, Individu et Société, Cheneliere/MC graw-Hill, Montréal, 1995,51

²Ibid , p 52

³Ibid , p 53

اجتماعية صامتة أو ساكنة وبأن التفاعلية تركز على أن المجتمع مبني أولاً وقبل كل شيء على مجموعة التجارب اليومية التي يعيشها الأفراد فيما بينهم وباهتمام أدق على تلك التجارب التي تعتمد على الرموز ودلائلها في التعاملات.

فأحياناً الأفراد يفضلون الإجابة برمز معين ذا دلالة مفهومة وواضحة على سؤال معين سواء كان صريح مباشر أو غيره، فقد يقدم على الإجابة برد فعل سريع عن طريق هز الرأس مثلاً أو الإشارة بيده، أو النظر بعينة أو إصدار صوت معين من غير النطق بأي كلمة ففي معظم الأحيان تهتم الأفراد على الردود بمعنى لوجهة نظرهم الخاصة على حسب تصوراتهم وفي أحيان كثيرة قد تكون خاصة جداً وغير موضوعية على الإطلاق وقد تكون منافية لما تمليه علينا ثقافة المجتمع الذي ننتمي إليه من قيم ومعايير خاصة بالأنساق الاجتماعية الكبرى ونظمها وهذا ما يخلق الاختلاف بين الأفراد أحياناً ودخولهم في تجارب اجتماعية جديدة وغريبة ولكنها تزودهم بالقوة والامتثال والقدرة على مواجهة تحديات العصر ومتطلباته وتجعلهم أكثر صلابة أما اهتزازات ومشاكل نفسية هو في غنى عنها.

ولكن قد يتعطل أحياناً الجهاز النفسي لأي فرد منا، ويقف حائراً أمام اتخاذ موقف معين وهو يواجه تجربة اجتماعية غريبة عنه عن فشل في المثل أمام هذه التجربة قد تحول على الأمر إلى كارثة أو ما نريد أن نسميها في موضوع بحثنا بالباتولوجيا الاجتماعية أو حتى اجتماعية نفسية، فإن كان علينا التصدي لمثل هذه المشاكل بالأمر المستعصى فلماذا لا نعترف أولاً بوجود هذه الباتولوجيا ثم محاولة الوصول إلى حلول فيما بعد، وهذا هو محور اهتمامنا وانشغالنا.

إن جوهر الفكر في التفاعلية الرمزية يبين إلى أي مدى أن التصورات الخاصة بكل فرد متباينة ومختلفة فيما بيننا وأحياناً متعارضة. إن السسيولوجي جورج هيربرت (1863-1981) قد أوضح أن شخصية الفرد تبدأ بعد ولادته فقط وذلك عندما يدخل الفرد في علاقات مع غيره من الأفراد¹. وقد بين أن صورة الفرد لذاته خلال موقفه مع الآخرين

¹ Ibid, p 53.

تتخصر بالشرط على قدرته على تخيل رد فعل الآخرين أي أنه - ميد- أوضح أن التفاعلية الاجتماعية (Interaction Sociale) هي عملية تبادل تحددتها المركبات الثلاث التالية :

الفعل الذي يقوم به الفرد أوبالاحرى الإيماءة التي يبادر بها (le geste) رد الفعل المنتظر من الآخر (الشخص الثاني) وأخيرا **اكتمال الفعل** الذي بدأه الشخص الأول في البداية وبهذا تكون التفاعلية الرمزية قد عرضت التبادل أو تبادل ردود الأفعال بين الأفراد في مركز دراستها للسلوك الاجتماعي للفرد. وهذا على أساس أن هذا **التفاعل** والتبادل يعنى الربح والخسارة أو يحمل معنى الربح أو الخسارة، ولهذا لا تخلو اليوم أي دراسة تهدف إلى سلوك الأفراد، تعاملاتهم، طبيعتهم، رغباتهم، أهدافهم، عاداتهم، الموارد التي يستمدون منها القوة أو حتى الضعف، أخطائهم وكل ما يعرضهم للخطأ والخطر والتهديد بتوازنهم داخل شبكة علاقاتهم، مبادئهم، وكيف لهم أن يكملوا مشاريعهم وأحلامهم وأدوارهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية وكل ما يخص سيرورة فعلهم بالإعتماد على نظرية التفاعلية الرمزية.

وبما أن الفرد يتغير بتغير أهدافه بحسب الأهداف التي يرجو تحقيقها فإنه بقيام الفعل والانتماء منه يعود إلى طبيعته¹ وبهذا ترجع حقيقة علاقة الفرد بمجتمعه إلى أهمية الألفة بعناصر الأفعال التي يقوم بها وتميزه عن غيره والتركيز على **التفاعلات المركبة** التي تقوم بينه وبين جماعته وأفرادها.²

وما يجلب انتباهنا أكثر من خلال دراستنا هي تلك العلاقة الفسيفسائية الموجودة بين النظريات الثلاث التي توطر موضوع بحثنا وخاصة العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والتفاعلية الرمزية الاجتماعية، وهي كيف لنا أن تكون اليوم :نحن وأنا عن طريقا الآخر؟

¹Jean Philippe Bouilloud, Sociologie et Societe, PUF, 1997 p 46

²Ibid, p 47

نحمل جميعنا بعض الادراكات والعواطف والقناعات مقابل من نكون أو من نريد أن نكون في المستقبل أو الحاضر.¹

كل ما نعتني بمظهرنا الاجتماعي أكثر في مقابلتنا مع الغير، سواء كان العائلية أو المهنية أو الاجتماعية كل ما نمنح الشخصية الاجتماعية اهتمام أكثر.

بعض المفكرين الاجتماعيين إذن اهتموا بالطريقة التي يطور بها الفرد نفسه ويغير من شخصيته حسب العلاقات الاجتماعية التي يدخل فيها أمثال شارل كولي(1902)، جورج هربرت ميد(1934)، أرفينقوفمان(1959-1967) رواد هذه النظرية، نظرية التفاعلية.

في العموم اهتمت دراساتهم بالإجابة على سؤالات عديدة ترتبط بعملية التنشئة أنها تتم عن طريق أربع ميكانزمات هامة.

الميكانزم الأول وهو: المرآة العاكسة Miroir Réflechissant

وتحدث فيه شارل كولي على أن الفرد يحمل فكرة عن نفسه وذلك كل ما دخل في علاقة مع الآخر، وأن الفرد يحمل دائما انطبعا بما يراه الآخرون اتجاهه وأنه يحمل صورة لما يراه الآخر عنه .

فهو أولا أي الفرد يحاول انتزاع الصورة التي يبدو عليها في أعين الآخرين وثانيا يحاول أن يصل إلى كيف يفهمه الآخر، وثالثا وأخيرا يحاول أن يندمج مع هذه التصورات والأحكام التي يطلقها الآخر عليه ومنها يصل إلى موقف الإيجاب أو السلب، النبد أو السعادة.....الخ² من مواقف. وبالنسبة إلى كولي "الأنا" هو نتيجة لكل هذه الخيالية التي يتمركز حولها الفرد مواجهة بغيره وبأحكامه عليه، وقد يقع بالخطأ إذا حكم عليه بالخطأ وهنا قد تكون بداية لاضطرابات نفسية واجتماعية قد تتسبب بمرضه واختلال توازنه داخل الجماعة.

¹Claire Denis et autres,Ibid, p 112

² Armand Mattelart, l'invention de La Commuincation, Edition La Decouverte, Paris, p290

ولقد تحدثت مارجريت ميد عن التنشئة الاجتماعية المتبادلة (mutuelle) وأن الأبناء الذين يتأثرون بالأباء يمكنهم أن يؤثرُوا فيهم أيضا (أباء- أبناء- أباء)

بصورة عامة إن التفاعلية الرمزية لجورج ميد تعتمد على أن العالم والمجتمع يمكن التعرف عليه من خلال الأفراد كفاعلين اجتماعيين يخلق بينهم علاقات اجتماعية فاعلة تسمح لنا بدراسة أعمق للإنسان وفهمه¹

ثم ننتقل إلى الميكانيزم الثاني وهو عن التنشئة عن طريق الدور الذي يقوم به الفرد داخل الجماعة أي بوجود أفراد آخرين وضرورة تواجدهم، لهذا تابع جورج هربرت ميد ما قدمه كولي من أعمال ودراسات حول الموضوع ليقدم في النهاية تفسيراً أشمل عن تكوين الفرد لشخصيته (الشخصية الاجتماعية) عن طريق ما يقدمه الفرد من دور اجتماعي داخل الجماعة التي ينتمي إليها على غرار ما يربطه بها من أدوار اجتماعية أخرى وقد حدد ميد عموماً ثلاث نقاط أساسية لهذه العملية .

وهي مرحلة التحفيز فهي مرحلة تقليد وتقمص الأطفال للأدوار التي يقوم بها الآباء ثم مرحلة الاستيلاء على الأدوار وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل استيعاب الرموز التي يستخدمها الآباء ومعانيها كما يتطرق أيضاً للتعرف على بعض التفاصيل العامة للثقافة التي ينتمي إليها - التقاليد، الحفلات، الأعراس، الشخصيات المهمة في الجماعة، اللغة الخ ويؤكد ميد على أن الطفل يصل في هذه المرحلة إلى التقمص في شخصية الآخرين على غرار كل ما يتعلمه منهم كما يؤكد على أهمية دور اللعب في هذه المرحلة.

يعتبر ميد من الأوائل الذين قاموا بتحليل العلاقة الموجودة بين الرموز والتنشئة لأن الطفل في بداياته يطور وينمي من تعاملاته مع الآخرين عن طريق الرموز ولهذا يأخذ فكرة أولية عن العلاقات الاجتماعية وفي هذه المرحلة بالذات يتعرف الطفل على أدواره ويحمل

¹Ibid, p 245

مسؤولياتها ومسؤولية الفاعلين الآخرين ومدى أهمية الدور الذي يقوم به، وعلى استيعاب الكم الهائل من الأدوار التي يقوم بها الآخرين، وأحيانا يقومون بنفس الفعل (المهنة)¹

بالنسبة لميد تركيب الأنا le soi ينتج عن مجموعة التصورات و العواطف والتوقعات التي يصورها الفرد لنفسه، ولهذا تأتي فكرة أو مفهوم التنشئة لدى ميد على أنها عملية سائرة تتم وتلحق الفرد طوال حياته فكلما تقدم وتطور الناس، كلما زاد الفرد (le soi) تغيرا تبعا للأحكام الصادرة عليه من خلال الآخرين ولهذا يكون للأخر دورا فعالا في بناء شخصية الفرد وهم ما يسميهم ميد (Personnes Signifiantes) (الشخصيات ذات المعنى)²

ننتقل إلى الميكانيزم الثالث وهو معالجة ما نحمله من انطباعات حول الدور أو مسرح الحياة، كما قلنا سابقا، ميد من رواد التحليل الميكروسوسولوجي أي تحليل التفاعلات القائمة بين الأفراد فهذا التصور السوسيولوجي مرتبط ارتباط مباشر بسوسيولوجيا تطوير الذات عن تطوير مشاركتها أي الذات في الحياة الاجتماعية بتشربها للقيم والمعايير الأولية التي يقوم عليها المجتمع ومدى تواصلها معه ومدى قبولها اجتماعيا.

بالنسبة لميد التواصل عن طريق اللغة، الرموز، الألفاظ، الأشكال تعتبر وسائل وصل هامة جدا وضرورية لإدماجه مباشرة وبصورة صحية داخل المجتمع.

أما الميكانيزم الرابع فهو يتكلم عن التنشئة عن طريق التعلم (التوقع) أي كيفية الاعتماد على العملية كاملة ولكن بجانب تجريبي امبيرقي في الرد على رغباتنا، في الدور الذي نود أن نقوم به في المستقبل استجابة لما يتصور الآخرون عنا وخاصة الأهل .

إذن فالفرد يحاول الوصول مثلا إلى منصب معين أو مهنة معينة على حسب ما يرى فيه الوالد والوالدة، مثال: الأم تتمنى أن ابنتها وابنها أن يصير طبيبا أو مهندسا أو محاميا فالطفل يحاول الاستجابة لهذه المطالب الأبوية بقدر المستطاع فيدرس جيدا ويشارك في الامتحانات الخاصة بهذه المهن.

¹Claire Denis, Individu et société, Ibid, p 115

² سيد غنيم، سيكولوجية الشخصية، مرجع مذكور، ص 117

فبصورة عامة يستطيع أن تقول أن الفرد يعيش للاستجابة على تصورات الآخرين عنه، وليس ما يتصوره أو يريده لنفسه وربما هذا هو الجانب الذي نود مناقشته بصورة واضحة فكيف للفرد الذي لطالما كان مستجيبا للمطالب العائلة مقتنعا بكل مبادئ الحياة الإنسانية والثقافية التي ترعرع فيها، متمسكا بها، أن يواجه يوما ما متطلبات جديدة عليه أو رغبات جديدة عليه تنافى تماما ما قدم له مسبقا فكيف له أن يتصرف وإن ابتعد عن طاعة العائلة في كل مطالبها هل يعتبر شخصا فاسدا كيف تتصرف معه حتى لا تخسره ؟؟؟؟

كل هذه الأسئلة نريد الإجابة عنها للوصول في النهاية إلى أن هذه المدارس والنظريات الكبرى التي توطر موضوعنا ليس لها وحدها أن تجيب على هذه الأسئلة. فالتجربة تؤكد وتبرهن على أن الإنسان قد صادفته مشاكل عديدة بعيدا عن الانتشارية والتفاعلية والبيئة الاجتماعي.

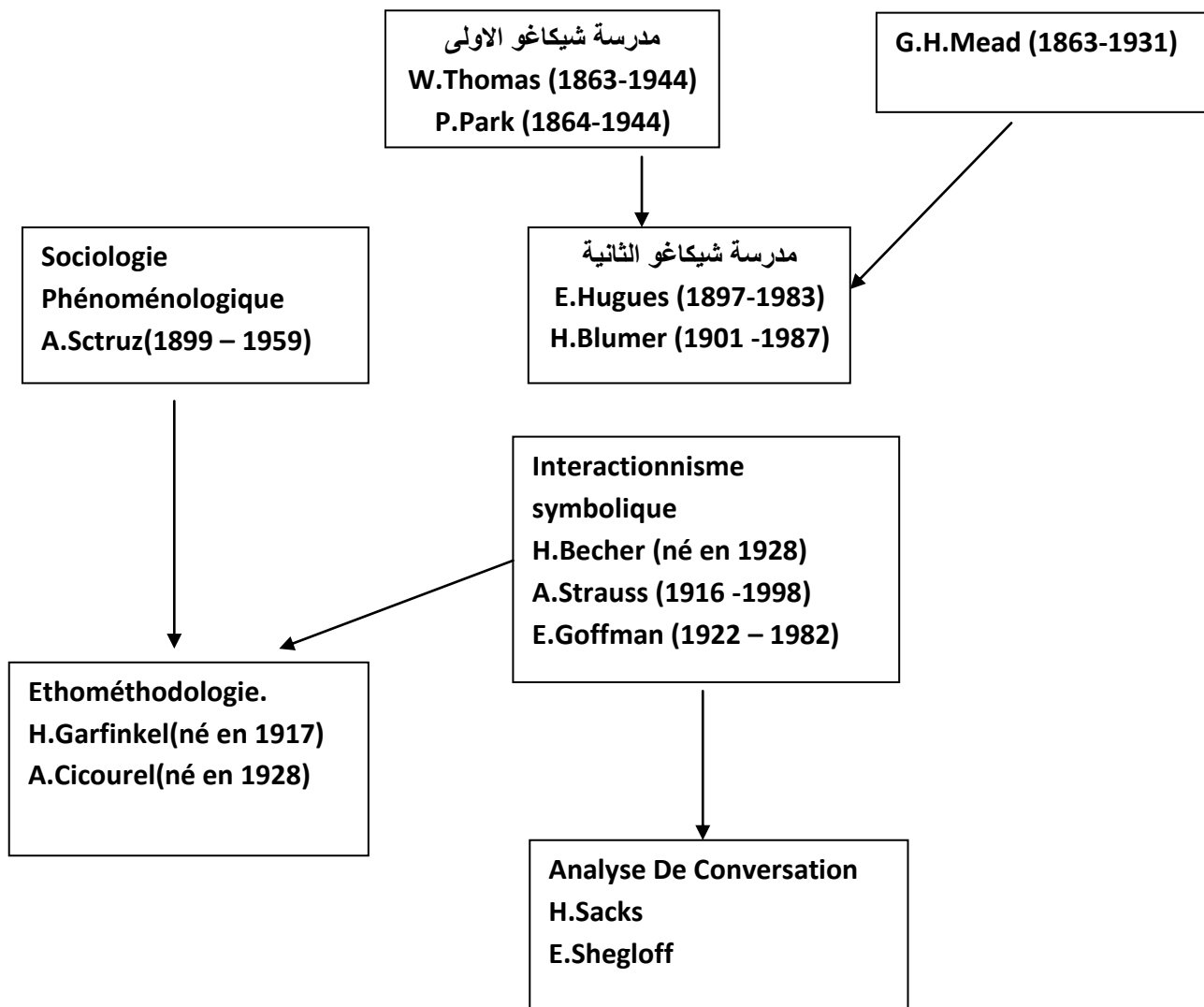
إنها مشاكل باتولوجيا اجتماعية ثقافية إنسانية بحتة، قد تكون سببا في ابتعاد الفرد عن السير، خط القاطع الذي يجب أن يسير عليه بل هي متطلبات إجتماعية عصرية يعيشها الفرد خلال حياته اليومية، يجب علينا الإجابة عنها حتى نستطيع مواجهتها وتأطير الفرد من خلالها بدعمها على أنها مطبات طبيعية جدا قد يقع الإنسان فيها وهذا لا يعني هلاكه، بل علينا مساعدته والاعتناء به حتى نوضح له الصورة ونسهلها عليه.

نريد هنا أن ندرج جدولا يبين مصدر واتجاهات التفاعلية الرمزية أو كما يسميه البعض علم الاجتماع التفاعلي بصورة عامة حتى يتضح للقارئ تسلسل تطور مراحل هذا الطرح النظري الحديث:¹

¹د. عبد الغني دبله، مدخل إلى التحليل السيولوجي، دار الخلدونية للنشر، الجزائر، 2011، ص 23.

شكل رقم 03: علم الاجتماع التفاعلي اتجاهاته ومصادره

La Sociologie Interactionniste : Sources et Courant.



Source : Philippe Cabin et Jean Francois Dortier (coordonné).

La Sociologie Histoire et Ideés, Edition Sciences Humaines , 2000

6. المنهج واختيار العينة:

1.6 المنهج والأدوات المستخدمة (أسلوب الدراسة) :

إن استخدام منهج معين، يعتمد اعتمادا كبيرا على نوع المشكل المطروح أيا لدراسة موضوع البحث التي نحن بصدد دراستها وكذلك على طبيعة البيانات والمعلومات المحصل عليها، كما يمكن في أحيان كثيرة استخدام أكثر من منهج واحد إذا استدعت ضرورة البحث ذلك¹

1.1.6 المنهج الوصفي :

وبما أن موضوع بحثنا يميل أكثر إلى الدراسات الوصفية الشاملة ويعتبر موضوع متشابه التفاصيل من حيث المتغيرات الأساسية يشتملها فإننا لجأنا إلى المنهج الوصفي ويعرفه «تركي رابح» بأنه استقصاء لظاهرة من الظواهر بهدف تشخيصها وتحديد العلاقات بين عناصرها المختلفة وبين ظواهر أخرى²

وهو من المناهج الأكثر شيوعا في العلوم الإنسانية ويهدف إلى:

- جمع المعطيات الضرورية عن الظاهرة موضوع البحث
- إبراز العوامل المأثرة والمتأثرة بتلك الظاهرة

¹ أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، ط 5 ، 1970 ، ص 230
² تركي رابح ، مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ، ص 129

فالمنهج الوصفي إذن أسلوب لدراسة الظواهر الاجتماعية والنفسية من خلال جمع البيانات الضرورية المتعلقة بالظاهرة موضوع البحث، وتنظيم تلك المعلومات من أجل تحليلها للوصول إلى أسباب الظاهرة واستخلاص النتائج التي يمكن تعميمها لاحقا

إن الملاحظة التي يتم القيام بها حسب القواعد المنصوصة للدراسات الاجتماعية تطابق بين نظامين من الظواهر التي تختلف في ما بينها في بعض الجوانب ، الظواهر الموجودة على ماهي عليه ، والظواهر التي يجب أن توجد على غير ماهي عليه أي الظواهر السليمة والظواهر المعتلة .

وحتى إن كانت الظواهر السليمة والظواهر المعتلة في بعض الجوانب من نفس الطبيعة، إلا أنهما تمثلان نوعين من الظواهر المختلفة والتي يتم التمييز بينهما.

هل يملك العلم الوسائل الضرورية التي تسمح له بهذا التمييز؟؟

يحمل هذا السؤال أهمية كبرى. إذ من الإجابة عنه ستتوصل إلى الفكرة التي نكونها عن الدور المنوط بالعلم . خاصة العلم الذي يكون موضوعه الإنسان . فيقوم العلم بملاحظة هذه الظواهر وتسييرها من غير أن يحكم عليها، ويمكن لهذا العلم أن يبين لنا كيف تؤدي الأسباب إلى النتائج وليس الغايات التي يجب البحث عنها¹

وهذا ما نحاول القيام به في دراستنا (موضوع البحث)

2.1.6 المنهج التحليلي

ويعتبر أيضا المنهج الأساسي في هذه الدراسة، وقد تم استعماله في كل من القسم النظري والقسم الميداني للموضوع ، حيث تم تحليل أهم المؤشرات التي تقوم عليها العلاقة الجدلية بين الثقافة والفعل الاجتماعي في إعادة صياغة نظرية الشخصية وتقصي الحالات التي قد

¹ أميل دوركايم ، قواعد المنهج السوسيولوجي، ترجمة سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص 76

تمر عليها هذه الشخصية وتعرضها للمؤثرات الخارجية ومدى التأثير عليها، هذا في ما يخص الدراسة النظرية.

أما في ما يتعلق بالدراسة الميدانية فقد مكننا هذا المنهج من تحليل وتفسير أهم المحاور التي استخرجناها من مجموع المقابلات التي قمنا بها ومن مجموع الملاحظات التي توصلنا إليها في مخبر المستشفى، من خلال الفحوصات الكشفية التي عايشناها مع الحالات الموجودة.

3.1.6 المادية التاريخية :

إن الباحث الاجتماعي شأنه شأن غيره من الباحثين ، يجد أنه من الصعب عليه أن يعمل في أي مجال من المجالات الاجتماعية ، أو يقوم بدراسة ظاهرة من ظواهر السلوك في أي شكل من أشكال المجتمع، مالم يفهم التطور التاريخي للشكل الاجتماعي للظاهرة التي يبحث فيها أو هو بصدد دراستها.

ذلك أن هذا الفهم سيساعده على الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل فيما يخطط من مشروعات أو سيهدف تحقيقه من أهداف علمية¹ ولهذا تم الاعتماد على المادية التاريخية لمعرفة البعد التاريخي للظاهرة موضوع البحث وخاصة أننا بصدد دراسة موضوع كهذا وهو مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي وهو موضوع عميق في تاريخيته له جذور وله ماض عريق يتطلع إلى مستقبل زاهر بالتشابك والتضارب بين ما تحمله هذه المتغيرات الثقيلة.

¹ عبد الباقي زيدان ، قواعد البحث الاجتماعي ، مطبعة السعادة ، 1974 ، ط 2 ، ص 310

2.6 أسلوب الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على الأسلوب الكيفي في التحليل ويعني الأسلوب الكيفي في البحث العلمي التركيز في معالجة الموضوع على ادراك الباحث وفهمه ولمحه للعلاقات التي يمكن ملاحظتها ملاحظة عقلية وفعالية.

فالباحث يعيش بفكره وسط جميع الصور الاجتماعية ويعايش بذهنه ما بينها من تفاعلات متبادلة، ثم يلح بعقله العلاقات الظاهرة والباطنة¹

وبما أن موضوعنا يتحدد إطاره النظري بين أكبر النظريات السوسيولوجية وهي النظرية الانتشارية، التنشئة الاجتماعية، والتفاعلية الرمزية وكلها تركز على قيم ومعايير اجتماعية تتفاعل فيما بينها لينتج في النهاية إطار سلوك الشخصية، فكان من الضروري إذن الاعتماد على الأسلوب الكيفي في الدراسة للوصول إلى نتائج موضوعية تتعلق بمدى التفاعل بين هذه النظريات من الناحية النظرية وبين مختلف المؤشرات التي اعتمدناها في فرضياتنا خاصة وأنها نهدف إلى التوصل إلى مدى صحة هذه الشخصية واكتشاف مفهوم جديد وهو الباثولوجيا الاجتماعية وأنها اعتمدنا على عينة عشوائية من أطباء مستشفى الأمراض النفسية والعصبية فرانز فانون -البليدة- لم يكن بمحض الصدفة ولكن نحن ارتأينا أنه أحسن مجال مكاني يمكن فيه أن نعايش بعض الحالات ونراقبها ونلاحظها عن قرب حتى نستطيع في النهاية تجريب الفرضيات التي خصصناها لهذه الدراسة.

¹حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية، نسق منهجي جديد، بيروت، دار النهضة العربية، 1982، ص(163-164)

3.6 الأدوات المستعملة :

تماشياً مع نوع الدراسة والمناهج التي استعملت في هذه الدراسة ، ووفقاً لطبيعة الموضوع ، التي تميل إلى الدراسات الوصفية التحليلية تم الاعتماد على الأدوات التالية :

1.3.6 المقابلة :

المقابلة كأداة للبحث من حوار لفظي وجها لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص آخر ومجموعة أشخاص أخرى¹

والمقابلة أنواع، يتحدد اختيار النوع المناسب حسب المعلومات المراد جمعها وعلى هذا الأساس تم اختيار المقابلة نصف الموجهة (semi-directif) والتي يتم وفقها اقتراح محور للمناقشة مع التوجيه من طرف الباحث. ذلك عن طريق الاستعانة بما نسميه «دليل المقابلة» ويعرف هذا الأخير على أنه مجموعة من النقاط أو الموضوعات التي يجب على القائم بالمقابلة أن يتطرق إليها مع المبحوث خلال الحوار الذي يعقده معه.

ويسمح في هذه الحالة بدرجة عالية من المرونة ، في الطريقة وصياغة الأسئلة والترتيب الذي تخضع له الأسئلة التي وجهها الباحث للمبحوث² وبما أن مجموعة البحث تتكون من مجموعة من الأطباء بمستشفى الأمراض النفسية والعصبية بفرانز فانون – البليدة - فقد كانت الأسئلة الثلاث الأولى أسئلة بيانية خاصة بالمبحوث، كالجنس، والسن، والسؤال الثالث يهتم بالحالات الأكثر شيوعاً من المرضى التي يعالجها المبحوث.

أما السؤال الرابع والخامس فقد كان يهتم بالحالة الاجتماعية لأسر المرضى. ابتداء من السؤال السادس إلى آخرهم نتطرق لمحاور الفرضيات في محاور البحث التي نقوم بتحليلها وتفكيكها في الجانب الميداني من الدراسة احتراماً لعنصر الترتيب فقد بدأنا إذاً بأسئلة عامة (بيانية) قصد فتح الحوار وتسهيل مهمة الاتصال بين الباحث والمبحوث ثم

¹ محمد علي محمد ، مقدمة في البحث الاجتماعي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1983 ، ص 336

² نفس المرجع ، ص 348

دخلنا في الموضوع تدريجيا وبطريقة تسلسلية وفقا للترابط الموجود بين المحاور ، علما بأن العينة المختارة من مجموعة من «الأطباء» وهذا يعني مسبقا أن لديهم مستوا عال يسمح لنا بسهولة التعامل ونقصد من حيث مستوى الفهم، وطريقة تناول الموضوع، والرد على الأسئلة بطريقة علمية دقيقة .

ونود الإشارة إلى نقطة هامة جدا ، بأنه على غرار المقابلات التي قمنا بها مع أفراد العينة، إلا أنهم سمحوا لنا (الباحثة) بحضور الفحوصات الكشفية مع المرضى وكان ذلك كل يوم أحد وثلاثاء من الأسبوع، وكان الأمر في غاية الأهمية العلمية والمتعة ، إذ جعلنا هذا الأمر أكثر تقربا وتعايشا من الحالات التي نود دراستها و الكشف عن تواجدها و مدى انتشارها إسقاطا للحوار الذي دار بيننا وبين أفراد العينة اعتبارا أنهم أصلح من يستطيع التكلم عن المرض النفسي من خلال الحالات التي يستقبلونها.

2.3.6 الملاحظة :

يمكن تعريف الملاحظة كأداة للبحث بأنها توجيه للحواس لمراقبة سلوك معين أو ظاهرة معينة وتسجيل جوانب ذلك السلوك و خصائصه¹وقدتم الاستعانة بالملاحظة، قصد التمكن من ملاحظة المظاهر التعبيرية والحركية للمبحوثين إزاء الأسئلة .

كما أننا اعتمدنا أكثر على الملاحظة خلال الفحوصات الكشفية والتشخيصية للحالات الواردة على المستشفى، وبما أننا عايشنا تلك اللحظات، فقد كانت الملاحظة الأداة الحاسمة خلال هذه المقابلات، خاصة أننا تقربنا من المرضى أكثر فأكثر.

فعلى سبيل المثال: لاحظنا أن مجمل الحالات المترددة على المشفى هي حالات سابقة أي كانت قائمة بالمشفى لفترة العلاج وهي ما بين 21 يومإلى ستة أشهر من العلاج، وتتردد هذه الحالات من المعاينة والمراقبة (un contrôle médicale)

¹BardinLaurence , L'analyse De Contenu , P.U.F 2^{ème}ed , 1980 , p 38

- يهتم فيه الطبيب بملاحظة الناحية السلوكية للمريض وطرح بعض الأسئلة خاصة المتعلقة بالنوم والأكل واحترام مواعيد أخذ العلاج (الأدوية).
- ويبدو للوهلة الأولى وبالملاحظة البسيطة أن المرضى دائمون على العلاج، وأن حالتهم السلوكية تتحسن تدريجياً.
 - ونلاحظ أيضاً أن المريض لا يأتي لوحده للمستشفى، فدائماً ما يكون مصطحباً أحد أفراد عائلته (الأب ، الأم ، الأخ ، ابن الخال ، ابن العم)
 - ونلاحظ من الوهلة الأولى، أن هؤلاء المرضى ، عامة ونسبة 90% من العائلات الفقيرة . وهذا ما أقره لنا الأطباء حين أردنا الاستفسار عن هذا الموضوع.
 - كما لاحظنا أن المريض يكون لديه طاقة كبيرة على الكلام ، وهو يحاول أن يبين للطبيب بأنه يتحسن وأنه قادر على العيش بسلام وكل هذه التفاصيل سنتطرق إليها في الجانب الميداني من الدراسة .

3.3.6 تحليل المحتوى:

إذا كانت المقابلة هي الأداة الرئيسية التي اعتمدنا عليها في جمع البيانات فإن تحليل المحتوى يعتبر التقنية الرئيسية التي استعملت في تحليل تلك البيانات ، «ويظهر تحليل المحتوى كمجموعة من تقنيات تحليل الاتصالات باستعمال إجراءات تطبيقية وموضوعية لوصف محتوى الرسائل»¹

تم الاعتماد على طريقة التصنيف وهي عملية ترتيب العناصر المكونة لمجموعة ما، ثم الجمع حسب النوع انطلاقاً من مقاييس محددة ، وتتضمن هذه العملية مرحلتين :

1- مرحلة الجرد ويتم فيها عزل العناصر

2- مرحلة الترتيب²

¹Ibid, p38

²Ibid, p119

وعلى هذا النحو تمت قراءة جميع المقابلات، واستخرجنا أهم المحاور الموجودة بها، ثم صنفنا الأفكار التي تتضمنها حسب أسس محددة وبعد تصنيف الأفكار تم تحليل الجداول واستخلاص النتائج النهائية للدراسة الميدانية .

4.6 العينة

بما أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد كما ذكرنا سابقا المنهجية التي من خلالها يتم تناول الموضوع ودراسته والاجابة على التساؤلات المطروحة منذ بداية استغلالنا بموضوع البحث ، والتي مؤداها معرفة مفهوم أو مشكلات الشخصية بين الثقافة كمادة وبين هذه الشخصية بين الأخذ والعطاء ، بين الإيجابية والسلبية على غرار كل التساؤلات النظرية التي تدخل في إطارها المادة العلمية المتناولة ، وقد ترددنا كثيرا في البداية ينوع العينة التي ستساعدنا في التقصي بموضوعنا ، ففي البدايات حاولنا الأخذ بعينة من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف أقسامها ، بين قسم علم الاجتماع وعلم النفس ، وقسم التاريخ ، ومنهم الفلسفة ، كما قمنا بذلك سابقا ، في دراسة لنيل شهادة الماجستير ، تحت نفس عنوان البحث ولكن بعد التعرض لدراسات استطلاعية وقد سمح لنا هذا النوع من الدراسة بتحديد مؤشرات جديدة لأن موضوع دراستنا هو موضوع واسع النطاق ، تتدخل فيه عدة مؤشرات ، تمكنا من حصرها بواسطة الدراسات الاستطلاعية ، وبحكم التجربة التي قمنا بها سابقا في «الماجستير» وما توصلنا إليه أردنا أن نحاول من جديد حصر مفهوم جديد

لدراسة ، خاصة أننا نحاول أن نتوصل إلى نوع لم يسبق ذكره ، في البحوث السابقة ألا وهو الباتولوجيا الاجتماعية .

فإن كنا قد تعودنا على فهم الشخصية ككائن شامل وسلوك منظم ومتوازن، بين أخذ الثقافة كمصدر مادي وروحي ، وبين التغير والتقدم الذي قد يطرأ عليها بفعل العملية المستمرة من التفاعل الاجتماعي والتواصل الثقافي والفكري

فنحن اليوم بصدد تناول نفس محددات الموضوع ألا وهي الثقافة، الفعل الاجتماعي الاتصال والتفاعل الاجتماعي ولكن من منظور صحة الشخصية اجتماعيا وثقافيا ونفسيا وهذا ما نود فعلا التوصل إليه واستنتاج ما يمكن قد يأتي بجديد من الناحية العلمية. ولهذا جاءت العينة كالآتي :

1.4.6 المجال البشري:

من حيث النوع تحتوي العينة على مجموعة أو فئة من الأطباء بمستشفى الأمراض العصبية والنفسية فرانز فانون – البليدة

وكانت عينة عشوائية بين قسمي الرجال (أ) وقسم النساء (ب) وأخذنا خمسة عشر طبيب من كل قسم، ومن النزاهة العلمية الذكر بأننا أخذنا عينة عشوائية من عدد كلي للأطباء على حسب عامل المرونة وأنهم كانوا الأكثر مساعدة ومعاونة معنا ، وذلك أن معظم الأطباء الآخرين لم يسمح لهم الوقت للمقابلة وذلك لأسباب لم يذكروها ، ولكن نتوقع أن منهم من لا يحب التطفل على عمله، خاصة وأننا طلبنا منهم المقابلة وأن نحضر معهم أيضا الكشوفات أثناء فحصهم للحالات .

لا يفوتنا أن نذكر أهمية هذه الكشوفات، الفحصية التي سمحت لنا بالتقرب من الحالة واستجوابها أيضا، لأن معظم الأطباء سمحوا لنا باستجواب الحالات ، وكان ذلك في غاية الأهمية فسجلنا العديد من الملاحظات التي تخدم موضوع بحثنا .

لما قمنا بزيارة المرضى داخل المستشفى، وحاولنا هناك أن نتعرف أكثر عليهم وسمح لنا الأطباء بالتقرب منهم والتكلم معهم، فكان يبدو عليهم السكون والاتزان بسبب الأدوية التي يتناولونها.

2.4.6 المجال المكاني :

مستشفى الأمراض النفسية و العصبيةفرانز فانون –البليدة- الجزائر ، تأسس سنة 1937 تحت اسم مستشفى الأمراض النفسية والعصبية بالبليدة جوان فيل Hôpital Psychiatrique De Blida Joinville

تم تغيير اسمه بعد استقلال الجزائر إلى مستشفى فرانز فانون

Psychiatrique Frantz-Fanon De BlidaL'hôpital

ورأينا أن المجال المكاني للدراسة، قد يكون أكثر تجريبا وتطبيقا ولهذا توجهنا إلى مستشفى الأمراض العصبية والنفسية، بالبليدة لنضع فرضياتنا في مخبر إمبريقي محدد، بدقة وموضوعية، ولقد ترددنا على المستشفى لمدة ثلاثة شهور كاملة بين المقابلات التي قمنا بها مع الأطباء من قسم الرجال (أ) أو من قسم النساء (ب). وكنا أكثر تعايشا مع الموضوع ولقد سمحت لنا الظروف بزيارة المرضى في مقر المستشفى، أي بقسم العلاج والتمريض بصحبة الأطباء المشرفين عليهم. كما سمحت لنا الظروف أيضا بالتقرب من المرضى من خلال الفحوصات والكشوفات من خلال الزيارات التي يقوم بها المرضى للمستشفى من أجل معاينة حالتهم ، أو الكشف عنها. وهذا ما فتح لنا مجال أكبر لطرح أسئلتنا، وملاحظة سلوك المرضى والتقصي عن الأسباب المؤدية إلى المرض، وهنا تكمن الصفة الجوهرية والرئيسية بتجريب فرضيات بحثنا المطروحة وكان من الممتع جدا القيام بهذا العمل.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن المجال المكاني للدراسة ، قد يكون بعيدا بعض الشيء عن موضوع بحثنا ولكنه بعد التفكير والتحليل قد تبين أنه من أحسن المجالات المكانية التي يمكن فيها التجريب والتحليل والتفسير لأهم أطروحات التي تشغلنا وتشغل عملنا إذ أن مستشفى الأمراض العصبية والنفسية المكان الأصح لفهم موضوع بحثنا وهو مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي وحتى نكون قد أخذنا الموضوع من جانب حصري وجديد يختلف عن غيره من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع سابقا.

صعوبات البحث:

واجهنا صعوبة كبيرة في الوصول إلى عينة البحث علما أننا حاولنا الحصول على عدد أكبر منها و لهذا لجأنا إلى كل من مستشفى الأمراض النفسية و العقلية الرازي بمدينة عنابة و مستشفى دريد حسين للأمراض النفسية و العقلية بالجزائر العاصمة و لكن لم ننجح في ذلك لأنه لم يسمح لنا بالدخول ولم يتم استقبالنا خوفا من أن نكون من طرف جهات صحفية تحاول أن تكشف أسرار المستشفى ولهذا نتقدم بكامل الشكر لمستشفى فرانز فانون - البليدة - التي فتحت لنا الابواب و سمحت لنا حتى بحضور الفحوصات و الكشفوفات أثناء الفحص.

ملخص:

إن الأوجه المنهجية والنظرية من حيث الاشكالية، الفرضيات، والمفاهيم الخاصة بالموضوع، والمقاربة النظرية السسيولوجية من خلال المدارس الثلاث الكبرى التي تناولها الفصل، وأمام تعقد وتشابك الموضوع، وكذا أمام العوامل المرتبطة بين هذه النظريات الكبرى، قد نكون قد أنهينا من هذا الفصل المنهجي والنظري للدراسة العامة للموضوع وفرضياته، المفاهيم الأساسية، اختيار الموضوع، إشكالية الموضوع وفرضياته، المفاهيم الأساسية، إختيار المنهج وأساليب الدراسة، إلى تناول النظريات السسيولوجية الكبرى التي ترتبط بموضوع بحثنا (الانتشارية، التنشئة الاجتماعية، والتفاعلية الرمزية)، ولإن ارتباط كل هذه الخطوات ببعضها البعض جعل من الموضوع، موضوعا علميا يدرس أبعاد معينة متميزة، وهي دراسة البعد النفسي الاجتماعي في تحديد مفهوم الشخصية بين الثقافة مادة وروحا وبين الفعل باعتباره نبض الحياة الاجتماعية.

الفصل الثاني:

دراسات سابقة حول الموضوع

تمهيد

المبحث الأول:

- دراسة سامية حسن الساعاتي

المبحث الثاني:

- دراسة جورج هربرت ميد

المبحث الثالث:

- قراءة انتروبولوجية لروث بندكت ومارغريت ميد

المبحث الرابع:

- قراءة لكتاب سسيولوجيا الثقافة لعبد الغني عماد

المبحث الخامس :

- الدراسة التي قدمها الأستاذ الدكتور عبد الغني مغربي

ملخص

تمهيد :

قد تتعدد الدراسات التي تناولت موضوع الثقافة والشخصية في أبعاد متعددة فكثيرا من الباحثين الذين خصصوا دراساتهم حول دراسة موضوع الهوية، الهوية الاجتماعية، الثقافة، الحداثة، الأصالة والمعاصرة دراسات حول العولمة الثقافية، الخ.

ولكننا نريد أن نركز على المواضيع التي تناولت العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية أو الذات، وأن نوضح للقارئ أن المواضيع العامة الأخرى التي تناولت موضوع الحداثة والتراث، قد تشير إلى نفس المعنى ولكننا استلهمنا منها بعض النقاط وأن أهمية موضوعنا تختلف لأننا نريد دراسة البعد النفسي والاجتماعي للموضوع وبالتحديد.

وليس على سبيل الحصر، ولكن على سبيل المثال، سوف نقدم في هذا الفصل بعض الدراسات التي ارتأينا فيها، تقاربا لموضوعنا.

المبحث الأول:

الدراسة التي قامت بها سامية حسن الساعاتي، أستاذة علم الاجتماع، كلية البنات، جامعة عين الشمس في كتابها "الثقافة والشخصية" 1983 كبحث في علم الاجتماع الثقافي أين توصلت للنتائج التالية:

- إن إصلاح "الثقافة" و "الشخصية" يؤكد الوحدة والتكامل والكلية بتلك العلاقة الجدلية أو الحوار المستمر والتأثير بين الثقافة من ناحية والشخصية من ناحية أخرى¹

- إن تداخل لفظي الثقافة والشخصية يقدم لنا بديلا ضمنيا على أحد المميزات البارزة في الدراسات التي تمت تحت هذا العنوان²

- إن الثقافة والشخصية ليستا موضوعين منفصلين بل هما في الواقع وجهان لشيء واحد، إن جزء من عملية التفاعل يتكيف بها الناس لبيئتهم ولمجتمعاتهم الاجتماعية إن كلا من الثقافة والشخصية يعيش في الفرد.

وما أثار فضولنا في هذه الدراسة واعتمدنا عليه هو أن البحث ركز الانتباه على مشاكل أساسية لفهم أعمق لطبيعة الشخصية في تناولها للثقافة مادة وروحا وهذا ما يشكل انشغالاتنا في بحثنا.

نذكر بعض النتائج التي توصلت إليها الأستاذة من خلال عملها والتي تستجيب انشغالاتنا أن:

- الرفض والتفاعل مع المؤسسات الثقافية والعلمية الناتج عن الحالات الغير مشبعة جعل الفرد يعيش فعلا حالة من اللامعيار واللامعنى إزاء ما يقدم له.

¹ سامية حسن الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، مرجع مذكور، ص 133

² نفس المرجع، ص 149

• المرجعية الثقافية وهي مرجعية مناقضة تؤدي إلى نشأة صراعات واضحة لدى الفرد فيعيش الأفراد فعلا بين خطين متصادمين بين التقاليد ومواكبة العصر.

• عدم الانسجام بين ما يطلبه الفرد وما يقدم من انتاج ثقافي للاستهلاك في تشكيله الإبداعي، وقد سجل موقف سلبي شبه مطلق اتجاه البرامج الوطنية، وهذا ما يجعلنا نقول بغياب سياسة ثقافية أو مشروع ثقافي.

من خلال النتائج التي توصلت إليها الباحثة سامية حسن الساعاتي يمكن أن نحدد بعض النقاط المرتبطة ارتباطا وثيقا ببحثنا إن أكثر ما أثار انتباهنا في العمل الذي قدمته سامية الساعاتي، هو ذلك التشابك الرائع الفسيفسائي الذي قدمته حول العلاقة بين الثقافة والشخصية من حيث هما وجهان لنفس الشيء، كما تناولت جزءا هاما من عملها حول الحوار الجدلي أي حوار التأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية في جميع الأصعدة.

• إن الثقافة السائدة في شعب من الشعوب كثيرا ما تجبر الفرد بمالها من قوة جبرية وإلزام وسيطرة مستمدة من العادات والتقاليد والإقدام على أعمال أو ممارسات قد تضر بالناحية الجسمية الظاهرية ضررا كبيرا.

• إن الجماعة التي يعيش الفرد فيها والثقافة التي يتعرعرع فيها هما اللتان تحددان معايير الجمال وتقرران ما إذا كانت هذه الصفة الجسمية أو تلك ذات قيمة جمالية أم لا، وتختلف المجتمعات اختلافا واسعا في الصفات الحميمة المحتملة اعتبارها من صفات الجمال والجاذبية على حسب معايير اللائقة التي تقدرها الجماعة وثقافة القوم هي التي تحدد في كثيرا من الأحيان ميول الأفراد لبعض أنواع الأكل والشرب كلها ميول مكتسبة من البيئة ومن الثقافة.

• إن الثقافة يسري فيها تيار أخلاقي خاص يعيش فيه الفرد متأثر بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز والمعايير أمور نسبية تختلف في معناها وحدودها من مجتمع إلى آخر.

• إن العلاقة بين الثقافة والشخصية علاقة شديدة التعقيد فالأفراد يختلفون من حيث قدراتهم العقلية وخصائصهم المزاجية و الجسمية زيادة على ذلك فإن لكل جماعة إنسانية تفسيراتها الخاصة للثقافة كما أن لها مجموعة من النماذج الثقافية كما أن الأخير تختلف بدورها باختلاف الثقافات الفرعية والطبقات الاجتماعية، لذلك فإن لكل فرد تكوينه البيولوجي الفريد، وتاريخه الاجتماعي الخاص به، وعلى الرغم من حقيقة اختلافات بين الأفراد فإنه تبقى هناك صفات متماثلة ومشاركة بين الأشخاص الذين ينتمون إلى ثقافة واحدة، وتعد هذه الصفات المتماثلة والمشاركة أساس الدراسة العلمية الثقافية والشخصية.

نحن نعلم أنه لو قلنا فقط أن الإنسان إنما يكتسب الثقافة عن طريق التعليم في عملية التنشئة الاجتماعية فإن ذلك لا يكون سوى اعتراف بالجهل بما تتضمنه هذه العملية فعلا، ونحن نعلم أن الثقافة ليست ما يقدم مباشرة إلى الفرد ويتعلمه في جزء من هذه العملية، فعملية التنشئة الاجتماعية تتم بواسطة علاقات شخصية بين الطفل والبالغين وهي تتضمن مكونات عاطفية وتلعب فيها وسائل الاتصال الرمز بدورها. والفرد الذي يبدأ في مستوى من الاعتماد يجب أن يحصل على قدرة الحركة المستقلة الإرادية، وأن يحقق بعض الأنماط المتكاملة التي نطلق عليها "بناء الشخصية" ونحن نعلم أنه بينما يتخذ هذا البناء أشكالا مختلفة، فإن هناك بالتالي عناصر دائمة مميزة لبناء الشخصية الإنسانية في معناها الشامل لذلك لو نظرنا للأمر نظرة محسوسة فإن هناك بالتالي عناصر دائمة مميزة لبناء الشخصية الإنسانية في معناها الشامل لذلك لو نظرنا للأمر نظرة محسوسة.

فإن الثقافة تصبح جزء من الفرد، ولو أن الأمر لم يكن كذلك لما استطاع أن يعيشها ولا أن ينقلها إلى غيره، فالعقائد التي ننظر إليها نظرة مجردة كجزء من الثقافة الموصفة وصفا موضوعيا هي معتقداته، كذلك تتوحد القيم بنظام الدوافع الخاصة به حتى حاجاته وأهدافه رغم أنها ذات تكوين ثقافي إلا أنها تقوم بوظيفة تلبية حاجاته وأهدافه الشخصية.

- من الضروري أن نلفت النظر إلى أن البيئة لا تؤثر بدرجة واحدة في جميع استعدادات الفرد ومكونات شخصيته من قدرات وصفات فبعض هذه القدرات والصفات ثابت نسبيا أي لا تغير عوامل البيئة إلى في حدود ضيقة كالصفات الجسمية والحركية والحسية وتليها الصفات المزاجية والذكاء.

والمكونات الوراثية البيولوجية للشخصية لا يمكن أن تقوم لها قائمة أو يتضح أثرها بدون أثر البيئة، كما أن البيئة لا تستطيع أن تخلق شخصية من العدم فالمكونات البيولوجية للشخصية هي الكنوز المدفوعة في الأرض هي المواد الخام هي القدرات التي تتفاعل معها البيئة وعوامل المحيط الاجتماعي فتشكلها بالشكل الذي ينسجم مع الثقافة المطلوبة أي الثقافة هي التي تعين ظهور أو عدم ظهور هذه المكونات البيولوجية في قدرات فعلية، أي أن الثقافة صائغ الشخصية الذي يحورها ويشكلها ويخرجها في النموذج المطلوب.

وفي الخلاصة نقول:

- إن الشخصية الإنسانية لا تنمو وتتطور في الفراغ مستقلة عما حولها، الفرد لا يصبح شخصا إلا عن طريق الحياة الاجتماعية، فهو يولد داخل ثقافة خاصة تشكل شخصيته والثقافة هي الإطار الأساسي والوسط الذي تنمو فيه الشخصية وتترعرع، فهي التي تؤثر في أفكاره ومعتقداته ومعلوماته ومهاراته وخبراته ودوافعه، وطرق تعبيره عن انفعالات ورغباته، كما تحدد له القيم والمعايير التي يسترشد بها وتفرض عليه التقاليد التي يتمسك بها، وتدل الملاحظات وأبحاث الأنثروبولوجين وعلماء الاجتماع على أن طابع الشخصية ذو علاقة وثيقة بنمط الثقافة، أي الشخصية ممثلة للثقافة التي نشأت فيها.

المبحث الثاني:

الدراسة التي قام بها المفكر الأمريكي "جورج هربرت ميد" (1863 – 1931)

وهو دعامة من دعامات الفكر الفلسفي البراغماتي، الذي أسس اتجاهها ومنهجها براغماتيا جديدا لم يتناوله أعلام الفكر البراغماتي في عصره، مثل بيرس وجيمس وجون ديوي، إلا أن ذلك لا يعني بأي من الأحوال نفيا قاطعا بتأثره بهم، بل على العكس من ذلك فقد قدم المعالجة السلوكية في نظريته "الذات والفعل الاجتماعي" من خلال الهوية الوظيفية للذات والعقل معا متأثرا في ذلك بسلوكية جيمس وأدلة جون ديوي، إلا أنه قاد مقدماتها السلوكية والتجريبية إلى نتائج ومعالجة جديدة لم يتناولها الفكر البراغماتي بهذا الانجاز والرؤية الجديدة، فإذا كانت قاعدة بيرس في المعنى تحدد في إجراءات الفعل، فإن ميد يجدد المعنى في توقعات سلوكية، أي ما ينبغي أن يكون عليه المعنى.

إن أصالة ميد الفكرية كما يتحدث عنها جون ديوي، تتجسد في أنه بدلا من أن نضع المشكلات والقضايا الفكرية في المقدمة – مثل حال المبدعين السابقين له – إلا أنه يربط هذه الأفكار والمشكلات بالأفكار والأحداث المعاصرة كي يتم معالجتها بالتجربة المباشرة، وكذا في موقفه من نظرية المعرفة التي قدمها بمفهوم جديد الذي يعد إسهاما لم يسبق له مثيل¹.

إن أهمية ميد تنكشف لنا من تأكيده على أن "الفعل هو نبض تشكل المجتمع الانساني" وأن ظهور العقل والذات ما هو إلا تجسيد لذلك، وكذا في اهتمامه لمشكلة "الذات" والذي أدى إلى دراسة الكائن في اتجاه واحد باعتباره الوحدة البيولوجية المقابلة للذات، وفي الاتجاه الآخر تطلب ذلك بالضرورة دراسة الذات في علاقاتها وتفاعلاتها الاجتماعية ذلك عمل ميد على توسيع مجال البراغماتية وهو المجال الذي كان له تأثير مباشر في تلاميذه.

¹ George Herbert Mead, The Philosophy of the Present, The University of Chicago Press, New York, 1932, p 31.

إن المبدأ الأساسي لفلسفة الفعل ينطلق من أن الفعل وحدة الوجود إذ تبرز الذات والعقول ومعرفتنا حول أمور الحقيقة من خلال الفعل التجريبي المباشر، ولا يمكن فصل العقل والذات عن الفعل الاجتماعي.

ويقدم ميد سببين رئيسيين لنشأة الحركة البرغماتية البرغماتية وهما:

1- دراسة سلوك الحيوان بما يطلق عليه "المفهوم العلمي".

2- دراسة وفهم الطبيعة التجريبية من خلال المنهج العلمي.

وفقا لذلك فإن الاتجاه البرغماتي عنده يمكننا أن ننظر إليه باعتباره البرغماتي النفعي الذي وصفه بأنه لا يمثل إلا النفوذ لسلطة الرأسمالية الأمريكية¹.

ونتوصل من خلال تحليل فلسفة الفعل عند ميد، بأن الفعل حجر الزاوية والذي من خلاله تظهر العملية اتفاعلية الاجتماعية من فاعلية العقل والذات والمجتمع وتكون الذات المبدعة تنويعا لتلك الفعالية التي تتحقق من خلال الاتصال والتواصل اللغوي بين الأفراد والتي شرحها ميد في كتاب (العقل والذات والمجتمع).

ولأهمية الفعل في ظهور ونمو وتطور العقل أفرد ميد أهم مؤلفاته بعنوان « The Act » وقدم فيه مفهوما جديدا للتحويل الاجتماعي عما كان مألوفا عليه إن أهم ما يميز فلسفة ميد أن تناوله للقضايا والإشكاليات المختلفة كل من موقف تاريخي، والمنهج التاريخي يعد الطريقة المؤدية إلى مبادئه الأساسية ودفاعه عنها، على سبيل المثال : في دورته الدراسية في علم النفس الاجتماعي في خريف 1929 استرسل قائلا : " إن السلوك الإنساني مثل سلوك الحيوانات الدنيا ينبعث من المحفزات " وفي الصفحة الأولى من مؤلفه " العقل والذات والمجتمع " يبدأ الحديث قائلا : " إن الفكرة التي أود تناولها هي تلك الفكرة المتمثلة بالتجربة المنبثقة من موقف المجتمع ".

¹Ibid, p 97.

وفي ملاحظات مقال 1914 يبدأ بمناقشة طبيعة الفاعلية السلوكية، وفي الوحدة البدائية أسلوب الحياة ثم يناقش بعد ذلك الفعل الاجتماعي مبينا كيفية ظهور العقول والذوات من خلاله.

إن أهمية دراستنا لفلسفة الذات والفعل عند ميد تنطلق من أنه لعب دورا رائدا في تشكيل الموضوع النهائي للذات وتطبيقها اجتماعيا مميزا، خاصة وأنه كان أول من أفرد لمشكلة الذات وفعاليتها الاجتماعية إطارا مستقلا ومنظما، موضحا أن مفهوم الذات وتحققها يتأتى لها من خلال فاعليتها وانبثاقها من الأنا (Me) ومن ثم تسلك طريقا تحققها بعلاقتها مع الآخر وبتأخذها دور الآخر تصل إلى درجة تحققها كموضوع.

لقد تناولنا من خلال موضوع بحثنا إلقاء الضوء على رمز من رموز الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث الذي لعب دورا رائدا في تأسيس اتجاه جديد في الفلسفة البرغماتية والذي لا يزال يقوم بالبحث والدراسة في فلسفته حتى هذه اللحظة، والتي لها تأثير كبير في تعديل سياق تطور الذات الإنسانية ونظرية المعرفة، وكذلك مبادئ التعلم، ومبدأ النقد والنقد الذاتي الذي يساعد على إعادة بناء السلوك الإنساني.

لقد كان هاجس ميد : كيف يستطيع إعادة صياغة العلاقة بين الفرد وعالمه بمنهج علمي تجريبي، وذلك لاعتقاد التوازن بينهما، فظهر من فلسفة الفعل كترجمة لذلك التكليف مما استدعى ذلك تطور نظرية ميد في التفاعل الرمزي للاتصال الاجتماعي، ووفقا لذلك يشيد بناء العقل والذات والمجتمع.

وبالرغم من أهمية الدراسات التحليلية التي قدمها ميد النظرية منها والعملية ولكننا لاحظنا من خلال عملنا في موضوع بحثنا غياب وجود دراسة متخصصة باللغة العربية تعالج فلسفة جورج هربرت ميد.

نود أن نتطرق في عناصر وجيزة لأهم المصطلحات والنقاط الجوهرية التي قدمها لنا ميد

ومن أهم المصطلحات:

الفعل، الذات، العقل، الاتصال، الاحتمال، اتخاذ الدور، ... الخ كما يتوجب علينا الذكر أن في حياة ميد عوامل كثيرة هي التي أثرت في فلسفته، ونشاطه الاجتماعي والسياسي لمعالجة القضايا والمشاكل وفقا لمبادئ فلسفته في الذات الاجتماعية لتحقيق الإصلاح الاجتماعي في أمريكا، أما عن النقاط الأساسية التي شغلت فكره الفلسفي والاجتماعي فهي عموما كانت تدور حول ما يلي:

- إشكالية مفهوم الذات.
- ماهية الذات وعناصرها وخصائصها.
- نشوء الذات الاجتماعية وإدراكها في الوضع الاجتماعي.
- أهم خصائص الذات وشروط تحققها في المجتمع.
- العقل وعلاقته بالاستجابة.
- آلية الاتصال وأهميته في نشوء الذات الاجتماعية.
- أهمية الإيحاء والرمز واللغة في الاتصال الاجتماعي.
- أهمية دور الآخر في التغيير الاجتماعي.
- التأسيس الإيجابي للتفكير والاتصال ووظائفها الاجتماعية في تحقيق الإصلاح الاجتماعي.
- والتطور المستمر للذات والعقل والمجتمع.
- مفهوم الفعل وطبيعة علاقته بظهور الوعي الاجتماعي.
- الفعل وعلاقته بتحقيق الرمز الدال سلوكيا.

- ظهور الوعي بالمعنى وتطوره في العقل الاجتماعي.
 - أهمية الفعل والوعي الاجتماعي في انبثاق الذات الاجتماعية.
 - مراحل الفعل الأساسية: (مرحلة الدافع، مرحلة الإدراك الحسي التي تعد القاعدة الأساسية في بناء نظرية ميد المعرفية وفي تأسيس المفهوم العلمي والمكان والزمان، مرحلة المعالجة، وأخيرا مرحلة اكتمال الفعل).
- ونستنتج في النهاية أن نظرية ميد المعرفية والمفهوم العلمي وحقيقة المعرفة " تركز على أهمية مفهوم المعرفة والإدراك الحسي وطبيعة الذكاء الانساني ومفهوم الزمان وأهميته في التأسيس المعرفي، واعتبار الفعل نبض الحياة في جعل الإنسان أو الفرد يقترب من تحقيق توازنه في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية السائدة والحالية والآنية من الآخر، عن طريق المعاناة أو الاستبداد والسيطرة، أو عن طريق التقليد، والخضوع الدائم لسيطرة القوي ونفوذه.
- إن الحياة الاجتماعية بتحقيق ذواتها، وأهمية آلية الاتصال بشتى أنواعها في نشوء الذات الاجتماعية والتأسيس الإيجابي للتفكير والاتصال ووظائفها الاجتماعية قد تؤدي إلى تحقيق الإصلاح الاجتماعي والتقدم والتطور المستمر للذات والعقل والمجتمع وهذا ما نحاول أن نبينه من خلال عملنا (موضوع بحث) ولهذا رأينا ضرورة أهمية التطرق إلى أحد رواد الفكر الفلسفي والمعرفي وهو جورج هوربرت ميد نذكر أهم النقاط التي توصل إليها وعمل عليها من خلال دراساته ومؤلفاته.

المبحث الثالث:

روث بندكت ومارغريت ميد رائدات مدرسة الثقافة والشخصية

الدراسة التي قدمها د. علي أسعد وطفة، كقراءة لأعمال كل من روث بندكت ومارغريت

ميد¹

تمهيد:

إن الإنسان وحده هو الذي يملك الثقافة، فله تاريخ مميز عن الماضي، وله قيم مميزة عن الحاجات، وله شعور مميز عن العقل. والإنسان وحده هو القادر على أن يقيم عالماً مختلفاً نوعاً عن عالم أجداده. فالثقافة إذن تقدم مفتاح الفهم والإدراك لحق الإنسان الشرعي في سيادة الكون كما تساعد في بناء شخصية الإنسان وتأثر فيه.

ويعتبر المدخل الثقافي في دراسة الشخصية من الموضوعات التي يهتم بها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية، وقد أدي اهتمام العلماء الأنثروبولوجيين بدراسة التباين بين الشخصيات المختلفة إلى ظهور فرع متخصص يعرف (بالأنثروبولوجيا السيكولوجية) أو (الثقافة والشخصية) الذي يعتبر نقطة لقاء بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس.

فإذا كانت هذه العلاقة القوية بين الثقافة والشخصية موجودة فأى مصطلح أفضل من الآخر دلالة علي هذا العلم مصطلح (الثقافة والشخصية) أم مصطلح (الشخصية والثقافة) ؟ وما علاقة هذا العلم بعلوم الأنثروبولوجيا والاجتماع والنفس؟ والأهم ما هو علاقة هذا العلم بعلم الأنثروبولوجيا الثقافية؟ وأخيراً أيهما يؤثر في الآخر الثقافة أم الشخصية؟

ولقد ركزنا في هذه القراءة على أهمية التربية والتعليم وما تقدمه من وظائف تدعم وتنمي من السند الاجتماعي الأسري للأفراد.

¹ WWW.ARANTHROPOS.COM.

في جدل الثقافة والشخصية:

فيما يلي سأتناول ثلاث قضايا في موضوع الثقافة والشخصية وهم على الترتيب الاتي:

1. إشكالية المصطلح.

2. العلاقة بالعلوم المختلفة.

3. علاقة الشخصية بالثقافة.

أولاً: إشكالية المصطلح:

عرفت الأنثروبولوجيا النفسية عالمياً بعنوان ((الثقافة والشخصية)) وأخذ ينتشر هذا الاصطلاحو يزداد الاهتمام ببحث موضوعاته بصورة سريعة للغاية بالنسبة لحدثة نشأة هذا الفرع.

بالرغم من هذا الانتشار السريع لاصطلاح ((الثقافة والشخصية)) إلا أن صاحبه اعتراضات تنادي بتغييره، فمثلاً يري العالمان ((كلاكوهن)) و ((موراي)) أن اصطلاح ((الثقافة والشخصية)) قد يفهم تناقض وثنائية مثل الذي يوجد في اصطلاح ((الروح والمادة))، لذلك يفضلون استخدام اصطلاح ((الثقافة في الشخصية أو الشخصية في الثقافة)).

ويري دكتور محمد الجوهري في كتابه (علم الفلكلور) أنه من الأفضل إطلاق مصطلح ((الثقافة والشخصية)) علي علم الأنثروبولوجيا السيكلوجية وليس مصطلح ((الشخصية والثقافة)) وذلك لأنه بالرغم من أن هناك علاقة تتسم بطابع الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بين الثقافة والشخصية إلا أن الثقافة هي الأكثر عطاء وتأثيراً في الشخصية والعكس غير صحيح ، وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل في موضوع العلاقة بين الثقافة والشخصية.

ثانياً: العلاقة بالعلوم المختلفة:

تلخص موضوع الأنثروبولوجيا النفسية في الدراسة العلمية للعلاقة بين الثقافة والشخصية؛ لذلك يعدها بعضهم فرعاً من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية (الذي يجمع بين مفاهيم الأنثروبولوجيا عن الثقافة ومفاهيم علم النفس عن الشخصية) ولذلك يتطلب هذا الفرع من المعرفة تعاوناً وثيقاً بين المتخصصين في الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم نفس الشخصية وكذلك مع علماء الاجتماع وذلك لاهتمامهم المشترك بالثقافة والشخصية المكونة للمجتمع موضع دراستهم.

فإذا كانت ((الأنثروبولوجيا الثقافية)) تهتم بدراسة ثقافات الإنسان في المناطق المختلفة في العالم دون الاهتمام بتأثير الثقافة علي شخصية حاملها.

وإذا كان ((علم النفس الشخصية)) -وبخاصة الأطباء النفسيون- يهتم بتحليل شخصيات الأفراد المرضى ويركزون اهتمامهم علي مظاهر الاختلاف والتفرد في شخصيات البشر دون الاهتمام بثقافتهم.

فإنه في الفترة الأخيرة ظهر الاهتمام عند بعض الأنثروبولوجيين بدراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية، ووجد هذا الاهتمام تعاوناً وتجاوباً من بعض علماء النفس وبخاصة الأطباء والمحللين النفسيين، كما وجد تجاوب من علماء الاجتماع أيضاً ولقد أعترف هؤلاء وهؤلاء بالثقافة عاملاً محدداً للشخصية لا يمكن إغفاله عند دراسة الشخصية السوية والغير سوية

ولقد عرفت الأنثروبولوجيا النفسية عالمياً بعنوان ((الثقافة والشخصية))، وأخذ ينتشر هذا الاصطلاح ويزداد الاهتمام ببحث موضوعاته بصورة سريعة للغاية بالنسبة لحدثة نشأة هذا الفرع.

ويتعاون الأنثروبولوجيون مع علماء النفس وعلماء الاجتماع في هذا الميدان بصورة واضحة، ومن أمثلة ذلك اعتماد الأنثروبولوجيين علي المحللين النفسيين في إجراء اختبارات الشخصية، في حين يستعين الأطباء النفسيون بالتقارير الأثنوجرافية

للأنثروبولوجيين عند دراستهم للشخصيات، ويعتمد علماء الاجتماع علي تقارير الأثنان عند دراسة أفراد مجتمع ما.

ثالثاً: علاقة الشخصية بالثقافة:

إن العلاقة بين الثقافة والشخصية (الفردية والجماعية) أكيدة وقوية، وهي علاقة تكاملية تتبني علي أساس التأثير والتأثر، بحيث لا يمكن الجزم بأن الثقافة هي منتج محض للشخصية كما لا يمكن اعتبار الشخصية بأنها منتج مطلق للثقافة، ولكن لكل واحد منهما دوراً تأثيرياً في الآخر بمقادير متفاوتة.

وسنحاول تحديد أبرز هذه العوامل المزدوجة .

تأثير الثقافة في الشخصية:

تمد الثقافة الفرد بالمادة الخام التي يصنع من خلالها حياته[فالمحددات البيولوجية لا تحدد وحدها نمط الشخصية، كما أن الصفات السيكلوجية لا تشكل وحدها الشخصية، إنما تتكون الشخصية بتفاعل كل من المورثات البيولوجية والقدرات السيكلوجية مع البيئة التي يعيش فيها الفرد.

وأن ما تتضمنه البيئة من أشكال ثقافية مادية ولا مادية، تؤثر بشكل واضح في تحديد نمط الشخصية الإنسانية.

ومن هذه الناحية يمكن حصر أوجه التأثير في عوامل أربعة وهي مرتبة حسب تأثيرها كالتالي:

1. التربية.
2. التعليم.
3. التغير الثقافي.
4. الصدمة الثقافية.

1. التربية:

إذا لوحظ بعض الاختلاف بين علماء النفس، وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيين في النظر إلى محددات الشخصية، ومكوناتها، فإن تأثير التربية في الشخصية أو كما يعرفه البعض بالتنشئة الاجتماعية يعتبر من الأمور المتفق عليها من الأطراف الثلاث.

وهو ما يؤكد الدور الأساسي الذي تؤديه التربية في تكوين الشخصية، وفيما يلي نذكر بعض ما أورده علماء العلوم السابقة في هذا المجال.

واطسون Watson وهو أحد أقطاب علم النفس الفردي وصاحب المدرسة السلوكية يرى أن (طبيعة الطفل تتسم بقدر من المرونة، وقابلية التشكل في أية صورة يريد لها أفراد الجماعة).

كما نجد في الوقت ذاته رالف لينتون Linton. R الذي يعتبر من الانثروبولوجيين البارزين الذين اهتموا بدور التربية في تكوين الشخصية يرى أن (الأطفال الذين ولدوا في مجتمع معين يربون تقريباً بنفس الكيفية من جيل إلى جيل).

وتبين أن السنوات الأولى من عمر الفرد تعتبر ذات أهمية قصوى في تكوين الشخصية، وقد تم اكتشاف هذا الأمر عند دراسة أفراد غير أسوياء حيث أتضح أن بعض ماينفردون به من سمات في شخصياتهم يكون مرتبط بكيفية وثيقة بخبرات غير عادية قد تعرضوا لها في مرحلة طفولتهم. وقد دعمت هذه النتائج بدراسات أجريت على عدد كبير من المجتمعات.

وقد لوحظ أن المجتمعات التي يسود فيها نمط ثقافي يفرض الطاعة المطلقة على الأطفال للوالدين كشرط أساسي للحصول على مكافأة فإن شخصية البالغين الاسوياء من هؤلاء الاطفال تتسم بالخضوع والتبعية وعدم الخلق، على الرغم من أن هؤلاء الافراد يكونون قد نسوا تلك الخبرات التي تشربوها في طفولتهم، الا أن أثارها تبقى ظاهرة المعالم في شخصياتهم لا تقتأ تطبعها بسمات خاصة.

ويظهر تأثير الثقافة في تكوين الشخصية من مصدرين:

الأول: الاختلافات التي تشتق من سلوك الآخرين نحو الطفل، ويبدأ هذا التأثير منذ لحظة الميلاد وله تأثير كبير خلال الطفولة.

الثاني: الاختلافات التي تشتق من ملاحظة الفرد للأنماط السلوكية التي تميز المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه الأنماط السلوكية لا تؤثر عليه مباشرة، ولكنها دائماً تقدم له نماذج لتطور استجاباته المنطقية للمواقف المختلفة. والنوع الثاني هو الذي نتناوله في النقطة التالية بالشرح والتفصيل.

2. التعليم:

إذا كانت التربية تقتصر علي مرحلة الطفولة وتتم بصورة قسرية علي الاطفال في السنوات المبكرة، فإن التعليم علي العكس من ذلك، يمتد مع امتداد عمر الفرد أو من المفروض أن يكون كذلك، كما أن التعليم يتم بكيفية ارادية غير مفروضة علي الفرد في غالب الاحيان، فهو يتشرب الثقافة، ويتبنى القيم ويكتسب الخبرات المختلفة التي توجه سلوكه بحسب مقتضيات الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع. ولئن ثبت أن ثقافة أي مجتمع تحدد المستويات العميقة لشخصيات أعضائها بواسطة الأنماط الثقافية الخاصة بتربية الاطفال، فإن الانماط التي لا تنتهي عند مرحلة الطفولة وانما تستمر في تشكيل الكثير من العناصر الباقية في شخصيات أفراد المجتمع، وذلك عن طريق تزويدهم المستمر بنماذج يكتسبونها عن طريق التعلم ويقلدونها في تكيفهم مع بيئتهم الاجتماعية.

وفي هذا الخصوص يرى كامبل يونغ Kimball Young أنه يتوجب أن نميز في داخل كل ثقافة مجموعة من العناصر لكي نستطيع أن ندرك عملية بناء الشخصية وهي:

- المواظبة ودرجة الشدة في عملية التعليم والتدريب ومدى المواظبة.
- حجم الاحتياجات التي يتعرض لها الشخص.
- مدى الحب الذي توفره هذه الثقافة للأفراد.

• مدى حضور مبدأ العقاب والضبط الأخلاقي.

• تصور الذات المفروض على الطفل

وفيما سبق يتضح لنا أهمية التعليم كأول عنصر لكي تدرك الثقافة عملية بناء الشخصية.

وتستمر تلك العملية إلى مرحلة متأخرة من عمر الإنسان ولا تقتصر على مرحلة الطفولة كما هو الحال بالنسبة للأنماط الثقافية المتعلقة بتربية الاطفال كما سبق الذكر، وذلك على اعتبار أن الفرد يصادف دوماً خلال مراحل حياته المختلفة، مواقف تتطلب خبرات جديدة تتلاءم مع المركز الذي يحتله في المجتمع، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يجد في الثقافة موقفاً يتزود منه بالنماذج السلوكية التي تلائم موقفه وتجعله ينسجم مع الشخصية الاساسية لأفراد المجتمع الذي ينتمي اليه، وقد بات من المؤكد أن الانماط الثقافية في أي مجتمع تتجه نحو الترابط النفسي والانسجام والتناسق.

ومن ثم فلا يمكن أن يجبر الفرد الذي يتبنى هذه القيم أن يأتي من الأفعال ما من شأنه أن يكون متعارضاً مع شخصيته.

وخلاصة القول: إن الثقافة هي المسؤولة عن الشكل الرئيس للشخصية في أي مجتمع، وباختلاف الثقافات تختلف أشكال الشخصية، ويقصد بشكل الشخصية مجموعة السمات الأكثر تكراراً بين أفراد المجتمع الواحد.

وقد ميز ((لينتون)) بين شكلين من أشكال الشخصية:

الشكل الرئيس للشخصية: وهو يميز معظم أفراد المجتمع ويتمثل هذا الشكل الرئيس في مجموعة القيم والعادات والاتجاهات العامة.

شخصيات المركز: وهي إلى جانب الشكل الرئيس للشخصية وهم الافراد الذين يشغلون مركزاً اجتماعياً واحداً في المجتمع ويقومون بأداء عدة أدوار متشابهة، ويطلع هذا الأداء شخصياتهم بسمات مشتركة.

فمثلاً في أي مجتمع يوجد اختلاف بين شخصيات النساء وشخصيات الرجال وبين شخصيات الاطفال والبالغين والشيوخ، كما نلاحظ تشابهاً بين شخصيات الاطباء و ما إلي ذلك من المهن.

وبهذا يؤدي التعلم دوراً كبيراً في عملية اكتساب الافراد لهذه السمات العامة التي تشكل الشخصية الأساسية.

و يرى رالف لنتون بأن الافراد يتقاسمون الثقافة على ثلاث مستويات هي:

- عموميات
- اختيارات
- خصوصيات

وتركز هذه القراءة الوجيزة على أهمية التعليم و التربية في تكوين الشخصية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

المبحث الرابع:

قراءة لكتاب سسيولوجيا الثقافة لعبد الغنى عماد:

عرض/ إبراهيم غرايبة

يطرح الكاتب إشكالية الثقافة، ويستعرض أبرز المقاربات الأنثروبولوجية والأيدولوجية والسوسيولوجية التي تتناولها بالنظر والتحليل، ثم يتوقف عند تأثيرها بظاهرة العولمة والتفاعلات المصاحبة لها بفعل التطور الكبير على صعيد تقنيات الإعلام والاتصال، ويناقش محددات الثقافة الاجتماعية وخصائصها وآليات التفاعل، مع إعادة النظر ببعض المسلمات، ليقول في النهاية إن هذا القرن هو قرن التوتر والحيرة.

1. محددات الثقافة وخصائصها

يتميز الإنسان بقدرته على إنتاج الثقافة، وهذه أهم خاصية تميزه عن بقية المخلوقات، ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها، ولكل ثقافة ميزاتها وخصائصها ومقومات المادية التي تتألف من طرائق المعيشة والأدوات التي يستخدمها أفراد المجتمع في قضاء حوائجهم والأساليب التي يضعونها لاستخدام هذه الأدوات.

فكلمة الثقافة هي أكثر كلمة شهدت انتشارا وازدهارا، وليس هناك مفهوم أكثر تداولاً واستخداماً كمفهوم الثقافة، التي تدرج تحت اتجاهين، الأول اتجاه واقعي يرى الثقافة كل ما يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو جماعة معينة من البشر، والثاني اتجاه تجريدي يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو جماعة معينة.

وقد يكون التعريف السوسولوجي للثقافة يشمل المقاربات الأخرى لفهمها (الأنثروبولوجية والأيدولوجية)، باعتبارها (الثقافة) تحليلاً لطبيعة العلاقات والترابطات الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري وسماته العامة من جهة، ومعطيات البنية الاجتماعية بكل أبعادها الاقتصادية والسياسية والبيئية، التاريخي منها والمعاصر من جهة أخرى، وبالتالي دراسة وظائف هذا الإنتاج الفكري وآلياته وتفاعلاته في المجتمعات على مستوياته كافة.

فالثقافة كمفهوم سوسولوجي تشمل كل ما في البعد الأدبي والتراثي والمسرحي والفني، كما تشمل البعد الأنثروبولوجي الذي يطال الأدب والفن، ويطال حقل التعبيرات التي نطلق عليها عادة صفة "اجتماعية"، إذا الثقافة هي حاضر ومستقبل من المنظور السوسولوجي.

وأحسن وصف لأي ثقافة يقوم على معرفة نظمها الاجتماعية وتحليل هذه النظم التي تحل فيها الثقافة، ويمكن تحديدها بتسعة نظم: الأسرية والتربوية والدينية والأخلاقية والجمالية واللغوية والاقتصادية والقانونية والسياسية، ويكتسب الأفراد هذه الأنماط الثقافية المناسبة عبر عملية التنشئة الاجتماعية، بدءاً بأساليب السلوك المتنوعة وصولاً إلى الأنشطة الجماعية وسلوكياتها.

"يعود التباين بين الثقافات إلى عوامل موضوعية مثل البيئة الجغرافية وطبيعة الاتصال والتعاون وحجم الجماعة الإنسانية التي يجري فيها التفاعل، والقيم السائدة في المجتمع تلعب دوراً كبيراً في التنوع الثقافي"

وكما ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدراته على صنع الثقافة فإن كل مجتمع بشري ينفرد بخصائص ثقافية تميزه عن بقية المجتمعات، فالثقافة نتاج اجتماعي وإنساني، ولا وجود للثقافة من دون إنسان، والمجتمعات دائمة التغير، فالتغير قانون تخضع له جميع الظواهر، فقد تموت الثقافة إذا تفكك المجتمع الذي أنتجها.

الثقافة إذن تتحرك وتتطور، ذلك أن كل جيل يقوم بالإضافة إلى "الموروث الثقافي" من خلال التعليم والتجربة، وتسمى هذه العملية التراكم الثقافي، والعناصر الثقافية المتراكمة تعمل وتستمر في صور كثيرة طالما استمرت الوظيفة التي تؤديها في المجتمع.

ولعل ظاهرة الانتشار من الظواهر التي حظيت بنصيب كبير في علم الاجتماع الثقافي، لأنها تتعلق بحركتها الخارجية، وقد ثبت أن أكثر التغيرات تأتي من الخارج، وقد فتحت آلية الانتشار الثقافي الباب منذ زمن لمسألتين: الأولى تتعلق بوسائل الانتشار نفسها، مثل الهجرات والحروب والتجارة، والثقافة اليوم أصبحت أكثر قدرة على الانتشار، والثانية تتعلق بالموقف من الثقافات الأخرى، وكيفية استقبال المجتمع للعناصر الجديدة الوافدة.

ومن خصائص الثقافة أنها أفكار وأعمال، سواء نظرنا إلى الثقافة كعناصر أو اخترعها الإنسان لسد حاجاته الأولية والثانوية، وتختلف الثقافات في مضمونها وتتنابى إلى درجة التناقض أحيانا، فما يعتبره مجتمع ما فضيلة هو رذيلة وربما جريمة في ثقافة أخرى.

ويعود التباين بين الثقافات إلى عوامل موضوعية مثل البيئة الجغرافية وطبيعة الاتصال والتعاون، وحجم الجماعة الإنسانية التي يجري فيها التفاعل، والقيم السائدة في المجتمع تلعب دورا كبيرا في التنوع الثقافي، كما أن طبيعة الإنسان كصاحب عقل مفكر ومبدع قادر على إنتاج أعداد لا نهائية من الأفكار والبدائل، وأخيرا فإن الثقافة تبقى انتقائية انتقالية وتراكمية.

2. من أين تأتي الثقافة؟

"الثقافة هي فعل تفاعل يترجم إدراك الإنسان بكافة تجلياته الفطرية والتركيبية، ويجد المرء في الثقافة خاصة الشعبية منها نماذج جاهزة تحوز على صدقية كبيرة في بيئته ووسطه، يعتمد إلى تبنيها بشكل تلقائي كونها شائعة ومعممة"

من المجتمع؟ أم التاريخ؟ أم الدين؟ أم عمليات التفاعل بين الأفراد؟ أم التقاليد والشعائر والطقوس؟ أم التراث الشعبي؟

في الحقيقة تأتي الثقافة من كل الاتجاهات، وتشرب من أكثر من نبع، وتلك هي إشكاليته، فالثقافة هي فعل تفاعل يترجم إدراك الإنسان بكافة تجلياته الفطرية والتركيبية، ويجد المرء في الثقافة خاصة الشعبية منها، نماذج جاهزة تحوز على صدقية كبيرة في بيئته ووسطه، يعتمد إلى تبنيها بشكل تلقائي كونها شائعة ومعمة.

وميزة الثقافة الشعبية أن أكثر أشكالها غير مدون في الكتب، وهي تتخطى حاجز الطبقات تتخطى الحدود الاجتماعية القائمة بين أهل المدينة والريف، وتخرق كتلتى المتعلمين والأميين، والتاريخ كمحصلة لتجارب.

والدين ثقافة كاملة، فهو يعبر عن رؤية للعالم، للطبيعة والوجود والإنسان وهو كذلك يقدم تصورا لبناء الاجتماع الإنساني على نحو يغطي أدينا أدق تفاصيل هذا الاجتماع اقتصادا وسياسة وأخلاقا وأحوالا شخصية، فهو نمط من القيم والعادات والطقوس والشعائر، وطريقة ثابتة الملامح في ممارسة الحياة في بناء الاجتماع وإعادة إنتاجه.

وتؤلف القيم نسقا متماسكا، فتحتل كل قيمة في هذا النسق أولوية خاصة بالقياس إلى القيم الأخرى، وأنساق القيم هي المستويات التي نحتكم إليها في ذواتنا أمام الآخرين، أو هي الموجهات التي تحرك تصرفاتنا، لكي نبدو أمام الآخرين بالصورة التي نفضلها، فهي توجهنا في إقناع الآخرين والتأثير فيهم لتبني مواقف أو معتقدات أو اتجاهات أو قيم نعتقد أنها جديرة بالاهتمام، وتسهم القيم في إعطاء نوع من التماسك لمجموع القواعد والنماذج الثقافية في مجتمع معين، والتي إذا أخذت منفصلة سوف يكون من الصعوبة إيجاد تفسيرات لها.

ومن بين العناصر الثقافية التي تبدو أكثر عمومية هي العادات، وهي تكرار عملية معينة، أو النشاط "اللاشعوري" واللاواعي لعملية ما، والنتائج عن تكرار فعل حتى لو كان فعلا اجتماعيا، والعادات تكون فردية، تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع، فيكاد الإنسان يكون مجموع عادات تمشي على الأرض، بل إن قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته.

وأما العادة الجماعية فهي مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها، وتمثل ضرورة اجتماعية تستمد قوتها من هذه الضرورة.

وتختلف الأعراف عن العادات، فالأعراف هي السنن الاجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للاستعمالات والعادات والتقاليد والقوانين خاصة عندما تحوي حكما، والفرق هو فرق تكويني، فالعادة عرف ناقص يعوزها لتصبح عرفا أن يشعر الناس بضرورة احترامها، فكل عرف عادة، وليست كل عادة عرفا.

وسوسيولوجيا فقد اكتسب مفهوم التقاليد والشعائر بعدا جديدا يعبر عن مدى ارتباط حاضر المجتمع بماضيه، كما أنه يشكل أساس مستقبله.

وتعرف التقاليد على أنها مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع الذي تنشأ فيه، والتقليد ما هو إلا عادة فقدت مضمونها ولم يعد من الممكن أحيانا التعرف على معناها الأصلي، وتغيير التقاليد يحتاج عادة إلى كسر في النظام السياسي- الاقتصادي القائم.

وتتميز الشعائر بأنها مصحوبة دائما بحس خاص بالجبرية أو الإلزام، والمظهر الغالب للشعائر والطقوس أنها دينية، تنظمها قواعد مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ضابطة لمتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة.

وأخيرا يتجلى التراث الشعبي في عناصر كثيرة، مثل الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير، وهي في أساسها تلقائية غير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية في سد الحاجات الطبيعية الضرورية.

وبالتالي هي غير مدونة وتتميز بالاستمرار والثبات، وتبقى لها جاذبية معينة مقبولة ومرغوبة رغم ما فيها من إلزام وقهر، فتعتبر الثقافة الشعبية وسيلة فعالة لإدماج الفرد في

مجتمعه، ولها أيضا وظائف اقتصادية وتوجيهية وجمالية وتنبؤية، وأهما وظيفة الضبط الاجتماعي.

3. التغير الثقافي

التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع، سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا، شاملا المظاهر المادية والمعنوية بكل ما يترتب عليه من علاقات وما ينتج عنها من قيم وعادات، فالعلاقة بين التغير الثقافي والاجتماعي هي علاقة تضمن واحتواء، فكل ما هو تغير اجتماعي يعد تغيرا ثقافيا.

والتعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويُلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته. في المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة، ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغير، وهناك العديد من العوامل المسببة للتغير الثقافي بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني مثل العوامل الإيكولوجية والطبيعية، تتمثل بمكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية، وكذلك يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي.

ويلعب الاتصال أو العزلة دورا رئيسا، فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة، والمجتمعات الزراعية ترغب في حماية ثقافتها، وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى.

ومن العوامل المؤثرة بسبب النشاط الإنساني المخترعات الجديدة، فقد أدت الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم تكنولوجي إلى إحداث تغيرات جوهرية في نمط المعيشة بوجه عام وفي النظم الاجتماعية.

إن عملية تحول النظم التقليدية أو شبه التقليدية، وتغيرهما إلى أنماط تكنولوجية مرغوبة يصاحبها ظهور أشكال جديدة في البناء الاجتماعي واتجاهات وقيم ودوافع ومعايير اجتماعية.

فالتحديث هو في جوهره الدفاع عن عظمة الإنسان، أو هو استخدام العقل، والمشروع التحديثي هو مشروع العقلانية المادية الذي يرى أن العالم يحوي داخله المقدرات الكافية للقيام بعملية التغير هذه في ضوء المعرفة.

والحادثة هي وريثة النهضة وبنيت التنوير، وتتميز أنها أوروبية المنشأ والتاريخ، وهي على خصومة مع مفهوم التقليدية، وقد تعنى بوجود مجتمع مفتوح على كافة المستويات بحيث يستطيع الإنسان أن يتسوق ويعقد أفضل الصفقات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بغض النظر عن أي ارتباطات سابقة.

ومن أهم مؤشرات الحادثة المشاركة في عملية تحديد البدائل السياسية وتزايد مقدرة الدول على التعامل مع الجماهير.

الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث يتسم بالانتقال من استخدام التكنولوجيا البسيطة إلى الاستفادة المتزايدة من المعرفة العلمية والتكنولوجيا، ومع الحادثة يصل المجتمع إلى درجة من النمو الاقتصادي المدفوع دفعا ذاتيا يكفي لزيادة الإنتاج والاستهلاك بشكل دائم بحيث ينتظم لتحقيق المزيد.

وفي المجال الاجتماعي تعمل الحادثة على تصفية المؤسسات الوسيطة (الأسرة- القبيلة- القرية) والوحدات الاجتماعية الصغيرة، وتدمر بالتالي العلاقات مباشرة والعلاقات المبنية على العلاقات الحميمة والأفعال التضامنية المباشرة، وأيضا فإن زيادة معدلات التعليم ومحو الأمية هي أحدث المؤشرات على التحديث.

والواقع أن النصف الثاني من القرن العشرين نقلنا إلى ما بعد الحادثة، فأخذ القطاع الحديث

ينمو سريعاً، ويتمثل باستقطابه لغالبية الأيدي العاملة في المجال التقني، وتميز المجتمع الجديد بانخفاض أسبوع العمل الذي بات نصف ما كان عليه مع بدايات الثورة الصناعية، وازدياد أهمية التعليم.

ومن أبرز عوامل التقدم التكنولوجي تقنيات الاتصال الجماهيري الهائلة والمتنوعة التي تضخ بلا انقطاع الأفكار الجديدة والصور والأحاسيس.

إن تفكيك الحداثة يبين تغيرات سلبية متزايدة، منها المركزية وتنميط المواطنين وإخضاعهم لعمليات التوجيه السياسي والتخطيط الاقتصادي، ويطرافق معه ضمور الحس الخلقى والإحساس بالمسؤولية الشخصية.

وتسعى حركة ما بعد الحداثة إلى تحطيم السلطة القاهرة للأنساق الفكرية الكبرى المقامة على ادعاء القدرة في تفسير كلي للظواهر وإلغاء الفروق الحقيقية بين الأفراد والشعوب، ومقولاتها الرئيسة تنادي بإرساء مبدأ المعرفة، وعدم قبول تعميمات تنطبق على كل الثقافات.

أما في مجتمعاتنا فلا تزال الحرب دائرة بين أنصار الحداثة وأنصار التقليد، لذلك لا تستسيغ غالبية المثقفين العرب ما بعد الحداثة بحجة تعبيرها عن مجتمعات غربية وهو اجس لم نصل إليها بعد.

المبحث الخامس:

الدراسة التي قدمها الأستاذ الدكتور عبد الغني مغربي (جامعة الجزائر2) من خلال قراءة
لكتابه:

La Culture et la personnalité dans la société algérienne

(De Massinissa à nos jours)

والذي لطالما اشتغل من خلال هذا الكتاب بتحليل لمفهوم الثقافة والشخصية الجزائرية عبر
جميع المراحل التاريخية والاستعمارية التي مر عليها مجتمعنا عبر التاريخ.

يطرح الكاتب والمفكر إشكالية الثقافة، بشرح أهمية التعرف على أهم الملاحظات الجوهرية
والمركزية التي تحدد مفهوم الثقافة والتي سنعرض لها لاحقا.

ولقد يبدو أن الكاتب والمفكر العظيم عبد الغني مغربي، تبنى فكرة أن «الانسان ابن عاداته»
التي قدمها ابن خلدون ويأتي ماركس بعد خمس قرون ليأخذ مبدأ الفكرة ويضع لها صده
الخاص حين يقول إن الانسان «نتاج بيئته التي يعيش فيها»

يطرح المفكر السؤال بإمكانية التعرف على الشخصية الجزائرية، بعدما فهم الكثير من
الجزائريين أنه لتحسين حياتهم اليومية ولتحقيق رغباتهم وأهدافهم لا يقتضي أبدا بتحسين
المستوى المادي لحياتهم.

وأن المجتمع الجزائري، يمر بأزمة ثقافية، ويرجع الأسباب إلى الفترة الاستعمارية الطويلة
التي عاشتها الجزائر، ما جعلها تفكر فقط في استقلالها السياسي، وما نتج عن هذا الاستقلال
فيما بعد، يفسر أن الجزائر لم تحتضن أفكارا تعديلية ثقافية وايدولوجية بقدر ما احتضنت
أفكارا استقلالية سياسية.

ماهي الثقافة؟

يقول المفكر أن هناك العديد من التعريفات (حوالي 160 تعريف) التي ترتبط بالثقافة وكل يحاول أن يضع للمفهوم المعنى الذي يرتبط باهتماماته الخاصة .

تعريف تايلور:

يعرف تايلور الثقافة على أنها ذلك الكل المعقد والمركب الذي يشمل المعارف، والمعتقدات الفن، الأخلاق، القوانين، وكل ما يمكن أن يحققه الفرد من عادات وتقاليد باعتباره فردا من أفراد المجتمع

تعريف MJ Herskovits :

ويقدم تعريفا يميز الثقافة عن المجتمع فيقول «الثقافة هي نمط حياة الأفراد، أما المجتمع فهو مجموعة منظمة من الأفراد الذين يتبعون نمط حياة معين»

عالم الاجتماع الفرنسي A.Curvillier

والذي يكتب عن الثقافة (وفي تعريفه يخلط بين الثقافة والحضارة) فيقول:

«الثقافة هي نظام من الأفكار، والمعارف، والتقنيات، أنواع السلوكيات، والمواقف، التي تتميز مجتمعا ما» ويضيف أن: الحفاظ واكتساب الثقافة هي عملية اجتماعية وليست بيولوجية، وهي تستعمل أحيانا كلمة الإرث الاجتماعية، في مقابل كلمة الحضارة.

وأخيرا تعريف H.Pieron العالم الكبير الذي قضى عشرات السنين في مخابره، والذي يقترح التعريف الآتي للثقافة: «هي ذلك الكل من الأفعال الذي يضمن للأفراد نشأتهم الاجتماعية من خلال عملية التطور و إدماجهم الاجتماعي، داخل جماعاتهم الاجتماعية».

بناء على هذه التعريفات السابقة، يستنتج ويستنتق المفكر والكاتب عبد الغني مغربي ثلاث ملاحظات هامة، المغزى منها استبعاد الخلط والارتباك المصطلحي الذي قد يزيد من خطورة الموقف في الواقع وهذه ملاحظات هامة جدا ستساعدنا في تحديد مفهوم الثقافة أكثر فأكثر .

الملاحظة الأولى:

الثقافة عبارة عن ظاهرة كونية، عالمية، فهي ليست تعني الطرق والأساليب الصحيحة والمهذبة، أو الفكرية فهي إذا موجودة لدى جميع المجتمعات الحاضرة والسابقة .

كل التعريفات تبين بصورة صريحة وضمنية بأن الثقافة تحمل سمة حقيقية في الربط من جهة المجتمع (البيئة) وبين الفرد من جهة أخرى، الذي لا نستطيع فهمه إلا بالرجوع إلى بيئته التي يعيش فيها .

الملاحظة الثانية:

تقيم الملاحظة الثانية على أن الثقافة عبارة عن حقيقة موضوعية، ما يعني أن لها استقلالية عن إرادتنا. وتحدد في قياسها العام طريق وجودنا.

نحاول أحيانا وبمحض رغبتنا تغيير الثقافة، وقد يكون من الصعب تحقيق هذا خاصة وأنه تم الاحتفاظ بأهمية خصائص الثقافة في الأعماق وبأن التغيير لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سمحت الثقافة التي ننتمي إليها بذلك بطريقة أو بأخرى فإن الثقافة تفرض علينا من الخارج، كما يقول إميل دوركايم بأنه لا يجب أن ننسى أبدا بأن المجتمع (الذي يشكل دعم ومنبع الثقافة) يسبقنا من حيث الوجود ولا يموت أبدا بموت أفراده

الملاحظة الثالثة:

تقوم الملاحظة الثالثة والأخيرة على التمييز بين كلمة ثقافة وكلمة حضارة، فإن كلمة أو مصطلح الحضارة تستعمل في تمييز ثقافة من مستوى عال، أي بمعنى أن الحضارة هي «الثقافة العليا» **la Haute Culture** كما يقول الاثنولوجيون .

فإن الكاتب إذن يبين أن مفهوم الحضارة لا يطلق على مجتمع معين، وإنما يطلقه على مجموعة من المجتمعات، ولكن يشترط أن تكون هذه المجتمعات تلتحم وتتشابه في تفاصيل حياتية وفكرية معينة خاصة فيما يتعلق بالأهداف والرغبات المحددة التي ترتبط فيها الأفراد بغض النظر عن تحقيقها أو عدمه أو عن ظهورها من عدمه وتجتمع في نمط معين وهو بدوره ينقسم إلى مجموعة من المؤسسات كل يقوم بدور محدد، يجيب لمطالب معينة سواء كانت معلنة أو غير معلنة.

كل ثقافة تظهر من خلال تمثلات جماعية متناسقة حسب المجموعات والمصالح التي تربطها

ولا يمكن أن ننسى أن داخل أي ثقافة، هناك نوعان ثقافة روحية معنوية، وثقافة مادية وأن التفاعل القائم بين البنية الفوقية والبنية التحتية، يمكن تحليل ما قد يخفى عند نشأة مجتمع ما، وبالتالي القدرة على تحديد صفات الشخصية عندما نضعها في قالبها الأصلي وبالضرورة الحركية، ولكن قبل كل هذا يجب أن نفهم الثقافة بعمق وتحديد مميزاتها ولهذا قام الكاتب والمفكر بفك واستنتاج ستة ميزات خاصة بالتمثلات الثقافية وهي كالتالي:

1. الثقافة تفرض من الخارج على الفرد:

الانتماء إلى مجتمع ما لا يمكن أن يأتي عن طريق الإرادة أو الاختيار، فالطفل يزرع داخل المجتمع على حسب انتماءه لعائلته التي بدورها تنتمي إلى مجتمع ما. وعن طريق نشأته الاجتماعية يمكن لهذا الفرد أن يبني شخصيته.

2. خصائص إلزامية ومقيدة:

في كثير من الأحيان تحمل الثقافة نوعاً من القيود وصفة إلزامية، وإجبارية خانقة، خاصة عند المجتمعات التقليدية. فهي تضع قواعد معينة لا يمكن الخروج عنها أبداً .

3. ميزات تحمل معنى يتعلق بعدم الدقة :

التمثيلات الثقافية قد تكون غير دقيقة، وتتميز باختلافها من مجموعة إلى أخرى على حسب هذه المجموعات، تقسيمها، والطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها، وعلى حسب المصالح التي تربط أفرادها، ولهذا نجد أحيانا كثيرة تفسيرات متعددة، أيديولوجيات سياسية مختلفة الدين، الأخلاق.. الخ.

4. ميزات ذات أهداف موضوعية :

إن التمثيلات الثقافية تتعارض جذريا مع التمثيلات الفردية، التي تتميز بالذاتية، وتعبر عن ترجمة لحياة الفرد، أما التمثيلات الثقافية فهي موضوعية، تتميز بصفة الديمومة والشمولية والانتشار.

5. ميزات تعبر عن التماسك:

التمثيلات الثقافية لا تنتج دائما عن منطق عقلائي للتفكير أو العقل البشري فهي في كثير من الأحيان، تكون عبارة عن قوالب مجهزة، فالفرد يسمع عنها قبل حتى أن يتعرف عليها.

6. ميزات تقليدية واعتباطية:

التمثيلات الثقافية ممكن أن تكون أحيانا اعتباطية وتقليدية، حتى أن الشخصية تتأثر بهذه الميزات. وفي هذا السياق نقصد بأن الإنسان يمكن أن يكون إنسانا وحيوانا في نفس الوقت وأن الأمثلة كثيرة فيما يتعلق بالمجتمعات التقليدية أو البدائية التي يتبين أن الواقع لا يملك أي تصور واضح وملموس عن الحياة البشرية إلا من خلال الصورة التقليدية والعفوية للحياة البشرية للفرد .

وبهذا يتوصل الكاتب والمفكر إلى حقيقة شاملة وهي أن الثقافة لا يمكن أن تتضح في الوجود إلا من خلال الأفراد الذين يعيشونها يوميا أي من خلال حياتهم اليومية. أي كل واحد منا يترجم الثقافة ويضع لها حدودا خاصة على حسب تجاربه الخاصة وعلى حسب مكانته الاجتماعية وهنا تتحقق الموضوعية حينما تكون قيمة الثقافة وظواهرها تحت قياس مدى ارتباطها وكشفها للشخصية.

وتعتبر عملية التثاقف **Acculturation** من أهم الأدوات التي توضح طريقة نشأة الشخصية. وتطور حياة الأشخاص بصورة عامة. خاصة وأن رغبات الفرد لا يمكن أن تتحقق دائما، فهناك العديد من الصعوبات التي تظهر في حياة الفرد وتعرقل عليه سير الحياة.

مفهوم الشخصية عند عبد الغنى مغربي:

يتحدث الكاتب عن الشخصية القاعدية **Personnalité De Base** وبأن التعريفات القديمة للشخصية قد انتهت وولت وأن المفهوم الجديد لها وهو الشخصية القاعدية التي ظهرت على يد العالم A.kardiner، وأن تفسير الشخصية اليوم لا يقوم إلا من خلال الأدوار التي يقوم بها الأفراد داخل الجماعات الاجتماعية، التي تجمعهم تشابهات معينة تسمح لنا بمقارنتهم بعضهم ببعض.

وقد عرفها كما يلي «تكوين نفسي خاص لأفراد مجتمع معين، الذي يعتنق نمط حياة معين، من خلاله يطور أفراد المجتمع متغيراتهم الفردية» ونبين من خلال هذا التعريف أن لكل فرد شخصيته الخاصة به والتي تميزه عن غيره من الأفراد .

المكونات الأساسية للشخصية القاعدية:

تقنيات التفكير: أي الطريقة التي يفكر بها الأفراد اتجاه الواقع وكيف يمكنهم الفعل اتجاهه.

أنظمة الأمن: وهي عمليات الدفاع التي تتم عن طريق المؤسسات الهادفة لذلك، والتي تمكن الفرد من مقاومة التأثيرات الخارجية

الأنا: ولا نقصد به فقط تفسير التحليل النفسي للانا الكلاسيكي ونقصد به أكثر الأنا الذي يحافظ على علاقاته الاجتماعية مع غيره داخل الجماعة .

المواقف الدينية (المكتسبات الدينية)

ونصادف هذه التصنيفات أو المكونات الأساسية في جميع المجتمعات مهما اختلفت من حيث تعقدها ونسبة تطورها ونموها.

إن دينامية الشخصية تسلك مسلكين اثنين، فهناك من يستطيع أن يتعرض لمواقف ملتوية، وهناك من يصادم المحظورات الاجتماعية والطابوعية. وهي التي تحدد إمكانية تحقيق الفرد لرغباته أو عدمه. وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر على حسب تعقد أنماط الثقافة السائدة بالمجتمع وعلى حسب إن كانت المجتمعات بسيطة وتقليدية وتعتبر الأفراد متساوية، أو تشابك المجتمع وتعقده.

يعتبر عنصر التاريخ ، عنصرا هاما جدا لدراسة ثقافة أي مجتمع ، وبخصوص ثقافة المجتمع الجزائري وللوصول إلى الشخصية الجزائرية (**Culture-Histoire**) ولهذا كان من المهم جدا الحديث عن الفترة الاستعمارية وظهور وانتشار الإسلام في المغرب ، ولهذا كان مفهوم الثقافة من المفاهيم الاصطلاحية العامة التي شغلت الكاتب وكيفية تفسير الظواهر الثقافية وإمكانية تطبيقها على المجتمع الجزائري عبر تاريخه ولهذا أتيح مفهوم تطبيقي جديد وهو الثقافة المرآة (**la Culture Miroir**) وبأنه لا يوجد ما نسميه اليوم الفراغ الثقافي (**le Vide Culturel**) . ومن الأفضل أن نقول أن مرآة الثقافة محطم .

يربط الكاتب مفهوم الشخصية في قياسها الجماعي (**Personnalité Collective**) وليس فقط بمفهومها الفردي أو الذاتي، بل يربطها بوطن معين.

وبما أنه يتكلم عن الشخصية والثقافة في المجتمع الجزائري فهو يحدد مفهوما داخل الوطن الجزائري بخصائص وطنية جزائرية (**Caractéristique Nationales**) ويؤكد هذا الكاتب على ضرورة وأهمية التاريخ في دراسة الشخصية الجزائرية (خاصة بعد الاستقلال)، وبالحذر من الانزلاق في أخطاء كبيرة قد تؤدي إلى صعوبة الموقف، ذلك لأن تاريخ الجزائر كتب عن طريق الأجانب خاصة الفرنسيين الذين لطالما حاولوا تزييف تاريخنا المجيد. وكما حاولوا مسح تاريخنا وثقافتنا وهويتنا وأن الشخصية الجزائرية بالرغم من كل الاستعمارات والتناقضات القائمة بين الحقب التاريخية (أي من استعمار إلى آخر) إلا أنها تتميز بالخصوصية التامة وبالأصالة وأنها اليوم عن طريق التثاقف استطاعت أن تسير بسمت خاصة عديدة، لا يمكن التنازل عنها عند دراسة الشخصية الجزائرية. وأن هذا التاريخ يبين إلى أي درجة يتمتع الجزائري بروح الإرادة والطموح نحو التقدم بإحداث قفزة نحو حضارة الكون.

وفي هذا السياق وهو يتكلم عن أهمية التثاقف **Acculturation** كأداة ساعدت المجتمع الجزائري في تقوية الشخصية، فإنه يتكلم عن مفهوم آخر وهو **Déculturation** والذي يربطه بفترة الاستعمار ويقصد به الضعف الهام للثقافة الأصلية المعتبر في مجملها. وهذه هي الطريقة التي اتبعتها فرنسا في إضعاف الشخصية الجزائرية وتفكيكها وفصلها عن أصلاتها. وكل الصدمات الثقافية التي تعرض لها المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار وما نتج عنها لاحقا (أي بعد الاستقلال).

ويتبين لنا أخيرا أن الكاتب يبرهن على أهمية التحليل السسيولوجي التاريخي السياسي الاقتصادي، والإيديولوجي لفهم الشخصية الجزائرية، وأيضا عن طريق الفن، الفيلم، السينما، الأغنية، الشعر والأدب... الخ.

وأنه إذا كان المجتمع الجزائري يعاني من تمزق إيديولوجي ثقافي، محطم، فهذا لا يمكن تفسيره من جانب مادي واحد، ولكن يجب تفسيره من خلال الدينامية الاجتماعية منذ الاستقلال. والانتقال من الحديث عن السياسة الثقافية (**Politique Culturelle**) والتي

تعني أن كل التصنيفات الاجتماعية وكل التقسيمات الاجتماعية التي تتركب المجتمع تقبل كما هي ومن هنا يمكن أن نحول كل هذه التقسيمات الاجتماعية والثقافية إلى إنتاج أفلام، مسرح، شعر، يعبر عن الحياة الثقافية والاجتماعية. إذن إلى الحديث عن الثورة الثقافية (Révolution Culturelle).

ملخص:

قد نستخلص من هذه الدراسات بعض النقاط التي تناولت الموضوع ومدى ارتباطها بموضوعنا وهي العلاقة المتبادلة بين الثقافة والشخصية وأنها وجهان لعملة واحدة، وأن تناول الفرد للثقافة سببا رئيسيا في تشكيل الشخصية أو الذات الاجتماعية ومع ما يحمله هذا التناول من أبعاد سسيوثقافية، وسسيوإقتصادية، وخاصة الأبعاد النفسية الاجتماعية وقد كان هذا انشغالنا الشاغل والجوهري لموضوع بحثنا.

إن أهمية الدراسات السابقة قد تتضح أكثر في أنها تشكل قاعدة أو ركيزة، يركز عليها الباحث ويستنبط منها الجمل والعبارات التي تخدم موضوعه، وإن تقاربت الدراسات من حول الموضوع، وتشابكت مع بعضها البعض، فهذا لا يدل على أن لكل باحث وجهته الخاصة، والذاتية التي تحركه حول كيفية تناول الموضوع وتأطيره تأطيرا متباينا متميزا.

الجزء الأول

الباب النظري

الباب الأول

علاقة الثقافة بالشخصية و أهمية
التفاعل الإجتماعي

الفصل الثالث:

العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية

تمهيد

المبحث الأول: ماهية الثقافة وخصائصها

الثقافة:

- 1 - تعريف الثقافة من المنظور الشامل
- 2 - خصائص الثقافة ومحدداتها

المبحث الثاني : أبعاد الشخصية

الشخصية:

- 1- تعريف الشخصية من المنظور العام
 - 1.1 - نظريات الشخصية
 - 2.1 - العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية
- 2- الشخصية من المنظور القياس الاجتماعي
- 3- الشخصية من منظور الاكتئاب
 - 1.3- تصنيف الاكتئاب
 - 2.3- اضطرابات مزاجية راجعة لاسباب طبية عامة
- 4- الشخصية من منظور القلق.
 - 1.4 - تعريف القلق
 - 2.4 - أنواع القلق
- 5- الشخصية من منظور الفصام.
- 6- الشخصية من منظور النوبة الهذيانية
- 7- الشخصية منظور الهستيريا
- 8- الشخصية من منظور السند الاجتماعي
 - 1.8- تعريف السند الاجتماعي
 - 2.8- أنواع السند الاجتماعي

ملخص

تمهيد:

قد يؤدي بنا الحديث عن العلاقة الجدلية بين الثقافة كمادة وروحا وبين الشخصية كمنظور عكسي أو منعكس لهذه الثقافة بتحديد المعالم الكبرى لكلا المفهومين وقد ركزنا على أن يكون مفهوم الشخصية من منظور القياس الاجتماعي وبعض الأوبئة النفسية الاجتماعية أمرا ضروريا.

من حيث يبدو للقارئ، أن الطرح الإشكالي الخاص بالموضوع (موضوع البحث)، مبني على هذه النقاط الأساسية، الخاصة به، والتي تجيب على القسم الأول الهام من الطرح والمتمثل في إبراز العلاقة الديالكتية بين الثقافة والشخصية.

المبحث الأول:

ماهية الثقافة وخصائصها

الثقافة :

1- تعريف الثقافة من المنظور الشامل

2- خصائص الثقافة ومحدداتها

الثقافة:

1. تعريف الثقافة من المنظور الشامل:

إن ظاهرة التبادل الثقافي ترجع الى عهود بعيدة وتمتد جذورها الى بدايات التواصل والاحتكاك بين الجماعات الانسانية و الكيانات الثقافية، فهي إذن ظاهرة قديمة و مستمدة.

لذلك نجد الأفكار المؤيدة و المستخدمة لمفهوم التثاقف (acculturation) الذي يلغي مسألة الصراع و المواجهة بين الثقافات المختلفة، و يرى في التوسع الاستعماري أداة لتبادل المنافع و القيم الثقافية و الحضارية، مؤكدا على دوره في التقاء الثقافات.

و يضيف الأنثربولوجي المالينوفسكي (Malinouvski) مصطلح (المثاقفة) أو (التثاقف) للدلالة على نظرية الاحتكاك في بعدها الحضاري و المعرفي. و بمعنى أدق: دراسة تأثير ثقافة عالية نشيطة على أخرى بسيطة و سلبية و متسمة بالسكونية موضحا على صعيد ميداني من خلال المثال الذي تقدمه الثقافات الافريقية المحلية و تأثير الحضارة الغربية عليها¹

كما أن الغرب اليوم لا يزال مصرا على توجيه العالم صوب العولمة الكلية (globalisation)، بفرض مبادئ حرية التبادل التي غدت ترسم مخطط العلاقات الدولية، عبر تطوير و توسيع و تنظيم تكنولوجيا الاتصال و شبكاتها التي سنحت فضاء تنميل فيه جميع المواقع و الأخطار، (الإلتماس و الترابط جعله ديدور (Diderot) من ميزات الاتصال².

¹خيرري منصور، مثاقفة الغالب و المغلوب بين المحور و الاثبات، تقرير المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للاباء العرب، رابطة الكاتب الاردنيين، عمان 12-13 ديسمبر، 1992، ص1.

²Armand Matrelart، l'invention de la coummunication, Ibid, p339

ومن هنا تولد الشعور بالتخوف من ظاهرة العالمية من طرف المجتمعات المختلفة في العالم، ومع ذلك فانه ليس بإمكان أي ثقافة أن تنغلق و تنطوي على نفسها فهي مجبرة على التفاعل مع الثقافات الأخرى، وإلا فإنها تنتهي وتموت، و بخاصة بعد تعدد و تزايد المبادلات الاقتصادية أو الاندماج العرقي الذي ضاعف من عملية الاثراء و التأثيرات الثقافية، لذا يجمع الكثير من الأنثروبولوجيين على أن الثقافة تتضمن و تجمع بين عناصر ثقافية عالمية من جهة، ونماذج تقليدية خاصة كالأسطورة والدين والفن والاختراع.....الخ.

إذن فالتعايش بين الثقافات يحتم ضرورة البحث عن ما هو مشترك بين معظم الحضارات، وليس الدفاع عن خصائص حضارة ما على أنها عالمية، فالعالم الذي تبنيه حضارات متعددة يتطلب خلال مسيرته التأسيسية، إقامة البعد العالمي الذي يقبل التنوع والبحث عن النقاط المشتركة¹

لقد كانت لمحة وجيزة تكلمنا فيها عن فكرة العالمية وكيفية ظهورها ولكن في الحقيقة ليس من أولويات موضوع بحثنا التدقيق في تفاصيل هذه الفكرة الواسعة جداً، كان من الضروري فقط ذكرها لعلاقتها كبعد من أبعاد الموضوع علأن موضوع الثقافة، من المواضيع الواسعة جداً، حتى يصعب حصره في زاوية معينة .

عني الباحثون في العلوم الاجتماعية بدراسة التوتر في السلوك الانساني و في الحياة الاجتماعية، وقد استخدموا لذلك مفهومين مازالا من المفاهيم الاساسية في الحقل الاجتماعي، وهما الثقافة و المجتمع ومعروف أن العلاقة وثيقة بين المفهومين نظريا وفي الواقع الاجتماعي كذلك، وحتى لو أمكن التفرقة النظرية بينهما الا أن الظواهر التي يعبران عنهما لا تنفصل بعضها عن بعض في الحقيقة و الواقع فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع ثم ان المجتمع لا يقوم ويقتل بالثقافة وإن الثقافة طريق لتغير حياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها ومن ثم تعتمد الثقافة على وجود المجتمع ثم هي تمد المجتمع بالادوات اللازمة لاطراء الحياة فيه لا فرق في ذلك بين الثقافات البدائية و الحديثة.

¹SamuelHuntington, Le Choc Des Civilisations Traduit Par Fidel Jean Luc, Editions Odile Jacobe, Paris, pp (352-539).

وكما تبين من خلال مقدمة ابن خلدون التي قدمت للانسانية لفهم الحالة الاجتماعية للفرد وليس لمجرد وصف المراحل المرتبطة بفترة زمنية معينة عن طريق تصنيف وترتيب كل العناصر المكونة للظاهرة الاجتماعية بعد الملاحظة والدراسة والفحص بالكشف أيضا عن كل عناصر الشبه والاختلاف وكان هدفه من هذه التصنيفات أن تحقق النظام الذي من خلاله يتم التعرف على المجتمع¹

ان الفرد في المجتمع يتفق مع بعض الناس في كل النواحي كما يتفق مع بعض الناس في نواحي أخرى، ولا يتفق مع أي من الناس في نواحي ثالثة، وتهتم علوم البيولوجيا والفسولوجيا بدراسة الجانب الأول، كما تهتم علوم النفس بدراسة الجانب الثالث، أما الجانب الثاني فيشكل مجالا للدراسة في علوم الاجتماع و الانترولوجيا تلك هي مظاهر الاتفاق و الاختلاف بين الافراد و الجماعات و المجتمعات، بناء على ذلك تصبح الثقافة عنصر أساسيا في حياة المجتمع و في دراسة المجتمع كذلك، فالاسلوب الذي يسير عليه الناس في حياتهم انما يعتمد على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، مع بعض الآثار التي تتركها العوامل البيولوجية.

وهكذا تبرز أهمية الثقافة كعنصر لا غنى عنه في الدارسة التي تهدف الى التعرف على الحياة الاجتماعية للناس و تفسيرها و فهمها و هي موضوع للبحث العلمي الذي يعني بالتحليل و التنظير.

إزاء هذه الأهمية الاجتماعية و العلمية للثقافة، حاول الكثير من العلماء و ما زالوا يحاولون الوصول الى تعريف أو تحديد مفهوم الثقافة و هو أمر ليس بالسهل و هكذا تزخر مؤلفاتهم بعشرات التعريفات، و لعل من أقدم التعريفات للثقافة و أكثرها أهمية حتى الآن لقيمتها التاريخية، تعريف إدوارد تايلور الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن " الثقافة البدائية"

و الذي يذهب فيه الى أن الثقافة هي:

¹AbdelghaniMegherbi, La Pensee Sociologique D Ibn Khaldoun, Edition Casbah, 2010, p81

«كل مركب يشتمل على المعرفة و المعتقدات و الفنون و الأخلاق و القانون و العرف، وغير ذلك من الامكانيات أو العادات التي يكتسبها الانسان باعتباره عضو في مجتمع» .

وهكذا يبرز التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة كالأخلاق و القانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي و تأخذ طابعا الزاميا الى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة عن العلاقات بين الناس و بين العناصر المكونة للثقافة.

و لعل من أبسط تعريفات الثقافة و أكثرها وضوحا تعريف أحد العلماء الاجتماع المحدثين روبرت بيرستد، الذي ظهر في أوائل الستينات حيث يعرفها بقوله "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء المجتمع"¹.

(R.Bierstedt. The Social Order .New York :MGGrawhill 1963).

يبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري و بعضها سلوكي و بعضها مادي.

و نظرا لتعدد و تنوع تعريفات الثقافة بشكل يصعب حصره فمن الضروري أن نركز على اتجاهين واضحين في تلك التعريفات وان كان بينهما تنافس، ينظر أحدهما للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز وغيرها من المنتجات العقلية. أما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفرادهِ وتوجهات هؤلاء الافراد في حياتهم وأهمية ضبط الثقافة كنظرية في نمط و سلوكات هؤلاء الأفراد داخل مجتمعاتهم.

لهذا وباعتبارنا بصدد البحث العلمي علينا أن نأخذ هذه التعريفات ليس بموقف النقد والمنافسة أو التحليل و انما بالاعتماد عليها.

¹مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ، 1997 ، ص 09

باستمداد النقاط التالية والمفاهيم الجوهرية التي تمثل الثقافة وهي ارتباط الثقافة بأنماط وأساليب حياة الافراد والعلاقات الاجتماعية القائمة داخل الجماعات والمجتمعات، والتحيزات الثقافية وتشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس جميعا.

وفي فهمنا لأنماط الحياة لا نعطي أولوية في السببية للتحيز الثقافي على العلاقات الاجتماعية، أو العكس وإنما كل منهما لا غنى عنها للأخرى.

فبين العلاقات والتحيزات علاقة تبادلية وكل منهما تتفاعل مع الأخرى وتقويها، ذلك أن الالتزام بأنماط معينة للعلاقات الاجتماعية يولد طريقة متميزة في النظر إلى العالم كما أن رؤية العالم بطريقة معينة تبرز نموذجا منسجما معها للعلاقات الاجتماعية، وما يهمنا فعلا حسب إشكالية وفرضيات موضوع بحثنا أن نبين كيف تحافظ أنماط الحياة على بقائها وكيف تفشل في ذلك؟ والمشكلة التي نعني بها ليست مشكلة جذور، بمعنى كيف ومتى ظهرت أنماط الحياة، ولكنها مشكلة الحياة البقاء والاستمرار بمعنى كيف يدعم نمط ما للحياة ذاته وكيف يتغير، ماهي أسباب التغير، كيف تنمو قوة أنماط الحياة وكيف تفشل وتنتهي...؟؟؟

إن استمرارية نمط الحياة تعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة، بين تحيز ثقافي معين ونمط محدد للعلاقات الاجتماعية بشرط الانسجام،

إن القيم والمعتقدات المشتركة لا تتلاقى بشكل عشوائي وإنما هي دائما مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية التي تساعد في إضفاء الشرعية عليها.

وبالتالي سيستمر نمط الحياة للبقاء فقط إذا طبع أفراد به بالتحيز الثقافي الذي يبرر نوع النمط وعلى العكس من ذلك، فيجب على الأفراد إذا ما أرادوا صياغة نمط حياة لأنفسهم أن يتعارضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات القادرة على دعم هذا النمط، ونحاول خلال عملنا هذا موضوع البحث، أن نبين من خلال هذه المعادلة المركبة " تحيزات ثقافية- نمط حياة- علاقات اجتماعية- " مدى صحة الأخذ بهذه المعادلة، وأنه أي تغير لأحد المركبات الثلاث

الجوهرية قد يؤدي بالضرورة الحتمية إلى اختلال توازن الشخصية فهي محور هذه المعادلة.

إذن ثمة تساؤلات تبقى مصدر للتوتر الثقافي، ومنها: كيف يعرف الناس ما يعرفونه؟ وكيف يدركون الأشياء ويفاضلون بينها؟ وكيف يبني سلوكهم على ضوءها؟

تخبرنا معظم النظريات في العلوم الاجتماعية كيف يسرع الأفراد والجماعات في الحصول على ما يريدونه، لكن سيولوجيا الثقافة تسعى لكي تشرح لماذا يريدون ما يريدون فضلا عن سلوكهم للحصول على ما يريدونه، إن المنطق السببي يدفع إلى تحليلات من نوع " من سوف، يريد ماذا، ومتى ولماذا؟"

ولا شك أن تداعيات العولمة تتضمن مؤشرات على أن الاختلاف بين الأمم كما هي الاختلافات داخل الأمة الواحدة، لا تزال البؤرة المركزية لإشكالية الثقافة " ويمكن تسجيل الخلاصات التالية في هذا المحور:

- إن النسبيات الثقافية هي إحدى أبرز السمات التي تميز الثقافات
- إن التنوع الثقافي هو حقيقة سيولوجيا سواء كان بين "مجال ثقافي" وآخر، أم بين الثقافات الفرعية " ¹
- إن مفهوم الثقافالذي استخدمته المدرسة الثقافية الأمريكية على نطاق واسع أصبح من الحقائق والديناميات الثابتة في " المجالات الثقافية"

لذلك يعمل التحليل السيسيوثقافي إلى تفكيك "الموقف" وإعادته إلى جذوره من جهة وتبيان آلية اشتغال العناصر الثقافية المتعددة وتفاعلها، وعلى أهمية إثبات العلاقة بين الانتاج الفكري والواقع الاجتماعي، إلا أن الأهم هو تحليل أشكال هذه العلاقة وآليات استعمالها فضلا عن ابراز الوظيفة الاجتماعية لهذا الانتاج وخصوصا أن المنتجين والفاعلين يؤدون أدوار قد تكون وقد لا تكون لصالح فئات أو طبقات أو سياسات معينة.

¹د. عبد الغني عماد، سيولوجيا الثقافة، مرجع مذكور، ص14

الثقافة قبل كل شيء هي نتاج اجتماعي وإنساني، وهي مكتسبة ونامية ومتغيرة، بل هي كل ونسيج متداخل، وهي أفكار وأعمال متباينة في المضمون ومشابهة في الشكل، نسبية ومثالية، انتقائية وتراكمية، وآلية التفاعل تقوم على التبادل والتعاون، والتماثل والالتزام، والصراع، وفي ضوء ذلك ينبغي إذا التميز بين أنساق الترابط الثقافي وآليات التفاعل من جهة وبين منطق الفاعلين ومشاريعهم وتماثلاتهم، ولكل منهما في التحليل السيسيوثقافي منطق ومفاعله ومساره.

يترتب على ما سبق تساؤل يطرح نفسه بحدة حول إمكانية تفكك واندثار الثقافة، باعتبار أن الثقافات قد تتفكك بكيفية ما وتفقد مكانتها العالمية، بل حتى المحلية إذا بدأت تدخل في فلك ثقافة جديدة تستقي منها قيما لاصلة لها بها فالثقافة هي وعي واستجابات لمطالبات واقع تسيطر عليه وتتحكم به ويكون مؤسسه جزءا منها، وإذا لم يكن كذلك تصبح بالضرورة وعيا بالعجز وإدراكا للقصور، يعني هذا أن من يخلق الوقائع والتاريخ هو الذي يفرض القيم المرتبطة بسلطته وبالتالي تكون الهيمنة الثقافية محصلة العملية الثقافية لا علتها.

"وما يميز الهيمنة الثقافية الراهنة عن هيمنة الثقافات القديمة الكبرى، أنها مدعمة بمزيج التكنولوجيا الصريحة والإيديولوجية المضمرة"¹ وأنها تحمل رؤية تستويها "العنصرية الثقافية"²

إن نشوء ثقافة ما في التحليل السيسيوولوجي واضمحلالها ليس أمرا اعتباطيا أو إراديا لأنه أمر مرتبط دوما بعوامل موضوعية، لذلك لم تنشأ عبر التاريخ إلا ثقافات كبرى محددة، وقليل منها أتيح له أن يطور منظوماته العملية والأخلاقية والعقلية والروحية ويصل بها إلى الحضارة العالمية، وكثير منها فقد بعد ذلك الشروط الموضوعية الآيلة إلى الاحتفاظ بهذا التفوق على كل المستويات هذا يعني أن الثقافة ليس ماهية ثابتة أو معطى جامدا، إنما هي نتاج حقل تفاعلي يرسم علاقة تؤثر دائمة بين الوعي والواقع بين

¹ نفس المرجع، ص18

² نفس المرجع، ص19

الذات والموضوع، بين الحاضر والمستقبل، قد تنجح الثقافة في تجاوز هذا الجدل عبر الإضافة والإغناء وقد تذبل وتضمحل متى تعمق الانفصال بين الوعي والواقع، وتتحول بالتالي إلى طقوس وشعائر وفلكلور يكتفي فقط بتغذية الذاكرة واستمرار الحياة الاجتماعية الشعبية.

وبما أن الإنسان كائن إجتماعي فإن سلوكه يصدر في أشكال وأنماط منتظمة فيها شيء من الاطراد والتواتر، وفي ملاحظتنا لكيفية ممارسة الإنسان لشؤون حياته اليومية، ما يتطلبه ذلك من ألوان النشاط، نجد أن بعضها يتكرر بالصورة نفسها تقريبا، إن ملاحظة هذه الأنماط السلوكية وإن كانت لا تعني الاتفاق التام بين سلوك الناس في المجتمع، إلا أنها تعني أن هناك عناصر مشتركة في هذا السلوك يمكن تجريدها.

والواقع أن صفة الاطراد و التواتر في الظواهر الانسانية تشكل حقائق لا يمكن التغاضي عنها فلولا ملاحظتها ودراستها لما نشأت العلوم الاجتماعية ، ولما استطعنا الوصول إلى قواعد عامة أو قوانين تمثل خصائص سلوكية تميز علاقات الناس ومعاملتهم في حياتهم المشتركة وقد عنى الباحثون بدراسة هذا الاطراد في السلوك الانساني وفي الحياة الاجتماعية، واستخدموا لذلك ثلاث مفاهيم كمتغيرات أساسية وهي: المجتمع والثقافة والشخصية،

فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، وعناصر المجتمع هم الأفراد والفرد كائن اجتماعي والمجتمع لا يقوم ويبنى إلا بالثقافة، وفيه تتكون شخصية الانسان وتحمل سماته، وعليه فإن الثقافة طريق خاص ومتميز لحياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها، إنه تعتمد على وجود المجتمع ومن ثم لهذه بالأدوات اللازمة لاطراد الحياة فيه، بدائية كانت أم حديثة.

إن الفرد في المجتمع قد يتفق مع بعض الناس في كل شيء، كما قد يتفق مع بعض الناس في بعض الأشياء، وقد لا يتفق مع أحد في أشياء أخرى، تلك هي مظاهر الاختلاف والاتفاق بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، والتي تعود إلى الأسلوب الذي يعتمده

الناس في حياتهم والذي يعتمد بشكل أساسي على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع فضلا عن عوامل أخرى تتعلق بالبيئة الطبيعية المحيطة¹.

من هنا تبرز أهمية الثقافة كعنصر لا غنى عنه في الدراسة التي تهدف إلى التعرف على الحياة الاجتماعية للناس وبالتالي تفسيرها وفهمها.

¹مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، ص23

2. خصائص الثقافة ومحدداتها:

على غرار ما سبق من طروحات نظرية ووصفية لمفهوم الثقافة وماهيتها وأهميتها نستطيع القول أن الانسان ينفرد عن جميع المخلوقات بندرته على صنع الثقافة، كذلك يتميز كل مجتمع بشري بخصائص ثقافية تتميز عن باقي المجتمعات.

ولأن الثقافة مكتسبة وليست محمولة بيولوجيا فنطلق عليها تسمية الموروث الاجتماعي أوالمخزون الثقافي، ونظرا إلى قدرات الانسان المبتدعة فهو لا يكتفي بالتعلم واكتساب الثقافة معاً، بل يضيف إليها أشكالاً سلوكية مختلفة، وعلى الرغم من أن الثقافة والمجتمع يخرجان نتاجاً متشابهاً، إلا أنه ليس متطابقاً، فلا يوجد لا يمكن توقع سلوك متطابق من البشر فكل فرد شخصيته و تعبيراته، ومع ذلك هناك خصائص عمومية عديدة للثقافة تجعلها مصدراً ملهماً لعدد كبير من التغيرات على مستوى الأنساق و العلاقات الاجتماعية فالثقافة خصائص عديدة فهي إذن نتاج اجتماعي وانساني، كما أنها مكتسبة تتكون من خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو الانتشار أو التثاقف أو الاستعارة، كما أنها تتسم بالتداخل والتشابك فهي كل و نسيج متداخل ليس هناك داخلها استقلال لعناصر أو سمات، كما أن تداخلها هذا وظيفياً، وقد يكون نوعاً من التكامل البنوي كما يرى سمنر أن العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية تتعرض لضغوط كي تتكامل و تتناسق بعضهما مع بعض¹، كما أن الثقافة نامية و متغيرة، والتغير قانون تخضع له جميع الظواهر وهذا يعود لقوة التفاعل الاجتماعي و تكاثف الاحتكاك الثقافي ما يساعد على عمليات جدلية و اجتماعية تؤدي تداعياتها الى تغييرها في شكل متتابع ومستمر في الوجود.

و بما أن الثقافة متغيرة فهي تتحرك وفق آلية التحول و التكيف و لا يعني هذا أن البيئة تحدد اتجاه الثقافة كما يرى البعض من أنصار الحتمية الجغرافية باختصار عندما تتغير

¹عاطف وصفي، الانترولوجيا الثقافية، مرجع مذكور، ص 95.

ظروف الحياة، فإن الأشكال التقليدية للثقافة تتوقف عن مد الانسان بالحد الأدنى من الاشباع لذلك فهي تستبعد أو تظهر حاجات جديدة و تكيفات ثقافية جديدة، يعيش من خلالها.

الثقافة وفق هذا الكل يتحرك و يتطور، و بالتالي فهو ينمو بما يشابه طبيعة النمو الحيوية، بمعنى أن الخلايا التي تجدد في تكوينها تفوق الخلايا التي تتحطم أثناء هذه العملية، وهناك بالإضافة الى آلية التغير الثقافي آلية أخرى تجري فيها الثقافة لتحقيق غايتها وهي آلية النمو الثقافي و هي عملية تحصل داخل الثقافة ذاتها و التي بطبيعتها تتجه نحو التغير التدريجي، ذلك أن كل جيل يقوم بالإضافة الى "الموروث الثقافي" من خلال التعلم والخبرة والتجربة" وتسمى هذه العملية "التراكم الثقافي" Accumulation وكلما حصل التراكم بإيقاع سريع زادت امكانية التغير و تسارعت حركته ومن شروط هذه العملية "الاستمرارية" و التي تعتبر بمثابة تصفية و تأليف فالعناصر الثقافية المتراكمة تعمل و تستمر في صور كثيرة طالما استمرت الوظيفة التي تؤديها في المجتمع فبعض العناصر قد تتغير وظيفتها وتتغير صورتها وتصبح جزءا من ظاهرة أخرى، كما في بعض صور السلوك الديني و الأخلاقي الذي يصبح في بعض أشكاله أقرب إلى الفلكلور الشعبي، ولعل ظاهرة الإنتشار (diffusion) من الظواهر التي حظيت بنصيب كبير في علم الاجتماع الثقافي، لأنها تتعلق بحركتها الخارجية و قد تبث أن أكثر التغيرات تعد الى الثقافة من الخارج، و لهذا فان المناطق الجبلية والجزر المنعزلة ذات حظ قليل من التغير (على سبيل المثال ولا الحصر).

واذا كانت بعض خصائص الثقافة و الاستمرار و التراكم تمثل (الانتاج) فان الإنتشار يمثل التوزيع و هو ما يميز الثقافة المعاصرة التي أصبح الإنتشار أحد أبرز خصائصها و مكوناتها الذاتية بما ابتكرته من وسائل الاتصال الحديثة و التي تجاوزت عوائق الزمان و المكان التقليدية.

اذن لا شك في أن آلية الإنتشار الثقافي قد فتحت الباب لمسألتين بالغتين الثقة والأهمية وهي من حيث أنها آلية تتعلق بالموقف من الثقافات الأخرى و كيفية استقبال المجتمع للعناصر الثقافية الجديدة الوافدة.

والممارسات العملية للقيم والفن والأخلاق¹، يتضح أنه سواء نظرنا الى الثقافة كعناصر أو مركبات و نظم أو حتى كقطاعات فهي لا تخرج في النهاية عن كونها أفكار أو أعمالا اخترعها الانسان لسد حاجاته الأولية و الثانوية.

كما تختلف الثقافات في مضمونها و تتباين في درجة التناقض أحيانا فما يعتبره مجتمع ما فضيلة، فهو رذيلة في ثقافة أخرى مثلا وقد يتساءل المرء عن سر هذا التباين و التناقض بين الثقافات، بينما صانع هذه الثقافة هو الإنسان المشابه من الناحية البيولوجية وقد يعود التباين بين الثقافات الى عوامل موضوعية عديدة منها:

- البيئة الجغرافية التي يمكن أن تقدم للإنسان احتمالات عديدة للاختبار.
- حجم الجماعة الانسانية التي يجري فيها التفاعل الانساني فيما لو كانت جماعة تتصف ثقافتها بالبساطة، أو قرية صغيرة تتصف بعلاقاتها بنظام يقوم على سلسلة من العلاقات المحددة او مدينة كبيرة تتصف بعلاقاتها المتشابكة التي تسمح بسرعة النمو الثقافي.
- طبيعة الاتصال و التعاون بين الجماعات الانسانية فالتى تعيش في حالة عزلة تحميد و تدبل ثقافيتها.
- اعتماد الانسان على الطاقة الخام كالفحم و البترول و حتى الطاقة الذرية و النووية، الطاقة الحيوانية، الزراعية، كل هذا فتح المجال أمام الانسان لتطوير حياته و ثقافته و تنوعها.

¹ نفس المرجع السابق، ص 84.

- تلعب القيم السائدة في المجتمع الانساني دور كبير في التنوع الثقافي فبعضها يعيق التطور باتجاه معين و يدفع به باتجاه آخر و هكذا ينتج عن هذا الأمر تنوعا و تباينا بين الثقافات.

- طبيعة الانسان كصاحب عقل مفكر و مبدع قادر على انتاج أعداد لا نهائية من الأفكار و البدائل، حيث لا توجد حدود لإبداعه و أفكاره التي يحولها في ما بعد الى اعمال، من هنا كانت ثقافته متنوعة. بسبب قدرة العقل الانساني على انتاج أفكار مختلفة تحل المشكلة الواحدة.

وماهي الصور التي تدخل بها العناصر الجديدة إلى المجتمعات الاخرى، أ تكون عن طريق القهر أم التقيد أم عن طريق الانسياب من خلال الإقناع؟؟؟
وبين القبول و الممانعة ترسم هوية ثقافية جديدة.

كما أنها تتعلق بوسائل الانتشار نفسها وكيفية تكورها عبر التاريخ، فإن آلية الانتشار حاليا تعرف وسائل تساعدنا أكثر فأكثر على سرعة الانتقال السمة الثقافية أو المعلومة أسرع لكثير مما كان عليه في القرون الماضية، فإنها آلية تعرف اليوم مرونة كبيرة في الاستمتاع والانتقال وسرعة الحركة وهذا مما جعل ما نسميه اليوم بأن العالم أصبح "قرية صغيرة" وإن الإنسان لم يقف عاجزا أمام صعوبة البيئة وصعوبة النقل أو صعوبة الاستفادة من الثقافات الأخرى المجاورة فلطالما عمل الإنسان على أن يحسن من معيشته وأفكاره وحياته الثقافية والاجتماعية اليومية منها والعامة الخاصة به وغيرها، فالإنسان دائما على علاقة مع بيئته مهما اختلفت وتناسبت مع مصالحه وعلاقة الإنسان مع البيئة أخذت أبعاد ثلاثة، مادية وفكرية ورمزية، فمن البعد المادي تحولت علاقة الإنسان مع بيئته إلى أعمال ومنجزات، بدأت بالأدوات و الآلات في بناء المدارس والمنازل والمصانع وكل عمل إنساني من هذه الأعمال لا يمكن أن تتحقق ما لم تسبقه فكرة ومشروع تنفيذ فالبعد المادي لا يخرج عن كونه أفكارا لم تجسدها في أعمال منجزة، أما البعد الاجتماعي فيشمل على النظم الاجتماعية التي تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، هذه العلاقة التي تم تجسيدها بالنظم الاقتصادية

والنظم السياسية والنظم العائلية، وهي كلما تعرف بمرجعيتها إلى كونها أفكارا تتجسد كتصرفات وسلوكيات إنسانية، أي أنها أعمال وأفكار، أما البعد الرمزي فهو يشمل على علاقة الإنسان بعالم الأفكار المجردة والرموز كاللغة والدين والقيم والفن والأخلاق، وهذه النظم يغلب فيها جانب الأفكار أي أنها لا تخلو من أعمال تجسد الممارسات الطقوسية للدين، ومع ذلك نجد تشابها واضحا في جميع الثقافات إذ نظرنا إليها كنظم أو كقطاعات فكل ثقافة فيها الأبعاد الثلاثة السابقة الذكر (المادي، الاجتماعي، الرمزي) وفي كل ثقافة يوجد أنظمة ثقافية متشابهة من حيث الشكل.

وهناك مثلا نظام عائلي بغض النظر عن مضمون تلك العائلة كبيرة كانت أم صغيرة أم مركبة، كذلك نظام اللباس وغيره من الأنظمة الاجتماعية، ويطلق البعض على تلك النظم المتشابهة في جميع الثقافات بالنماذج أو الأنماط العالمية للثقافة وتعتبر الحد الأدنى الذي لا بد من توافره في كل ثقافة بدائية كانت أم حديثة لكنها في الحالة الحديثة تكون أكثر تشعبا وتفرعا.

كما تكون الثقافة متتالية ونسبية فهي تختزن نماذج مثالية بعميد أفراد المجتمع إلى تمثلها والتكيف معها وقد يكون هناك تفاوت ملحوظ بين النموذج والواقع لكن هذا يجعل القدرة على التمييز بين العادات الفردية الخالصة والمعايير الثقافية العامة واضحة بما يضمن المعرفة بكيفية التصرف في المواقف التي يعد فيها النموذج أو المعيار الثقافي ملائما، وإلا فإن الجزاءات المتوقعة كقيلة بضبط توافق أو تطابق سلوك الفرد مع الحد الأدنى الذي تفرضه الثقافة ومعاييرها¹.

ولا بد للثقافة لكي تستمر في تحقيق الإشباع لمن يمارسها و بخاصة فيها يتعلق بالعادات وعملية الإشباع لا بد من تحقيق توازن تتفوق فيه اللذة عن الألم لذلك فالإشباع يدعم العادات و يساندها بينما ينجم عن قلة الإشباع أن تنطفئ العادات و أن تختفي تماما وهذا ما يحصل عمليا و يترتب عليه ما يناسب جيلا لا يناسب آخر، ومن يستطيع التكيف هنا ليس

¹ عشارتي سليمان، الشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 24

بالضرورة أن يتكيف هناك و النموذج المثالي الذي تؤدي إلى الإشباع الثقافي في مجتمع ليس بالضرورة أن يكون كذلك في مجتمع آخر لذلك فالثقافة نسبية.

ويترتب على كون الثقافة إشباعية وجود تشابهات ثقافية واسعة المدى بين المجتمعات ناتجة عن الحقيقة القائلة بأن الدوافع الإنسانية الأساسية، المتماثلة عالمياً تتطلب أشكالاً متماثلة عن الإشباع و أخيراً و ليس آخر لا بد أن نذكر أن الثقافة انتقائية، انتقالية، تراكمية بالأفكار والمعارف يتوارثها الأجيال من الأجداد والأسلاف عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية وعن طريق المخلفات المادية والرموز، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى آخر وهي بهذا المعنى يستفيد فيها الإنسان من منجزات الجيل السابق ويضيف عليها وتختلف الطريقة التي تتراكم بها خاصية ثقافية معينة كاللغة عن الطريقة التي تتراكم بها سمة ثقافية أخرى كالتيكولوجيا. إن انتقال عناصر الثقافة ينتقي منها البعض ويستبعد البعض الآخر تبعاً لظروفه وحاجاته فالعادات القديمة لا تنتقل كما هي إلى الأجيال الجديدة التي تقوم باستبعاد بعضها والإبقاء على بعضها الآخر.

ولكن يجب التأكد أن الانتقال هنا لا يعني اختياراً تاماً في قبول عناصر الثقافة أو رفضها فهذه العناصر تعلو على مشيئتنا إلى حد ما، وغاية ما هناك أن قبولنا الواعي لعناصر الثقافة يجعل لنا نوعاً من القدرة على تكيفها تبعاً لظروفنا وعدم الاكتفاء بالتلقي السلبي.

إذن من خلال هذه النقاط والخصائص الأساسية للثقافة، يبقى السؤال المطروح نفسه وهو كيف لنا أن نأخذ هذه الثقافة الخاصة بمجتمعنا مأخذاً إيجابياً يسمح لنا بالقدرة على الحياة الاجتماعية والنفسية المتوازنة؟؟ وأن أي خلل ما يطرأ على عملية الأخذ والتناول هذه يكون سبباً فيما نريد أن نسميه بالتكولوجيا الاجتماعية؟؟ وهذا ما نريد أن نقوم بدراسته بالبحث والصيغة الموضوعية من خلال موضوع بحثنا هذا؟ .

المبحث الثاني:

أبعاد الشخصية

الشخصية:

1- تعريف الشخصية من المنظور العام

1.1 - نظريات الشخصية

2.1 - العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية

2- الشخصية من المنظور القياس الاجتماعي

3- الشخصية من منظور الاكتئاب

1.3 - تصنيف الاكتئاب

2.3 - اضطرابات مزاجية راجعة لاسباب طبية عامة

4- الشخصية من منظور القلق.

1.4 - تعريف القلق

2.4 - أنواع القلق

5- الشخصية من منظور الفصام.

6- الشخصية من منظور النوبة الهذيانية

7- الشخصية منظور الهستيريا

8- الشخصية من منظور السند الاجتماعي

1.8 - تعريف السند الاجتماعي

2.8 - أنواع السند الاجتماعي

الشخصية:

1. تعريف الشخصية من المنظور الشامل:

سنتناول مفهوم الشخصية من خلال العلاقة الجدلية بين (الثقافة-الشخصية) (الثقافة – الفعل الاجتماعي)، (الشخصية-الفعل الاجتماعي) من الناحية القياسية للمفهوم.

وإلى أي مديتم تشخيص المفهوم من الناحية المرضية (الصحية)، من الناحية الوبائية ولكن ببعيدتين أساسيين إثنين هما البعد النفسي، والبعد الاجتماعي، وهذا تلبية واستجابة لاشكالية موضوع بحثنا لأن مفهوم الشخصية حالياً، يؤدي إلى رسم حدود لهذا المفهوم، ولأن الفرد والبيئة المحيطة به يشكلان ترتيباً ديناميكياً على جميع المستويات لأنهما أي الفرد والبيئة كل منهما يتفاعل ويتشابك مع الآخر¹.

وهذه العملية من التفاعل تساعد إلى اندماج الفرد داخل مجتمعه أكثر فأكثر فتصبح الثقافة عنصراً أساسياً في تكوين شخصية الفرد وهذا ما أردنا توضيحه في الجزء الأول من الفصل (المبحث الأول-العنصر الأول-الثقافة).

وبما أن الثقافة مثلها مثل الشخصية، تستمران في التغير، والتقدم، إلى حين تجد هذه الشخصية ملامح جديدة تساعد على الاستجابة لمتطلبات الحياة العصرية.

و من المفيد جداً تحديد مفهوم الشخصية الذي لطالما أخذ جانبا فرديا في التفسير و ليس المفهوم الجماعي، مع أن المفهوم الجماعي للشخصية يمتد إلى زمن بعيد جداً في التاريخ فقد استخدمه ابن خلدون في المقارنة بين البدو الرحلو بين أهل المدينة في المغرب ، ونركز

¹ Ralph Linthon, Le Fondement Culturel De La Personnalité, Impression Dumas, France 1995, P 78.

على المعنى الجديد للشخصية و هو الشخصية القاعدية La Personnalité de Base¹

والتي ترمي إلى أن الافراد الذين ينتمون إلى نفس الانماط الثقافية يتقاسمون عقلية واحدة تتميز جماعتهم عن غيرها من الجماعات وهذا ما نحاول أن نبينه من خلال بحثنا.

ولهذا سنحاول في هذا المبحث إسقاط لتعريف الشخصية من خلال تقديم معنى لقياس الشخصية من الناحية الجماعية الفردية ومن خلال بعض الاوبئة أو الاضطرابات النفسية والاجتماعية التي قد يتعرض لها الفرد إذا حدث خلل ما لتوازنه سواء كان الفردي أو الجماعي و هذا ما يزيد من أهمية التحليلات الجماعية في ضبط مفهوم الشخصية.

يستعمل عامة الناس كلمة الشخصية في معنيين كلاهما يتضمنان التقييم:

– الشخصية بمعنى المهارة واللباقة الاجتماعي

– الشخصية بمعنى الانطباعات التي يتركها الفرد في الآخرين.

قام ألبورت بمراجعة جميع التعريفات التي وردت من مختلف العلماء في مختلف المجالات للشخصية وخرج بخمسين تعريفا صنفها في خمس مجموعات :

– الشخصية كمثير :

وهو نفس المعنى الشائع للشخصية من كونها ما يتركه الفرد من انطباعات في الآخرين

الانتقادات الموجهة لهذه التعريفات :

– هذا التعريف يجعل للفرد عدة شخصيات تختلف باختلاف الناس حوله .

¹AbdelghaniMegherbi, La Culture et La Personnalite dans La SocieteAlgerienne De Massinissa a Nos Jours, , p60

— هذا يعني أن الوسيلة الوحيدة لدراسة الشخصية هي معرفة انطباعات الناس عن هذا الشخص ،وعلى الرغم من أن انطباعات الناس قد تستخدم في دراسة الشخصية لكنها ليست الوسيلة الوحيدة بل تجتمع معها وسائل أخرى .

التعريفات الجامعة :

تحاول جمع جميع الصفات التي تستخدم لوصف الفرد فتعرف الشخصية مثلاً بأنها مجموعة الاستعدادات والعادات والميول والدوافع المختلفة للفرد .

الانتقادات الموجهة إليها :

— أنها قليلة الفائدة وتفتقر للتنظيم .

— عارضها الجشطالت الذي يرفضون أي فكرة عن الظواهر النفسية باعتبارها مجموعة أجزاء .

التعريفات التكاملية:

تعرف الشخصية بأنها ما ينظم وينسق بين جميع نشاطات الفرد .

التعريفات الكلية:

تعالى في فكرة التنظيم وتغفل العناصر المكونة للشخصية، فترى مثلاً أن الشخصية هي النموذج الكلي لسلوك الفرد.

الانتقادات الموجهة لها:

أنها لا تمكننا من تحليل الشخصية ودراستها.

التعريفات التي تؤكد التوافق:

وتعرف الشخصية بأنها نموذج التوافق الخاص بالفرد مع بيئته .

الانتقادات الموجهة إليها:

من العلماء من يقصر التوافق على التوافق الاجتماعي وهذا التحديد غير مقبول.

التعريفات التي تؤكد على الفردية:

وهي ترى أن الشخصية هي صفة التفرد والتميز في سلوك الفرد.

التعريفات المتعددة العوامل.

وهي ترى أن تعريف الشخصية ينطلق من عدة عوامل، ومنها مثلاً تعريف ألبورت الذي يتضمن عوامل التكامل والتنظيم والتوافق .

هل يمكن الإجماع على تعريف واحد للشخصية:

كل عالم يعرف الشخصية من خلال النظرية التي يعتنقها، لذلك لا يمكن الاجتماع على تعريف واحد لاستخدامه بشكل عام في علم النفس.

لكن معظم العلماء يميلون إلى تعريف ألبورت للشخصية وهو: "الشخصية هي التنظيم الدينامي للفرد لتلك الأجهزة الجسمية النفسية التي تحدد طابعه الفريد في التوافق مع بيئته".

1.1 - نظريات الشخصية:

نظريات الأنماط :

هذه النظريات تصنف الناس إلى أنماط لكل نمط مجموعة من الصفات .

ومنها :

النظريات القديمة :

- نظرية هيبوقراط¹

النظريات الحديثة وتتضمن قسمين² :

أ - نظريات الأنماط الجسمية :

– نظرية كرتيشمر

– نظرية شيلدون

ب - النظريات النفسية :

– نظرية كارل يونج

نظرية هيبوقراط :

وضع أربعة أنماط تقابل السوائل الأربعة في الجسم: الدم – الصفراء – السوداء – البلغم .

وهذه الأخلاط تقابل العناصر الأربعة في الحياة: الهواء – الماء – النار – التراب .

فإذا زاد أحد الأخلاط زاد أحد الأمزجة الأربعة لدى الشخص :

¹سامية حسن الساعاتي، الثقافة و الشخصية، مرجع مذكور، ص 113

²نفس المرجع، ص 115

– النمط الدموي: يتميز بالنشاط، والمرح، والتفاؤل، وسرعة الاستثارة، وسرعة الاستجابة

– النمط السوداوي: ويتميز بالانطواء، والتأمل وبطء التفكير، والتشاؤم، والميل للحزن والاكتئاب .

– النمط الصفراوي: ويتميز بسرعة الانفعال والغضب وحدة المزاج والصلابة، والعناد والقوة .

– النمط البلغمي: ويتميز بالخمول، وتبذل الشعور، وقلة الانفعال، وعدم الاكتراث، وبطء الاستثارة والاستجابة والميل إلى الشراهة .

نظرية كرتشمير:

قام كرتشمير بملاحظة عينة من مرضاه بعضهم مصاب بذهان الهوس – الاكتئاب، وبعضهم مصاب بالفصام، وتبين له أن المصابين بالذهان الدوري هم من النمط النحيل الطويل، والمصابين بالفصام هو من النمط النحيل البدين .

الانتقادات التي وجهت إلى النظرية :

- أن كرتشمير في دراسته للعينة أغفل عوامل كثيرة قد تؤثر في النتائج، كعامل السن لأفراد العينة .

- أنه يصعب تصنيف الشخص في هذا النمط أو ذاك، لأن معظم الناس يجمعون صفات الأنماط المختلفة، ولا تظهر الصفات واضحة إلى في الحالات المتطرفة . (وهذا الانتقاد عام على جميع نظريات الأنماط) .

نظرية شيلدون :

تعتبر نظرية شيلدون أكثر تعقداً وشهرة من سابقتها .

ويرى شيلدون أن خصائص الشخصية تتوزع توزيعاً متصلاً على ثلاثة أبعاد .

وقد وضع لكل نمط بدني نمطا مزاجيا ووضح السمات الشخصية لكل نمط مزاجي :

النمط البدني	النمط المزاجي	سمات الشخصية
الداخلي التركيبي (الحشوي) ويتسم بالبدانة	الحشوي الأساسي	اجتماعي - معتدل المزاج - يحب الاسترخاء - - حب المتعة - الشراهة في الاكل - الهدوء الانفعالي - بطء الاستجابة
المتوسط التركيب (العظمي) ويتميز بقوة الجسم	الجسمي الاساسي	عدواني - لا يهتم بمشاعر الآخرين - يحب المغامرة والنشاط العضلي - ميل إلى السيطرة
الخارجي التركيب (الجلدي)	المخي الأساسي	يكبت انفعالاته ومشاعره - يحب العزلة والسرية والتأمل الذاتي - عاداته سيئة في النوم

الانتقادات الموجهة لنظرية شيلدون:

أنه كان متحيزا في تقدير الارتباطات بين سمات الشخصية والأنماط المزاجية.

النقد الموجه لنظريات الأنماط الجسمية :

أنها تقترض أن تكوين الجسم يحدد سمات الشخصية ،على الرغم من أن معظم علماء النفس يرون أن الارتباط بين التكوين الجسدي وسمات الشخصية لا يعنى بالضرورة كون التكوين الجسدي هو الذي أدى لتلك الصفات ،بل قد تتكون الصفات نتيجة عوامل أخرى .

نظريات الأنماط النفسية :

نظرية كارل يونج :

رأى كارل يونج أن علاقة الفرد بالعالم الخارجي تتم من خلال إحدى طريقتين ،الانبساط والانطواء .

وبذلك فهناك نمطان ¹:

الانبساطي : وهو يتميز بأن انتباهه وتركيزه موجهان نحو البيئة الخارجية ،ويحب التواجد بين الناس ،وتكوين العلاقات معهم ،وتصدر أقواله وأفعاله عن عوامل موضوعية ،وهو واقعي ،ويحب العمل الذي يجعله بين الناس .

الانطوائي : وهو يحب العزلة ،ويبتعد عن الاختلاط بالناس ،وتصدر أقواله وأفعاله من عوامل ذاتية ،وهو يحب التأمل وأحلام اليقظة ،ويفتقر إلى الثقة بالنفس وهو يفضل العمل الذي يبعده عن الناس .

وإلى جانب هذين القسمين ،رأى يونج أن هناك أربعة وظائف أساسية يستخدمها الفرد في توجيه نفسه في العالم وهي : التفكير والوجدان والإحساس والحدس .

وبذلك تتكون ثمانية أنماط من الشخصية .

¹فؤاد حيدر ،علم النفس الاجتماعي، مرجع مذکور، ص ص (110-113)

- نظرية التحليل النفسي :

رأى فرويد أن الشخصية مكونة من ثلاثة أنظمة هي الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى ، وأن الشخصية هي محصلة التفاعل بين هذه الأنظمة الثلاثة¹ .

الهو :

الهو هو الجزء الأساسي الذي ينشأ عنه فيما بعد الأنا والأنا الأعلى .

■ يتضمن الهو جزئين :

○ جزء فطري : الغرائز الموروثة التي تمد الشخصية بالطاقة بما فيها الأنا والأنا الأعلى .

○ جزء مكتسب : وهي العمليات العقلية المكبوتة التي منعها الأنا (الشعور) من

الظهور

■ ويعمل الهو وفق مبدأ اللذة وتجنب الألم .

■ ولا يراعي المنطق والأخلاق والواقع

■ وهو لا شعوري كلية

الأنا :

■ يعمل الأنا كوسيط بين الهو والعالم الخارجي فيتحكم في إشباع مطالب الهو وفقا للواقع

والظروف الاجتماعية .

■ وهو يعمل وفق مبدأ الواقع .

■ ويمثل الأنا الإدراك والتفكير والحكمة والملاءمة العقلية .

■ ويشرف الأنا على النشاط الإرادي للفرد .

¹ نوال محمد عطية، علم النفس و التكيف النفسي و الاجتماعي، مرجع مذكور، ص ص (95-97)

- ويعتبر الأنا مركز الشعور إلا أن كثيراً من عملياته توجد في ما قبل الشعور، وتظهر للشعور إذا اقتضى التفكير ذلك .
 - ويوازن الأنا بين رغبات الهو والمعارضة من الأنا الأعلى والعالم الخارجي، وإذا فشل في ذلك أصابه القلق ولجأ إلى تخفيفه عن طريق الحيل الدفاعية .
- الأنا الأعلى :**

- يمثل الأنا الأعلى الضمير، وهو يتكون مما يتعلمه الطفل من والديه ومدرسته والمجتمع من معايير أخلاقية .
 - والأنا الأعلى مثالي وليس واقعي، ويحثه للكمال لا إلى اللذة – أي أنه يعارض الهو والأنا .
 - إذا استطاع الأنا أن يوازن بين الهو والأنا الأعلى والواقع عاش الفرد متوافقاً، أما إذا تغلب الهو أو الأنا الأعلى على الشخصية أدى ذلك إلى اضطرابها .
 - أنظمة الشخصية ليست مستقلة عن بعضها، ويمكن وصف الهو بأنه الجانب البيولوجي للشخصية، والأنا بالجانب السيكولوجي للشخصية، والأنا الأعلى بالجانب الاجتماعي للشخصية .
- نقد نظرية فرويد :

- 1- عينة الدراسة التي استخدمها فرويد هي من مرضاه النفسيين لذلك لا يصح تعميمها على الأسوياء .
- 2- يخضع فرويد ملاحظته للأسلوب العلمي .
- 3- أسرف في تأكيد أثر الطاقة الجنسية في توجيه سلوك الفرد .
- 4- أكد على دور الدوافع البيولوجية الغريزية في تكوين الشخصية وأهم دور العوامل الاجتماعية والثقافية .

إجابيات نظرية فرويد :

1 - تأكيده أثر السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل .

2 - إدخاله لمفهوم اللاشعور في علم النفس

3 - توضيحه للحيل الدفاعية للأنسا .

3 - نظريات السمات :

ترى هذه النظريات أنه يجب تحديد عدد كبير من السمات المشتركة بين الناس للتعرف على شخصية الفرد.

السمات :

أنماط سلوكية عامة ثابتة نسبيا تصدر عن الفرد في مواقف كثيرة وتعبر عن توافقه مع البيئة .

أهم نظرية في نظريات السمات هي نظرية ألبورت .

نظرية ألبورت :

يرى ألبورت أن السمات تنقسم لقسمين :

أ - السمات العامة : وهي المشتركة بين كثير من الناس بدرجات متفاوتة ، وتكون موزعة بينهم توزيعا اعتداليا .

ب - السمات الفردية : وهي التي تخص فردا معينا ، وهي السمات الحقيقية في نظر ألبورت والتي يمكن من خلالها وصف شخصيته بدقة .

السمات الرئيسية والمركزية والثانوية:

السمة الرئيسية : هي سمة واحدة تسيطر على شخصية الفرد وسلوكه .

السمات المركزية : تتراوح بين خمس إلى عشر سمات في الشخص الواحد وتكون مميزة لشخصيته وسلوكه .

السمات الثانوية : هي سمات غير مميزة لشخصية الفرد ولا تظهر إلى في بعض المواقف.

نقد نظرية السمات لألبورت :

1- أنه لا يمكن وصف الشخصية من خلال مجموعة من السمات فقط، بل لا بد من

معرفة العلاقات بين تلك السمات .

2- أن ألبورت افترض وجود السمة وجودا حقيقيا في الشخصية، رغم أن علماء

النفس، من يرى أن ثبات الشخصية لا يرجع إلى ثبات سمات الفرد فقط بغض النظر عن بيئة الفرد .

3- أن النظرية لم تستطع وضع أبعاد للسمات الفردية، وهذا يتطلب من الباحث أن يضع

لكل شخصية أبعادها بنفسه، وهذا من شأنه أن يثبط همة الباحث العلمي .

4 - نظريات الذات :

تتجه هذه النظريات لدراسة الشخصية دراسة كلية دون تجزئتها، وزعيم هذه

النظريات هو كارل روجرز .

ويرى روجرز أن تكوين الشخصية يكون بناء على خبرات الفرد وإدراكه وتقييمه لها .

فمن خلال التفاعل المستمر بين الفرد وبيئته وتعرضه للتقييم من قبل المحيطين به يتكون مفهومه عن ذاته .

ومفهوم الذات هو ما يحدد معظم سلوكيات الفرد .

ويحاول الفرد أن يوفق بين خبراته التالية ومفهوم ذاته، فما يجده ملائما لمفهوم ذاته

يتقبله، وما يعارضها يتجاهله أو يشوهه حتى يصبح بشكل يمكن أن يوافق مفهومه لذاته وإذا

كثر تجاهل الفرد وتشويبه للخبرات التي تخالف مفهومه عن ذاته أصبح الفرد عرضة للاضطراب النفسي .

ويقوم العلاج في هذه النظرية – العلاج المركز حول العميل – على إعادة نظر الفرد لخبراته ، وإعادة بناء شخصيته بحيث يكون علاقة متسقة بين مفهوم ذاته وخبراته التي كان ينكرها أو يشوهها .

نقد نظريات الذات :

انتقدت نظريات الذات في تأكيدها على أثر الخبرة الشعورية في تكوين الشخصية وإهمالها أثر الدوافع اللاشعورية .

● قيمة أي نظرية في علم النفس تنبع من قدرتها على التنبؤ بالسلوك وضبطه، وقدرتها على توليد البحث العلمي .

● لا توجد نظرية كاملة في علم النفس ، ولا يمكن الجمع بين نظرياته للخروج بنظرية واحدة لأن :

- كثير من النظريات ينقصها الوضوح والتحديد لعناصرها .

- هناك تناقض واضح بين بعض النظريات يصعب حسمه .

2.1- العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية:

يتأثر تكوين الشخصية بكل من الوراثة والبيئة.

1 - تتمثل الوراثة في حالة الجهازين العصبي والهرموني .

2 - تتضمن العوامل البيئية ثلاثة أنواع :

(أ) عوامل جغرافية .

(ب) عوامل اجتماعية وتشمل :

- الإطار الثقافي العام ويشمل القيم والعادات والمعايير الاجتماعية.

- عوامل ثقافية فرعية : خاصة بالطبقة الاجتماعية والأسرة والمدرسة والأصدقاء والنوادي

- عوامل ثقافية فردية مثل الدور الجنسي للفرد ، والدور المهني ..

3 - عوامل اتفاقية التي تطرأ على حياة الفرد.

أولا العوامل الوراثية:

البعد التكويني:

إن الخلية المخصبة تحتوي على 23 زوجا من الكروموسومات، زوج واحد يخص

جنس الجنين، وبقية الكروموسومات تحمل الخصائص الجسمية المادية، وقد تحمل

الاستعدادات المرضية التي تنقلها عن طريق الجينات من جيل لجيل .

قد ينقل الفرد صفات كانت موجودة عند أجداده وليست موجودة فيه لمن خلفه، وقد

تحدث طفرة فتظهر صفات لم تكن موجودة في تلك السلسلة .

الغدد الصماء :

من العوامل الوراثية المؤثرة في الشخصية الغدد التي تفرز الهرمونات والتي يتسبب اضطراب إفرازها في اضطراب جوانب مختلفة من الشخصية .

إن التأثير بين سمات الشخصية والغدد تأثير متبادل ،فاضطراب إفراز الغدد يؤثر في الشخصية ،واضطراب الشخصية يؤثر في إفراز الغدد .

أهم الغدد وأثرها في الشخصية:

إفرازها	الغدة	
نقص إفرازها: - الخمول والبلادة وسرعة التعب - بطء التفكير والحركة - فقد الشهية	زيادة إفرازها : - زيادة نشاط العمليات الحيوية - تجعل الفرد قلقا سريع الاحتياج - عدم الاستقرار الحركي والانفعالي	الغدة الدرقية
يزداد إفرازها في حالة الانفعال العنيف لمواجهة الطوارئ		الغدتان الإدريناليتان
تفرزان هرمون الكورتين اللازم لمقاومة العدوى		
نقص إفرازها : - الشعور بالضعف العام - ضعف الدافع الجنسي - انخفاض عملية الأيض - سرعة الاحتياج - الاكتئاب والأرق	زيادة إفرازها: تضخم خصائص الذكورة عند الإناث ،وتضخم خصائص الأنوثة عند الذكور	قشرة الغدتين الكظريتين
- نضج الأعضاء التناسلية - ظهور الخصائص الثانوية عند الجنسين		الغدة التناسلية
نقص إفرازها : - القزامة - ضعف بنية الجسم - تعطل نمو الأعضاء التناسلية - الخضوع	زيادة إفرازها: - العدوانية - خشونة الجلد - النضج الجنسي المبكر	الغدة النخامية

ثانيا : أثر العوامل البيئية في الشخصية :

(أ) أثر العوامل الجغرافية في الشخصية :

للبيئة الطبيعية أثر في تنمية بعض الصفات ،ومنع صفات أخرى من الظهور .
وتؤثر البيئة الطبيعية في شخصية الجماعة بأسرها ،وفي شخصيات الأفراد الذين تتكون منهم الجماعة .

(ب) أثر العوامل الاجتماعية في الشخصية :

- أثر ثقافة المجتمع :

تؤثر ثقافة المجتمع في عادات أفرادها واتجاهاتهم وأساليب تفكيرهم وقيمهم ومعاييرهم وتعبيرهم عن دوافعهم وانفعالاتهم .

وتتفرع من الثقافة العامة للمجتمع ثقافات فرعية ،تزيد من اختلاف افراد المجتمع الواحد.

- أثر عوامل الثقافات الفرعية في الشخصية :

من هذه العوامل : الأسرة ، والمدرسة.

الأسرة :

الأسرة هي المنظمة الاجتماعية الأولى في عملية نقل التراث الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي لأن:

- لأن الطفل في البداية لا يكون خاضعا لتأثير جماعة أخرى غير الأسرة.
- لأن الطفل في الخمس سنوات الأولى من حياته يكون سهل التأثر والتشكيل، شديد القابلية للإيحاء .

- الطفل يكون قليل الخبرة، ضعيف الإرادة وفي حاجة دائمة لمن يشبع حاجاته العضوية والنفسية.

- لأن التطبيع الاجتماعي يكون مركزا في هذه الفترة.

المدرسة :

خروج الطفل إلى عالم جديد يحتم عليه تكوين علاقات وتفاعلات جديدة، ويكلفه بواجبات جديدة، ويجعله يخضع لنظام المدرسة وسلطة المعلم، كل ذلك له أثره على شخصية الطفل:

- تجعله يشعر بقدر من الاستقلال.
- توسع دائرة علاقاته الاجتماعية.
- تجعله أكثر واقعية، وتخلصه من التمرکز حول ذاته.
- توسع مداركه بمناهجها .
- تدعم عاداته واتجاهاته السليمة، وتكسبه عادات واتجاهات جديدة، وتقوم ما لديه من عادات واتجاهات خاطئة .

أثر الدور الاجتماعي في الشخصية :

- الدور: هو نمط السلوك المرتبط بمركز معين في المجتمع.
- وهو يختلف باختلاف: الثقافة، والسن، والجنس، والمهنة.
- والدور الذي يلعبه الفرد ينمي سمات معينة في شخصيته، ويمحو سمات أخرى.
- وعجز الفرد عن القيام بدوره يمس عاطفة احترامه لذاته مما قد يعرض شخصيته للاضطراب .
- ويندر أن يقوم الفرد بدور واحد بل إنه في الغالب يلعب عدة أدوار في نفس الوقت، وقد يحصل صراع بين هذه الأدوار.
- وانتقال الفرد إلى دور جديد من شأنه أن يجعله يتنازل عن عادات مألوفة ويأخذ بممارسة عادات جديدة غير مألوفة، وهذا قد يجعله يصاب بأزمة نفسية عنيفة في بعض الحالات.

تغير الشخصية :

- تتغير الشخصية بتغير العادات والاتجاهات والخبرات وطرق التفكير.
- ويكون التغير في الشخصية سريعاً في السنوات الأولى من الحياة ثم يأخذ في البطء حتى لا يكاد يظهر تغير ملحوظ في مرحلة الرشد.
- وتغير الشخصية قد يحدث بقصد من الإنسان ،أو دون قصد منه .
- و يصعب على الراشد تغيير سماته المزاجية والعصابية وسمات الطفولة المبكرة.

الحكم على الشخصية وقياسها :

أهداف قياس الشخصية :

- أهداف علمية نظرية تتمثل في الإجابة على التساؤلات وحل المشكلات العلمية.
- التوجيه والاختيار المهني
- تشخيص أسباب سوء التوافق لدى المشكلين ومضطربي الشخصية
- قياس مدى التحسن في العلاج النفسي
- طرق قياس الشخصية :

1 – الملاحظة :

هناك طريقتان رئيسيتان للملاحظة هما :

- أ – الملاحظة المباشرة : وفيها يقوم الباحث بملاحظة الفرد في أحد مواقف الحياة الطبيعية وتقدير سمات شخصيته ،وهو يستطيع ضبط بعض متغيرات الموقف .
- ب – اختبارات الموقف : يقدم للفرد موقف شبيه بمواقف الحياة بحيث تظهر فيه السمات المراد قياسها ،وعادة يعلم الفرد أنه في موقف اختبار لكنه لا يعلم أي سمة يقيسها هذا الاختبار

إيجابيات الملاحظة :

أن الملاحظ يرى سلوك المفحوص مباشرة ،ولا يستند إلى رواية المفحوص لسلوكه .

عيوب الملاحظة :

- أن الملاحظ قد يسيء تفسير سلوك المفحوص .

- أنها انتقائية ،تقتصر على أوقات محددة ،ومواقف محددة ..

2 - المقابلة الشخصية :

هي أكثر طرق قياس الشخصية استخداما، لكنها ليست أكثرها دقة، حيث لا يمكن ضبط جميع العوامل المؤثرة في المقابلة

أنواع المقابلة:

المقابلة المقننة: وتتكون من مجموعة أسئلة محددة معدة من قبل توجه بطريقة موحدة .

من مزايا هذا النوع أنها تسهل المقارنة بين الأفراد ،وتضمن تغطية جميع الموضوعات الرئيسية .

المقابلة غير المقننة : لا تتضمن أسئلة محددة ،وتترك للفاحص استقصاء البيانات التي يرى أنها هامة .

لقد أثبت هذا النوع نجاحه في الإرشاد و العلاج النفسي .

غير أن من عيوب هذا النوع أنه لا يمكن من المقارنة بين الأفراد.

وقد ظهر حديثاً نوعان جديان للمقابلة :

المقابلة الضاغطة والمقابلة المنهكة:

وعادة يقوم بها عدد من المقابلين ،وتهدف المقابلة الضاغطة للكشف عن سلوك الفرد تحت مواقف ضاغطة ،أما المقابلة المنهكة فتهدف إلى إضعاف الفرد لكشف الأقنعة التي يتقنعها أثناء المقابلة وعادة ما تأخذ وقتاً طويلاً .

3 – مقاييس التقدير:

قد تكون مقاييس التقدير فردية بحيث يتم تقدير ما لدى الفرد من سمات تقديراً كمياً.

وقد يكون ترتيباً لمجموعة من الأفراد حسب ما لديهم من سمة معينة .

وقد يقوم الفرد بتقييم ذاته ،أو يقوم عدد من الأشخاص بتقييمه من خلال ما يجمعونه عنه من معلومات عن طريق المقابلة والملاحظة .

4 – اختبارات الشخصية:

الاختبار الشخصي : هو مجموعة من الأسئلة تقيس سمة معينة أو عدة سمات من الشخصية. ويقوم الفرد باختيار الاجابة التي تنطبق عليه من عدة بدائل .

مزايا الاختبارات الشخصية :

- سهولة تطبيقها ،وتوفيرها للوقت والجهد .
 - موضوعيتها ،وسهولة استخدام نتائجها في المقارنة بين الأفراد .
- عيوب الاختبارات الشخصية :

- إمكانية تلفيق الأجوبة وإخفاء الحقائق فيها
- أن الفرد قد يجهل بعض نواحي شخصيته ،أو يدركها إدراكاً خاطئاً
- قد يخطئ الفرد في فهم بعض الأسئلة مما يؤثر على صحة النتائج

5 - الاختبارات الإسقاطية :

الاختبارات الإسقاطية : هي مواقف غامضة تقدم للمفحوص ويطلب منه الاستجابة لها .
ويقوم الفرد بإسقاط حالته النفسية على تلك المواقف الغامضة دون أن يشعر بذلك ، لذلك
تعتبر الاختبارات الإسقاطية من أهم وسائل الكشف عن الدوافع اللاشعورية .

مزاياها :

- أنها تقيس الشخصية ككل، ولا تقتصر على قياس سمة معينة.
- أن تطبيقها يخلو من التوتر الذي يصيب المفحوص أثناء الاستبيانات الشخصية.
- أن المفحوص لا يعلم ما تقيسه هذه الاختبارات وبالتالي لا يستطيع تزيف إجاباته.

عيوبها :

- عدم تقنينها مما جعلها تخضع لذاتية الفاحص في التصحيح والتقييم.

2- تعريف الشخصية من منظور القياس الاجتماعي:

إن القياس الاجتماعي يحاول قياس نوعية العلاقات داخل جماعة بكل موضوعية، إن المكونات العاطفية العلائقية المتبادلة هي التي نحاول قياسها، فالقياس الاجتماعي يكون عندها دراسة قياس التجاذب والتنافر بين الأفراد ذوي الانتماء إلى نفس الجماعة.

ويطلق على القياس الاجتماعي أيضا الدراسة الكمية للعلاقات الاجتماعية التي توجد لدى أفراد نفس الجماعة، وبهذه الطريقة نصل إلى وضع ترتيب معين مع الإشارة إلى أن الصعوبة التي قد تظهر تتمثل في الأفراد الذين قد بيض مقاومة ويتحايلون في إجاباتهم وهذا ما قد يجعل النتائج خاطئة¹.

وعليه يمكن القول بأن القياس الاجتماعي هو طريقة تحليل العلاقات الموجودة من بين أفراد نفس الجماعة، ولا بد من إظهار أن هناك علاقات ودوية مفضلة بين بعض أفراد الجماعة، كما أن هناك صراعات وتناقد قد يحدث بين أفراد آخرين، وقد نجم عدم اهتمام من طرف فريق ثالث من نفس الجماعة، إن بعض العناصر تتميز بقوة جلب اهتمامات مختلف العناصر ويظهر الفرد عندها كقائد، وهناك عناصر أخرى تقابل بالرفض تماما داخل المجموعة.

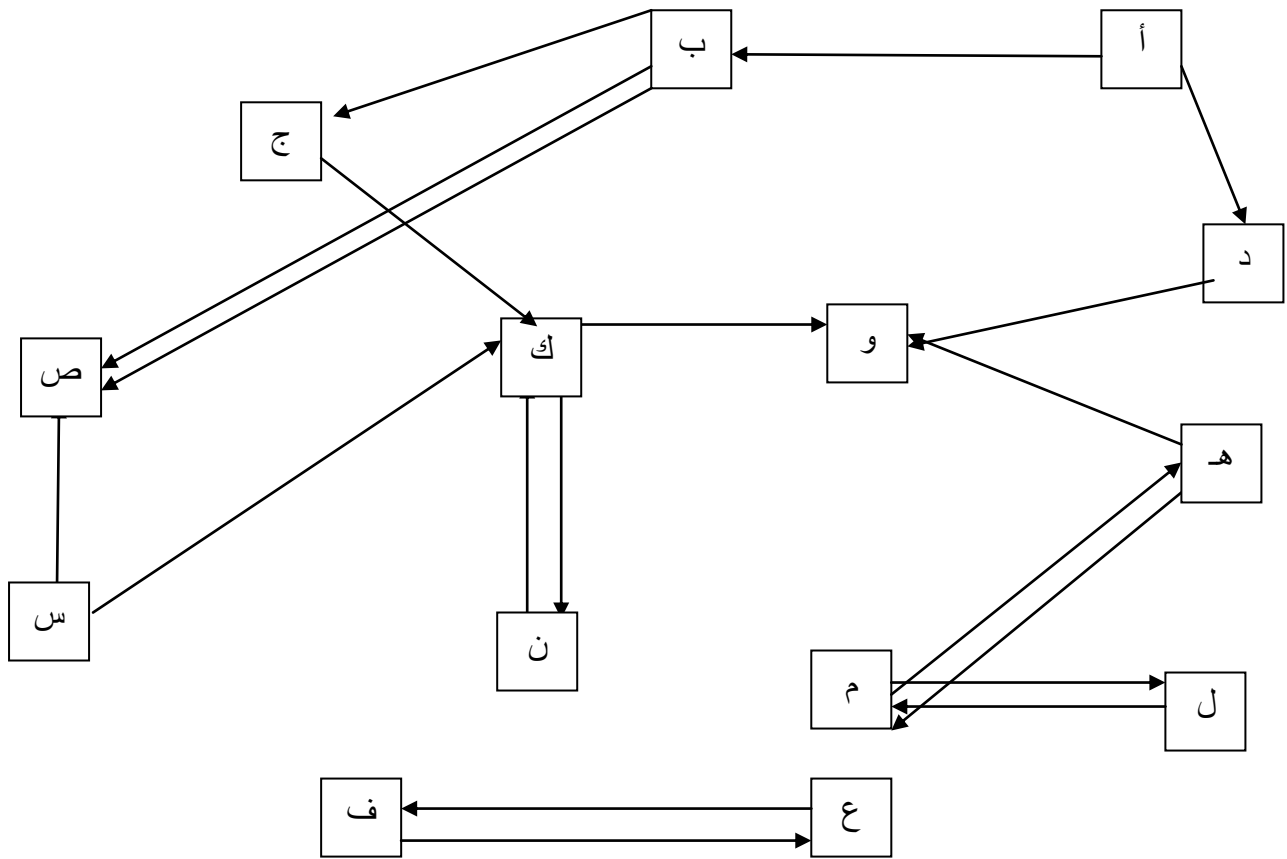
كيف تحدث هذه العلاقات وعلى أي أساس يتم التجاذب أو التنافر أو الرفض، فالقياس الاجتماعي يدرس مجموع هذه العلاقات ويحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ولكن كيف ستخدم القياس الاجتماعي مع العلم أن الطريقة المفضلة للقياس الاجتماعي في الخط البياني الاجتماعي، « Sociographe »².

¹ - محمد مسلم، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، منشورات قرطبة، الجزائر، 2007، ص 38.

² - نفس المرجع، ص 40.

كيف يتم ذلك؟ تطرح أسئلة سرية على الأفراد حول الأشخاص الذين يفضلونهم أو يرفضونهم داخل الجماعة، تم تنقل هذه العلاقات على خط بياني يشكل في النهاية شبكة علاقات:

أنظر الشكل الآتي:



ملاحظة: تتكون الجماعة من 14 فردا

إن هذا الشكل رقم 04 يمثل علاقات التجاذب والتنافر أو الرفض داخل الجماعة

ملاحظة:

- إن الحروف تمثل الأشخاص داخل الجماعة.
- إن الخطوط المتواصلة تمثل علاقات التجاذب أو الاختيار.
- إن الخطوط المتقطعة ذات الاتجاهين تمثل علاقات الرفض والتنافر من خلال القراءة لهذا الشكل يتم استخلاص ما يلي:

قراءة الخطوط المتواصلة

- إن حرف (د) يظهر الشخص الذي يمثل أكبر جاذبية، فهو إذن قائد لأن أكبر عدد الأسهم المتواصلة تتجه نحوه، وتقدر منه 3 خطوط متواصلة أيضا نحو (ن) و (و) و(ص) ليصبح عدد الخطوط الممثلة للقبول حول تساوي 07 أي أنه يقيم علاقات مع (07) أفراد من أصل 4 أفراد.

كما نقرأ أيضا على الشكل زوجية متفاعلة تمثلها الحروف (ع) و(ف) متجاذبة فيما بينها ولكن لا تخضع لأي رفض من طرف أفراد الجماعة وذلك لغياب الخطوط المتقاطعة منها ونحوها.

نقرأ أيضا أن الأفراد الذين يرمز إليهم بحروف (هـ)، (ل)، (م) يمثلون جماعة تحتية (sous-groupe) وتشير الخطوط إلى أن الحرف (م) مرفوض حتى من طرف القائد (ك)، في حين نجد أن (ل) لا يوجه ولا تتوجه إليه أي علاقة سلبية، لذلك قد يستخدم كحلقة وصل بين هذه المجموعة التحتية والجماعة ككل.

أما ما يتعلق بالحروف المتقطعة والتي تشير إلى الشعور السلبي أو الرفض:

- ليس هناك أي سهم متقطع يتجه نحو (ك) مما يؤكد قوته على القيادة.
- كما أن الزوجية المتفاعلة (ع)، (ف) لا تقابل بأي رفض من طرف الجماعة.

- نلاحظ أيضا أن (أ)، (ر) أشخاص يتم رفضهم من طرف الجماعة.

إن قياس الاجتماعي كما تبين من خلال الشكل السابق يدرس شبكة للتقارب والود داخل الجماعة، وما كان يصبوا إليه (Moréno) بكونه طبييا هو هل يمكن القيام بفحص تجانس وتلاحم الجماعة، وكيف يمكن استكشاف وجود جماعات تحتية؟ وكيف يمكن تطور جماعة ما، وكيف يمكن تأويل وتفسير التغيرات الملاحظة، وكيف يمكن دراسة قياس صحة هذه الجماعات، أو خللها، كلها أسئلة تدور حول موضوع الشخصية، الفرد، وقوة علاقته بالآخرين قد تكون جزءا أساسيا دالا على قوة علاقته بذاته، لأن الفرد الذي تنمو لديه العلاقات الاجتماعية بسرعة، قد يكون فردا متساويا مع ذاته، متوازنا، ولكن هذا ليس بالأمر الصحيح في المطلق وقد تختفي أمراض وعلل الأشخاص، حتى داخل الجماعات تكون مخفية أو تكون محمية بنوع من الذكاء الذي يمارسه الفرد على جماعته، ولهذا سننتقل الآن إلى الحديث عن أهم الأوبئة الاكلينيكية والنفسية التي تستمر داخل مجتمعنا، والتي تستنطق حالات مرضية موجودة في مجتمعنا نظرا لما تتعرض إليه من صراعات ونزاعات صادمة، وأحيانا تراكمية، يعجز الفرد في التصدي إليه، وما يهمننا في موضوع بحثنا هو أخذ هذه الأمراض من بعدها السوسولوجي والنقابي أكثر منها من البعد النفسي المحض وإذا كان قد يعجز القياس الاجتماعي في تحديد علمي وتحت الدراسة المجالات العلائقية وذلك لأنه لا يحيل الأدوات العلمية، ولا الوسائل المنهجية اللازمة، بل هو يقيس إلا ما يريد الفرد الادلاء به أو ما يريد التصرف به، فإن الطب العقلي والنفسي قد صنف حملة من الأمراض النفسية الاجتماعية التي يتعلق تصف عامة عجز الفرد عن اتباع سلوك اجتماعي سوي داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

3. الشخصية من منظور الاكتئاب:

ويعرف قاموس الطب النفسي كامبل (Campel 1981) الاكتئاب بأنه زملة اكلينيكية تشمل على انخفاض الايقاع المزاجي ومشاعر الامتعاض المؤلم وصعوبة التعبير وتأخر حركي نفسي، وقد يختفي التأخر النفسي الحركي إذا كان الفرد يعاني من قلق أو وساوس¹.

يحدد فلدلوشر Wildlocher (1991) من جهته خصائص السلوك الاكتئابي فيما يلي:

- تعطل كل من النشاط، والتفكير والرغبة وتصبح للأفكار مضامين سلبية سواء كان ذلك حول الذات أو حول العالم أو حول المستقبل.
- اضطراب في النوم وظهور بعض الأعراض الجسمية، فيصبح يبالغ في الأكل أو ينقص منه كما تشكو من سوء الهضم ويبدو له جسمه ثقيل ويحس بتعب معجز كما يتعطل نظام حياته وتتغير عاداته فيصبح لا يعرف نفسه ويحس أنه مختلف عن الآخرين، غير قادر على أي مبادرة، ويتألم لهذا التدهور والذي يلاحظ من طرف العائلة ويعتبر هذا لانقطاع عن نظام الحياة العادية مؤشر مهم في تشخيص الاكتئاب.

ويعتبر بيك Beck 1979، من أبرز الباحثين الذين اهتموا بموضوع الاكتئاب وهو صاحب النظرية المعرفية والعلاج المعرفي للاكتئاب²، وفي وصفه للفرد المكتئب يرى بيك أنه يعاني من ضعف في كل من غرائز الحفاظ على الذات والأهوية واختفاء بعض الدوافع البيولوجية الأساسية كالغضب والجنس، كما تظهر لديه صعوبة في النوم وفتور في جلب انتباه الآخرين وكل مشاعر الحب والحنان والعطف.

¹ - هدى كشرود، دراسة العلاقة بين المعاملة الوالدية والاكتئاب ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي ، جامعة الجزائر ، 2002-2003 ، ص 52.

² - نفس المرجع، ص 53.

1.3 - تصنيف الاكتئاب:

قسم الأطباء النفسانيون في الماضي الاكتئاب إلى نوعين "الذهاني" و"العصبي" وغالبا ما يطلق على النوع العصبي بالاستجابي أو النفسي، و هو تعبير يشير إلى أن حالة المريض هي إستجابة واضحة، إلا أنها مبالغ فيها، إزاء أحداث محددة مثل فقدان شخص عزيز، أو فشل عاطفي، أو فصل عن العمل، ويعتبر هذا النوع من الاكتئاب من خلال هذه الصورة خارجي المنشأ¹.

وقد يطلق على هذا النوع من الاكتئاب الاستجابي أو العصبي وتسيطر على مريض الاكتئاب العصبي حالة من الهم والحزن والانصراف عن الاستمتاع بمباهج الحياة، والرغبة في الموت مع شرط النشاط ونقص الحماس للعمل والانتاج، ويصاحب كل هذا أرق واضطراب في النوم، وهذه الأعراض التي تصاحب الاكتئاب العصبي لا تزول أو تخفف حدتها بمرور الوقت كما يحدث عند الأسوياء، بل تظل في شدتها مع مرور الزمن وقد تزداد. والاكتئاب العصبي أو النفسي لا تصاحبه هلاوس أو تخیلات.

أما النوع الذهاني فيشار إليه بأنه داخلي المنشأ، أي يرجع إلى شخصية المريض، دون أن يرتبط بأية أحداث خارجية، ولكن بعض السيكولوجيين وعلى رأسهم لويس (1966) (Lewis)، لا يرون أن هناك فروقا كيفية بينهما، فالأكتئاب شأنه شأن الألم يمتد على مدى طويل "بعد" متدرج في الشدة، ويكون الفارق بين أنواع الاكتئاب فارقا في الدرجة فقط².

ويصنف الاكتئاب ضمن الاضطرابات المزاجية، وتنقسم الاضطرابات المزاجية، تبعا لاحتواءها على الاكتئاب إلى أربعة أقسام، وكل قسم من تلك الأقسام يتفرع إلى فئات أخرى تتضمن أنماطا من حالة الاكتئاب كما يلي:

¹ - ستور أنطوني، فن العلاج النفسي، مكتبة النهضة المصرية، 1987، ص 33.

² - نفس المرجع، ص 35.

النوبات المزاجية: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام

- نوبة الاكتئاب الرئيسي
- نوبة الهوس
- نوبة مختلطة
- * الاضطرابات الاكتئابية ويمكن أن نذكر أهمها كما يلي:
- اضطراب الاكتئاب الرئيسي
- اضطراب اليأس
- اضطراب اكتئابي غير محدد

* اضطرابات ثنائية القطب:

- اضطراب ثنائي القطب الفئة الأولى
- اضطراب ثنائي القطب الفئة الثانية

* اضطرابات مزاجية أخرى:

تعود الاضطرابات المزاجية الأخرى إلى أسباب طبية عامة

أ-نوبة الاكتئاب الرئيسي:

الملامح الأساسية لهذا النوع هو فقدان الاهتمام، وعدم الاحساس بالسعادة من ممارسة أي نوع من أنواع الأنشطة في خلال فترة لا تقل عن أسبوعين وقد يعاني الفرد في تلك الفترة من تغير في الشهية أو الوزن أو النوم أو الأنشطة الحركية ونقص في الطاقة والحيوية والشعور بفقدان قيمة النفس أو الشعور بالذنب أو الصعوبة في التفكير والتركيز وإتخاذ القرار أو الاشتغال بأفكار منشورة حول الموت والانتحار أو التخطيط له، أو حتى الإقدام عليه.

ولكي يشخص هذا النوع من الاكتئاب، يجب التأكد من أن الأعراض قد استجدت على حياة الفرد، أو أنها ازدادت سوءا عما كانت عليه حالته من قبل ويجب أن تكون تلك الأعراض ظاهرة على الفرد طوال اليوم، وتقريبا كل يوم ولمدة لا تقل عن أسبوعين متواصلين ويجب أن يصاحب نوبات الاكتئاب تلك ضعف واضح في العلاقات الاجتماعية والوظيفية ويوصف مزاج الشخص الذي عليه أعراض نوبة الاكتئاب الرئيسي بالحزن، وفقدان كل الأمل والشجاعة ويلاحظ أن بعض الحالات لا تذكر في البداية مشاعر الحزن ولكن يتم الاستدلال على ذلك من خلال المقابلة الاكلينيكية.

ب-اضطراب الاكتئاب الرئيسي:

يتميز اضطراب الاكتئاب الرئيسي بوجود نوبات اكتئابية تتميز بالحزن، وفقدان القدرة على الاستمتاع بكل أنواع الأنشطة، والشعور المستمر بالوهن والتعب. ويلاحظ نسبة ارتفاع الوفيات في هذا النوع من الاكتئاب، حيث ما حوالي 15% منهم يموتون منتحرين¹.

¹- فهمي مصطفى، التكيف النفسي، دار الطباعة الحديثة، مكتبة مصر، مصر، ص 53

وتدل الدراسات الوبائية، على أن حالات الانتحار تزداد بين الأفراد الذين يتجاوزون الخامسة والعشرين من العمر، كما يلاحظ أن المكتئبين يتوفون في السنة الأولى التي يدخلون فيها دور الرعاية، ويعانون من آلام جسدية (المكتئبين) وانخفاض نشاطهم البدني والاجتماعي بشكل ملحوظ، وقد يصاحب هذا النوع من الاكتئاب كثير من الاضطرابات النفسية مثل، تعاطي المخدرات والمسكرات، واضطرابات الوسواس القهرية، واضطرابات الأكل مثل فقدان الشخصية العصبية Anorexia nervosa أو زيادة الشهية العصبية¹Bulimianervose

ج- اضطرابات اليأس

الخاصية الواضحة لهذا النوع من الاكتئاب تظهر في وجود إكتئاب المزاج المزمن والتي تتكرر كل يوم لمدة لا تقل عن السنتين، ويسود الحزن والكآبة مزاج المريض، وتظهر خلال هذه الفترة الأعراض التالية:

نقص شديد في الشهية أو زيادة ملحوظة في الأكل، الأرق أو لنوم الزائد، انخفاض مفهوم الذات.

- ضعف في التركيز وصعوبة في اتخاذ القرار.
- نقص في الاهتمامات.
- النقد المستمر للنفس.
- كما أن الشخص يعتبر نفسه شخصا تافها أو عاجزا

¹-إبراهيم عبد الستار، الإكتئاب (إضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليب علاجه، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1988، ص 87.

2.3 - اضطرابات مزاجية راجعة لأسباب طبية عامة:

الصفة الغالبة لهذا النوع من الاكتئاب هي الاضطراب المسيطر والدائم للمزاج والذي يرجع بصورة مباشرة إلى أسباب مرضية طبية ويشمل اضطرابات المزاج نقصا ملحوظا في الاهتمامات، و مزاجا مستثارا ويجب أن يكون هناك أدلة مستقاة من التاريخ التطوري والفحص الطبي والنفسي للتأكد من ما يعاني منه الفرد يعود إلى أسباب طبية مرضية ويلاحظ هذا النوع من الاكتئاب الذي يرجع إلى أسباب مرضية مقارنة بالأنواع الأخرى من الاكتئاب أنه ينتشر بشكل متساو بين الجنسين كما أن حالات الانتحار تزيد تبعا لتردي في الحالات المرضية عند الشخص.

4 - الشخصية من منظور اضطرابات القلق:

يعتبر القلق حالة من التحسس الذاتي يدركها الفرد على شكل شعور بالضييق وعدم الارتياح مع توقع حدوث الضرر والسوء وهي حالة أشبه ما يكون في طبيعتها الشعورية والانفعالية بحالة الخوف الذي هو إحساس غير طبيعي فهو خوف لا يتصل بموضوع معين¹.

1.4- تعريف القلق:

عرض مسرمان (Masserman) القلق بأنه حالة من التوتر الشامل الذي ينشأ خلال صرعات الدوافع، ومحاولة الفرد للتكيف، بمعنى أنه مظهر من مظاهر العمليات الانفعالية بجانبها الشعوري واللاشعوري، فالجانب الشعوري للقلق يتمثل في الخوف الفرع الشعور بالعجز، الإحساس بالذنب ومشاعر التهديد أما الجانب اللاشعوري فيتمثل في معاناة الفرد والخوف دون إدراك للعوامل التي تدفعه إلى هذه الحالة².

2.4 - أنواع القلق:

يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من اضطرابات القلق:

أ- **القلق الموضوعي:** عندما يدرك الفرد أن مصدر القلق خارجي تقول أنه يعاني قلق موضوعيا وهو رد فعل لإدراك الخطر الخارجي.

ب- **القلق العصبي:** يرى فرويد أن القلق العصبي يظهر في ثلاثة صور رئيسية:

صورة القلق العام:

هي أدنى صورة للقلق إذ أنها غير مرتبطة بأي موضوع محدد، وكل ما هناك أن الفرد يشعر بحالة من الخوف الغامض المنتشر وغير المحدد.

¹ - علي كمال، النفس وانفعالياتها وأمراضها وعلاجها، دار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص 65.

² - نفس المرجع، ص 67

صورة المخاوف المرضية:

يتضمن كل المخاوف المرضية، كإدراك بعض الموضوعات المحددة باعتبارها مثيرات للقلق، كالخوف من رؤية الدم، أو الحشرات وتؤكد على أن درجة هذه المخاوف لدى هؤلاء الأشخاص، لا تتناسب إطلاقاً مع الخطر الحقيقي المتوقع من الموقف المرتبط بالقلق.

قلق في صورة تهديد:

يظهر في صورة قلق مصاحب لأعراض المرض النفسي كالهستيريا، مثل حيث يشعر المصاب بهذه الأعراض، بالقلق وأحياناً خوفاً من توقع الخطر الذي يجعله موقف تهديد.

ينتاب الإنسان القلق على شكل نوبات حادة عنيفة، أو أنه يتكرر ويلزمه لفترة طويلة ويصل الوضع كذلك حتى يخف تدريجياً ويشفى، ولهذا يمكن أن نقسم أعراض القلق إلى:

- نوبات القلق الحادة أي التي تأتي بشكل عنيف.
- إستجابة القلق المستديمة والمزمنة، أي التي تأتي بشكل بسيط ومتكرر لكنها تبقى المصاب في حالة عدم ارتياح مستديمة، وفيما تظهر الأعراض الجسمية والخوف من المرض أو الخوف من الأشياء الاعتيادية التي لا تستوجب الخوف⁽¹⁾.
- لنوبات القلق الحاد والتي تظهر بشكل مفاجيء عدة أشكال ومنها:
 - نوبات الانهيار الحاد وتكون مصحوبة بالخوف الحاد والتوتر الشديد والاضطراب الحركي والعضلي.
 - حالة الرعب وهنا يزداد التوتر الحركي ويميل إلى شبه الجمود وعدم القدرة على الحركة.

¹ - عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الطبي، منشأة الناشر والمعارف، مصر، 1990، ص48.

• القلق الاعمى وهو الناتج عن القلق الحاد الذي يشعر به المصاب، مع إرهاق وبرود في التعبير.

أما استجابة القلق المزمنة، فتظهر على شكل نوبات أبسط درجة من القلق الحاد لكن أعراضها تطول وتتكرر وهذه الأعراض تكون جسدية ونفسية وهي:

- الخوف الذي لا مصدر له ولا مبرر ولا تفسير له.
- صداع وتوتر في الرأس وأعلى الرقبة، الشعور بالدوار وعدم التوازن.
- صعوبة التركيز واضطراب في النوم والخوف من الجنون.
- نقصان في الوزن، اضطرابات عضوية متكررة وثابتة.

5- الشخصية من منظور الفصام:

إن الفكرة التي ترى بأنه يوجد ثقافات مجهزة أكثر من غيرها، وأن هناك نماذج ثقافية وضغوطات إجتماعية يمكن أن تعرض الأفراد للإصابة بالفصام، باعتباره حالة نادرة بل مفقودة في المجتمعات المتماسكة التي لها اتصال ضعيف بالمجتمعات الغربية أو تتميز بروابط أسرية صلبة واتجاهات التسامح والعطف¹.

ويظل devereux هو الباحث الذي أولى اهتماما كبير للنظرية الاجتماعية للفصام أو ما يسمى بالذهان العرقي².

فالذهان العرقي له علاقة بالنموذج الثقافي الغربي الذي يهيء الفرد في المجتمعات المتحضرة المعقدة بمرض الفصام وتطوره.

فوجود أو غياب الفصام في المجتمعات يبدو مرتبطا بتطور الثقافة في هذه المجتمعات إذ أن نسبة انتشار حالات الفصام تكون متصلة إلى حد كبير بالتحول التدريجي للبنى الاجتماعية والثقافية وبتطورها نحو أنماط مشابهة للأنماط الغربية.

وقد يقف نفس السبب وراء تزايد حالات الفصام في مجتمعا بسبب الاضطرابات التي يعرفها المجتمع الناجم عن التحول نحو الحياة العصرية وتكون فئة الشباب هي الفئة المعرضة أكثر إلى هذا النوع من الاضطرابات وإذا كانت آراء الباحثين تختلف حول موضوع التكوين الثقافي والاجتماعي في تأثيره على هذا الاضطراب وخصائصه الاكلينيكية.

¹– Ammar Sleim, Schizophrenie Et Facteurs Culturels, L'information Psychiatrique, Vol 52 N° 1, 1976 (PP 15-24)

²–Ammar Sleim, Ethnopsychiatrie et Psychiatrie Transculturelle : Introduction Aux Problème Posés Par L'impact De L'acculturation Sur La Santé Mentale Au Mghreb, tunisie, 1975, P 31

– بن عبد الله محمد، سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 169.

وإذا كانت آراء الباحثين تختلف حول موضوع التكوين الثقافي بالنسبة لظاهرة الفصام فإن أغلبهم يتفقون على دور العامل الثقافي والاجتماعي في تأثيره على هذا الاضطراب وخصائصه الاكلينيكية.

ومن هذه الخصائص التي تميز ظاهرة الفصام في مجتمعنا تشير إلى:

هيمنة هذيانات الاضطهاد والتسميم السحري والاستحواذ من قبل الجن وإلى المضامين الدينية الكونية والسياسية وإلى الشكاوى الجسمية وأعراض أخرى تسير في ظاهرة الهستيريا.

من الناحية العقلية، فتتمثل في انتشار النوبات الحلمية Bouffées oniroïdes والأشكال الدورية والأشكال الهيبفرنية Hébéphréniques بالنسبة للنساء وانتشار البرانونية Paranoïdes بالنسبة للرجال ولكن في المقابل تندر الحالات الفصامية من النوع الذهولي (stuporeuse) والكتاتوني (catatonique).

يتميز الشكل الفصامي البرانوني أو الهلوسي برود فعل حسية حركية متنوعة تشمل حالات الهدوء كما تشمل حالات التهيج الغاضب والاندفاع والعدوانية وهيمنة الأفكار الهذيانية البرانونية التي ترتبط أحيانا عند فئة قليلة من المرضى بأفكار جنون العظمة.

التأكيد على الاختلافات العرضية الموجودة في الأوساط الثقافية والاجتماعية المختلفة فيما يخص هذه الظاهرة، وإذا كان الانسحاب من العالم الخارجي وفقدان الاهتمام وفقد العاطفة والأفكار الهذيانية والهلوسات السمعية تعتبر أعراضا شائعة بكثرة في الأوساط الثقافية فإن الاختلافات يمكن أن تظهر على مستوى تشكل المرض وفي اضطراب الاتصال مع الواقع وفي اضطراب السلوك، فالشكل الكتاتوني قد يكون أقل انتشارا عند الأوروبيين والأمريكيين من الثقافات الأخرى في حين أن التهيج الكتاتوني يكون شائعا بكثرة بمجتمعنا.

ولهذا يعتبر اللامبالاة ورفض الاتصال من السمات الاكلينيكية الغائبة تماما في وسطنا الثقافي

6- لشخصية من منظور النوبة الهذيانية:

النوبة الهذيانية عنصر آخر من العناصر الأصلية المميزة للطب النفسي في الجزائر (سواء كان ذلك في الوسط الريفي أو الحضري).

فالنوبة الهذيانية هذه التي تتميز بطابعها الانفجاري العنيف والمفاجيء تبدو مرتبطة بتغيير العلاقات في المحيط الاجتماعي وبالضغوطات الخارجية التي تفرض على الفرد القيام بأدوار تكون غير منسجمة مع شخصيته، فظهور القيم الجديدة والأدوار المجهولة في المجتمعات المتحولة هي في الغالب مصدر للقلق والاضطراب ومن ثم فإن النوبات الهذيانية تشيع بكثرة في المدينة وحسب الأستاذ كولومب Collumb الانفجار الهذيان هو بمثابة حل لوضعية صعبة يعيشها الأفراد بسبب الصراعات والتصدعات التي تواجهه¹.

والنوبة الهذيانية يمكن ذكر خصائصها كالآتي:

- تسمح للشخص من تحقيق أهداف آخر فهي تمكنه من الحصول على استراحة حقيقية وتكشف من خلال الوعي الذهاني وتجلياته عن المدلول الذي يمنحه المريض للعالم والأشخاص.
- هذه الحالة المرضية هي الحالة الأكثر انتشارا في صفوف المهاجرين العائدين إلى بلدهم وهي تتميز بسمة إكلينيكية بارزة لها علاقة بالثقافة المحلية تتمثل في موضوعات هذيانية مصبوغة بأفكار السحر والتسميم والاستحواذ، ولهذا السبب نجد الكثير من المرضى يلجؤون إلى ممارسة شعائر دينية فيها الكثير من الغلو حيث يميل البعض منهم إلى الاعتقاد بأنهم بعثوا رسلا مبشرين مكلفين بنشر الدعوى وحث الناس على فعل الخير.

¹- نفس المرجع السابق، ص 171

- الشيوخ النسبي لهذه الحالات الهيدانية في صفوف الشباب التي تتراوح أعمارهم بين سن العشرين والثلاثين وتتميز متضمناتها الاكلينيكية بالهذيان بالاضطهادية وكذلك أفكار العظمة (grandeur) وجنون العظمة (mégalo maniaque).
 - السبب في هذه الحالة هو القطيعة التي تحدث بين المريض وبين الروابط الاجتماعية والثقافية التقليدية بسبب الصراع الذي نشأ بينه وبين محيطه.
 - النوبات الهيدانية في مجتمعنا تتميز بمواضع هذيانية وهلوسة متعددة الأشكال كما تتميز بالانتظام في أحيان أخرى ويغلب على هذه الموضوعات موضوع الاضطهاد والتميز والغيرة إلى جانب سمة أخرى تكون ملازمة لهذه الحالة وهي سمة التهيج التي تصحب تشوش الوعي والإحساس بالغرابة وعدم التكيف والدخول في نوع من الحياة الحلمية.
 - الهذيان يبدو متصلاً كذلك بالانفصال الناجم عن القطيعة مع المدلولات النهائية وهو يعمل في هذه الحالة كوسيلة دفاعية للالتفاف على القلق الخانق
- نكشف كذلك بأن الخطاب الهيداني لدى المريض مشبع بمتضمنات الاضطهاد والسحر والاستحواذ وهي متضمنات تؤكد كلها على الامتداد والتواصل القائم بين المنتجات الفردية الباتولوجية والتصورات الثقافية الاجتماعية السائدة بسبب التشكيل النفسي والثقافي للشخصية في الوسط (المجتمع) وبسبب استخدام المريض للهذيان كوسيلة للتعبير عن رغباته وأوهامه ومتاعبه. فهذه الحالة هي النموذج المعبر عن الخلفية الثقافية لدى المريض الذي يجنح أثناءها إلى هلوسة الواقع.

7- الشخصية من منظور الهستيريا:

إن الهستيريا تمثل العصاب الذي ينشأ بكثرة في الوسط الجزائري، وهي تتميز بكل الأوصاف المعروفة الخاصة بنوبة "شاركو" أو بتلك التي ترتبط بالحالة بالاضافة إلى الأعراض الوظيفية الدائمة مثل العمى والشلل وكذلك الظواهر التحويلية والقابلية للايحاء والميل إلى الكذب¹.

وتعتبر ظاهرة التجسيم من السمات الاكلينيكية الأساسية التي تميز هذه الحالة وتصبغها بصبغتها كما تصنع معظم الحالات السيكوباتولوجية الأخرى.

ولهذا يحذر الكثير من الإكلينيكين في مجتمعنا من الخلط بين التحويل الجسمي والتجسيم لأن الفرد في مجتمعنا وبخاصة المرأة تميل إلى استخدام جسمها وتقسيمه أحيانا إلى أجزاء للتعبير عن العواطف والآلام.

إن العزل خارج أماكن الحياة والمتعة والمنع من التعبير عن الذات وبالكلمة الخاصة والاختفاء المتزايد للصراعات والاحباطات لا يترك لبعضهم إلا جسمهم للعيش في حيز محدود، ومن ثم فإن المطلب الأخير للاعتراف بوجودهم يأتي بالتعبير عن ذلك من خلال الجسم ومن خلال المرض.

فالتعبير عن الألم من خلال لغة الجسم مشروط كما نلاحظ بالعامل الثقافي وهو السبب نفسه المحدث للأزمة الهستيرية، فهي يمكن أن تحدث بشكل عرضي أو بشكل قصدي، ويمكن أن تحدث بإرادة ذاتية أو تعود لسبب خارجي وفي أغلب الحالات يكون السبب المحدث للأزمة مرتبط بمنعكس شرطي من النمط الثقافي الخالص سواء كانت هذه الحالة المرضية تمثل الشكل المميز للتغيير العصابي أو تعتبر بصمة الطب النفسي التي تصبغ الاكتئابيات العصابية وحالات القلق وكل أنواع الذهان في مجتمعنا فإن الذي يميزها أكثر هو

¹- نفس المرجع السابق، ص 174

ارتباطها الوثيق إما بحوادث خارجية غير منتظرة وإما بضغوطات الحياة وتقلبات المحيط وإما باختلال العلاقات مع الغير.

وإذا كانت هذه الحالة موصولة أكثر بالعامل الخارجي وغير مشتقة من أعماق اللاشعور عبر السلسلة الرمزية وبما أن الشخصية الجزائية تبدو منفتحة وغير منغلقة وربما لهذا السبب بالذات وجدنا كل أنواع العصابات الأخرى ولاسيما الهجاسية والخوافية نادرة في مجتمعنا.

وبهذا نكون قد قمنا بعملية إسقاط لمفهوم الشخصية من خلال الحالات السيكوباتولوجية والسيكوباتولوجية المنتشرة وهذا هو المغزى من موضوع بحثنا.

ورغم أن هذه الحالات السيكوباتولوجية تبدو فينظر البعض مشابهة في كل الأوساط الاجتماعية والثقافية إلا أنها في مجملها لا تخلو من التأثيرات الثقافية وقد يبرز هذا التأثير على المستوى البنيوي والكلينيكي.

ولا يمكن أن ننسى إحدى الظاهرات السيكوباتولوجية في مجتمعنا وهي الصرع *épilepsie* وهي الظاهرة تنتشر بكثرة وتعتبر من منظور كل طرف النموذج الذي يعتمد عليه في تبرير ممارساته العلاجية والكلينيكية، فمن وجهة نظر الطرف الأول تعتبر ظاهرة الصرع "المرض المقدس" الذي ينسب إلى مس الشيطان أو الجن ويقتضي علاجاً تلقيدياً أو دينياً، أما الطرف الثاني فهو يعتبرها من الذهانات العضوية المزمنة التي تدل كل القرائن العلمية على علتها الطبيعية والعضوية وهي بالتالي في حاجة إلى تكفل طبي يقدم الرعاية المناسبة لهذه الشريحة من المرضى وهي في حاجة أكثر من وجهة نظر الأطباء النفسيين، إلى تحسين ووعي متزايد يساعد على التخلص من عائق النظرة التقليدية الذي يؤخر في كثير من الأحيان عملية التشخيص والاستكشاف ويمنع من الاستفادة من العلاج الطبي المناسب الذي يسمح بتخفيف معاناة المريض.

8 -الشخصية من منظور السند الاجتماعي:

إن الفرد كان إجتماعي بطبعه لا يمكنه العيش بمعزل عن المجتمع، وهذا ما سلمنا به منذ بداية موضوع بحثنا، فالفرد يسعى دائما إلى الانتماء إلى شبكة إجتماعية، يلتمس منها إشباع حاجته إلى الانتماء، والتقدير الاجتماعي، والقبول والاحترام، فهي تزوده بالأمن والراحة وتكسبه مكانة إجتماعية بين أفرادها، وتمده بالدعم والمساعدة، إذ أنه يرى أن هذه الشبكة هي إمتداد لنفسه وأنه بإمكانه الاعتماد على أفرادها لمساعدته في حل مشاكله أثناء تعرضه للمواقف الضاغطة.

1.8. تعريف السند الاجتماعي:

عرف السند الاجتماعي على أنه " التفاعل الاجتماعي أو مجموع العلاقات التي تزود الفرد بمساعدات فعلية، تجعله جزء من البناء الاجتماعي الذي يزوده بالحب ويضعه موضوع تقدير واحترام من أفراد هذا البناء"¹.

وفي عدة دراسات حول طبيعة السند الاجتماعي، برر مفهومين للسند.

الأول: مرتبط بالاقتراب السيكلوجي، والذي يرجع السند الاجتماعي إلى الإدراك النسبي لإمكانية إعتداد الفرد على الآخرين لحمايته، والاهتمام به وتقديره⁽²⁾.

الثاني: مرتبط بالاقتراب السسيولوجي والذي يقصد به عموما بالتكيف الاجتماعي الاقتراب الذي يؤكد على وجود شبكة إجتماعية تمارس على أفرادها قهر إجتماعي وتلزمهم بوجبات متبادلة وتزودهم بالمساعدة والدعم.

¹- قبال صليحة، السند الاجتماعي وعلاقته بتخيض الاضطرابات النفسية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، (2001-2002)، ص 66.

²- نفس المرجع، ص 67

2.8 -أنواع السند الاجتماعي:

حسب النموذج الوظيفي للسند الاجتماعي والأبعاد المتعددة لهذا المفهوم يمكن أن نميز بين أربعة أنواع من السند الاجتماعي.

- **السند الاجتماعي العاطفي الوجداني:** وهو السند الذي يقدم للفرد الإحساس بالحماية والحب والتقدير، خاصة في المواقف الصعبة.
- **السند الاجتماعي التقديري:** ويساهم هذا النوع من السند في طمأنة الفرد ودفعه لحل مشاكله بنفسه، وتجعله متوكداً من قدراته وقيمه، وتشجعه وتزوده بالثقة في نفسه في المواقف التي يشعر فيها باليأس والفشل، وحين يدرك أن متطلبات الموقف الذي يهـو فيه يفوق إمكانياته الشخصية والاجتماعية.
- **السند الاجتماعي المادي:** ويمثل المساعدة المباشرة في حل المشاكل كتقديم أو إقراض المال في حالة الحاجة، أو تقديم خدمة إنسانية في موقف صعب.
- **السند الاعلامي:** والذي يشمل تزويد الفرد بالنصائح و الاقتراحات والمعلومات والمعارف حول مختلف المواقف الضاغطة، أما حسب الاقتراب السسيولوجي الذي يهتم بالجانب الكمي للسند الاجتماعي، أي بمضمون الشبكة الاجتماعية، والاقتراب السيكولوجي الذي يأخذ بعين الاعتبار الجانب الكيفي للسند، فإننا نجد نوعين من السند وهما:
- **السند المتحصل عليه:** والذي يعبر عن مجموع العلاقات الاجتماعية وطبيعة الشبكة الاجتماعية والذي يشمل حجم وشدة وبنية الشبكة الاجتماعية.
- **السند الاجتماعي المدرك:** والذي هو الإدراك أو التقدير المعرفي لإمكانية الاعتماد على الآخرين في مواجهة المواقف الضاغطة.

فالسند الاجتماعي المتحصل عليه يدل على حدوث سلوك المساعدة، أي أن الفرد تحصل حقيقة على مساعدة من الشبكة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أما السند الاجتماعي المدرك هو سلوك المساعدة الذي ينظره الفرد من أفراد شبكته، وهو سلوك يحتمل حدوثه أو عدم حدوثه.

وبما أن الحياة العصرية تملي على أفراد المجتمع الإزدهار والتقدم، على جميع المستويات فإنها كما نذكر من خلال موضوع بحثنا تأخذ معها معاني ذات أبعاد نفسية اجتماعية وهي تقوم على العمل من أجل هذا الازدهار والتقدم.

وفي هذا الإطار أي معايير ومقاييس تقدم المجتمعات وضع "موريس جينزبرج" ثلاثة اتجاهات رئيسية للتقدم وهي:

- الميل للعملية أو النظرة الواسعة الشاملة التي ترتفع عنا لنظرة القياسية.
- يكون الاتجاه إلى الفضيلة لذاتها لا من أجل أسباب تحفظية أو نفعية. وهذه النظرة وسعت من أقل الخلق، واتخذت قاعدة النمو للمسؤولية الفردية بدلا من المسؤولية الجماعية.

يتجه الحكم الأخلاقي إلى الترشييد والنظرة العقلية المحايدة، أي تحديد الأحكام من رواسب الانفعالات الجزئية من الميل العاطفي والهوى¹.

من خلال المبادئ الأخيرة هذه يمكن القول إذن، أن كل مجتمع يريد التقدم والتحضر يجب أن تطرأ فيه تغيرات وتحولات أساسية على جميع الأصعدة لاسيما على الصعيدين الاجتماعي والفكري، ومن جهة أخرى وجوب القضاء على كل المظاهر والمعتقدات ذات المضامين الدالة على الجمود والتخلف والمؤدية إلى عدم الاستجابة لمتطلبات المجتمع وإلى الانغلاق الاجتماعي، وما قد يحمل معه من آليات قد تؤدي إلى مرض الفرد وعجزه عن

¹ - حسين حماش، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، الجزائر، 1993، ص48

التكيف مع البيئة الاجتماعية التي تحيط به، وقد نتج لا محال حالات سيكوباتولوجية ذات آفاق ثقافية اجتماعية بحتة.

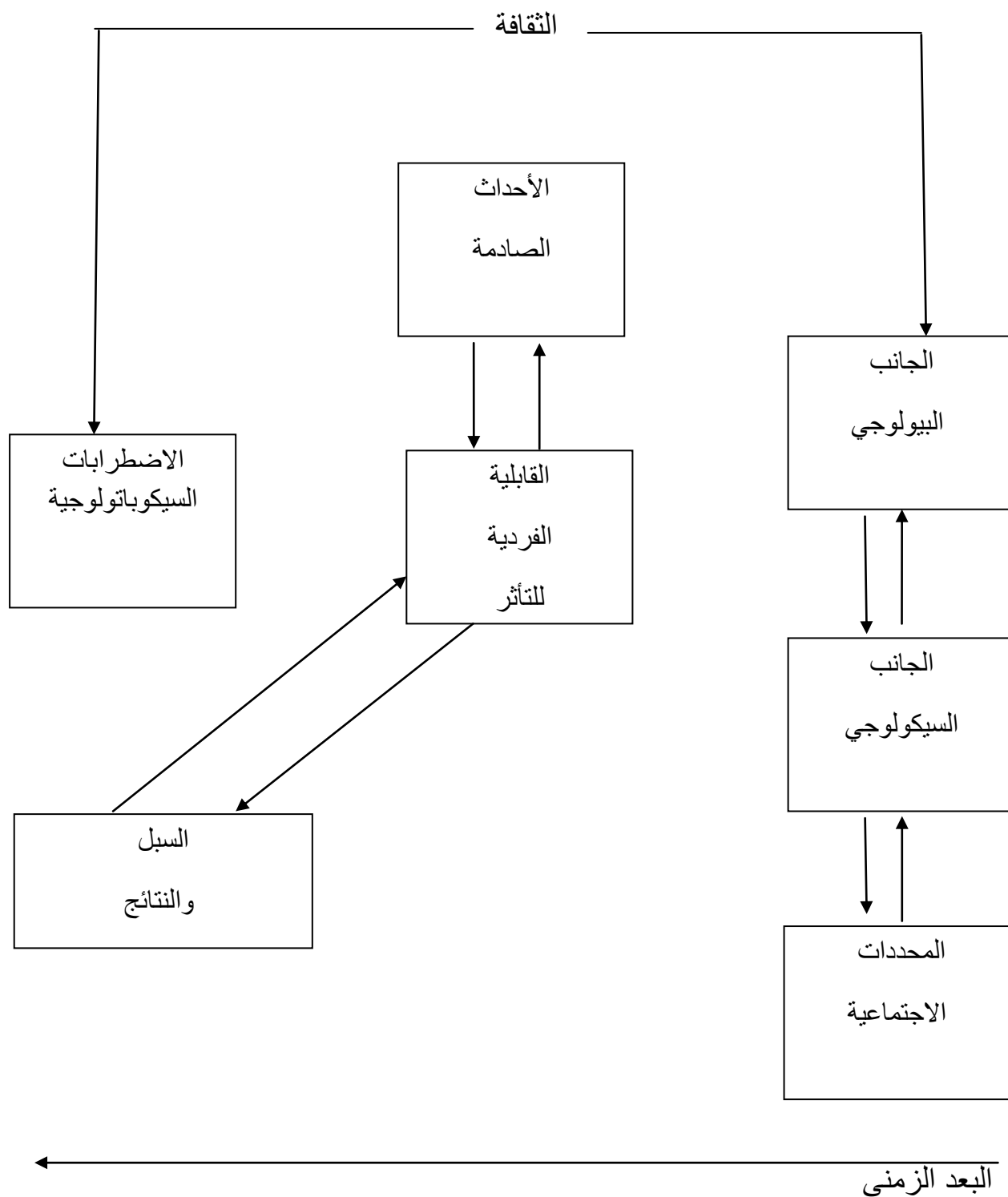
وقد تكون أمثلة عن هذه القيم والمميزات وذلك لأهميتها وأثرها على جعل حياة الأفراد أكثر رصانة وتحضر، هذا بطبيعة الحال إن تمسكوا بها و عملوا بمفاهيمها بكل اتقان و إخلاص أثناء ممارستهم لأدوارهم الاجتماعية في حياتهم اليومية ومنها العقلانية

- التمسك بالديمقراطية

- التفتح والتحرر

- الاستقلالية الذاتية

كل هذه القيم والمميزات، قد تجعل من الفرد شخصا واعيا منتجا عنصرا فعالا ليس فقط مستهلكا (الاستهلاك على جميع مستويات الحياة) فردا يتمكن من تحقيق ذاته، يستغل مواهبه لمصلحته الخاصة وكذلك مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه، ولهذا فهو مطلوب منه أن يتدرب تدريباً صحيحاً على هذه القيم والمميزات العصرية المتجددة، حتى لا يقع في حالات نزاعية حادة قد تؤدي إلى شلل في جهازه النفسي والعصبي (حالات مرضية)، خاصة وأن هذا التناول يتميز بالحساسية والدقة في التفاصيل التي قد نتجاهلها أو نتغيب عنها، ولا نعطيها أقل اهتمام منا. قد يؤدي في النهاية إلى تحول المجتمع، إلى مجتمع مرضي، ونشر الأوبئة النفسية أكثر فأكثر، وتتحول الحياة من حياة عصرية إلى حياة مرضية.



الشكل رقم 05: التصور العام لظهور الاضطرابات وفقا لمفهوم القابلية للتأثر

(Perris 1994) Vulnerability

يبدوا جليا من هذا التصور أن بريس، أكد على مفهوم "قابلية الفرد للتأثر" أكثر من تأكيده على التظاهرات المرضية، والتي تعتبر حسب وجهة نظره المحور المركزي لكل الاضطرابات النفسية.

وهو يقترح في ذلك تفاعل عدة عوامل (ثقافية، بيولوجية، سيكولوجية) في شكل علاقة جدلية تسهم في ارتفاع قابلية الفرد للتأثر ونظرا لهذا التفاعل المستمر فمفهوم القابلية للتأثر لا يمكن اعتباره كسمة جامدة أو غير متغيرة بل هو في الواقع شرطا أساسيا للتخلق المتعاقب ينشأ ويتطور من خلال التفاعل المستمر بين الفرد ومحيطه خلال الفترات المتعاقبة من حياة المرء.

يضيف بريس وجهة نظر خاصة في تفسيره للأحداث الصادمة، فهو يرى إن كانت عوامل القابلية للتأثر تعزز الاستجابة الفردية للأحداث الضاغطة، إلا أن لكل فرد خاصية تميزه عن الأفراد الآخرين في استجابته لبعض الأحداث، وهذا ما يجعل فردا ما يستجيب بطريقة تختلف عن استجابة فرد آخر لنفس الحدث⁽¹⁾.

وبالتالي فالنموذج المقترح ومثل ما يعبر عنه مضمون "القابلية للتأثر" يعزز الاقتراض القائل بفردية وخصوصية "القابلية للتأثر" وعلاقتها بالتعطل العقلي وكذلك بطريقة مواجهة الضغوط والشدائد.

¹ - هدى كشرود، دراسة العلاقة بين المعاملة الوالدية والإكتئاب، مرجع مذكور، ص 43.

ملخص:

بما أن السلوك البشري يخضع لقوانين المجتمع الذي ينتمي اليه و بذلك فإنه يخضع للإرث الاجتماعي والثقافي.

فهذا دليل على العلاقة الوطيدة بين الثقافة أو الأنماط الثقافية وكيفية تأثيرها في تكوين الشخصية و تحديد سلوكيات الأفراد بطريقة سوية و متوازنة وأن الخروج عن هذه القوانين الاجتماعية قد يؤدي إلى الوقوع في اضطرابات نفسية اجتماعية حاسمة.

الفصل الرابع:

العلاقة بين التفاعل الاجتماعي والجماعة الاجتماعية

تمهيد

المبحث الأول: أهمية التفاعل الاجتماعي

1. التفاعل الاجتماعي

1.1- التفاعل الاجتماعي لدى قوفمان Gouffman

2.1- التفاعل الاجتماعي لدى جورج سيمل George Simmel

المبحث الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية

1. العلاقات الاجتماعية

2. الجماعة الاجتماعية

1.2 - بناء الجماعة

2.2 - من البنى الاجتماعية الى التفاعل بين الأفراد

3.2 - من التفاعل بين الافراد الى البنى الاجتماعية

4.2 - دور الاتصال في التفاعل الاجتماعي

5.2 -ادارة علاقات الذات (الشخصية) داخل الجماعات.

ملخص

تمهيد:

بما أن القيمة الحقيقية للتفاعل الاجتماعي تكمن في استمرارية الحياة الاجتماعية و بما أن تشكيل العلاقات الاجتماعية من داخل الجماعة الاجتماعية المبني على أهمية التفاعل الاجتماعي تحديدا نظريا و جوهريا ، يؤدي بالفرد إلى اعتبار التفاعل الاجتماعي أسمى الطرق في خلق التنظيمات الاجتماعية و الحفاظ على استمراريتها و تزويدها بالقيم و المثل العليا بمختلف أنواعها، حتى تزدهر حياة الفرد داخل الجماعات التي ينتمي إليها و تقوى العلاقات الاجتماعية (الرسمية و غير الرسمية) وهذا ما سنتناوله من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول: أهمية التفاعل الاجتماعي

1. التفاعل الاجتماعي

1.1- التفاعل الاجتماعي لدى قوفمان Gouffman

2.1- التفاعل الاجتماعي لدى جورج سيمل George Simmel

1. التفاعل الاجتماعي:

تكمن القيمة الحقيقية لمفهوم التفاعل الاجتماعي Interaction Social في كونه مرتبطاً باستمرار الحياة الاجتماعية للجنس البشري.

وما يتردد من مفاهيم و مصطلحات بين عملاء التاريخ والانتروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، وغيرها من العلوم الاجتماعي، تلك المفاهيم المتمثلة في التنظيم الاجتماعي والنظام، والمجتمع والسلوك والفعل والاتجاهات والعلاقات والوعي والذاتية الباطنية....¹ ما هي الا تعبير عن تمرد الكائن البشري بالتفاعل الاجتماعي المنظم والمستمر.

فإذا ما تناولنا التحليل التنظيم الاجتماعي للجماعة أو المجتمع المحلي والأنشطة التي يقوم بها أعضاء تلك التنظيمات الاجتماعية بمختلف مستوياتها، والتعاون بين أنشطة أعضائها بتعاون أدوارهم ومراكزهم داخل تلك التنظيمات للكشف لنا على الفور شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة بين تلك الأدوار والأوضاع والكيفية التي يتفاعل بها شاغلي تلك الأدوار والأوضاع مع بعضهم البعض من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية تلك والأفعال التي تصدر عنهم وردود أفعالهم المباشرة وغير المباشرة لتلك الأفعال.

ولا تقتصر أهمية التفاعل الاجتماعي بذلك عن مجرد خلق التنظيمات الاجتماعية والحفاظ على استمرارية وجودها إذ أن عملية التفاعل تلك لها دور فعال في تكوين الشخصية وتزويدها بالمثاليات الاجتماعية العامة، والمعايير والقيم والإيمان والحرية والتي تنشرها الشخصية من خلال تفاعلها مع الجماعات الأولية داخل التنظيمات الاجتماعية بمختلف أنماطها و مستوياتها² فضلا عما تزودها بها الجماعات الثانوية من آليات الضبط الرسمية

¹ د. السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي و المنظور الخارجي، منشأة المعرفة، الاسكندرية ص 19

² نفس المرجع، ص 20.

المنظمة للتفاعل داخل التنظيمات الاجتماعية والموجهة لسلوك أعضائها وتوقعات كل منهم من الآخر الذي يقاسمه مخزون المعرفة والحس العام.

إذا كانت النظم الاجتماعية هي مجموعة توقعات أو أنماط للسلوك، أو قوالب للفكر أوجدها المجتمع قبل أن يولد الإنسان، ثم نقلها جاهزة أو كما هي ، حيث فرضت على الإنسان فرضا ، فإن البناء الاجتماعي هو مجموعة النظم و الأنساق التي تتعامد و تتساند من أجل بقاء الصورة الاستاتيكية للمجتمع .

حيث يميز راد كليف براون بين " البناء الصوري للمجتمع والبناء الديناميكي المتغير فالأول هو بناء استاتيكي ثابت نسبيا ولا يتغير إلا قليلا أما البناء الديناميكي فهو البناء الواقعي المحسوس كما يظهر في المجتمع شحمه ولحمه"¹.

و إذا كانت العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية أنتجت على أن كلا منهما جزء لا يتجزأ من الآخر، وأنهما وجهان لعملة واحدة كل منهما يصب في الآخر -كما بينا في الجزء السابق- فإنه ينتج أيضا عن التأثير و التأثير الذي يحدث بينهما ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي وأهميته في دراسة الحياة الاجتماعية وفهمها ونقصد بالتفاعل الاجتماعي التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء بين فردين أو شخصين أو جماعتين ، وقد يكون مباشرا أو وجها لوجه، وقد يحصل بشكل غير مباشر أي عبر وسائل الإعلام . وقد يحصل التفاعل بعد إقامة علاقة اجتماعية وهذا غالبا ما يحدث في مجتمع المدينة المتحضرة بسبب المجهولية الطاغية على مجتمع المدينة ، بينما يحصل التفاعل قبل إقامة علاقة اجتماعية في مجتمع القروي و البدوي بسبب استباق العلاقة القرابية على تفاعل الأفراد².

إذا أردنا أن نسلط الضوء على التفاعلات الاجتماعية التي تحدث بعد إقامة العلاقات الاجتماعية والتي غالبا تصدر من أشخاص يشغلون مواقع ويمارسون أدوارها إذ أنها تخضع للمؤثرات التالية :

¹محمد إسماعيل قباري، أسس البناء الاجتماعي ، مرجع مذكور، ص 39 .

²معن خليل عمر، البناء الاجتماعي ، دار الشروق للنشر ، عمان 1992 ، ص (83-84) .

أ - القواعد الاجتماعية:

وهي عبارة عن سلوك سوي منظم يمارسه المعدل العام من الناس اعتاد على ممارسته، وتعد القواعد الاجتماعية أحد منظمات السلوك الإنساني و إحدى الظواهر الاجتماعية وليست الفردية ، وظيفتها تحديد سلوك الشخص و توجيهه في ارتباطه نحو الآخرين والجماعات الاجتماعية علاوة على توجيه ارتباط الجماعة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى وتنظيم علاقة نفسية بين الأفراد ، وهذا ما حاولنا إيضاحه في الجانب السابق في تحليل العلاقة بين الثقافة والشخصية من حيث أن الشخصية تستمد كل قواعدها الاجتماعية من الثقافة التي تنتمي إليها .

ب-العامل الزمني :

أن الفرد يعيش في عالم من الرموز و من جملة الرموز الزمنية في اللغة هي العبارات التالية : حالا، من بعد ، الآن ، اليوم ، البارحة ، ... الخ.

وينقسم عامل الزمن إلى عدة أقسام رئيسية تبدأ من اللحظة والثانية والدقيقة والساعة واليوم والأسبوع والشهر والسنة هذه الأقسام الزمنية تعمل على تعيين مدة التفاعل، فالمجموعة الأولى توضح رموزا زمنية مشيرة إلى بدا التفاعل الاجتماعي ونهايته، إضافة إلى ذلك فإنها تعكس درجة اهتمام المجتمع بعامل الزمن مدى احترامه له و بالتالي تعكس تمدنه لأن الزمن إحدى منظمات سلوك الفرد المتمدن .

أما حالات التفاعل الاجتماعي في ضوء العامل الزمني فهي كما يأتي :

- استمرار عملية التفاعل خلال فترة زمنية محدودة دون تدخل عوامل عارضة.
- تقطيع عملية التفاعل وعدم استمرارها في وقت واحد .

- تفاعل جزئي من خلال فترة زمنية محدودة مع جانب اجتماعي¹ واحد لإحدى الظواهر الاجتماعية بدون تقطع.

ج -العامل المكاني:

ونقصد به الحيز المكاني فإن كل تفاعل اجتماعي يحدث في بقعة جغرافية معلومة الأبعاد. وإذا أن مساحتها و حدودها تؤثران على عامة التفاعل، فهناك مناطق رموز اجتماعية وحضارية يخضع لها الشخص في عملية تفاعله، إضافة إلى ذلك فإن المساحة الجغرافية تحدد أوضاع التفاعل (وضعية الجلوس مثلا داخل القطار أو الحافلة بشكل جانبي يعيق عملية تفاعل الأشخاص داخلها) .

¹ نفس المرجع السابق، ص 87.

1.1 - التفاعل الاجتماعي لدى قوفمان:

لقد بحث الباحث الكندي قوفمان Goffman وهو واحد من الوجوه المعروفة والأكثر تمثلاً للنظرية التفاعلية وهذا منذ نبيله للدكتوراه التي اشتغل فيها على صياغة نظرية سسيولوجية في الاتصال بين الأشخاص بما يسمى علم اجتماع الجماعات الصغيرة والذي يهتم بالتفاعلات العشوائية للحياة اليومية¹.

هذه التفاعلات وبسبب عشوائيتها تظهر للجميع بانها غير مهمة سواء بالنسبة للفاعلين أو الملاحظ ولا أحد يلقي لها بالا لكن بالنسبة لقوفمان فإن هذه التفاعلات الاجتماعية تصنع نسيج النظام الاجتماعي لأنها مؤسسة على معايير، ومن بين كل هذه التفاعلات فضل قوفمان المقابلة اليومية الفردية التي يعتبرها بمثابة الخيط الناقل (أو السلك الناقل) للتفاعلات الاجتماعية. وبالنسبة إليه فإنه أثناء هذه اللقاءات اليومية تتعذر الرهانات الاجتماعية الأكثر إغناء للتعليم فهو يشبه العالم بالمرسح الذي توزع فيه الأدوار الاجتماعية ومنه نقوم بتحليل طقوس الحياة الاجتماعية اليومية لنلاحظ بأن تموضع الجسم أساسي أثناء اللقاءات في الزمان والمكان، وبأن كل فرد يتموضع بطرق عديدة في المكان أثناء العلاقات الاجتماعية.

كما يلاحظ أيضا في أثناء عمله المنجز في مستشفى الأمراض العقلية (Asylums) (1961) أنه حاول أن يتصنع بأشياء من أجل أن يلاحظ جيدا وبشكل أفضل أوهم المرضى بأنه واحد منهم، يأكل ويلعب ويتجول معهم.

وبالارتكاز على هذه الأعمال التفاعلية الرمزية وبخاصة على أعمال ديوي وكولي²، اقترح نظرية التشكل الاجتماعي للذات بأن مفهوم الذات لا يجب أن يخلط مع مفهوم الدور ، في

¹ عبد العني دبله، مدخل الى التحليل السسيولوجي، مرجع مذكور، ص244

² نفس المرجع، ص247

تصور قوفمان فإن الفاعلين الاجتماعيين يشاركون في نظام معين حيث يفضي كل سلوك بمعلومة تتلاءم معه على المستوى الاجتماعي .

نرى وبأنه على غرار ما قد تنتجه العلاقة بين الشخصية والثقافة عملية من التفاعل داخل الفرد نفسه، وقد ينقل هذه العملية إلى غيره ، وأن الفرد في النهاية يحتاج إلى عملية التفاعل الاجتماعي، وقد تتم في أحيان كثيرة من غير أن يستوعبها الفرد في حد ذاته، وذلك لشدة احتياجه إليها كعملية دائمة مستمرة في الحياة اليومية، ونريد أن نبين من خلال موضوع بحثنا بأن التفاعل الاجتماعي عملية ناتجة ميكانيكيا بين الشخص ككائن بشري وبين ثقافته كمادة يأخذ منها كل القيم والمبادئ والمعايير ... الخ التي يحتاجها يوميا .

فنستطيع القول إذن أنه أي التفاعل الاجتماعي نتيجة حتمية بين هذين الطرفين [الثقافة- الشخصية] سواء كان داخل الفرد بذاته، أو بين فرد وفرد آخر، أو بين الفرد والمجتمع بأكمله .

باختلاف المواقف التي يتعرض لها وباختلاف الأدوار التي يقوم بها ، فإن التفاعل الاجتماعي يحدث بصورة تلقائية و أحيانا عفوية ، و أحيانا أخرى تكون المواقف انتهازية، و في كلا الحالتين تكون استجابة لرغبة الفرد اتجاه موضوع ما أو لتحقيق غاية معينة ، أو للوصول إلى هدف بعينه . وفي الأخير تكون النتيجة تحقيق الحياة الاجتماعية المتكاملة للفرد داخل مجتمعه، حتى لو كانت هذه التفاعلات الاجتماعية قائمة بمحض الصدفة .

2.1 -التفاعل الاجتماعي لدى جورج سيمل George Simmel:

تتبلور أهمية تحليلات سيمل و اهتماماته العلمية لعدم تقبله كلية الاتجاهات الفكرية والعلمية التي كانت سائدة، وانتقد بشدة النظرية العضوية التاريخية " المدرسة الألمانية المادية " كما جاءت رؤيته التحليلية لتركز على شكل وصورة العلاقات وهذا ما جعل كتاباته تنتمي إلى المدرسة الشكلية أو الصورية في علم الاجتماع لذلك اهتم بدراسة أنماط و أشكال وصور التفاعل الاجتماعي والروابط والعلاقات التي تحدث بين الأفراد والجماعات والمجتمع ككل الطاعة، الخضوع، التنافس، السيطرة، تقييم العمل تكوين الأحزاب، الطبقات، الفئات أو الجماعات العرقية والدينية وغيرها من الجماعات الاجتماعية الأخرى، لقد كرس سيمل جهوده لتوظيف أفكاره وأعماله حول بلورة نظرية عن التفاعل الاجتماعي، وأكد على أهمية " تبني مدخل التفاعل الاجتماعي في التعرف على دراسة المجتمع وعلم الاجتماع بصورة شاملة وواقعية "¹.

تميزت إسهامات سيمل في النظرية السوسيولوجية من خلال تقديمه رؤية جديدة لعلم الاجتماع تختلف كثيرا عن تصورات رواد النظرية البنائية الوظيفية التقليدية ، ويعد سيمل أول علماء الاجتماع الأوروبيين الذين ركزوا على دراسة التفاعل الاجتماعي بحيث ركز على هذه القضية باعتبارها الوحدة الأساسية التي يمكن عن طريقها دراسة المجتمع و الحياة الاجتماعية و بذلك أخرج دراسة التفاعل من نطاق القضايا المسلم بها إلى مستوى الدراسة العلمية .

لم يهتم سيمل ببحث النشأة التاريخية للبنى الاجتماعية الكبرى ، بل كان أكثر ميلا لدراسة العمليات الجزئية ذات النطاق المحدود التي تحدث في مجال العلاقات الاجتماعية الهادفة وذات المغزى، ولهذا يرى الأبنية الاجتماعية و العمليات الكبرى التي درستها النظرية

¹الزبير بن عون ، نظرية الصراع في علم الاجتماع ، جامعة الأغواط ، سنة 2012 ، ص 50 .

الوظيفية و الماركسية و بعض النظريات الدارسة للصراع مثل: الطبقة، الدولة الأسرة، الدين، والتطور هي كلها انعكاسات في اعتقاده للتفاعلات المحددة بين الأفراد والجماعات و رغم أن هذه التفاعلات قد أدت إلى ظهور ظواهر اجتماعية واضحة نحو الصراع ، فإنه يمكن الوصول إلى فهم عميق لهذه الظواهر العميقة عن طريق فهم عمليات التفاعل الأساسية التي أدت إلى بروز تلك المظاهر والظواهر .

كما اعتبر سيمل أن صورة أو شكل المجتمع هي المفهوم الرئيسي أو القضية الأساسية التي يركز عليها علم الاجتماع في دراسته وتحليلاته، ويحدد بطبيعته طبيعة هذه الصورة، ذلك العنصر الذي يتحقق في الحياة الاجتماعية وله خاصية الاستمرار أو الثبات النسبي تتخذ أشكاله بصورة لحظية .

إن تصور سيمل وتحليله لأشكال وأنماط العلاقات الاجتماعية والتفاعلات الاجتماعية تعتبر هي جوهر الدراسة العلمية في علم الاجتماع و الذي يؤدي إلى دراسة البناء الواقعي للمجتمع و التي تظهر فيه التنظيمات الاجتماعية بتعدد وظائفها، أو العلاقات الصراعية من حيث المصالح والتوجهات وينظر سيمل للبناء الاجتماعي ككل بنزعة عضوية استمدها من أوغست كونت وسبنسر¹، فالعلاقات الاجتماعية يمثلها بناء الكائن العضوي تبحث دائما عن الاستقرار و الثبات وإعادة التوازن وتنبدل التغيير ، و أن السلوكات النابعة من الأشخاص لا تفسرها إلا بأسباب غريزية بعيدة عن أي إمكانية لتدخل الفكر الإنساني لينظم العلاقات اليومية الإنسانية ، " وهو بهذا يعتبر ظاهرة الصراع ظاهرة شاذة والا يعترف بأنه سيؤدي إلى تفكك النسق أو أي شكل من أشكال التغيير، بل هو وسيلة للحفاظ على الكل"² .

لقد سعى سيمل في تفسيراته للصور و الأشكال العامة للعلاقات الاجتماعية و تحليلاته في تحليل المضمون المادي للمجتمع الذي يطغى على الحياة الاجتماعية ونوعية الحياة والعواطف والغرائز والتي تقوم بعملية استمرار العمليات والعلاقات الاجتماعية وتصون الكل الاجتماعي، لا باعتبارها نقيضا للكل الاجتماعي فدوافع غرائز الجوع والحب والعمل لا يمكن أن تكون اجتماعية، إلا عندما تقوم بدور اجتماعي إيجابي وذلك عن طريق

¹ معن خليل عمر، البناء الاجتماعي، دار الشروق للنشر، عمان، 1992، ص ص (83-84)

² نفس المرجع، ص 87.

تحريكها للأفراد المعزولين وتوجيههم إلى أنماط مختلفة من العلاقات تتم عن طريق أشكال متعددة من أنماط التفاعل والتي تقوم أيضا بإشباع حاجاتهم و مصالحهم في شكل معين من البنى والتنظيمات الاجتماعية .

إن التصور الذي قدمه سيميل للتنظيم الاجتماعي مختلف تماما عما قدمه سابقه من المفكرين والباحثين و تتضح الصورة في الافتراضات التالية¹:

- تحدث العلاقات الاجتماعية في بيئات منظمة يمكن أن يمثل بكائن عضوي يحدث فيه خليط من عمليات مترابطة أو غير مترابطة.
- ينظر إلى العمليات الاجتماعية باعتبارها انعكاسا لكل من الحوافز الغريزية للأشخاص والأوامر التي تملئها أنماط مختلفة من العلاقات الاجتماعية.
- عمليات الصراع صورة حتمية موجودة، توجد في كل الأوقات داخل الأنساق، ولكنها لا تقود بالضرورة إلى تفكك النسق وإلى التغير الاجتماعي.
- الصراع يعتبر أحد العمليات الأساسية التي تعمل من أجل المحافظة على النسق الاجتماعي.

لا يمكن أن ننكر مدى أهمية هذه التصورات التي طرحها سيميل بالنسبة لمفهوم التفاعل والعمليات الاجتماعية، وإلى أي مدى تخدم موضوع بحثنا، بكل حذافره، خاصة ونحن بصدد دراية موضوع الشخصية وقيمة العمليات الاجتماعية التي تقوم بها عن طريق التفاعل الاجتماعي، وهذا ما يجعلها تدخل (أي الشخصية) في علاقات اجتماعية وتشكيل جماعات اجتماعية يكون الهدف من هذه العلاقات تحقيق الرغبات الشخصية على جميع المستويات.

¹ نفس المرجع السابق، ص 90 .

المبحث الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية

1. العلاقات الاجتماعية

2. الجماعة الاجتماعية

1.2 - بناء الجماعة

2.2 - من البنى الاجتماعية الى التفاعل بين الأفراد

3.2 - من التفاعل بين الافراد الى البنى الاجتماعية

4.2 - دور الاتصال في التفاعل الاجتماعي

5.2 - ادارة علاقات الذات (الشخصية) داخل الجماعات.

ملخص

1. العلاقات الاجتماعية:

يمكن تعريف العلاقة الاجتماعية على أنها نتيجة التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر) أو (الأخذ والعطاء) بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين أو بين فرد ومؤسسة ثقافية... الخ. وغالبا لا تقام العلاقة من الفراغ بل هناك عوامل تكون السبب في تشكيلها وهي:

- الإشباع الذاتي: ترى أحيانا أشخاصا ينمون ويطورون من علاقاتهم الاجتماعية من خلال اشباع حاجات ذاتية لكلا الطرفين المشتركين في العلاقة.
- الأهداف والمصالح العامة: بغض النظر عما إذا كان المساهمون في عملية التفاعل مهتمين بعضهم ببعض فإن هناك مصالح واهتمامات مشتركة تعمل على تقاربهم وعلى بناء قاعدة أساسية لعلاقتهم القائمة، فهم يهدفون إلى التعاون والتنسيق فيما بينهم لإنجاز وتحقيق أهداف مشتركة.
- الالتزامات والتوقعات: لكل فرد مشترك في عملية التفاعل الاجتماعي التزامات وتوقعات يشعر بها للطرف الآخر ويلتزم بها مما يؤدي ذلك إلى تكوين علاقة فيما بينهما، وتكون هناك علاقة قائمة على الالتزام الموجود فيما بينهما بغض النظر فيما إذا احترم أو لم يحترم كل منهما الآخر، أو أن تكون هناك أهداف مشتركة أو لا تكون نية الأشخاص المشتركين في عملية التفاعل، فهناك علاقة قائمة بين الطبيب والمريض، بين الأستاذ والطالب ...
- التساند المشترك: الصورة عامة عند المجتمعات المعقدة الهيكل (الرأسمالية والصناعية) تجد تساندا لعناصر الحياة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى ونجد هذا التساند بشكل واضح في العلاقات الاقتصادية التي تتضمن سلسلة من العلاقات التي تسبقها معرفة اجتماعية أو قرابية .
- القسرية: هذا النوع من العلاقات موجود في المؤسسات العقابية والقسرية كالسجون والمعتقلات التي تستخدم الأساليب العقابية مع نزلائها من خلال استخدام التهديد أو الإيذاء النفسي والجسدي.

هذه هي إذا أهم الدوافع الكامنة للعلاقات الاجتماعية بين الأشخاص داخل الكيانات الهيكلية، والتي ينتج عنها ما نسميه بالجماعات الاجتماعية بكل أنواعها وخصائصها.

2. الجماعة الاجتماعية:

يعتبر موضوع الجماعة من أهم الموضوعات التي تنال الاهتمام الشديد في مختلف العلوم الإنسانية، و يمكن تحديد أهم الأسباب التي تدعو إلى الاهتمام بدراسة الجماعة الاجتماعية في الآتي:

- الحاجة إلى فهم ما يحدث في الجماعات لغرضين:
 - (أ) القرارات التي تتخذها تلك الجماعات لها تأثير حاسم وخطير على المجتمعات.
 - (ب) إن ديناميات هذه الجماعات تؤثر على أسلوب وطريقة أعضائها في تسيير حياتهم وحياة مجتمعهم ولاسيما إذا كان هؤلاء الأعضاء يمثلون مراكز قيادية في تلك المجتمعات¹.
- إن الجماعات التي تحيط بالفرد في حياته اليومية لا تقتصر كونها للحصول على الاحترام والتقدير والحب بل يمتد أيضا لتكون مصدرا للضغوط والصراعات والاحباطات، ومن ثم فإن هذه الجماعات تمثل مضمونا صالحا يمكن إخضاعه للملاحظة وإجراء التجارب للوصول إلى قوانين وحقائق عامة بشأن العمليات النفسية من أجل علاج ما يضر بأعضائها².
- الاهتمام بالجماعات وإجراء الدراسات والبحوث عليها يساعد على فهمها في أوضاعها الطبيعية والحقيقية والتوصل إلى نظريات امبيريقية تقود إلى المزيد من التقدم في مجالات العلوم الإنسانية.
- العديد من علماء الاجتماع والنفس والتربية ينظرون إلى الجماعة باعتبارها نسقا مصغرا يمثل المجتمع العام ويقدم صورة مصغرة دقيقة للعمليات المجتمعية، كتقسيم العمل والدستور والأعراف والأيدولوجية، ومن خلال دراسة الجماعة (النسق المصغر) يمكن الوصول بها إلى نموذج يمكن تطبيقه على المجتمع الأكبر.

¹ ضياء الدين إبراهيم نجم، الجماعات الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية 2000، ص20.

² نفس المرجع، ص20.

وأهم الخصائص التي تميز الجماعات في طريقة العمل مع الجماعات أنها جماعة منظمة تضم مجموعة من الأعضاء الذين تجمعهم احتياجات واحدة، وصفات مشتركة ويسعون إلى تحقيق أهداف محددة وذلك بمساعدة ومساندة أفراد الجماعة لبعضهم البعض من خلال جميع عمليات التفاعل، التبادل، والتضامن وحتى عملية التناقض فيما بينهم.

ومن خصائص الجماعة صغر حجمها وذلك حتى يتمكن أعضاء الجماعة من معرفة بعضهم البعض معرفة قوية تمكنهم من الإسهام في الحياة حياتهم الاجتماعية إسهاما إيجابيا بصورة فعالة.

التماسك: إذ يجب أن تكون الجماعة على درجة من التماسك ولها هدف واضح يربط أعضائها بعضهم البعض الآخر وأن يكون هذا الهدف ملائما لاستعدادات الأعضاء وقدراتهم وخبراتهم.

التفاعل: فالأفراد الذين لا يتفاعلون في لقائهم لا يكونون جماعة، ولن يستقيم هذا التفاعل إلا إذا كان النشاط الداخلي للأفراد أكثر من نشاطهم الخارجي.

التنظيم: فالجماعة يجب أن تكون على درجة من التنظيم الذي يحدد مسؤوليات وواجبات كل عضو، كما يحدد كيفية اتخاذ القرارات داخل الجماعة، فعند تكوين الجماعات فإن الأعضاء تكون لديهم الرغبة في معرفة بعضهم البعض والسعي لتحمل مسؤولية وإجراءات العمل كما أنهم يسعون إلى تطوير علاقاتهم الاجتماعية وتنظيم بناء الجماعة، ويأخذ كل عضو المركز والمكانة في شبكة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة.

ويرى ردل مبدأين هامين في تكوين الجماعات¹:

أولا: أنه لا بد من التخطيط في تكوين الجماعات.

¹ ضياء الدين نجم، مرجع مذكور، ص30.

ثانياً: أن هناك بعض الأخطاء في تكوين الجماعات ينجم عنه خطورة بالغة الأثر وهذه الأخطاء تكمن أساساً في ثلاثة معايير نفسية هي:

- لا يجب أن تتجاهل احتمالات العدوى في الجماعة.
- لا يجب أن تكون لدينا مخاوف بلا سبب من العدوى
- يجب أن نأخذ في اعتبارنا خطر تأثير الصدمة (عجز الفرد عن تحمل تأثير الجماعة فيه).

وما يهمنا من هذه الآراء أنه لا يجب أن يكون هناك تطرف في الفروق بين الأعضاء وأن يكون هناك توافق وتكامل فيما بينهم.

ولقد استنتج "ردل" بعض المعايير التي تؤثر في تكوين الجماعات من واقع الخبرة الميدانية وهي:

- أنه ليست هناك جماعة متجانسة تماماً ولكن يهمنا أن نعرف بالتحديد مجموعة المعايير التي إذا راعينا تجانسها ضمن تحقيق أهدافنا.
- إن كل مؤسسة تستخدم معايير مختلفة في تكوين الجماعات بها ويتوقف ذلك على الهدف الذي تسعى إليه الجماعة والمؤسسة إلى تحقيقه.
- تكون المؤسسات بغض النظر عن المؤسسة (أسرة، مدرسة، ...) وفق خطة ومعايير رئيسية ترتبط بأغراضها ولكن يجب على هذه المؤسسات ألا تغفل بقية المعايير الثانوية أي يجب ضبط المسافات المناسبة بمعنى إيجاد درجة من الموازنة بين المعيار الأول والمعايير الثانوية.

1.2 بناء الجماعة:

إن الجماعة تعني تطابق إدراك عدد من الأفراد لها كمصدر لإشباع الحاجات الخاصة لكل منهم. فهنا تتلاقى هذه الحاجات الخاصة، ونتيجة تلاقيها ومن خلال عمليات التأثير الاجتماعي المتبادلة بين أصحابها يتم إيجاد قاسم مشترك بينها يشكل هدف الجماعة يسعى الأعضاء مجتمعين لتحقيقه. لكن هذا لا يكفي لكي تستمر الجماعة ويحقق أعضاؤها هدفها، إذ يتطلب الأمر هيئة أو شكل ويسمى هذا الشكل بناء الجماعة، أو نمط العلاقات المتبادلة بينهم. ولأن الأفراد يتعاونون في خصالهم وقدراتهم ولأن تفاعلهم معا يختلف سياقه من موقف لآخر، فإن تباينا يحدث في إدراك كل منهم للجماعة كمصدر لإشباع حاجاته، وفي درجة تأثيره في الآخرين وتأثره بهم ومن ثم يؤثر هذا التباين في نمط العلاقات المتبادلة. أي في بناء الجماعة و الذي يتم فهمه من خلال إدراك أبعاد هذا البناء وهي التدرج الهرمي:

- التعاون في القدرة على التأثير.
- التعاون في التجاذب.
- التعاون في القدرة على إصدار المعلومات أو تلقيها.
- التعاون في الالتزام بمعايير الجماعة.

أما التدرج الهرمي:

فيعني أنه لا يكفي لتكوين جماعة ما تفاوت أعضاؤها في قدرتهم على التأثير المتبادل وإنما تشترط لذلك وجود هدف يلتف أعضاؤها حوله ووجود قائد ينظّم جهودهم ويوجهها نحو تحقيق هذا الهدف¹.

ونقصد بالقوة الاجتماعية أو تفاوت الأفراد في القدرة على التأثير فيما بينهم، بما في ذلك قدرة أي منهم على تقديم إثابة للآخر أو الحاق العقاب به، أي قدرة أحدهم على تقديم دعم إيجابي للآخر إذا قام بمجاراته ومسايرته، أو العكس أي قدرة أحدهم على الحاق العقاب

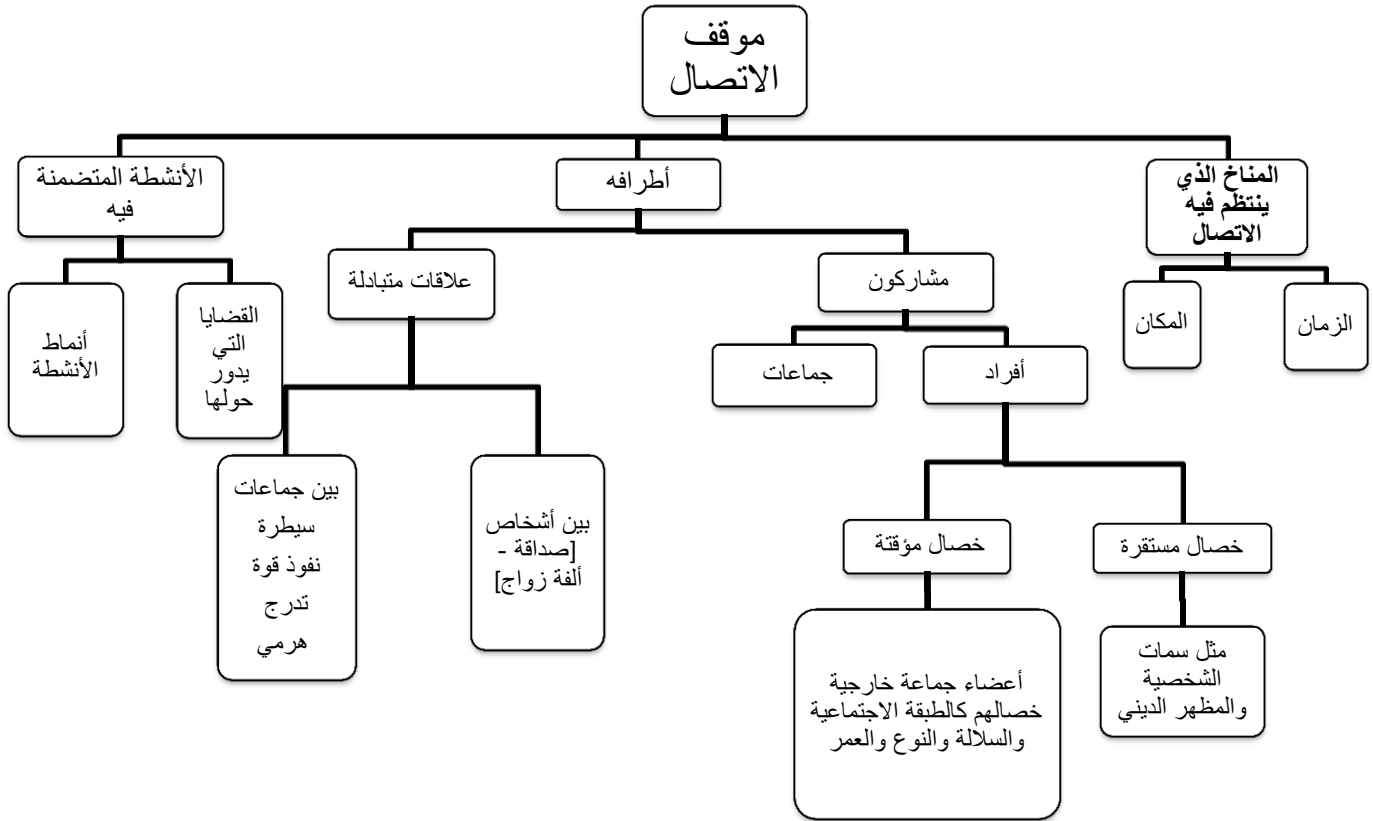
¹ عبد المنعم شحاته، أنا والآخر (سيكولوجية العلاقات المتبادلة)، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص74.

بفرد آخر سواء كان العقاب ضمنيا مثل التجاهل أو صريحا مثل توجيه النقد أو اللوم أو التجريح أو حتى الطرد من الجماعة.

أما قوة الاتصال أي تفاوت الأفراد إما في إصدار المعلومات أو في تلقيها ويعد هذا التفاوت مظهرا للتفاعل المتبادل بين مجموعة من الأفراد وخطوتهم الأولية لبناء الجماعة واستمرارها. وتمثل القدرة على إرسال المعلومات أو تلقيها محور الاتصال (التخاطب) سواء كان مباشرا بالمواجهة أو غير مباشر أي عن بعد وعبر وسائط التقنية الحديثة. وفي كلتا الحالتين: يعتمد مصدر المعلومات على خصال شخصيته وخصائص مضمون مخاطبته كمدعمات لاستمالة المتلقي نحو أداء أفعال يريد القيام بها. يشمل موقف الاتصال عدة عناصر تتفاعل فيما بينها وتتبادل التأثير، بمعنى أن أي تغيير بأحدها يؤدي إلى تغيير في الموقف ككل وهي: -المصدر -الرسالة أو مضمون الخطاب -الوسيلة التي من خلالها يتم نقل الرسالة -المتلقي -الهدف من

التفاعل أو التخاطب أو الاتصال أي الأثر المتوقع منه سواء كان تدعيما للاتجاهات والاهتمامات أو تغييرا في أحد مكونات الاتجاه.

يوضح الشكل رقم 06 الآتي عناصر موقف الاتصال¹:

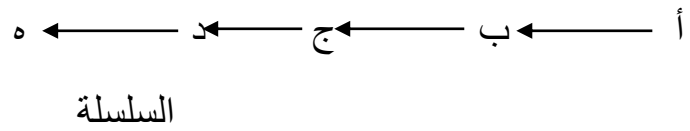
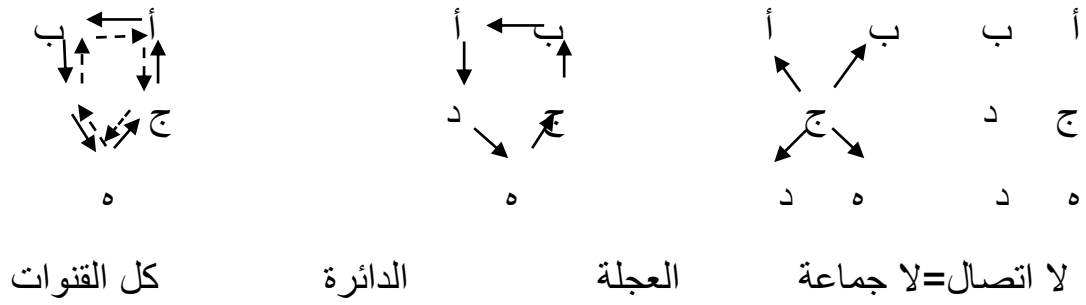


شكل رقم 06 عناصر موقف الاتصال

¹ عبد المنعم شحاته، مرجع مذكور، ص 79.

وتلعب عوامل عديدة دوراً في تشكيل عملية تبادل المعلومات داخل الجماعة، من هذه العوامل:

- أهداف الجماعة.
- موقع الجماعة بعضهم من بعض أو الدور المنوط بكل منهم.
- القواعد المنطقية التي تحكم تبادل الحقائق.
- التدرج الهرمي داخل الجماعة.
- مدى الائتلاف بين الأفراد.
- المشاعر المتبادلة بين أفراد الجماعة.
- نمط شبكة الاتصال المتبادل داخل الجماعة، والذي يحدد مدى التنوع في ردود أفعال أعضائها (انظر الشكل)، حيث يعد النمط الذي يسمح بتبادل المعلومات عبر كل القنوات هو الأفضل، يليه النمط المسمى "الدائرة" إذ يرتبط وجوده بزيادة الرضا بين أعضاء الجماعة، أما النمط المركزي المسمى العجلة فمع أنه يجعل تبادل المعلومات داخل الجماعة يتم سريعاً إلا أن معدل الأخطاء الناتجة أثناء تلقيها يعد مرتفعاً، أما النمط السلسلة فإنه أقل أنماط شبكة الاتصال داخل الجماعة فعالية.



شكل رقم 07: أنماط الاتصال بين الأعضاء

فإن الأهمية التي يحظى بها الاتصال لا تنتصر على الفرد بل أنه أكثر أهمية للمجتمع. إن الاتصال أساس قيام المجتمع فقد عرف الاتصال طريقه إلى كل البيئات واحتل مكانة في كل العصور إذ أنه لم يكن وليد عصر من العصور أو حضارة من الحضارات، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات مهما تفاوتت درجة تقدمه أو تخلفه، كما لا يوجد زمن من الأزمنة قديما أو وسيطا أو حديثا إلا واحتل الاتصال مكانا فيه لأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاكتفاء بأخباره الشخصية أو أخبار المجتمع المحدد الذي يعيش فيه فالشخص يدخل في علاقات اتصالية مع غيره لأنه يريد أن ينتسب إلى البيئة وبالأخص البيئة الإنسانية من حوله، وهذا ليس فقط بل "أن المجتمع عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات التي يحافظ عليها الاتصال"¹.

إن الاتصال إذا يمثل ضرورة مجتمعية ليس فقط لأن الفرد يحصل من خلاله على المعلومات والمعارف الخاصة بالقضايا والموضوعات اليومية التي تفيده في اتخاذ القرارات والخروج بأحكام صائبة في الموضوعات التي يتعرض لها، وليس فقط لأنه قد يسهم في تدعيم ما تبيناه من أفكار وقيم، بل تظهر أهميته في كونه العملية الأساسية التي يكتسب بها الفرد خصائص وسمات المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

فمن خلال المجتمع يكتسب الاتصال قيم المجتمع ومعتقداته وينقلها بالتالي إلى الآخرين في صورة أو أخرى في إطار عمليات اجتماعية مثل التنشئة الاجتماعية فيتحقق بالتالي التكيف الاجتماعي مع هذا المجتمع والتوافق مع قيمه وعاداته ومعتقداته.

وباختصار فإن الاتصال عملية أساسية وحيوية أساسية لأن المجتمع الإنساني كله العصري منه أو البدائي مؤسس على قدرة الإنسان على نقل نواياه ورغباته وإحساساته ومواقفه وخبراته إلى الآخرين وحيوية بمعنى أن القدرة على ملاقة الآخرين تزيد من فرص الفرد على البقاء بينما تعد غيبة هذه القدرة على وجه العموم شكلا مرضيا خطيرا.

¹د. جمال الدين وآخرون، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص21.

والاتصال الإنساني ظاهرة اجتماعية قديمة حديثة، فهو ظاهرة قديمة لأن المجتمع الإنساني مارس شتى أنواع الاتصال منذ بدء الخليقة بداية من إشارات الدخان وحركات الجسم والأصوات غيرها، وانتهاء بما ابتكره العقل البشري من تقنيات اتصالية وسعت من نطاق اتصال وتأثيراته وهو ظاهرة حديثة بالاستناد إلى أن قدرة الإنسان ومهاراته قد تزايدت على سريع في وقتنا الحالي على نحو جعلته يضيف إلى تقنيات اتصال ما يجعل رسائلها تتخطى حواجز المسافة والزمن فتربط بين أقصى الأرض وأدناها. وبالتالي حررت اتصال الإنساني من حدود الضيقة المرتبطة بتفاعلات الإنسان المباشرة في محيطه الاجتماعي الأقرب ونطاق خبراته وتجاربه، وانطلقت به نحو آفاق بعيدة تشمل العالم على اتساعه.

2.2 من البنى المجتمعية إلى التفاعل بين الأفراد:

يصطلح الدارسون على تسمية هذه الرؤية بالبنائية وقد وجد فيها بعضهم رؤية جديدة فحقق المعرفة الشمولية ويتمثل الجديد المعرفي الذي أتت به، في بناء علاقة من نوع خاص بين العنصر والبنية والموضوعي والذاتي والفرد والمجتمع أي في محاولتها تجاوز هذه الثنائيات دائما مع تغليب البنى المجتمعية والمظاهر الشمولية من دون أن تغفل الأبعاد الذاتية والتفاعلية في نظرتها إلى الواقع وهذا ما نحاول أن نبينه من خلال موضوع بحثنا وهي تحليل هذه الثنائية التي تجمع الفرد (الشخصية كبنية اجتماعية ثقافية) وبين البنى الاجتماعية والثقافية في مضمون مفهوم الثقافة من خلال الفعل والتفاعل الاجتماعي ولعل من أهم الأطروحات النظرية الحديثة التي أثارت اهتمامنا الأطروحات التي قدمها (بيار بورديو 1930-2002 Pierre Bourdieu) والتي قام فيها بالجمع بين اتجاهين بالغين الأهمية وهما: الاتجاه الموضوعاتية (Objectivisme) واتجاه الذاتية (Subjectivisme) وقد قدم عمله الشهير تحت عنوان البنية البنوية (constructivisme structuraliste) أو البنوية البنائية

واعتبر أنه من خلال البنوي يوجد في العالم المجتمعي بنى موضوعية مستقلة عن وعي وإرادة الفاعلين وقادرة على التحكم بممارساتهم وتصوراتهم ومن خلال البنائي يوجد تكوين مجتمعي يشتمل من جهة أولى على التصورات والأفكار والأفعال التي تبني فيما يمكن أن يسمى بنظام الاستعدادات والتصورات المكتسبة على بنى اجتماعية وخاصة ما يسمى حقولا مجتمعية (champs sociaux) من جهة ثانية¹

بكلام آخر تعيش بنى العالم المجتمعة حسب بورديو حياة مزدوجة فهي توجد في موضوعية أولى (objectivité du 1^{er} Ordre) تتحدد بتوزيع الثروات المادية ووسائل حيازة السلع و القيم المتصفة بالندرة ثم توجد في موضوعية ثانية (objectivité de 2^{ème})

¹ د.فؤاد خليل، المجتمع النظام البنوية في موضوع علم الاجتماع و اشكاليته، دار الفارابي، ص 104.

(Ordre) تحدد بالتصورات الذهنية و الجسدية التي تمثل الأساس الرمزي (matrice symbolique) للنشاطات العملية والسلوكات والأفكار والأحكام العائدة للفاعلين الاجتماعيين (agent sociaux).¹

هنا تظهر رؤية بورديو أنه يوجد تطابق وتناغم وانسجام بين البنى المجتمعية والبنى الذهنية أو بنى انقسامات العالم المجتمعي الموضوعية وبين المبادئ التي يمارسها الفاعلون في نظرهم الأمر الذي جعله ينزع نحو التوفيق بين الموضوعي والبنائي في الواقع المجتمعي أو بين الموضوعية الأولى والثانية أو بين البنى المجتمعية والبنى الذهنية ثم سعى من خلال نزعته إلى تجاوز الثنائية التي تجسدها تلك المسميات المختلفة وهي ثنائية الذاتي والموضوعي فتناول مبدأ الفعل التاريخي من حيث علاقته بالفرد وبالمجتمع وقد وجد أن فعل الفرد ليس فعلاً ذاتياً يواجه المجتمع كما لو أنه موضوع خارجي ذلك أن الفعل الفردي بما هو تاريخي لا يكمن في الوعي و لا في طبيعة الأشياء إنما يكمن في العلاقة بين حالته أو وصفي المجتمعي أي بين التاريخ الموضوعي للأشياء المعبر عنها بالمؤسسات والتاريخ المتجسد في الفاعلين والذي يظهر على شكل نظام من الاستعدادات والتصورات الدائمة لديهم وعليه فالتقاء وضعي المجتمعي الموضوعي والذاتي، أو الحقل نظام الاستعدادات يشكل آلية رئيسية في عملية إنتاج العالم المجتمعي.

أما العلاقة بينهما فهي علاقة تأثير متبادل أو حركة بنائية (constructive) مزدوجة يجري فيها استدخال الخارج Intériorisation de l'extérieur أي جعل المجتمع جزءاً من الذات الفردية واستخراج الداخل (Extériorisation de l'intérieur) أي جعل الذات الفردية جزءاً من المجتمع.²

هذه النظرة العلائقية بين الذاتي والموضوعي تجسد عند بورديو في مفهومي نظام الاستعدادات والتصورات المكتسبة والحقل المجتمعي فنظام الاستعدادات يشمل على ما يكتسبه الفرد من المجتمع من قيم وعادات وتقاليد ومعارف وهي ما تؤلفه البنية المجتمعية

¹ نفس المرجع، ص 105

² نفس المرجع، ص 106

للذات الفردية وما يجعل البنى تنطبع في رؤوسنا وأجسادنا من خلال ما يقوم به الفرد من استدخال الخارج إلى ذاته أو بمعنى آخر إن نظام الاستعدادات يشكل كبنية منظمة يمكنها أن تتدخل في عملية توليد وتنظيم السلوكات والتصورات أو كمبدأ أو فكر سيتولد الأفكار والممارسات و المواقف والاستراتيجيات، فالفرد يجدد أفكاره ويبني مواضعه ثم يعيد بناءها وهو حين يخلق الأفكار والممارسات ويضع الاستراتيجيات ينطلق بالطبع من عقلانية معينة تساعد على رسم مخططاته وتحقيقها وتضفي على سلوكه قدر من الاتساق والتنظيم والانسجام.

إذن ترتبط تلك البنية بين الذاتي والموضوعي أو بين البنى الفكرية والبنى المجتمعية الموضوعية بصورة تجعل الأخيرة غير منفصلة عن تصورات الأفراد و أذواقهم وعن مبادئهم في الملاحظة و التحليل و التصنيف و بهذا المعنى يعتبر نظام الاستعدادات مفهوما علائقيا يتمثل بعلاقات لا ترتبط بالذات الفردية لوحدها أو بالواقع الموضوعي لوحده وأي ربط له بالعالم الداخلي أو عالم الذات يتجاهل بناءه الموضوعي كما أن أي ربط بالعالم الخارجي أو العالم الموضوعي يتغافل عن بنائه الذاتي.

و تبعا لذلك نبدي بوضوح النزوع التوفيقي بين الداخل والخارج أو محاولة تجاوز ثنائية الذات و الموضوع.

لكن التوفيق في نظر بورديو ليس ميكانيكيا أي أنه تلاؤم حتميا بين طرفيه بل هو يندرج في إطار حركة معقدة من الصراعات والتناقضات وفي نطاق ديناميكية متبادلة بين القوى والمراكز والأوضاع والمواقع. ما يأتي عنه توليد فروقات معرفية وثقافية سواء عند الأفراد أو لدى فئات مجتمعية محددة.

والحقل (le champ) هو فضاء الحياة المجتمعية فيه يجري استخراج الداخل، أي ذلك الخارج الذي يحتمل داخل الذات الفردية، لذا كان من الطبيعي أن ينظر بورديو إلى البنى والمؤسسات المجتمعية لا بوصفها بنى قائمة بذاتها أو مستقلة عن الأفراد إنما بطريقة علائقية أو بوصفها هيئات من العلاقات بين الفاعلين سواء كانوا أفراد أو جماعات ومن ثم

كان من الطبيعي أيضا أن تحدد الحقل كمجال مجتمعي أو كمساحة علائقية ينظم فيها تاريخ العلاقات التي يمارسها الفاعلون في مجرى حياتهم الواقعية فالحقل، المجال أو المساحة هو عالم صغير يشكل من قوى مجتمعية غير متكافئة في مواقعها و أوضاعها وفي مواردها ومبادئها ما يجعل العلاقات بينها تقوم على التجاذب و التنافس و الصراع ويحول العقل إلى نظام للعلاقات القوة بين مسيطرين ومسيطر عليهم بحيث يتواجه الفاعلون إما للحفاظ على واقع السيطرة أو لتغييره.

وبذلك ستسود في الحقل جدلية التناقض والصراع بين أوضاع ومواقع ورؤى ومبادئ أي جدلية توجد بين الموضوعي والذاتي وتتميز بين حقل و آخر ومن مميزات كل حقل أنه يملك آلياته الخاصة من التنافس والصراع بين الفاعلين من أجل امتلاك الموجود فيه والرأسمال المقصود هنا لا يعني نوعا واحدا من الرأسمال كما في الماركسية، بل يدل على أنواع متعددة بتعدد الحقول المجتمعية، ففي الحقل الاقتصادي يوجد رأسمال اقتصادي، وفي الحقل الثقافي يوجد رأسمال ثقافي... الخ، ومع هذا التعدد يظهر أن لكل حقل استقلالية عن الحقل الآخر، لكنها باستقلالية نسبية ما دامت الحقول تنتظم في عالم مجتمعي واحد.

وعلى هذا تكون رؤية بورديو متعددة الأبعاد، ومن خلالها اعتبر أن المجتمع هو جملة حقول مترابطة أو أنه عالم علائقي يجمع بين الذاتي والموضوعي في نظام معين من العلاقات يعني الأولوية فيه للبنى الاجتماعية على البنى الذاتية في ضوء تلك الرؤية عرف بيار بورديو أن يوفق جيدا من خلال مفهومي نظام الاستعدادات والحقل في ازدواجية العلاقة بين الموضوعي والذاتي ولكن يبقى السؤال المطروح هو؟ بعد الوصف والتحليل الشمولي الذي قدمه كل من العلماء و الباحثين في علم الاجتماع و الانترولوجيا الاجتماعية والثقافية أمثال دوركايم، ماكس فيبر، كارل ماركس وآخرون من العلماء، كل حسب نظريته للمجتمع بجميع أطرافه المتداخلة و التي تنتج عنها علاقات متناهية و متضاربة، لكن كيف لنا أن نطرح مسألة تناول و أخذ هذه الأطراف أو بالأحرى الفاعلين الاجتماعيين لمضمون البنى لمضمون الثقافة، وكيف تنتج عنه حالة من الإشباع والرضي فهذه الازدواجية التي تكلم عنها بورديو لا بد أنها في وقت من الأوقات الذي تتعرض فيه للتوتر والتنافس

والصراع أن ينتج عنه حالة من اللامعيار وعدم الاشباع فكيف لنا أن نسمي هذه الحالة فنحن بصدد موضوع بحثنا هذا نود أن نطلق عليها تسمية الباتولوجيا السسيولوجية أو الباتولوجيا الاجتماعية و الثقافية و من خلال العمل الذي سنقوم به، سوف نحاول أن نبين الأسباب المؤدية إلى هذه الحالات بالوصف والتحليل ومحاولة التصدي لها في المستقبل وهذا ما نطمح اليه من خلال عملنا هذا (موضوع بحثنا).

ولهذا كان لا بد أن نشير الى المحاولة العكسية لهذه الازدواجية وهي تتجلى في نزعة الفرد والانتقال من الفرد إلى البنى المجتمعية.

3.2- من التفاعل بين الأفراد إلى البنى المجتمعية:

إذا كانت الرؤية البنائية قد رجحت أو غلبت دور البنى في عملية بناء المجتمعي (construction du social) فإن هذه الرؤية تغلب دور الأفراد، أي أنها تنطلق من التفاعل بينهم لتصل من خلاله إلى بناء الواقع المجتمعي على هيئة كيانات تتعدى تفاعلهم أولقائهم المباشر مثل المؤسسات و التنظيمات و الشبكات و المعايير التي تصبح ملتزمة لأفعالهم في بناء العالم المجتمعي كما تسعى الرؤية هنا إلى تجاوز الثنائيات المفهومية في علم الاجتماع عن طريق إسهامات قام بها عدد من المفكرين و العلماء و اتخذت تبدييات متنوعة سواء على الصعيد النظري أو المنهجي و نذكر منها النظرة الدوركايمية حول المجتمعي التي أثارت رد فعل جذريا من قبل ريمون بودون (Raymon Boudon) 1934¹ فانطلق في رده من نقد ما سمي (Sociologisme) أي تلك النزعة السسولوجية التي تركز على الكل (المجتمع) وتهمل الأجزاء (الأفراد) و تعتبر أن الفرد هو نتاج البنى المجتمعية و في المقابل رأت الفردية المنهجية أن نشرح أي ظاهرة سواء كانت تعود الى الديمغرافيا (علم السكان) أو علم السياسة أو الاقتصاد أو علم الاجتماع، تنقضي إعادة بناء الدوافع الفردية التي تقف وراءها ثم اعتبارها نتيجة جمع السلوكات الفردية المحكومة بتلك الدوافع و من خلال هذا التصوير يعدوا الأفراد كأنهم ذرات تؤلف قاعدة التحليل للسيرة المجتمعية و يظهر الجماعي (collectif) كأنه نتيجة بسيطة لتجمع الأنشطة الفردية بمعنى آخر فالظواهر الاجتماعية تعد خليطا من الأفعال و على الباحث أن يرجعها إلى الأفعال الفردية التي تكونها.

بخلاف البنائية النبوية عند بورديو التي تنطلق من البنى الاجتماعية.

يدعو بيتر بورجر (Peter Burger) 1929 وتوماس لوكمان (Thomas Luckman) 1907 إلى بنائية فينومينولوجية (ظواهرية) تنطلق من الأفراد ومن

¹ نفس المرجع السابق، ص 118

تفاعلهم وقد أفضت بهما تلك الدعوة إلى اعتبار أن سسيولوجيا المعرفة لا تشمل فقط على المعرفة النظرية، بل أيضا على المعرفة العادية وثانيا على مجموعة المسارات في البناء المجتمعي للواقع فوجد أن الحياة اليومية تتضمن صور نمطية ترسم من خلالها اللقاءات المباشرة بين الأفراد.

وهذه التصديت المتبادلة بين الفاعلين تؤلف جزءا من التبادل المستمر في صميم كل لقاء مباشر إذ أن أي تبادل أو تفاوض في الحياة اليومية يكون منظما بصورة نمطية كما هو عليه الحال في السوق الذي ينظم العلاقة بين المشتريين والبائعين مثلا.

هذا التصور عن مسار التبادل بين الفاعلين جعل برجر ولوكمان يعتبران أن المجتمع هو إنتاج إنساني وواقع موضوعي، وأن الإنسان منتج اجتماعي، وقد قادهما ذلك إلى صياغة أكثر منهجية للبنائية في العلوم الاجتماعية ومما توصلا إليه أن المجتمع من حيث كونه واقعا موضوعيا يعبر عن خارجيته المتأتية عن تحرره من ذوات الفاعلين الذين أنتجوه وعن موضوعيته المتشكلة من موضوعات وأشياء منفصلة عن الذوات الفردية¹

أي أن هناك مسارا مزدوجا في بناء الواقع الاجتماعي يقوم على التخرير (extériorisation) والتوضيع (objectivation)² وهذا ما يستند إلى المعرفة العادية المنظمة وإلى التفاعل المباشر بحيث يغذيان مسار المؤسسة بمعناه العريض، والمأسسة (Institutionnalisation) تظهر في كل مرة تزاوّل فيها فئة من الفاعلين تنميّط الأفكار المتبادلة اعتياديا، وبذلك فالمؤسسة تتولد من التنيّط المتبادل، غير أنها تنمط بدورها الأفراد أو الفاعلين الخاضعين لها حينئذ تكتسب المؤسسات الاجتماعية صلابة وتماسكا وتترسخ كواقع موضوعي يتمتع بالثبات والديمومة.

والمجتمع عند برجر ولوكمان هو من جهة أخرى واقع ذاتي ينشأ عن عملية استدخال (intériorisation) الموضوعي و الخارجي إلى الذات وجعله جزءا منها عن طريق

¹ نفس المرجع، ص120

² نفس المرجع، ص121

التنشئة الاجتماعية، وهذه الأخيرة تمثل سببا دائما وموسعا لاندرج الفرد في العالم الموضوعي للمجتمع أو في قطاع منه وهي تقوم على مرحلتين الأولى في زمن الطفولة والثانية في الزمن اللاحق على الأول وتعمل على المحافظة على ما تعلمه الفرد واكتسبه وأيضا التحويل أي تعديل وتغيير ما تعلمه فهي إذن تسعى إلى المحافظة على الواقع الاجتماعي للفرد وفي الوقت نفسه إلى تغييره.

إن النظرة المزروجة التي أخذ بها برجو ولوكمان حول المجتمع تدرج في باب محاولتهما تجاوز ثنائية الموضوعي والذاتي، فموضوعية الواقع تستند برأيهما إلى التفاعل المباشر بين الأفراد من خلال صور نمطية تؤدي إلى مسار من المأسسة تتشكل فيه المؤسسة من ذلك التفاعل بين الذات الفردية ثم لا تلبث أن تتحول إلى واقع موضوعي يمارس قدر من الضغط والإكراه و القسر على الذات المنتجة لها،

لكن بعيدا عن تقييم المنطلق العلمي في تجاوز الثنائيات المفهومية تبقى هذه الطروحات تعبيرا خاصا عن الرؤية السوسيولوجية النامية من التفاعل بين الأفراد إلى البنية الاجتماعية، إذ أفردت حيزا رئيسيا للموضوعية في عملية بناء المجتمع ويبقى تساؤلنا دائما حول كيفية تناول هذه الازدواجية من بعدها النفسي و السوسيوباتولوجي بغض النظر عن الأطروحات النظرية التي قدمها العديد من الباحثين والعلماء، وما هي النتائج المحصلة إذا ما تعرضت هذه الازدواجية إلى التوتر والصراع.

إن هذا الصراع أو التوتر أو القلق الثقافي والاجتماعي لم يولد بمحض الصدفة إنما تطورات فكرة المجتمع الجديد هي وضعت الإنسان موضع تساؤل أو تساؤلات عديدة ؟ ولا بد من الدراسة و البحث للإجابة عنها، فنحن بصدد هذه الدراسة نحاول الكشف عن فكرة المرض الاجتماعي من خلال المجتمع الجديد، بغض النظر عن كلا الطروحات النظرية التي قدمها زعماء علم الاجتماع و الانتروبوجيا ، فان فكرة المجتمع الجديد من حيث الإيديولوجية و المذاهب الفلسفية المختلفة لا يمكن أن نفسر إرجاعها إلى موضع اجتماعي تاريخي فحسب، و ذلك لأنها تنطوي باستمرار على مقاصد وطموحات إنسانية تميز

الإنسان كإنسان بصرف النظر عن الزمان و المكان¹. وتعبر عن تمرد هذه الإنسانية ضد وجود إنساني عام تحكم عليه وجود " غير إنساني" تراث هذه الفكرة يعني أساسا بشكل ضمني و صريح القناعة أن حركة التاريخ تنطوي على معنى، على قصد أساسي وأن دراسة التحولات الاجتماعية السياسية والإيديولوجية تفرض التطلع إليها ليس في ذاتها كتحويلات منفصلة، بل كأجزاء في طور أو أطوار تمر بها حركة التاريخ أو الإنسانية كلها نحو هذا القصد.

فالإنسان ليس واقعة ثابتة بل هو أساسا سيرورة دائمة بين حالة امبريقية يكون فيها في لحظة تاريخية معينة إلى حالة مثالية ينتقل أو يتطلع إليها، انه ليس الأولى أو الثانية، بل هو هذه السيرورة بين الحالتين انه كائن لا يستطيع الاكتفاء بأية حالة يكون فيها وهو عندما يترجم حالة مثالية إلى الواقع يخسر، عاجلا أم آجلا التزامه النفسي أو امثاله الوجداني، وانه كائن يفضي حياته اليومية في مجالات عملية ضعيفة ومحدودة بمقاصد مباشرة ومشغل أنية، ولكن يتطلع دائما إلى حقائق خالدة مطلقة و أعمال غير قانونية يتجاوز بها تلك المجالات و المقاصد و المشاغل الآنية²

¹ د. نديم البيطار، فكرة المجتمع الجديد في المذاهب السياسية و الأيدولوجية الحديثة، بيسان للنشر و التوزيع و الاعلام بيروت، 2000، ص 339.

² نفس المرجع، ص 340.

4.2 دور الإتصال في التفاعل الإجتماعي:

يعتبر الاتصال من أبرز آليات التفاعل (interaction) بين الأفراد والجماعات وهو تفاعل يجري حول ما هو شائع أو حتى متعارض ظاهر أم رمزيا مباشر أم غير مباشر والتفاعل التبادلي يمكن ملاحظته داخل الجماعة و خارج الجماعة وهو يأخذ ثلاثة أشكال من شخص إلى شخص أو حتى شخص إلى جماعة أو تفاعل من جماعة إلى جماعة لكن آليات التفاعل متعددة تحاكي في كثرتها تعقيد الحياة الاجتماعية وبالتالي هي حالات لا يمكن تصنيفها بسهولة لأنها في الحياة العملية لا بمعزل بعضها عن بعض لذلك فهذا التصنيف النظري الذي يقدمه يستهدف تسهيل عملية التحليل والفهم وهناك آليات أساسية للتفاعل الثقافي والاجتماعي وهي:

أ. التبادل échange :

لطالما اعتبر التبادل عملية اقتصادية بحثه، لكن علماء الاجتماع المعاصرين أوضحوا أن التبادل في الواقع هو أحد أشكال التفاعل الاجتماعي، فكثيرا ما نرى حتى في أصغر العلاقات الاجتماعية وأشدّها ألفة و مودة كعلاقة المحبين أو الأصدقاء أن مبدأ التطابق مطبق، كذلك يجري التبادل بين المجموعات سواء كانت كبيرة تحاكي بحجمها الدول الحديثة أم الإمبراطوريات القديمة، أم صغيرة مساوية لمجموعة الزوجين الأساسية ولقد أبرز جورج سمل أهمية التبادل في دراسة التفاعل الاجتماعي، فهو أبرز دور الامتنان أو العرفان بالجميل في عملية التفاعل¹.

يشير سيمل إلى أن التبادل هو إعطاء شكل محسوس للتفاعل الاجتماعي بحيث يصبح واقعة قابلة للقياس نوعا ما. ويضيف بأن الامتنان الذي ينشأ عن التبادل هو بديل عن التبادل المادي الذي يحدث و يتألف من الامتنان الذي يشعر به ونحفظه في وعينا وغالبا ما تنمو

¹ عبد الغني عماد، مرجع مذكور، ص 125.

الروابط بين البشر من جراء هذا الشعور. بمعنى أنه مهما كانت العلاقات حميمة وصداقة ومفعمة بالاحترام و التقدير و الحب فإنها تظل متميزة بمعالم التبادل بحيث يقوم سلوك أحد الطرفين على توقع المكافأة من الشخص أو الطرف الآخر. ولا يقتصر التبادل على أنه يرسخ روابط الصداقة بين الأفراد فحسب، لكن يوجد أيضا فوارق في المقام، فالشخص الذي يوفر لشخص آخر أشياء أو خدمات لا يمكن تعويضها أو مبادلة قيمتها، لا يضع نفسه في مقام أرفع فحسب. وإنما في مركز نفوذ و سلطة فمن يسيطر على خدمات يحتاجها الآخرون أو يريدونها ولا يستطيعون الحصول عليها بأنفسهم يجد نفسه في مركز قوة و نفوذ يتألف التبادل هنا من خضوع ملتقى الخدمات المطلق و طاعتهم العمياء هذا النوع من العلاقة المتبادلة يمكنها أن تولد الكراهية و السخط و هي غالبا ما تؤدي إلى ذلك فالعلاقات غير المتكافئة و الوحيدة الجانب قد تخلق التوترات و تسفر عن كراهية خالصة من قبل المستفيدين أو حتى بين المواطنين عامة التي تسود بينهم نزعة المساواة و التكافؤ.

سواء كانت آلية التبادل مولدة للصداقة و الحب أو للعداوة و الكره فإنها أحد أهم العناصر التي تدخل في عداد التفاعل الاجتماعي.

ب. التعاون (coopération):

هو السلوك التضامني أو المشترك لتحقيق هدف ما، في مصلحة مشتركة لجميع الأطراف، وهو قد يكون عفويا، أو موجها، أو طوعيا أو رسميا أو غير رسميا كبيرا واسعا أو ضيقا صغيرا.

لا يمكن للإنسان أن يعيش دون أن يتعاون مع الآخرين فالتعاون هو أحد أبرز أشكال التفاعل الاجتماعي، فهو يقوم بين الأفراد المتطلعين إلى هدف واحد أو بين المجموعات التي تقضي أشكال المساعدة المشتركة بأن تتعاون مع بعضها على إنتاج أنواع معينة مثل التعاون الذي يقوم بين أهم الدول والشركات (الحلف الأطلسي، الاتحاد الأوروبي، الشركات المتعددة الجنسيات.....الخ).

وعلى الرغم من ضرورة التمييز بين التعاون و التنافس، إلى أننا في الحياة العملية قلما نجد هذين الشيئين منفصلا أحدهما عن الآخر. ذلك أن التنافس يتطلب على الأقل حدا من التعاون السابق و الضروري لوضع القوانين.

وتحديد المهمات والتي بدونها ينقلب التنافس صراعا منتظما وهذا ما يطلق عليه التعاون التنافسية و هو أكثر ما يظهر في العمليات الانتخابية مثلا أو بعض أنواع الألعاب الرياضية وللتعاون أنماط عديدة و منه التعاون العضوي وهو دائما غير متعمد و غير مخطط له وهو أقدم أشكال التعاون والأكثر تلقائية وهو ير محكوم أو محدد بتلقيه أو عرف ما.

أما التعاون الموجه حيث يتم فيه توحيد العمل أو السلوك باتجاه هدف معين لكن التعاون هنا ليس عفويا انه نتيجة لتوجيه من أعلى و لعل التنظيم العسكري هو أقدم أشكال التعاون الموجه وأكثرها انتشارا فضلا عن التنظيمات السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية...

أما التعاون التقليدي فهو أيضا ليس عفويا و يصعب وصفه بالموجه، فهو جزء من المعايير والتقاليد والأعراف الاجتماعية المتوازية فمجتمع القبيلة نموذج جيد للتعبير عن هذا النوع من التعاون التقليدي.

مقولة لمنتسكيو تتعلق بمسألة المساواة في التبادل لا ينبغي أن أفهم لماذا يكرهني هذا الرجل إلى هذا الحد. فأنا لم أفعل له شيئا "قط" هذه النتيجة الأكيدة التي تنجم عن علاقة التبادل التي تخول من مساواة تبادلية واضحة والتي تنجم عنها حتما توترات حادة جدا وسلوكات انفعالية قد تكون في كثير من الأحيان عنيفة، نتائجها خطيرة على الطرفين وعلى المجتمع بصورة عامة.

وفي الأخير نذكر التعاون التعاقدي كنمط تعبير بنود هذا التفاعل محددة و مشروطة بدارة المشاركين ومحكومة بالأنظمة القانونية وهو بالغ الدقة لجهة مدة العلاقة و تنظيماتها فهو نتيجة للتدبير و التخطيط و التفويض السابق للمسؤوليات و المهمات و المجتمع المعاصر يشهد مقدارا كبيرا من التعاون التعاقدي و يمكن القول انه عندما يتراجع التعاون التقليدي يتقدم التعاون التعاقدي و العكس صحيح¹.

ج. التطابق:

إن السلوك المنسجم أو المتطابق مع المعايير التوجيهية والتحريرية لأية مجموعة اجتماعية، ومنه نشأ تظاهر الاشتقاق والوحدة التي تزود المجتمع بعناصر قوية، وقد يتطابق الأفراد مع قيمة أو قاعدة ما حتى ولو بدت مخالفة بالنسبة إلى الإجماع العام حولهم، لكنهم لا بد أن يكونوا شديدي التطابق مع تلك المجموعة التي يميلون إلى الرجوع إليها و هي التي تسنى "الجماعة المرجعية" والتي تترك أعماق الأثر في حياتهم حتى لو لم يكونوا أعضاء فيها، لأن التفاعل معها يتم بوعي أحيانا، وبدون وعي أحيانا أخرى (كمجموعات التي تنظم على أساس الدين أو القرابة أو لاشعور الاثنين أو المصلحة) لذلك وبمجرد أن تعرف نوع المجموعات المرجعية الطاغية على حياة أحد الأفراد نصبح في موقع أفضل لفهم مشكلته والتنبؤ بتصرفاته على اعتبار أن السلوك الناشئ عن المجموعات المرجعية هو في معظمه تقليد و محاكاة.

إن التطابق هو أحد عمليات السلوك الاجتماعي الأكثر شمولاً و استمراراً ذلك أنها تساعد الفرد على تكييف سلوكه و تكييف نفسه مع معايير معينة. وذلك انعكاساً لتأثير الجماعة الاجتماعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة لأنها آلية بسيطة يحصل منها الفرد على التقدير و الرضا و النجاح أي أنه محكوم بأخذ عناصر التبادل و يذهب آخرون لاعتبار الثقافة نوعاً من الإكراه لأنها لا تنتم إلا لأن الجماعة تمارس نوعاً من العقاب على من يخرج على معاييرها وقيمتها.

¹ روبرت نبيست وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جويس خوري ، دار النضال، بيروت، 1990

د. الإلزام:

يمكن وصف الإلزام بالسلوك القائم أو الناتج عن الإكراه والقهر في الغالب وقد يبدو الإلزام سلوكا وحيد الجانب أو نمطا من التفاعل، لكنه مع ذلك لا ينفصل عن الشخص أو الفريق الممارس عليه فعل الإلزام، فمهما فعلت الجهة الملزمة فإنها تبقى محكومة في بعض تصرفاتها بالأمر الذي تتوقع أن يتركه إلزامها في الجهة المستهدفة، كذلك يعتبر رد فعل الجهة المستهدفة محكوما بالتأثير الذي يتوقع أن يتركه في الجهة الملزمة.

كذلك يمكن للمرء لأن يمارس الإلزام أو الإكراه على نفسه فما ندعوه "قوة الإرادة" هو شكل من أشكال الإكراه أو الإلزام يكون يفها الفاعل و المفعول به شخصا واحدا بعينه إن الإلزام في هذه الحالة تمرين عقلي أو روعي تختار فيه الإنسان نفسه للتكيف مع بعض القيم المعينة.

من الصعب العثور على علاقة في السلوك الاجتماعي تخلو كليا بطبيعتها من الإلزام و الذي يظهر بشكل وطرق مختلفة فالقوة بالمعنى المادي ليست الطريقة الوحيدة لإقرار الإلزام، فهناك معنوية أرحى معنوية كالسخرية النبذ من المجتمع أو الحرمان من الحب والحماية أو يجب الاعتراف والتقدير كلها تمارس في المنزل والمدرسة وفي المؤسسة الدينية وغيرها.

إن الإلزام درجات متفاوتة من الشدة في العلاقة بين البشر و بين المجموعات وهي آلية عاملة وشاملة، لأنها فضلا عن وجودها المستقل نظريا، لا تعمل بمعزل عن الأنماط الأخرى (التبادل والتعاون والتطابق) وهذا يظهر بوضوح من خلال اكتساب الإنسان تدريجيا الإحساس بضرورة مراعاة الآخرين وملاطفتهم ووجوب احترام خصوصيات الآخرين واحترام حق الملكية ولزوم التمسك بالفضيلة ونبذ الرذيلة وهذا ما حمل دور قائم على الاعلان عن أهم عنصر في الأخلاق و السلوكيات وهو الإلزام وهو كما يلي : "أولا إلزام الجماعة المفروض على الفرض ثم الإلزام المستوعب و الممثل في الزمن والمعتبر طريقة أخرى للإشارة إلى ما نسميه الضمير، إذا فالإلزام يلحق بنا ويضغطنا من الداخل

إلى حد أننا نمقته أحيانا كما يحدث مثلا عندما تتمنى لو نسمح لأنفسنا بمخالفة نظامنا الأخلاقي ولكننا لو فعلنا لما استطعنا أن نعيش مع أنفسنا¹

إن هذه المقولة لو أردنا تحليل محتوياتها لوجدناها فعلا تعيش في داخلنا، أليس لكل فرد منا خطة ذاتية يعيشها مع نفسه، يحاول فيها ولو لوهلة أن يخالف القوانين والنظم و المعايير التي تحكم المجتمع، فأحيانا كثيرا نحس باختناق أو ربما روتين يخنق حياتنا، ولهذا نحاول التغيير، وربما أيضا يكون ثمن هذا التغيير أن نخرج عن طاعة المجتمع وقوانينه الهامة المستمدة الخاصة بالدين أكثر منها الخاصة بالحياة اليومية الاجتماعية ونرى أحيانا كثيرة نماذج عديدة تعيش نوعا من الحرية المسلوقة عند الآخرين وللأمر استعجاب كبير، وهناك مثلا طبقة أو شريحة معينة تمارس سلوكيات مختلفة ولكنها تبقى داخل إطار نظم المجتمع الراقي (الأغنياء والأثرياء) وتحاول أفراد الشرائح الأخرى محاكاتها ومبادراتها في سلوكياتها، فأحيانا تنجح و تقبل اجتماعيا، وأحيانا كثيرة يحكم عليها بالإعدام من طرف أفراد الشرائح الغنية بعين ذاتها، ومن هنا ينتج حتما صراعا بين الطبقات داخل المجتمع الواحد، ويحدث هذا بصورة خاصة في مجتمعات الدول النامية و المتخلفة، ولكن لا تجده حصريا في مجتمعات الدول المتقدمة الغربية، فهم على حد سواء يمارسون نفس الحق في الحريات الشخصية مهما اختلفت الطبقات الاجتماعية.

هـ- الصراع : CONFLIT

إنه السلوك الذي يحمل أفراد أو مجموعات على التنافس فيما بينهم لبلوغ هدف يسعى اليه الجميع ويمكن للصراع أن يندلع في الإنسان نفسه وذلك حين يشتهي الإنسان شيئا لكنه يقاوم تلك الشهوة، و ينشأ نتيجة ذلك صراع نفسي داخلي. ومع ذلك يبقى الصراع بين الافراد والجماعات أكثر بروزا و تأثيرا في التعامل الاجتماعي، ومع ذلك في الغالب سلبي ومدمر للوحدة و التآلف الا أنه في بعض الأحيان يقوم بوظيفة تكاملية كالحالة التي تنشأ حين ينخفض الصراع داخل المجموعة. عندما شت التهديد بنشوب صراع بين تلك المجموعة

¹ نفس المرجع السابق، ص 77

ومجموعة أخرى أو حتى أفراد من خارجها. انها آلية تعمل ضد بعضها ولمصلحة بعضها البعض في وقت واحد كما كتب جورج تسميل¹

كذلك قد يكون الصراع و كثير اما كان وسيلة لتحقيق انجازات باهرة (تخفيف حدة الطغيان و القضاء على معتقدات دينية متخلفة، اطلاق حرية التعبير). وعليه لا يمكن تجنب الصراع داخل أي مجموعة مهما اشتدت أوامر الألفة فيما بينها.

و بعض النظر عن شكل التنظيم الاجتماعي الذي يعيشون فيه انا نمط الصراع وحدته يعكسان نوع البنية الاجتماعية التي ينشب الصراع ضمنها فهي إطار البنية الواسعة والتعددية يحتمل كثيرا أن يؤدي الصراع مهمة تكاملية و أن يحل الاختلافات و يقضي عليها لكنه في حال شب داخل بنية اجتماعية شديدة الانغلاق فالأرجح أنه يغدو ممتنا لذلك يقال ان أقسى أنواع الكراهية و أمر الصراعات هي تلك التي تبرز في إطار الأسرة أو الجماعة المغلقة كما أن أشد الحروب عتقا و قسوة هي الحروب الأهلية.

يمكن القول أن التنافس و الطموح هما شكليات من أشكال الصراع و يقصد بالتنافس التسابق بين شخصين أو فريقين أو أكثر لبلوغ عرض معين مع التركيز طول مدة التسابق على الغرض ذاته لا على الأشخاص بوصفهم خصوما أو أعداء لذلك تعتبر مزية الخصم في الصراعات التنافسية ضرورية لتحقيق الهدف المطلوب. أما الطموح فيشير إلى محاولات الفرد أو الجماعة لتحسين وضعها المادي و المعنوي.

و الواقع أنه بدون تفاعل لا يكون هناك حياة اجتماعية أو ثقافية فبمجرد وضع الأفراد في جوار مادي ينشأ عنه نوع من التفاعل البسيط لكنه يأخذ بالتعمق عندما نتحدث و يعمل الأشخاص أو الجماعات مع بعضهم البعض في اطار هدف معين أو عندما يتنافسون وقد يحدث التفاعل و يكون مباشرا و قد يكون رمزيا.

¹ جورج سيميل (1858-1918) عالم اجتماع لا تزال أعماله واسعة الانتشار عن طبيعة التفاعل الاجتماعي و عن الادوار التي تشكل كل تنظيم و عالج عناصر الترابط الاجتماعي الظاهرة و الضمنية.

ولا يمكن أن ننشأ ثقافة أو يقوم نظام اجتماعي بعيدا عن احتمال التفاعل بين البشر و سلوك البشر بالنتيجة ليس مجرد فعل و رد فعل مبثر أو منبه و استجابة و إنما هو عمله تأويل للمنبه و الاستجابة فنحن لا نتجاوب مباشرة مع أعمال الآخرين أي عن طريق قراءة الرموز فإذا لم نشارك إلى حد كبير في الرموز فسوف يتعذر علينا أن نعيش الحياة كما نعرفها فالبشر لا يكفون عن السلوك الرمزي و الرسائل الغير مباشرة و عندما يفعلون ذلك يتوقعون و يفترضون أن المتلقي قد فهم المراد و بدون هذا سوف ينعدم التواصل.

تطرح هذه الملاحظات مشكلة التحليل الاجتماعي للانساق الرمزية الامر الذي يثير مسائل أساسية منها ما يتحدد موضوعه بدراسة الفاعلين الاجتماعيين و الأعمال الاجتماعية و منها ما يتحدد بالحقل الذي من خلاله تتموضع خيارات الفاعلين الثقافية وتمثلاتهم ومعارفهم، وهو ما يعلي الأفكار و دورها في تحليل الأعمال الاجتماعية.

كيف توصل الإنسان إلى الاختبار؟ ان مسألة كهذه ينبغي أن تطرح في سيولوجيا الثقافة، حتى لو لم يكن الإنسان السيولوجي موصوفا وصفا دقيقا في التراث الاقتصادي، أو السياسيون للإنسان السياسي .. أن مقارنة من هذا النوع تعلي شأن الاختيار حيث يسعى الفرد بالنظر إلى مصادر الثروة و الإعلام الموضوعة بتصرفه إلى صنع أفضل الخيارات الممكنة انطلاقا من حاجاته و أولياته لكن اتبعنا نقد (باربتو - Pareto) يمكن اعتبار الإنسان الاجتماعي تجاوز الإنسان الاقتصادي في العديد من الحالات ففي معظم الأحيان لا يكون النموذج الاقتصادي سوى أحد نماذج السلوكيات الممكنة.

ففي بعض الحالات يقوم الإنسان الاجتماعي بفعل ما يحلو له بل ما تمليه عليه العادة و القيم التي استنبطها من مختلف المعايير و التشريطات الخلفية والمدرائية والحركية " ¹

كما أنه يجب أن تعترف بأن شروط الامتياز في حد ذاتها يمكن أن تتحول بفعل الفاعل الاجتماعي ذاته الذي يعدل عن طريق سلوك جديد سلوكات الناس في محيطه و هذا يعني أن المعارف والمعلومات التي يمتلكها هذا الفاعل عن وضعيته تشكل بعدا مستمرا لخياراته

¹ بيار أنصار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ترجمة نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 206.

ما يعقد عليه الخيار العقلاني عند صياغة الخيارات بعد إمعان النظر في الظروف، فقد يكون العمل عقلانيا في الحاضر، لكنه يحمل مفاعيل متأخرة غير مرغوبة، وقد يكون عقلانيا بالنسبة لكل فرد، إنما لا عقلانيا بدءا من اللحظة التي يتصرف فيها كل واحد بشكل عقلاني.

على هذا المستوى من التحليل يمكن النظر إلى العمل الفردي على أنه ذرة المعاينة (atome) نظرا إلى تعدد الوضعيات و بالتالي تعدد اسباب الاختيارات الفردية قد يكون مفيد نموذجا صوريا لكن تفحص الوضعية الخاصة وحده هو الذي يبين كيف تتم الاختيارات إلى أي نسق رمزي سيتخذ الاختيار سواء كان معتقدا أو قيمة اجتماعية لها صفة شرعية أو صفة انحرافية أو تقويما أو ايدولوجيا ففي كل اختيار و في كل قرار يراهن الفاعل الاجتماعي على أنماط من الأحكام تخط بين أحكام الواقع و أحكام القيمة و على المقامين أن يفصل قدر المستطاع في هذا التعقيد لذلك من الأفضل على مستوى تحليل التفاعلات أن ترى كيف سيكون لمعتقد معين منفعة اجتماعية و وظيفة رمزية تساهم في مسار التفاعل و تجديده.

وعلى ضوء هذا يمكن لأي خيار أن يكون معقولا ضمن بنية نسق التفاعل فالتمثل الذي يمكن أن يكونه الفاعل من عذوه وعن مشاريعه يؤدي إلى نمط من القرار حيث يمكن أن يكون له الخيار بين إستراتيجيتين، وخياره يتحدد بالتمثل الذي يكونه في مرحلة اتخاذ القرار على ضوء معرفته بمشاريع عذوه السلمية و العدوانية و بالتأكيد يمكن أن يعدل الخيار النجاح أو الفشل أو المعلومات التي يتلقاها يمكن إذا للتمثلات وحدها أن تكون لها نتائج واضحة في بعض الحالات.

ينبغي إذا التمييز بين أصناف الترابط لأدراك التباين بين منطق الفاعلين و مشاريعهم وتمثلانهم من جهة، ومنطق نسق الترابط حيث ينطوي الفاعلون إراديا أو قسريا فكل منهما منطقة و مساره ضمن هذا التصور يمكن إدراك مطامع الفاعلين و آمالهم و خياراتهم مع كل نتائجها المتباينة بدءا بالنجاحات الغير المتوقعة وصولا إلى الاحباطات الكلية و تساهم

الفصل الرابع العلاقة بين التفاعل الاجتماعي والجماعة الاجتماعية

بالتالي التماثلات و المعارف بالاعمال وتفسرها جزئيا بكونها تلعب دور جميع الوظائف المحركة أو المعقدة تبعا لمسار الترابطات.

5.2 إدارة (تسيير) العلاقات مع الذات داخل الجماعات :

إذ أننا بصدد الحديث عن كيفية بنية الجماعات وإقامة العلاقات الاجتماعية من خلال التفاعلات القائمة، فنحن إذن بصدد البحث عن العمليات النفسية الاجتماعية التي تتبلور داخل كل علاقة اجتماعية، بعيد الأبعاد من تبادل اجتماعي، تضامن، تحقيق الهوية، ... وهنا يطرح التساؤل حول : ماذا يمكن أن يحدث بين "الأنا" أو "الذات" وبين "الآخر" وكيف لهذا الآخر أن يؤثر علي وكيف أن تؤثر فيه، هذا التفاعل يتطلب مجموعة من الاستراتيجيات تتعامل فيم بينها، بفرض نوع من القيود (هياكل المراقبة) وباقتراح بعض الشرعيات (هياكل شعورية).

وللوصول إلى أهدافنا ندخل في علاقات تضامن ومساندة ومودة، مع من يشبهنا وندخل في علاقات تضامن ومساندة ومودة، مع من يشبهنا وندخل في علاقات تبادل وتعاير مع من يختلف عنا.

ونعتمد في كل هذه العملية العلائقية التبادلية على موارد ثقافية نفسية واجتماعية نعتبرها بمثابة المحركات الأساسية، المادية والروحية بزمن معين في مكانها.

إن تطبيق هذه الموارد في علاقتنا واعتمادنا عليها في حياتنا يسمح لنا بإنتاج أقوى للشعور بها ويجعلنا نتفاعل فيما بيننا بطريقة لا تسمح بالخروج عن القوانين الاجتماعية للمجتمع الذي تنتهي إليه فهي (الموارد الثقافية النفسية) تقف بينها وبين أي أخطاء قد نرتكبها خلال خلق العلاقات نسبيا وتتمثل لنا موع من المراقبة الاجتماعية تحملها ضمائرنا الاجتماعية "ولهذا فنحن نسميها (بالعمليات الوسيطة) تتموقع بين الهياكل واستراتيجيات العلاقات الاجتماعية [وتشكل اللعبة السوداء]¹.

ويمكن تحديد عملية تسيير الذات لعلاقاتها داخل الجماعات في النقاط التالية :

¹ Guy Bajoit, Pour Une Sociologie Relationnelle, Presses Universitaires de France, Paris, 1992, P 222.

تحديد هويتها :

داخل الجماعات وبإقامة العلاقات يستطيع الفرد تحديد ذاته وهويته داخل الجماعة التي ينتمي إليها، باختيار كل من يشابهها فيها، فيبحث فيهم عن كل الموافقات، والاعترافات والدعم بكل إيجابية لما يمكن أن نتقارب بينهم من الناحية الثقافية، فكلما تقاربت أفراد هذه الجماعة من الناحية الثقافية النفسية والمعنوية، وكلما زاد التشابه بين أفرادها، كلما ازداد شعور الأنا بالانتماء والأمان أكثر فأكثر وكلما رسم حدودا دقيقة لهويته الشخصية ويصبح أكثر فخرا بها، والعكس قد يكون صحيحا، فإذا مثل الفرد في تحقيق الشعور بالانتماء والتوافق والتقارب مع أفراد الجماعة فهذا يعني بالنسبة له اختلافا في محددات الثقافة التي قد تربط بينهم أولوية لم يخفق بعد الإشباع الذي يجب أن يكون عليه مقارنة بالآخرين.

الاختلاف والتمييز :

بنفس الطريقة التي يحدد بها الشخص هويته وانتماءه للجماعة (الهوية الإيجابية) وباعترافه بالتقارب الثقافي بين أفرادها. فإنه في أحيان كثيرة قد يرفض تكامل وتشابه البنى الثقافية والمعاليم الثقافية النفسية للآخرين، ويفضل الاختلاف وعدم الخضوع لهذه الجماعة في كل تفاصيلها، (الهوية السلبية) فهو إذن يلجأ إلى التبادل والتباين والتعابير (الهياكل التبادلية) على عكس النوع الأول من الهوية الإيجابية التي تعتمد على (الهياكل التضامنية). ويعترف باختلافه عن الآخرين، وقد نعتبرهم من الشركاء، المنافسين، أو من الأعداء.

الانتساب إلى المجموعة الخاصة بها :

في حالة تحديد الهوية يقوم الفرد بتخصيص وانتسابه للمجموعة التي ينتمي إليها، القدرات التي لا يمتلكها لوحده، فيوسع من قدرات الجماعات ويزيد من مسؤولياتها. ويزيد أيضا في روح المنافسة بين الأفراد، فهو إذن يدعم استراتيجيات الجماعة، ويحفظها حتى لا تبقى

الفصل الرابع العلاقة بين التفاعل الاجتماعي والجماعة الاجتماعية

محصورة في استراتيجيات الفردية، وهذا ما يسهل في هيكلة استراتيجيات التضامن لدى الفرد.

وبهذا فإن هذه العمليات الثلاث من تحديد الهوية، التميز، والانتساب. نفي عضوية الفرد وارتباطه بمبادئ الثقافة التي ينتمي إليها بصورة ومرجعية إيجابية داخل جماعته.

الإيجابية والتقييد والتناقض :

لكي يؤثر الفرد في الآخرين أو لكي يقلل من تأثير الآخرين عليه، فإنه أحيانا يجبر الآخرين على مساعدة، ويتقيد بهم، فهو إذن يساعد على خلق المراقبة الاجتماعية التي ترتبط بشكلين أساسيين وهما الضغط والقوة من خلال التناقض الذي يقع فيه الضغط فهو يلعب على كل ما يخص احتياجات الآخر : كالحاجة إلى الأمان، والحاجة إلى الحنان، ... أما القوة فهي تعمل على الحاجات الأكثر حيوية، كالحاجة إلى الأكل، الشرب، العمل تحسين مستوى المعيشة، ...

وكلما كانت وضعية الفرد داخل الجماعة تشير إلى عدم التساوي مع الآخر فيما يخص هذه الأشكال الأساسية للحياة، كلما انخفضت لديه القدرة على إجبار الآخرين، وهذا ما يجعله يدخل في صراعات وتناقضات مع الآخر.

الشرعية:

إذا كان الفرد يقع في تناقضات عديدة مع الآخر تملي عليه أحيانا صفة الإجبار و التقييد بهم بهذه الاختلافات في الأفكار والمعتقدات والقيم والمعايير، ويجب عليه أن يقدم لهم العلل والبراهين الإيديولوجية التي قد تنفعهم باقتراحاته الفكرية التي تتعارض معهم.

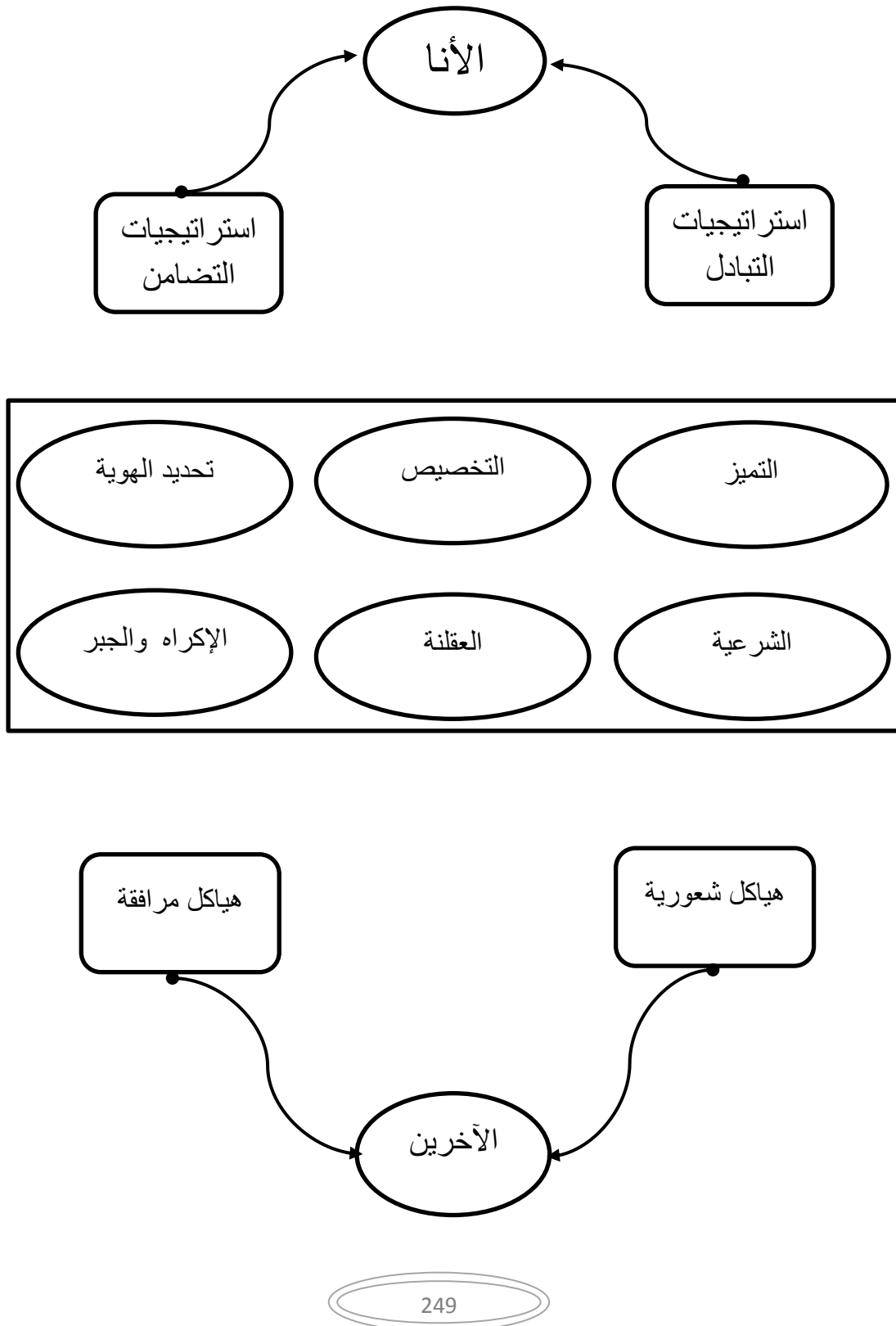
يجب أن تأخذ هذه الشرعية معنى للعقلانية، فإذا وضع الفرد موضع ضغط بين المبادئ والقيود الاجتماعية فعليه أن يأخذ مأخذ الطاعة مع بعض والصراع مع البعض الآخر ويضع لنفسه شرعية منطقية وعقلانية تسمح له بالعيش كما يريد.

العقلنة:

على عكس الشرعية، المقنعة، الهادفة، القوية من حيث البرهان والدليل، فإن العقلنة هي عملية تعني تغيير مبدئ ما، أو رأي معين أو قيمة اجتماعية. هي عملية تهدف إلى إعادة بناء وفبركة المبادئ من جديد إلى طريق يؤدي إلى سعادة الفرد، من دون أي نزاعات أو تناقضات والتحرر من كل القيود وإقناع الجميع بأن هذه الصراعات، التناقضات والقيود يمكن التخلص منها ما دامت لا تعمل في مصالحنا، وبأن أي بديل هو الحل، ما دامت تخدم مصالحنا، وبأن السير العام سيكون على حاله فإنه يكون مقنعا، عقلانيا، ذا شرعية، يتميز ويختلف عن غيره، قادر على تحديد هويته، يعيش التناقضات والصراعات، وفي النهاية هو كائن قادر على تسيير علاقاته داخل الجماعة، فأحيانا، يلعب دور القائد الجبار، وأحيانا يكون ضعيفا بسبب التناقضات والصراعات، وأحيانا يكون مقيدا، بمبادئ ايدولوجية وسسيو ثقافية لا تخدم مصالحه الشخصية ولا تستجيب لغرائزه وشهواته... .

و بين هذه العمليات ذات الابعاد المختلفة عبر المراحل المختلفة، قد يقف الإنسان أمام خطورة الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ومن ميزة إلى أخرى ، ويعجز عن التصرف بإيجابية، وقد يختل توازنه، ويتذبذب سلوكه وتمرص شخصيته بسبب كل هذه الصراعات وهذا كل ما نريد أن نبينه من خلال بحثنا، ونحاول الوصول إلى استنتاجات علمية هادفة.

كل فرد يعيش حالات علائقية مع الآخرين سواء اعترف بذلك أو لم يعترف بشبكتة من التفاعلات المعقدة فهو يؤثر ويتأثر، يسير علاقاته مع الآخر، يفرض نفسه ليهتم ويتميز عنهم، ينتسب إليهم، يجبرهم، يتقيد بهم يناقضهم، ويقنعهم، كل هذا داخل سياق ثقافي اجتماعي معين.



ملخص:

من خلال ما قدمناه في هذا الفصل ، المتعلق بدراسة علاقة التأثير والتأثير بين الثقافة والشخصية من خلال عملية التفاعل الاجتماعي في شكل علاقات اجتماعية بين الأفراد داخل الجماعة، والتي من أهدافها تحقيق الرغبات الذاتية و الجماعة، وأن الفرد داخل جماعة يكون محافظا على أن يحقق هذا الانتماء، بطريقة سوية وانتقائية، وأن أي ضرر قد يلحق بالفرد، قد يلحق بالجماعة التي ينتمي إليها والعكس صحيح، وأن الفرد مجبر على أن يكون ملازما للأبعاد الثقافية، والمعيارية، لهذه الجماعة وأن أي تطاول منه قد يؤدي به إلى الاستقصاء الجماعي من نبوذ ونفور، وحتى إلى العزلة الثقافية والاجتماعية (Alienation)

الباب الثاني

مفهوم الشخصية بين الفعل والتغير
الاجتماعي

الفصل الخامس

مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته بإعادة صياغة الشخصية

تمهيد

المبحث الأول: الفعل الاجتماعي

1- فكرة الفعل الاجتماعي

2- خصائص الفعل الاجتماعي لدى بارسونز

المبحث الثاني: أنساق الفعل الاجتماعي

1- تعريف أنساق الفعل الاجتماعي

2- شروط نسق الفعل الاجتماعي

1.2: العناصر البنائية لأنساق الفعل.

2.2: المستلزمات الوظيفية لأنساق الفعل.

3.2: الأنساق الفرعية للفعل.

4.2: ديناميات أنساق الفعل.

ملخص

تمهيد:

من الحديث عن العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية في ظل التفاعل الاجتماعي وتكوين الجماعة الاجتماعية، قد تبين لنا الحاجة الملحة إلى تناول مفهوم الشخصية بين الفعل باعتباره نبض الحياة الاجتماعية الذي يؤدي إلى التغير الاجتماعي ومدى استجابته لمتطلبات الحياة الاجتماعية العصرية المتعددة والتي تخرج في أحيان كثيرة على الإطار الثقافي العام للمجتمع أو الجماعة التي تنتمي إليها، وإلى أي مدى يستطيع الفعل الاجتماعي إعادة صياغة الشخصية الاجتماعية في ظل هذه التغيرات وأسبابها من عوامل بيئية وطبيعية، أهمية دور الاتصال، العوامل الأيديولوجية والثقافية المتحددة وكذلك العوامل الاقتصادية، والبعد النفسي الاجتماعي للفرد داخل كل هذه العمليات يعتبر من الأبعاد الرئيسية التي تتعرض لهذه العمليات، باعتبار أن هذه التغيرات، تغيرات إنسانية وليست ميكانيكية جامدة.

المبحث الأول:
الفعل الاجتماعي

1. فكرة الفعل الاجتماعي

2. خصائص الفعل الاجتماعي لدى بارسونز

1. فكرة الفعل الاجتماعي:

تعتبر فكرة الفعل الاجتماعي Action Social والتي قدمها بارسونز في إطار شامل فهي لا تظهر في تعريف محدد دقيق.

مع أن بارسونز قد شرح مرارا وتكرارا وبطريقة واضحة ما يغييه بهذه الفكرة.

الفعل الاجتماعي بالمعنى الذي استخدمه به بارسونز هو كل ضروب السلوك البشري التي تدفعها وتوجهها المعاني التي يكونها الفاعل عن العالم الخارجي.

وهي معاني يأخذها في اعتبار وسنجيب لها، وبناء على ذلك فإن الخاصية الجوهرية للفعل هي حساسية الفاعل لمعاني الأفراد والأشياء من حوله وإدراكه لهذه المعاني وردود فعله تجاه المؤثرات التي تنقلها¹.

وما دام الفاعل الاجتماعي يعرف من خلال ما يوجد به من معنى، فإنه يجب أن يفسر تفسيراً ذاتياً من جانب الفاعل ويشتمل التفسير الذاتي على إدراك الفاعل للبيئة، والمشاعر والأفكار والدوافع التي تشكل أفعاله وردود فعل الآخرين تجاه هذه الأفعال ويجب أن نؤكد على أن الفاعل الذي نتحدث عنه يمكن أن يكون فرداً، أو جماعة، أو تنظيمًا، وإقليمياً معيناً، أو مجتمع برمته، أو حضارة.

لقد تجنب بارسونز الخلط بين الفعل الاجتماعي والسلوك الفردي وحاول على العكس من ذلك أن عمم الفكرة بحيث تنسكب على أي كيان سواء أكان فرداً أو جماعة، يمكن أن يفسر سلوكه في ضوء المعاني التي يشتمل عليها فعله.

¹ غي روشيه عن زايد أحمد، علم الاجتماع الأمريكي، ترجمة لكتاب Guy Rocher and Talcoot Parsons، American Sociologie، دار الطباعة للنشر مصر، ص 64.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

وفضلا عن هذا، فإن فكرة الفعل الاجتماعي لا تأخذ في اعتبارها وجهة نظر الفاعل الذاتية فقط، بل على العكس فإن الانتباه إلى دراسة الذاتية يؤدي إلى تحليل الفعل الاجتماعي في ضوء ثنائية الفعل والموقف.

وهي ثنائية هامة في نظرية باسونز في الفعل، فالفاعل في نظره هو كائن يعيش موقفا معينا، لأن فعله ما هو إلا نتاج لإدراكه لمركب من الاشارات التي يتلقاها من بيئته ويستجيب إليها.

وبيئة الفاعل الفرد ليست البيئة الفيزيكية المحيطة به كالموضوعات المادية، المناخ، الطبيعة الجغرافية والجيولوجية المنطقة وإنما تضم أيضا جهازه العضوي البيولوجي ويشعر الفاعل بآثير وأهمية هذه الموضوعات، ويأخذها في اعتباره ويطور بعض المشاعر بصدها ويستخدمها في تحقيق الغايات التي ينشدها من هذه الأشياء، وهنا قد تدخل في عملية من التغير الاجتماعي بواسطة الفعل الاجتماعي والهدف تحقيق رغبات ومتطلبات الفرد، داخل المؤسسات أو الجماعات التي ينتمي إليها وفي كثير من الأحيان يمكننا اعتبار هذه التغيرات ذات طابع جديد تشكل فقرة أو قطيعة في سير نظام الجماعة، أي مواجهة الجماعة بنوع من التفكير وإعادة التوزيع والصراع أيضا، حتى تستطيع إعادة ترتيبها من جديد لتستطيع أن تخدم مطالبنا أكثر فأكثر¹.

وتفترض أيضا هذه العلاقات التي تحدث بين أفراد الجماعات أو حتى العلاقات بالبيئة الخارجية (الفيزيكية) وجود مجموعة من التفسيرات يدرك الفاعل من خلالها الواقع وعن طريقها بوجه أفعاله.

ولكن أهم هذه الموضوعات على الإطلاق في بيئة الفاعل هي الموضوعات الاجتماعية وفي المحل الأول منها الفاعلين الآخرين، فمن خلال هذه الموضوعات الاجتماعية يصير الفعل الاجتماعي إلى تفاعل، وبناء على ذلك يشتمل تحليل ذاتية الفاعل على وجهين فبجانب ذاتية الأنا توجد ذاتية الآخر الذي قد يكون قردا أو جماعة، ولقد حاول بارسونز في كل أعماله

¹ Edgar Morin, Sociologie, Librairie Artheme Fayard, 1994, P196.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

أني وضح تعقد العلاقات الاجتماعية، ويعتبر التفاعل بين الفاعلين أو أكثر وما ينطوي على هذا التفاعل من ذاتية أحد المحاور الأساسية في نظريته.

ولاسيما قد يؤدي هذا التفاعل بين الفاعلين بالضرورة إلى التعبير الاجتماعي، إذا فإن الأفراد هم الفاعلين المسببين في التغير داخل الفعل الاجتماعي الذي يحمل معه معاني ايديولوجية، قيمة، ذات أهداف ومصالح، تخدم مستقبل المجتمع¹. الذي ينتمي إليه هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين، وبالتالي نستطيع أن نضع المسلمات السوسيولوجية التالية المرتبطة بعمل أو فكرة الفعل الاجتماعي:

أ- يستمر الفعل الاجتماعي بصفة عامة دلالاته ونجاعته من البنية والنسق الاجتماعي الذي يتم فيه، فهو الذي يزوده بالقيم والمعايير التي توجهه وتشكل آلية ضبطه ومراقبته.

ب- يكون الفعل الاجتماعي الجمعي الهادف الفعل الحاسم والأداة الأساسية للتغيير الاجتماعي الحدث في أشكاله التطورية والتقدمية وغيرها.

ت- فكل هذه الأشكال من التعبير ما في الحقيقة إلا أبعاد من الحداثة والتي تتميز بقيم قاعدية محدد لها، مثل العقلانية والحرية الفردية والجماعية التي هي أهمها.

ونريد أن نذكر القارئ، بأن الجوهر الأساسي لموضوع بحثنا هو تناول البعد النفسي الاجتماعي للثقافة في إطار الفعل الاجتماعي، بدفن الخوض في تفاصيل تتعلق بقضية الحداثة والأصالة، التراث، الهوية، من هذه مصطلحات نظرية قد ترتبط بالبعد النظري لموضوع بحثنا، ولكنها في الحقيقة مواضيع أكثر شمولاً واتساعاً عن موضوع بحثنا.

¹ Guy Rocher, Introduction à La Sociologie Générale, Le Changement Social, Editions HMH, Ltée, 1965, P26.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

نعود مرة أخرى إلى نظرية بارسونز، فلوز أكد هذا الأخير على أهمية فئة أخرى من الموضوعات الاجتماعية وهي الموضوعات الثقافية والموضوعات الرمزية، فالفعل الاجتماعي لابد أن تتضمن بالضرورة جانبا رمزيا ما دام فعلا ذا معنى¹.

فالفعل يستطيع من خلال الاشارات والرموز أن يتعرف على بيئته وأن يخبرها ويقيمها ويتحكم فيها، وتعتبر الرمزية من الأشياء الجوهرية في التفاعل الاجتماعي لأنها تحقق الاتصال بكل صورة، فعن طريق الاتصال تستطيع الفاعلون أ، يرتبطوا بعضهم البعض الآخر، وبناءا على ذلك فإن الفعل والتفاعل يظهران داخل عالم رمزي واسع، يأخذ داخله كل فعل معنى معنيا بالنسبة للفاعل والآخرين.

وهناك وظيفة أخرى للرمية في الفعل الاجتماعي مؤداها أنها تساهم في خلق قواعد السلوك، والمعايير والقيم التي تقود الفاعل في توجيهه لفعله وأن هذه المعايير والقيم ذات طبيعة رمزية بالضرورة.

فهي أولا: تجعل سلوك الفاعلين قابل من أن يفهم من جانب الآخرين فالفعل البشري يصبح بفضل المعايير والقيم التي تتصل به، أقل غموضا بالنسبة للآخرين وبالنسبة للفاعل نفسه، لأنهم يستطيعون جميعا أن يفهموا معناه وتوجهه واستمراريته.

ثانيا: يصبح الفاعل من خلال المعايير والقيم نادرا على أن يفسر الموقف وأن يحدد المعالم والحدود والقوى التي يجب أن يأخذها في اعتبارها في سلوكه.

ثالثا: تزود المعايير والقيم الفاعل بالأهداف والوسائل التي توجهه كما أنها تعطي لأفعاله معنى معينا بالنسبة لنفسه وللآخرين.

¹ غي ورشيه عن زايد أحمد، مرجع مذكور، ص 67

2. خصائص الفعل الاجتماعي لدى بارسونز:

ونستنتج مما سبق أن الفعل الاجتماعي الذي اهتمت به أعمال بارسونز تتكون مما يلي:

- فاعل ذاتي Acteurs وهو يمكن أن يكون فردا أو جماعة أو مجموعة من الأفراد.

- موقف Situation ويتكون من الموضوعات الفيزيائية والاجتماعية التي يرتبط بها الفاعل.

- الرموز Symbol ومن خلالها يرتبط الفاعل بالعناصر المختلفة داخل الموقف وما تحويه من معان.

- القواعد Règles، المعايير Normes، القيم Valeurs، التي تتحكم في توجيه الفاعل بمعنى علاقات الفاعل بالموضوعات الاجتماعية وغير الاجتماعية.

قد يبدو للوهلة الأولى، تبنينا لنظرية بارسونز في تناوله لفكرة الفعل الاجتماعي، وهذا لما يخدم هذا الطرح المحدد والقيق موضوع بحثنا، بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار البعد النفسي الاجتماعي، في هذا التناول العلائقي بين الأطراف

-الموضوعات الاجتماعية

الفاعل

-الموضوعات غير الاجتماعية

وما يمكن أن يطرأ على هذه التفاعلات، خاصة في حالة ما إذا حدث تصادم وصراع بين الأطراف، وإلى أين يمكن أن يؤدي هذا التصادم إذا لم نأخذ بعين الاعتبار البعد الاجتماعي النفسي، وفي أن عملية التفاعلي ليست عملية ميكانيكية وليست إختيارية، بل هي عملية إنسانية تحمل العديد من المفاجآت بالرغم من أن بارسونز أراد أن يصفها في قالب نظامي عام، وأن الفعل البشري بالنسبة له سواء كان سلوكا فرديا أو اجتماعيا فإنه ليس سلوكا

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته بإعادة صياغة الشخصية

عشوائيا، وهو لا يتصف بالفوضى ولا يمكن التنبؤية، فالحياة الاجتماعية حربا يدخل فيها الكل ضد الكل.

فهناك قدر من النظام العام واضح في سلوك الفرد أو الجماعة، ومن ثم فإن الفرد قادر على أن ينبأ بسلوكه و سلوك الآخرين من حوله، ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح في هذا النطاق والذي يتعلق بجوهر موضوع البحث هو: ما هي أسس النظام العام في الفعل الاجتماعي؟ هل يمكن لنا أن ننكر وجود صراعات واضطرابات وحتى لو كنا نسلم بفكرة وجود قدر من النظام العام فوق أي مظاهر لسوء التنظيم الاجتماعي في الفعل الفردي أو الفعل الجماعي.

المبحث الثاني:

أنساق الفعل الاجتماعي

1- تعريف أنساق الفعل الاجتماعي

2- شروط نسق الفعل الاجتماعي

1.2: العناصر البنائية لأنساق الفعل.

2.2: المستلزمات الوظيفية لأنساق الفعل.

3.2: الأنساق الفرعية للفعل.

4.2: ديناميات أنساق الفعل.

1. أنساق الفعل الاجتماعي:

لكي تصبح دراسة الفعل الاجتماعي دراسة علمية بأدق معاني الكلمة ضمن الهدف الضروري كما يذهب بارسونز، أن تفترض أن الفعل البشري يكشف دائما عن خصائص النسق⁽¹⁾.

وأن الفعل البشري يتلاءم جيدا مع التحليل النسقي، فكل الأفعال يمكن النظر إليها على أنها مركب من وحدات السلوك الصغرى التي تضم فاعلا أو أكثر ونقصد بوحدة السلوك سلوكا فعليا ملموسا. وهي الصورة المصغرة للفعل الاجتماعي والنسق الاجتماعي، فكل وحدة سلوكية تضم نفس العناصر التي يتكون منها الفعل الاجتماعي وهي:

الفاعل (فرد – جماعة – كمجتمع) – الهدف- والموقف (الوسائل والظروف المحيطة) ثم المعايير.

ومن ترابط هذه الوحدات المختلفة يتكون الفعل الاجتماعي وتشكل الأنساق الاجتماعية التي يتجه كل منها نحو تحقيق غاية معينة تساهم في استمرار المجتمع وبعض هذا الاعتماد المتبادل بين وحدات الفعل فكرة نسق الفعل.

¹ غي روشيه عن زايد أحمد، مرجع مذكور، ص 68.

2 -شروط نسق الفعل الاجتماعي:

مادام أي نسق يشتمل على علاقة متبادلة بين مجموعة من الأغراء، تكون كلا واحدا إلا أن النسق يعتبر أكثر تعقيدا من ذلك، فيذهب بارسونز إلى أنه يجب أن تتوافر ثلاثة شروط فيه:

أولا : الشرط البنائي:

وحدات النسق والنسق نفسه يجب أن يشبع بعض المتطلبات التنظيمية، وأن تكون في النهاية مجموعة من الأجزاء أو العناصر الثابتة نسبيا والتي يمكن أن تؤخذ كنقطة انطلاق في التحليل النسقي.

كما ذهب بارسونز فإن الأنماط المعيارية والتي تظهر في أعلى مستوى للتجريد في متغيرات النمط تقوم بهذا الدور في أنساق الفعل.

ثانيا: الشرط الوظيفي:

فلكي يوجد نسق الفعل ويحافظ على هذا الوجود يجب أن تشبع بعض حاجات النسق الأساسية، وهذه هي مشكلة المستلزمات الوظيفية أو الأبحاث الوظيفية لأنساق الفعل.

أما الشرط الثالث الدينامي:

فإنه يتعلق بالديناميات الداخلية للنسق فالنسق بطبيعته يتضمن توجعات وتغيرات لا تظهر من خلال الصدفة ولكنها تدخل من خلال بعض المبادئ والقواعد.

وتتكون النظرية العامة في الفعل – أساسا – من تحليل هذه الجوانب الثلاث لأنساق الفعل.

1.2 العناصر البنائية لانساق الفعل: (الأنماط الثقافية)

إذا ما رجعنا إلى المكونات الرئيسية لأي نسق من أنساق الفعل نجد عنصرين جوهريين: فاعل وموقف.

ويتكون الموقف من الموضوعات الفيزيائية والاجتماعية الخارجية، فنسق الفعل يعني في أكثر صورة تبسيط، تنظيما للعلاقات التفاعلية بين الفاعل والموقف المحيط به.

ومن التفاعل بهذا الشكل لا يظهر دائما، وإن المجتمع الحي، المجتمع الذي عن طريق ظواهره، يؤيد الحركة، التي تخضع لجملة من القواعد الاجتماعية المرتبة، إن دراسة الفعل الاجتماعي تسمح إذن إلى التعرف على الأشكال الاجتماعي¹.

وتسلم إذن فإن التفاعل الحقيقي يضم فاعلين آخين (موضوعات إجتماعية بلغة بارسونز) في فعل مكمل وتأثير متبادل، وفي حالة الموضوعات الفيزيائية فإن الفاعل يسلك اتجاهها، بأن يكتفيها لأغراضه، أو يكف نفسه لها.

أما بالنسبة للموضوعات الرمزية والثقافية فإن الفاعل سنجدهما للاتصال بالفاعلين الآخرين أو يعتبرها موجهها لفعله نحو الموضوعات الفيزيائية والفاعلين الآخرين، ولكن هذه التقسيمات لا تغير من طبيعة الفعل الاجتماعي

وإذا ما أرجعنا نسق الفعل إلى عناصره الأولية فإن السؤال الأول الذي يجب أن نصغه في اعتبارنا هو كيف توجد العلاقات بين الفاعل والموضوعات التي تشمل عليها بيتنا وكيف تستمر هذه العلاقات في الوجود.

إن الشيء الذي اختلف عليه الكثير من نقاد بارسونز هو افتتانه بمفهوم النظام العام، فقد أصبح الصراع والتغير من الأشياء التي تحظى بالاهتمام في تحليل الفعل، وذلك من خلال تأثير ماركس والمطرين الاشتراكيين. لا يجب تبني فكرة أن النظام العام شيء لا

¹ Mostefa.Boutefnouchet, Introduction a La Sociologie, Office Des Publications Universitaires, 2012, P.124.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

يجب التسليم به، بل يجب تفسيره، فالنظام ليس محصلة الالتقاء التلقائي العرضي بين المصالح المختلفة، كما أنه ليس نتيجة للعقد الاجتماعي كما اعتقد روسو¹.

وإذا كانت فكرته (بارسونز) عن الفعل الاجتماعي قد قامت على الافتراضات التي مؤداها أن الفعل البشري يحركه المصلحة الذاتية، وأنه يحدث للقضاء على الفردية والمصالح المتفرقة، ولقد ضعف هذا التفسير السيكولوجي المبسط الذي ظهر من خلال مذهب المنفعة. واعتبر بارسونز أن إعادة تفسير النظام العام من خلال الفعل الاجتماعي يمثل الاسهام الرئيسي للعلوم الاجتماعية في النصف الدخل من القرن العشرين.

كل من المفكرين الأساسيين بعلم الاجتماع قد كان له نظرتة الخاصة حول أن الأنماط الثقافية هي التي تشكل العناصر البناءات لنسق الفعل، بأن الفعل البشري يقوم على قواعد ومعايير وأنماط تكون بناءه وتمنحه إطارا متسقا.

- تطوير قواعد السلوك في أعمال فرويد في صورة الأنا الأعلى ego- supérieur-super ego الذي يتكون من الجزاءات والرموز ذات المعنى التي تكون الضمير الأخلاقي الشخصية.

- دوركايم أطلق على القواعد والأنماط إسم التصورات الجمعية، أو الضمير الجمعي، والحقيقة الاجتماعية في نظر دوركايم ما هي إلا فعل الفرد الذي يخضع لبعض القيود.

- الأنماط الثقافية في نظر فريد يكمين في بناء شخصية الفرد.

- بالنسبة لدوركايم التصورات الجمعية توجد في قلب المجتمع.

- الأنماط الثقافية بالنسبة لفرويد توجد بدرجة استدماج الأفراد عليها وفي تشكل جزءا مكملًا للتنظيم النفسي للشخصية.

¹ غير روشيه عن زايد أحمد، مرجع مذكور، ص72

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

- أما بالنسبة لدوركايم فإن هذه الأنماط توجد بدرجة انصهارها داخل نظم المجتمع، بحيث يمكن أن تمارس قيودا خارجيا على الوعي الأخلاقي للأفراد.

وهذان الاتجاهان ليسا متناقضين: فقد حاول بارسونز أن يوضح أنهما يكملان بعضهما البعض وكل واحد سوف يجد تدعيما من الآخر، فالأنماط الخارجية التي تستخدمها الشخصية لتصبح الأنا الأعلى (الذي ينظم سلوكها) شبه الأنماط التي تنصهر داخل نظام المجتمع، بقدر مشاركة مجموعة كبيرة من الأفراد فيها وبالعكس فإن الأنماط الثقافية تنصهر داخل نظم لأن مجموعة كبيرة من الأفراد قد استدمجتها، ولهذا يختلط مفهوم فرويد عن الضمير الأخلاقي مع مفهوم دور كايم عن الضمير الجمعي، فالأنا الأعلى هو النظرير الفردي للضمير الجمعي الذي يوجد داخل المجتمع.

وقد تلخص مفهوم بارسونز عن الفكرة التي وضعها للفعل الاجتماعي فيما يلي:

- اعتقد أن أساس نظرية الفعل هو بناء، أنساق الفعل الذي يتكون من الأنماط ذات المعنى الثقافي التي أنصهرت داخل النظم (الأنساق الاجتماعية والثقافية) واستدمجت في داخل أنماط الشخصية.

- فسر التقاء الجوانب الفردية والجماعية موضحا أن هذا الالتقاء يقوم على الطابع المزدوج الأنماط الثقافية، التي توجد في عقول الأفراد وفي عالم الرموز داخل المجتمع.

- يمكن إيجاد نفس الأنماط في الفاعل والموقف، لأنها استدمجت من خلال الفاعلين وانصهرت في شكل نظم داخل الثقافة والأبنية الاجتماعية.

- تعمل الأنماط الثقافية على تكوين بناء أنساق الفعل.

- تتحدد هذه الأنماط طابعا بنائيا، فمن طبيعة الأنماط الثقافية أنها تدفع الفاعل (أو تجبره) على الاختيار بين الأشياء وبقيمها بحيث يجبر على الاختيار.

- الازدواجية والتناقض موجودان في عالم القيم.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

*حين ظهر كتاب "بناء الفعل الاجتماعي" 1937 كانت متغيرات النمط تمثل المحور الرئيسي للنظرية العامة في الفعل عند بارسونز، ولقد قدم الشرح لمتغيرات النمط في النقاط الآتية:

- **أولاً:** قد يحكم الفاعل على الموضوع الاجتماعي أو الفيزيقي في ضوء معايير عامة تطبق على كل الموضوعات وهو بذلك يسلك في ضوء متغير العمومية. ومن الناحية الأخرى فإنه قد ينظر إلى الخصائص التي تميز الموضوع عن غيره من الموضوعات ويقيم الموضوع لذاته وفقاً لمعايير خاصة بهذا الموضوع والإطار الذي يوجد فيه، وهو بذلك يسلك وفق متغير الخصوصية.
- **ثانياً:** ليستطيع الفاعل أن يحكم على موضوع اجتماعي أو فيزيقي في ضوء ما يفعله هذا الموضوع أو ما ينجزه أو ما يؤثر به (في البيئة) في هذه الحالة يكون حكمه قائماً على أساس الانجاز الذي يقوم به الموضوع.
- **ثالثاً:** يجب أن يختار الفاعل بين الحياد الوجداني وبين الوجدانية، في علاقته بالموضوعات الموجودة في الموقف الذي يسلك داخله.
- **رابعاً:** قد يتصل الفاعل بالفاعلين الآخرين من خلال بعض الأساليب القائمة على التخصص بحيث لا ينخرط معهم انخراطاً كاملاً، وفي هذه الحالة فإن العلاقة تقوم على التخصص والانتشار في نفس الوقت، الآن الفاعل يدخل في علاقات كثيرة في نفس الوقت.

2.2 -المستلزمات الوظيفية لأنساق الفعل:

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

إذا كان تحليل بناء الفعل يوضح العوامل التي تسهم في استقرار النسق، فإن تحليل الأبعاد الوظيفية لأنساق الفعل تلقي الضوء على العمليات التي تحدث داخله، ولقد عرف بارسونز وظيفة أي نسق بأنها : "مركب من الأنشطة بحثة لأشباع حاجة أو حاجات النسق بوصفه نسقا"¹.

من العوامل التي تسهم في استمرار البناء الاجتماعي هو استمرار الكائنات الحية في تشييد البنية السلوكية الثقافية و تعتبر هذه البيئة هي إطار بناء الشخصية حيث تقوم القيم و التقاليد بدون جدوى في تنظيم الحاجات و الأهداف كما تسهم في إعادة و توجيه و تنظيم الخبرة وذلك من خلال عمليات الإكتشاف و الإختراع و التغير الثقافي

هذه العوامل لا يمكن التعبير عنها وظيفيا الا إذا توافرت أنساق الاتصال الرمزية بمعاني القيم ولهذا يعتبر الاتصال شرط ضروري لتواجد المجتمعات الانسانية و نتيجة لتوفر هذه الأنساق الرمزية في المجتمع لا يوجد انقسام بين التنظيم السيكولوجي للفرد والثقافة والمجتمع.

وبهذا فإن فكرة الوظيفة تعد فكرة جوهرية في التحليل النسقي أو على الأقل في تحليل أنساق الفعل، وقد نلخص قيمة الوظيفة لنسق الفعل فيما يلي:

- يعتبر مفهوم الوظيفية مفهوما رئيسيا في فهم كل الانساق القائمة، وأن مفهوم الوظيفة هو النتيجة المنطقية لمفهوم النسق، فهو يحدد من ناحية بعض خصائص علاقة النسق بالبيئة، ويحدد من ناحية أخرى خصائص التباين الداخلي للنسق ذاته.

- أي مركب من السلوك يمكن التعامل معه كنسق للفعل (كالدور المهني أو الطبقة الاجتماعية مثلا) يكون جزءا من كل أشمل.

¹ محمد حسن الغامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1989، ص36

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

- نسق الفعل ذاته يتكون من أجزاء أو وحدات ترتبط ببعضها من خلال عملية التباين والتكامل، وتظهر هنا مجموعة أخر من الحاجات هي التي تتصل بتنظيمه الداخلي.

- لكي يستمر النسق في أدائه الوظيفي ويحافظ على إستمراره فإنه يجب أن يستجيب لهذين النوعين من الحاجات أو المشاكل، وتعني أن النسق قادر على أن ينظم ويولد الأنشطة الضرورية التي شبع هذه الحاجات.

- التميز بين أهداف النسق والوسائل التي سيخدمها الفرد لتحقيق الغايات (الأنشطة التحقيقية) والأنشطة الفعلية، الغائبة، تعمل على توفير وسائل اشباع الحاجات.

- التمييز بين العلاقة الداخلية والخارجية للنسق وتميز الأخرى بين الغايات والوسائل يمكن ربطهما أو تركيبهما معاً، وهكذا يمكن القول بأنه توجد أهداف تتضمن علاقات بالبيئة وأخرى بالتنظيم الداخلي.

ومن ثم فإن الاستخدام التلقائي لهذين النوعية من التمييز يكشف عن الحقيقة التالية: أنه في أي نسق من أنساق الفعل يجب أن تتوافر أربع وظائف لكي تشبع الحاجات الأربعة الأساسية، ونسق الفعل لا يمكن أن يوجد إلا إذا أشعبت هذه الحاجات الأربع على الأقل اشباعاً جزئياً وإذا ما وجدت الوظائف الأربع بقدر معين، وهذا ما أطلق بأن الوظائف الأربعة هي مستلزمات وظيفية لأي نسق من أنساق الفعل.

هذه الوظائف والأبعاد الأربعة لنسق الفعل الاجتماعي هي كالآتي:

التكيف: وهو مركب من وحدات السلوك التي تعمل على إقامة علاقات بين النسق وبيئته الخارجية، والبيئة الخارجية لنسق الفعل.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

ويتكون النسق عن طريق أخذ المصادر المختلفة التي يحتاجها النسق من أنساق البيئة، في شكل تبادل للمنتجات التي تنتج داخل النسق نفسه وإعداد هذه المصادر لخدمة حاجات النسق.

تحقيق الهدف: وهو كل الأفعال التي تعمل على تحديد أهداف النسق، وتحكم في الموارد وتستغلها محاولة أن تحقق أهداف النسق وأن تحقق داخله نوعاً من الاشباع ولاشك أن هذه القدرة على تحديد الأهداف والشعب نحو تحقيقها بطريقة منهجية هي التي تميز أنساق الفعل عن غيرها من الأنساق المادية.

التكامل: هذا البعد هو الذي تحقق استقرار النسق حيث يتضمن مجموعة من الأفعال تهدف إلى حماية النسق من التغيرات الفجائية والاضطرابات الخطيرة، إلى المحافظة على قدر من التماسك والتضامن الضروري لبقائه ولأدائه الوظيفي.

الدافعية: النسق في حاجة دائمة لهذا البعد، وإلى حد أدنى على الأقل من الطاقة الدافعية، وهذه الوظيفة تشبه إلى حد كبير نسق القوى البدنية، الذي يجمع الطاقة ويوزعها في شكل دافعية، ولقد أطلق عليها بارسوتز إسم الكمون أو المحافظة على النمط.

وتعد وظيفة المحافظة على النمط نقطة الالتقاء بين أنساق الفعل والعالم الرمزي والثقافي، والمعروف أن العالم الرمزي والتعاني له علاقة بأنساق الفعل لأنه يزودها بالرموز والأفكار وأشكال التعبير والأحكام الضرورية لخلق الدافعية وتوجيهها لدفع الفعل.

	العمومية (هـ)	الوجدانية (ش)	
	الحياد (ش)	الخصوصية (هـ)	
التخصيص (هـ)	التكيف	تحقيق الهدف	الانجاز (ش)
الانجاز (ش)	المحافظة	التكامل	التخصيص (هـ)
النوعية (هـ)	على النمط (الدافعية)		الانتشار (ش)
الانتشار (ش)	الحياد (ش)	الخصوصية (هـ)	
	العمومية (هـ)	الحياد (ش)	

ج = متغير يتعلق بالتوجيه نحو الموضوع

ش = متغير يتعلق بشكل الموضوع

شكل رقم 09: العلاقات بين متغيرات النمط والأبعاد الوظيفية لأنساق الفعل

3.2 - الأنساق الفرعية للفعل:

إن الفعل الاجتماعي يجب أن يتضمن بالضرورة ثلاثة أنساق مترابطة نسق الشخصية، والثقافة، والأنساق الاجتماعية، ويمكن التعرف على إسهام أي نسق من هذه الأنساق في تكوين الفعل من خلال التحليل فكل فعل ملموس يشتمل على هذه الأنساق الثلاثة مجتمعة.

فقد أدى تحليل الأبعاد الوظيفية للفعل ببارسونز إلى إدخال النسق العضوي في إطاره التحليلي وإلى إعطائه أهمية بالغة، فستقيم نسق الفعل إلى أربعة وظائف متميزة سمح بتطوير نموذج نظري من العلاقات بين النسق العضوي، ونسق الشخصية، والتعاقد والنسق الاجتماعي.

فقد أصبح واضحاً أنه على أعلى مستويات التحليل يمكن اعتبار النسق العضوي، فنسق الشخصية والثقافة والنسق الاجتماعي، أنساقاً فرعية عامة لأنساق الفعل، ترتبط بعضها بنفس طريقة ارتباط الوظائف الأربعة.

فالنسق العضوي يرتبط بوظيفة التكيف، فهو الذي ينظم العلاقات مع العالم الفيزيقي وهو الذي يتكيف معه أو يتحكم فيه أو يعيد تشكيله، فمن خلال النسق العضوي، يتكيف النسق مع البيئة ويسخر هذه البيئة لاشباع حاجاته.

أما الشخصية فترتبط بوظيفة تحقيق الهدف، فداخل نسق الشخصية ومن خلاله تحدد أهداف النسق وكذلك الموارد والطاقة التي يستخدمها لتحقيق أهدافه.

أما النسق الاجتماعي فيرتبط بوظيفة التكامل، فهذا النسق هو الذي يحقق التضامن، ويحدد معالم السلوك السوي ويفرض الضوابط عليه، أما الثقافة فإنها تمثل وظيفة الكمون أو المحافظة على النمط، فهي تزود الفاعلين بالدافعية والتدعيم اللازمين لأفعالهم وذلك من خلال المعايير والمثل العليا، والقيم التي تسمح بها أو حتى تفرضها عليهم.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

وربما لن يفوتنا أن هذه الأنساق الفرعية لا تسهم في النسق العام للفعل بطريقة واحدة أو بدرجة واحدة، أما عن العلاقات الداخلية بين الأنساق الفرعية فهي غاية في التعقيد، وأنا على أي حال نستطيع أن نعتبر نسق نسقا مستقلا، بخصائصه وأنشطته المتميزة عن الأنساق الأخرى، وأن الأنساق الفرعية تعتمد على بعضها اعتمادا متبادلا، فكل نسق يعتمد على الآخر ويدعم النسق الآخر ويكمّله.

أ	الكائن العضوي (التكيف)	الشخصية (تحقيق الهدف)	ت
ب	الثقافة (المحافظة على النمط)	النسق الاجتماعي (التكامل)	ك

شكل رقم 10: الأنساق الفرعية لنسق الفعل العام

4.2 -ديناميات أنساق العمل:

الشرط الثالث الذي يجب أن يتوافر لنسق الفعل بعد البناء والوظائف لكي يكون نسقا هو قدر من التنظيم لدينا الداخلية، ويعد هذا شرطا ضروريا تنسق الغرض الرئيسي له هو الفعل والنشاط.

ويتضمن الفعل بطبيعته قدرا من التغير، بمعنى اضطراب حالته الراهنة وتحوله إلى حالة جديد، فالفاعل يدخل من خلال فعله في موقف ويتضمن هذا التدخل بالضرورة حدا أدنى من التغير بالنسبة للموقف أو الفاعل، فالنسق لا يمكن تصوره في حالة من الاستقرار (الستاتيكا) أثناء عملية التحليل النسقي ومن ثم فإن نسق الفعل ما هو إلا نسق دينامي متحرك¹.

وفي تحليله لعمليات التغير في نسق الفعل، وجد بارسونز أنه من المفيد إتخاذ فكرة التوازن كنقطة انطلاق، باعتباره حالة محدودة وأنه من الصعب تحقيقه في الواقع، وما هو إلا إطار نظري يبدأ منه التحليل النسقي للفعل.

وهذا التحليل للتوازن يؤدي بالضرورة إلى التحليل الدينامي، ذلك لأن التوازن الذي يشير عليه هو دائما توازن غير مستقر فالتوازن يبدأ في التخلخل في نفس اللحظة التي يقوم فيها والحقيقة أن الفعل ما هو إلا عامل يؤدي إلى عدم التوازن داخل نسق يسعى دائما على التوازن وتحقيقه بصعوبة فكل فعل رد فعل وتتضمن هذه العملية سلسلة الانمائية من التغيرات ومن مظاهر إعادة التكيف².

أما التعلم فهو صورة أخرى من التغير الذي يكسو التوازن، فما يتعلمه الفاعل ويستدمجه يكون له تأثير في تغيره، فالفاعل من بنى البشر يتمثل دائما خبرات واقعية جديدة، وهو

¹ غي روشيه عن أحمد زايد، مرجع مذكور، ص 90

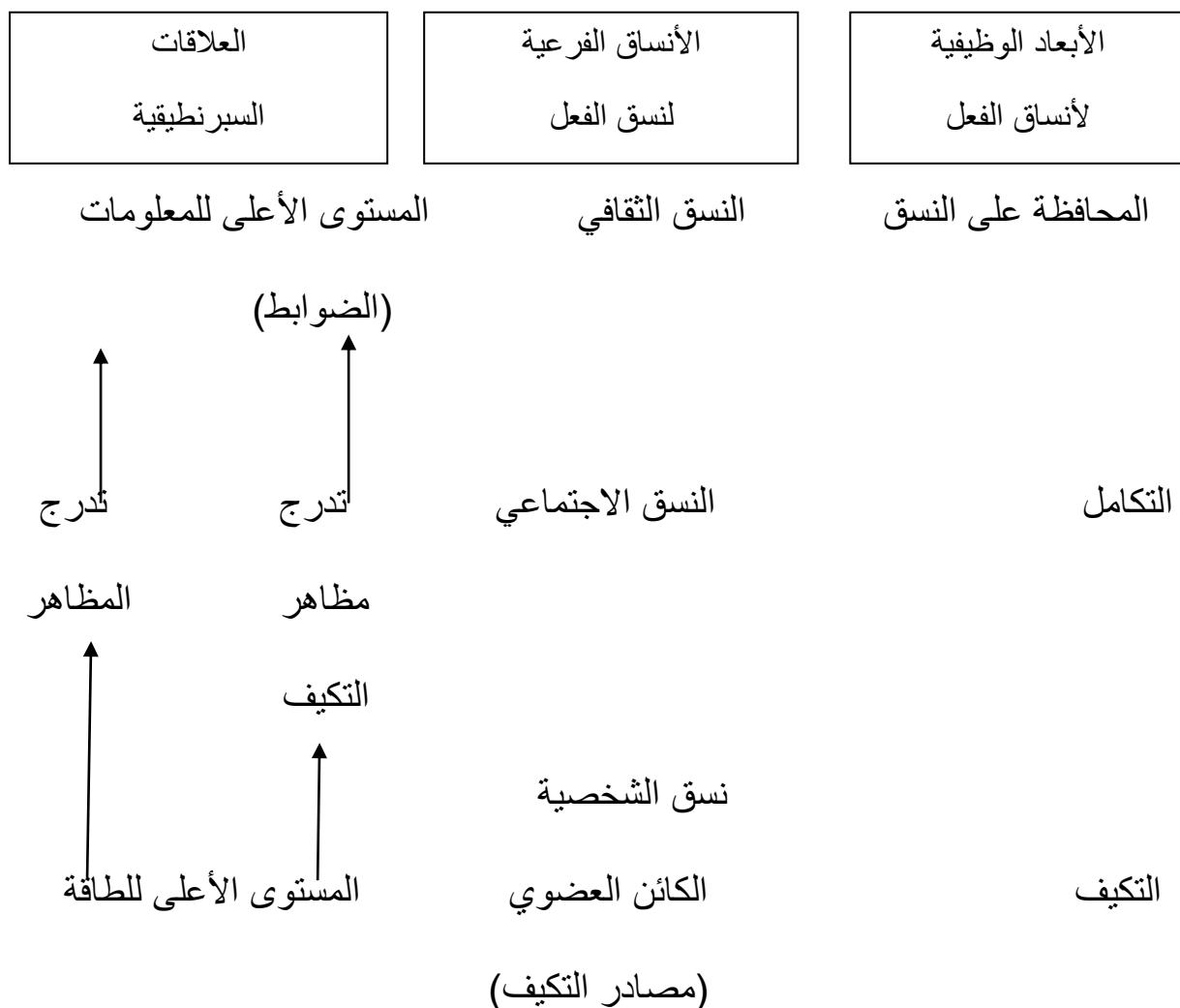
² نفس المرجع، ص 91.

الفصل الخامس مفهوم الفعل الاجتماعي وعلاقته باعادة صياغة الشخصية

يعدل سلوكه وفقا لها باستمرار، حتى وإن كان هذا التعديل لا شعوريا وهذه الملاحظات الخاصة بالفاعلية والتعلم تنطبق على كل فاعل وتحليل هذين النوعين من التعبير والكشف عن أربعة أنواع أخرى وفقا لنوعية الفعل محل إهتمام سواء أكان يتعلق بالفعل أم بالنسق:

وإذا أخذنا الفعل المتعلق بالفاعل فإننا نجد عمليتين هما: الاتصال واتخاذ القرارات وهما عمليتان توجدان في كل محل بين أفعال الفاعل، فضلا عن ذلك فإن كل عملية اتصال تتضمن قرارا يحدد طرف الاتصال الآخر وقائده وضرورته، وهاتان العمليتان تتسبان بطبيعتها في تداخل التوازن ذلك لأنهما يدخلان عناصر جديدة على الموقف.

أما بالنسبة للنسق وحدد داخله عمليتين للتغير هي عملية التباين *Differenciación* ، ومن خلالها تصبح أجزاء النسق أكثر تميزا، بحيث تظهر قدرا من الفردية والاستقلال النسبي ومن الناحية الأخرى إن أي نسق من أنساق الفعل يحدث داخله التباين يجب أن يمر في ذات الوقت بعملية متوازية من التكامل وتؤدي إلى ترابط الأجزاء المشابهة بعضها ببعض الآخر، بحيث تخلق مجموعة من الروابط يظهر فيها التأثير والناثر والتبادل، وتصل بين هذه الأجزاء بحيث تكون كلا مترابط واختتم بارسونز تحليله للعمليات الدينامية بالاستمارة من علم السبرنيطيقا *Cybernetics*، ليؤكد على أن نسق الفعل مثل كل الأنساق الوظيفية يتميز بوجود تداول على أن للطاقة والمعلومات وهذا التبادل هو الذي يحركه نحو الفعل، وتكون النتيجة أننشأ داخل النسق سلسلة منظمة من الضوابط المتتالية والمتراكمة، ففي قاعدة هذا التدرج توجد العناصر ذات المستوى الأعلى من الطاقة وتعد بمثابة عوامل تكيف الفعل وتتحكم فيه، أما في قمة التدرج فتقع العناصر الخاصة بالمعلومات وهي تعد بمثابة عوامل تضبط الفعل.



شكل رقم 11 : التدرج السيرنطيقى والنسق العام للفعل

*ملاحظة: يشير مصطلح السيرنطيقا إلى العلم الذي يهتم بمجموعة من المسائل تتمركز حول الاتصال والتحكم والميكانيكا الاحصائية، وبالرغم من أنها نشأت على العلم الرياضي والفسولوجي، إلا أنها أصبحت تتمثل بعلوم مختلفة ومنها العلوم الاجتماعية والتي تهتم بالاعلام وآليات التوصيل داخل الجماعة.

ملخص:

إن الفعل الاجتماعي بالمعنى الذي استخدمه بارسونز والذي يقصد به كل أنواع السلوك البشري التي توجهها وتدفعها المعاني التي يكونها الفاعل عن عالمه الخارجي ومدى ادراكه لها وردود فعله اتجاه هذه المعاني.

فهذا يدل على أهمية الفعل كنبض للحياة الاجتماعية و ارتباطه الوثيق بالفرد الفاعل من غير أن نخلط بين السلوك الفردي و الذاتي وبين الفعل الاجتماعي وتحليله في ضوء ثنائية الفعل والموقف الاجتماعيين.

الفصل السادس:

التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

تمهيد

المبحث الأول: التغير الاجتماعي.

1. مفهوم التغير الاجتماعي (ومدى ارتباطه بمفهوم التقدم والتغير الثقافي).

2. أهمية الدراسات الانتربولوجية للتغير الاجتماعي

المبحث الثاني: أسباب التغير الاجتماعي

1. الإنسان محور عملية التغير الاجتماعي

2. العوامل المسببة في التغير الاجتماعي

1.2: العوامل الايكولوجية والطبيعية.

2.2: العامل الديمغرافي.

3.2: العوامل الثقافية والايولوجية.

4.2: دور الاتصال في التغير

5.2: العوامل الاقتصادية.

ملخص

تمهيد:

قد يبدو لنا أن عملية التغير الاجتماعي ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الفعل الاجتماعي وربما تذهب علاقتهما الى أبعاد كثيرة تساعد في فهم الحياة العصرية المتجددة، المتأثرة بكل ما يأتي من الخارج، فتتغير سلوكيات الأفراد وتأخذ مأخذا جديدا، متفتحا وربما متقدما نحو الأمام.

كما يبدو أيضا أن هناك عوامل تتسبب في عملية التغير الاجتماعي تدخل الفرد في علاقات جديدة بينه و بين عالمه المحيط به.

المبحث الأول:

التغير الاجتماعي

1. مفهوم التغير الاجتماعي (ومدى ارتباطه بمفهوم التقدم والتغير الثقافي).

2. أهمية الدراسات الانتربولوجية للتغير الاجتماعي

1. مفهوم التغير الاجتماعي:

يعتبر مصطلح التغير الاجتماعي مصطلحا حديثا نسبيا، لكنه قديم من حيث الاهتمام لموضوعه، فقد كان مختلطا مع مصطلحات أخرى مثل التطور (évolution) والتنمية (développement) والنمو هذه المصطلحات التي بدأت العلوم الاجتماعية تميز بينها مع بداية هذا القرن، بحيث أصبح من غير الجائز الخلط فيما بينها مع تقدم الأبحاث والدراسات الاجتماعية.

فكثيرا ما استخدم مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كان يدلان على المعنى نفسه والواقع أن مفهوم التطور شهد انتشارا واسعا في الحقلين البيولوجي والاجتماعي مع ظهور نظرية داروين في منتصف القرن التاسع عشر وكان التطبيق الاجتماعي للنظرية داروين على يد المفكر الانجليزي هربت سبنسر وذلك من خلال المقارنة بين الكائن الحي والمجتمع والدلالة على أوجه التشابه في اشتراكهما في النمو وتعدد درجة البناء وتمايز الوظائف وتطورها.

وسمي حينها هذا الاتجاه بالداروينية الاجتماعية إلا أن انتقادات كثيرة وجهت إلى هذا الاتجاه ومما ما توصل إليه "وليم أوغبرن" الذي اعتبر أن المحاولات المبذولة للكشف عن قوانين الوراثة والتنوع في تطور النظم الاجتماعية لم تستقر إلا عن القليل من النتائج الحيوية والمهمة. وهو ما بينه أيضا جوليان ستيوارد (Jolian Steward) من خلال تأكيده أن هناك اختلافا واضحا بين التطور العضوي والتطور البشري وذلك أن الأول يسير في خط مستقيم وحتمي بينما الثاني يسير في عدة خطوط وذلك بحسب اختلاف العوامل السياسية والاقتصادية الثقافية¹

و الواقع أن النظرية التطورية في الحقل الاجتماعي فقدت الكثير من الشهرة و انصرف عنها حديثا علماء الاجتماع.

¹ عبد الغني عماد، سسيولوجيا الثقافة، مرجع مذكور، ص 189

2. أهمية الدراسات الانثربولوجية للتغير الاجتماعي:

و تجدر الإشارة هنا إلى أن الانثربولوجيا الاجتماعية شأنها شأن علم الاجتماع تهتم بدراسة السلوك الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية خلال التغيرات الطارئة على الأفعال الاجتماعية من خلال الفاعلين الاجتماعيين (أفراد المجتمع) في كل المجتمعات البشرية وليس في المجتمعات البسيطة فحسب إلا أنه خلال حقبة زمنية من تاريخها تركزت معظم جهود العلماء والباحثين في دراسة النظم الاجتماعية في المجتمعات البسيطة حيث أن المفكرين والفلاسفة في القرن الثامن عشر اعتبروا أن هذه المجتمعات تجسد الحالة الطبيعية التي يظن أن الإنسان كان يعيش من خلالها قبل ظهور أنظمة الحكم المختلفة بينما اهتم العلماء الانثربولوجيا في القرن التاسع عشر بهذه المجتمعات لاعتقادهم أنهم واجدون فيها بعض الدلائل التي تساعد في البحث عن أصول النظم الاجتماعية، أما اهتمام علماء الانثربولوجيا اللاحقون فقد جاء نتيجة اعتقادهم بأن المجتمعات البسيطة تعرض النظم الاجتماعية في أبسط صورها¹، وأن المنهج السليم في الدراسة يقتضي الانتقال من النظم البسيطة إلى دراسة النظم الأكثر تعقيدا أو تركيبا فبالرغم من أن علماء الانثربولوجيا و الاجتماع يركزون في دراسة السلوك البشري و العلاقات الاجتماعية إلا أن الانثربولوجيين يهتمون بمسائل أخرى مثل معتقدات الشعوب و قيمهم وذلك حتى في حالة ما إذا كانت تلك القيم و المعتقدات لا يمكن إظهارها على أنها ذات صلة مباشرة بالسلوك الاجتماعي المدروس لأن هذه الأشياء متصلة اتصالا وثيقا ببعضها البعض و لا يمكن خصم العلاقات الاجتماعية فهما جيدا إذ لم يأخذ في الحساب القيم و المعتقدات و الكثير من الأنثربولوجيين درسوا نظام معتقدات وقي الشعوب ليس فقط من وجهة نظر اجتماعية كون أنها جديدة بالدارسة و البحث في حد ذاتها²

¹ د. زينب زهري ود. صالح الزين، دراسات في علم الاجتماع والانثربولوجيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، بنغازي، ليبيا، 1985، ص 149

² نفس المرجع ، ص 150

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

كذلك الأمر فيما يتعلق بمفهوم التقدم الاجتماعي الذي كان يعني في الاستخدام الشائع تغير المجتمع من حالة إلى حالة أفضل، وقد جاءت نظريات التقدم الاجتماعي لتفسير تغير المجتمعات من خلال تقدمها، ومن أبرز هؤلاء جون بيوري (JOHN BURY) الذي يرى أن مفهوم التقدم يعني أن الحضارة الإنسانية قد تطورت في الماضي ، وهي تتطور في الحاضر وسوف تستمر في التطور في المستقبل في اتجاه مرغوب¹

يعبر إذا مفهوم التقدم عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحو غاية معينة، وهذا ما أدى إلى الخلط بين مفهومي التغير و التقدم الاجتماعيين وقد أشار جون ديوي إلى أن هذا الخلط يعود إلى أن المجتمع الإنساني قد ظل لفترات طويلة في حالة من الاستاتيكية ساعدت عليها العزلة النسبية التي عاشتها المجتمعات القديمة، وصعوبة اتصال المجتمعات بعضها ببعض إلى أن جاء العصر الحديث ومعه الكثير من وسائل الاتصال المادية والمعنوية والتي أحدثت ثورة من عمليات التفاعل ما أدى إلى تحطيم الحواجز التي فرضت العزلة وتحولت من الاستاتيكية إلى الديناميكية هذا التحول الجوهرى الذي مر به المجتمع الإنساني دفع بعضهم إلى اعتبار هذه الحركة الديناميكية ذاتها تقدما.

والواقع أن استخدام مفهوم التقدم الاجتماعي يواجه صعوبات منهجية حيث يحمل معه خط سير للمجتمع نحو الأمام أي أنه يسير في خط صاعد، في حين أن مفهوم التغير يتضمن إمكانية التقدم أو التخلف². وبالتالي فهو أكثر علمية لأنه يتوافق وواقع المجتمعات التي ليست دائما في تقدم مستمر وهذا لا يعني الاستغناء كليا عن استخدام مفهوم التقدم الذي يبقى متضمنا قيمة اجتماعية وإنسانية تقوم على الاعتقاد بقدرة الإنسان على صنع أفضل شروط الحياة.

كذلك يجب التمييز بين النمو والتنمية فالنمو عملية تلقائية بينما التنمية عملية إرادية مخططة.

¹ عبد الغنى عماد ، سوسيولوجيا الثقافة، مرجع مذكور، ص 190

² نفس المرجع، ص 191

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

يقترّب مفهوم النمو من مفهوم التطور نظرياً إلا أنه لا يتطابق معه والنمو الاجتماعي أكثر تعقيداً من النمو العضوي وقد استخدم المصطلح معاني مختلفة (مجتمعات، أقل نمو، سائرة في النمو) وهناك جدل كبير في أدبيات التنمية حول هذه المصطلحات ذلك أن فكرة النمو تتضمن قيمة معيارية و أخلاقية فهي تشير إلى الزيادة الثابتة نسبياً والمستمرة في جانب واحد من جوانب الحياة "أما التغير فيشير إلى التحول الاجتماعي والأدوار وقيم الضبط الاجتماعي"¹ وقد يكون هذا التحول ايجابياً أو سلبياً كما قد يكون النمو بطيئاً في العادة. أما التغير الاجتماعي قد يكون في الغالب سريعاً ويغلب على الأول التغير الكمي أما الثاني فيغلب عليه التغير الكيفي كذلك سير النمو في خط مستقيم وصاعد بحيث يمكن التنبؤ بما سيؤول إليه أما التغير فليس بالضرورة أن يكون سيره مستقيماً وصاعداً وهو في الغالب عملية موجهة ومقصودة وإرادية على عكس النمو الذي هو عملية تلقائية لا دخل للإنسان فيها.

والواقع أن مصطلح التنمية شهد انتشاراً واسعاً بين الحربين العالميتين وبعد أن حققت معظم المجتمعات استقلالها وبغض النظر عن التعريفات المتعددة لمصطلح التنمية الاجتماعية فهو بالإجمال يعني مجمل الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم لتحقيق التعبئة المثلى لجهود الأفراد و التنسيق المتكامل بين الإمكانيات البشرية و المادية المتاحة في وسط اجتماعي معين، يتجاوز معدل النمو الطبيعي ولتحقيق هذا الهدف هناك اتجاهات و نظريات متعددة في الواقع مفهوم التنمية الاجتماعية الأقرب المفاهيم إلى التغيير الاجتماعي إذا ما قورن بمفاهيم التقدم والنمو والتطور وهو تختلف عنه فقطفي المصلحة النهائية التي تتضمن بعد ايجابياً بشكل دائم في حين أن التعبير الاجتماعي قد يكون سلبياً.

نخلص أن مصطلحات التقدم والتطور و النمو لا توفر منهجياً البعد الموضوعي لدراسة عمليات التغير من الناحية العلمية فهي معاني قيمية وأخلاقية في حين أن مصطلح التغيير الاجتماعي واحداً كما كائن فعلاً، وليس كما يحب أن يكون (غير قيمي).

¹ جندي عبد الرحمن، استراتيجيات التغير، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن جامعة غرداية، جوان 2015، ص765

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

تبقى الإجابة على السؤال المطروح عن علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي تقتضي إلى النقاش حول مفهوم و مضمون الثقافة و دراسة التغير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين حيث لا يمكن فصلهما وبالتالي البحث في تأثير احدهما على الآخر ومن الخطأ أن نفرّد عوامل خاصة بالتغير في الجانب المادي و عوامل أخرى خاصة بالجانب اللامادي و بالتالي يكون التغير الثقافي هو ما يطرأ من تبادل في جانبي الثقافة سواء كان ماديا أو معنويا انه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفن، الدين والعادات و التقاليد، التكنولوجيا...) وعلى هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي بالإضافة إلى ذلك الإطار المادي.

لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية بينما العكس صحيح وما دام التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا أو شاملا المظاهر المادية و المعنوية دوما دام التغير الاجتماعي يتناول الجوانب المعنوية لجهة وظيفتها في البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من علاقات وما ينتج عنها من قيم وعادات أي جوانب لا مادية ومادام الأمر كذلك فإن هناك علاقة بين التغيرين هي علاقة تضمن واحتواء¹ فكل ما هو تغير اجتماعي يعد تغير ثقافي وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح مع الوقت سببا أو علة للتعبير كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية.

¹ يوسف خضور، التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق، منشورات جامعة دمشق، 1994، ص 46 .

المبحث الثاني:

أسباب التغير الاجتماعي

1. الإنسان محور عملية التغير الاجتماعي

2. العوامل المسببة في التغير الاجتماعي

1.2: العوامل الايكولوجية والطبيعية.

2.2: العامل الديمغرافي.

3.2: العوامل الثقافية والايكولوجية.

4.2: دور الاتصال في التغير

5.2: العوامل الاقتصادية.

1. الإنسان محور عملية التغير الاجتماعي:

يعتبر الإنسان هو المسؤول الأول والرئيسي في عملية تغيير القيم الثقافية السلبية بالقيم الثقافية الايجابية، لأن القيم الثقافية عبارة عن الأفكار التي تنظم و توجه و ترشد سلوك الإنسان لكي يتخذ هذا الأخير قرارات ومواقف اتجاه القضايا في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية هذه الأفكار عندما يعتاد و يتعارف عنها أفراد المجتمع فإنها تصبح تسمى بالقيم الثقافية و يجب أن نذكر بأن هناك نوعين من القيم الثقافية.

النوع الأول: القيم الثقافية الميثة أو الهدامة فهي لا تحدث وعي ولا تحفز على النهضة ولا تبني حضارة وسميهاها بالقيم الثقافية السلبية.

أما النوع الثاني: القيم الثقافية الحية والمنعشة وباعثة الإرادة والعزيمة والصبر والمحفة والبناء والمؤسسة للوعي واليقظة والنهضة وسميهاها بالقيم الثقافية الايجابية¹ والسؤال الذي يمكن أن يطرح في هذا المجال هو كآآتي: كيف يمكن لنا اليوم التمييز بين السمات الثقافية الهدامة السلبية و بين السمات الثقافية البناء الايجابية بحكم التغيرات السارية وفق متطلبات الحياة الاجتماعية المدنية أو بالأحرى المعقدة والمركبة فإذا كان بالنسبة لنا لكل منا رصيد فكري ثقافي يملكه و يتصدى به لكل مشاكل الحياة الاجتماعية الحديثة والمعاصرة بما أنه يكتسب قوة رصيد الفكري والعلمي والاجتماعي والثقافي من داخل مجتمعه هو بعينه، وبما أننا سلمنا مسبقا بأن الإنسان (الفرد الاجتماعي) هو محور الحياة الاجتماعية و المجتمع بحد ذاته، و أنه يدخل في علاقات متشابكة متنوعة تفرض عليه بالقسر و الإكراه و أحيانا بالرضى و الرغبة حسب متطلبات حياته.

وبأن التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية و الثقافية والطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه

¹ أ.رشيد زرواتي، إشكالية الثقافة في التنمية بالبلدان النامية، دار عياش للطباعة والنشر ، الجزائر، 2011 ، ص 210

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

ثقافته في المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغير.

2. العوامل المسببة في التغير الاجتماعي:

وهناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الثقافي والاجتماعي بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية والبيولوجية وعوام أخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل المعطيات التكنولوجية والثقافية وغيرها.

1.2 العوامل البيولوجية والطبيعية :

وتتمثل في مكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية وعلى الرغم من أن التغيرات في البيئة الطبيعية نادرة الحدوث، إلا أن تأثيرها عندما يحدث يكون عظيما في حياة المجتمع فقد تؤدي إلى الهجرة الجماعية، كذلك يكون للمناخ أثر كبير في نوع المحاصيل وفي الإنتاج الصناعي وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية وتأثير الدخل ومستوى المعيشة في المجتمع لما تحتويه الأرض من ثروات.

فاقتصاديات المجتمعات التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية والأراضي البور تختلف عن تلك الغنية بالمياه والأراضي الخصبة والثروات المادية كالفحم والحديد والذهب والبتروول وبالتالي ينتج عن هذا الاختلاف نظم وعلاقات اجتماعية ثقافية متنوعة¹

إلا أن الإنسان لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعا تاما بحيث تتحكم في حياته ومصيره فقد استطاع بالعلم أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه ولم تعد بالتالي علاقته بهذه البيئة ذات طابع حتمي وبخاصة لجهة تحديد مجالات حياته ونشاطاته عدا عن أنها أي البيئة ليست صالحة دائما لتفسير مختلف التغيرات الاجتماعية والثقافية هذا ما بينه النقاش الواسع في الجغرافيا البشرية بين أنصار النظرية الحتمية من جهة وأنصار النظرية الإمكانية من جهة أخرى وبخاصة أن المعطيات الطبيعية نفسها ليست بالضرورة أن ينشأ عنها استجابات

¹Mostefa Boutefnouchet, La Societe Algerienne En Transition, OPU, Alger, 2004, p23.

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

ثقافية وحضارية مشابهة فكما أن البيئة الساحلية أو البحرية ساعدت على قيام الحضارة الفينيقية، فليس كل من عاش بيئة مشابهة أنتج بالضرورة حضارة مشابهة، والأمر نفسه يقال على الحضارة الفرعونية التي قامت في بيئة صحراوية والتي لم تقم ما يشابهها على الرغم من توافق بيئات صحراوية عديدة تسكنها جماعات بشرية متنوعة¹ وقد اهتم ابن خلدون في مقدمته بأثر البيئة في العمران البشري، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان²، وهذه العناصر تعد من أبرز العوامل المجددة لنشاط الإنسان وهي التي تؤثر في سلوكه وفي عملية إنتاجه، ما يجعل منه ممثلاً للاتجاه الايكولوجي في التغير الاجتماعي وقد تطور هذا الاتجاه في ما بعد على يد مونتسكو (Montesquieu) (1755-1689) فقد رأى في كتابه روح القوانين أن محرك التاريخ ومصدر الشرائح يتجدد في المناخ والامتداد الجغرافي، وعن طريق هذين المتغيرين يمكن أن نفهم مميزات الشعوب المختلفة، وأن نحدد النظم والقوانين الملائمة لكل مجتمع.

وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر الفلسفية والعلمية عن علاقة الإنسان ببيئة أكدّت الدراسات العلمية الحديثة أن الكثير من الظواهر الاجتماعية وعمليات التغير في شتى الميادين لا يمكن أن تفسر إلا بالنشاط البشري الناتج عن التفاعل بين وعي الإنسان أكثر منه عالماً طبيعياً .

¹ نفس المرجع، ص 195.

² محمد اسماعيل قباري، أسس البناء الاجتماعي، مرجع مذكور، ص 122.

2.2 العامل الديمغرافي:

يعتبر حجم السكان وتوزيعهم و تركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي وهذا ليس راجعا إلى أن الجماعات الإنسانية تنظم وتفرض أنواع السلوك المتوقع من أعضائها فحسب بل أيضا لأنها في الوقت نفسه عبارة عن وحدات تقوم ببعض الوظائف والسلوك المتوقع فضلا عن العادات والتقاليد، وبالتالي ينتج عن ذلك نماذج توافقية¹ ومثال ذلك أن حاجات الأسرة في المجتمع التقليدي الزراعي تختلف عن حاجات الأسرة في المجتمع المدني الصناعي. بالتالي فإن الأسرة الريفية الكبيرة يمكن أن تقوم بعدة وظائف تعجز عنها الأسرة المدنية الصغيرة وينتج عن ذلك أن تتغير التوقعات الاجتماعية بتغير النماذج و الحجم و تعقد البناء الاجتماعي فصغر حجم العائلة يجعلها أقل قدرة على مواجهة متطلبات الظروف الجغرافية المتصلة بعملية الزراعة وكلما كان صغر حجم العائلة فإن الأنساق الثقافية للسلوك العائلي تتغير بشكل واضح وهذا يعني أن التغير في بعض الظواهر والملامح المتعلقة بالجماعة يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الاجتماعية كذلك يلعب الاتصال أو العزلة دورا مؤثرا في التغير الاجتماعي والثقافي، فالعزلة لا تشجع الانتشار بقدر ما تشجع الاتجاه المحافظ ودرجات الاتصال أو العزلة نسبية فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة وكذلك المجتمعات الزراعية فهي ترغب في حماية ثقافتها وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى.

إن للعامل الديموغرافي أهمية في التغير الاجتماعي لكنه لا يعد عاملا أساسيا منفردا في توحيد التغير ايجابيا أو سلبيا بدلالة الاختلاف بين الدول ذات العدد السكاني المتكافئ ويتشابه التغير في دول مختلفة الكثافة السكانية والوضع الديموغرافي بشكل عام، لهذا يمكن

¹ أمينة رشيد، التبعية الثقافية، دار الامين للنشر، مصر ، 1999، ص68 ،

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

القول إن العامل الديموغرافي عنصر مهم في التغير لكننا لا نستطيع أن نرجع إليه التغيرات الاجتماعية جميعها في هذا المجال¹.

¹ خضور، التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق، مرجع مذكور، ص 121.

3.2 العوامل الايديولوجية و الثقافية:

لعل من أهم العوامل المؤثرة في التغير هي العوامل الإيديولوجية و الثقافية، فالإيديولوجية قوة كافية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة و تساندها بتبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية لذلك هي ترتبط بالمنظومة الاجتماعية و بحركاتها العامة، فهي ليست مجموعة من الأفكار و المعتقدات و الاتجاهات تتبناها جماعة معينة و إنما هي حركة فكرية هادفة ومحركة لها فاعلية ايجابية في الوسط الاجتماعي و الثقافي وتنعكس روحها في السنة الاجتماعية و في القيم و السلوكيات.

و ينعكس أي تغيير يطرأ على إيديولوجية المجتمع على الظواهر و المؤسسات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الأفكار التي يعتنقها الناس و غالبا ما تتجسد في شكل حركة جماهيرية أو تيار يقوده مجموعة من الناس المنظمين وهنا تنزل الأفكار إلى الأرض وتصبح فكرة مادية تسبب على الأقل التغير السياسي و الذي بدوره قد يفرض كل التغيرات الأخرى.

وقد استقطبت الايديولوجيا ودورها في التغير الاجتماعي كتابات كثيرة أهمها:

كتاب ماكس فيبر (M.weber) وهي من الأطروحات التي أثارت اهتماماتنا لأهمية خدمتها لموضوع بحثنا و ارتباطها به من الناحية الفكرية و النظرية و التي يرى فيها فيبر أن هناك فترات تحول تمر بالمجتمعات تفضل وجود عباقرة و أبطال أو انبثاق فئة من الحكماء و المرشدين أو العلماء التكنوقراطيين و تعكس كتاباته أهمية العوامل الفكرية والروحية في التغير و قد اهتم بالعوامل المؤدية إلى نشاط الرأسمالية و التي لاحظ على سبيل المثال أنها لم تنشأ في المجتمع الصيني القديم نظرا إلى أن الأفكار السائدة في المجتمع لم تكن تدفع إلى الإنتاج و العدل و الادخار و الاستثمار وهو الأمر الذي ركزت عليه حركة الإصلاح الديني في أوروبا و بخاصة البروستانتية ولا يزال كتابه الأخلاق

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

البروستانتية وروح الرأسمالية يعتبر من المؤلفات المرجعية في علم الاجتماع في هذا الكتاب يبين كيف يمكن للأفكار أن تصبح قوة فاعلة في التاريخ ويطور منهجية سسيولوجية مضادة للحمية الاقتصادية.

و المحور الذي يدور حوله التغير الاجتماعي في نظره هو الصراع بين ثلاثة مبادئ عامة هي: التقليدية (Traditionnalisme) والتعقل (Rationalisme) والكاريزما (Charisma).

الكاريزما مصطلح يعني "هبة الله" وهو يطلق على خصائص معينة في شخصية الفرد تميزه عن غيره من الأفراد العاديين بحيث ينظر إليه كقائد مزود بقوى و خصائص خارقة للعادة، غير متوفرة في عموم الناس قد يكون مصدر هذه الصفات إليها، أو عبارة عن صفات مثالية تدفع صاحبها إلى مرتبة القيادي في نظر الناس، يوجد النظام الكاريزمي عادة في حالة الوهن الاجتماعي و الديني و الاقتصادي و السياسي و يرتكز على الطاعة للبطل والتضحية من أجل تأدية الرسالة. و القائد الكاريزمي لا يظهر عادة في الميدان وحده، بل يظهر عادة مع جماعة ثائرة تشكل الحركة الكاريزمية التي يبقى المدينة شأنها و استمرارها للقائد.

التغير عنده يتم على ثلاثة مراحل في المرحلة الكاريزمية و المرحلة البيروقراطية والمرحلة التقليدية، وليس بالضروري أن تكون هذه المراحل متتابعة على هذا الشكل، ومن الممكن القفز من المرحلة الأولى إلى الثالثة دون المرور بالثانية.

يقوم القائد الكاريزمي بالثورة على النظام القائم وسحب الشرعية التي يتمتع بها البناء السياسي والاجتماعي القائم يقيم على انتفاضة شرعية جديدة نابعة من كاريزما القائد فالوظيفة السياسية للكاريزما في هذه الحالة هي التصديق على البناء الجديد وإضفاء الشرعية عليه.

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

وهي بالإضافة إلى ذلك تقوم بوظائف نفسية واجتماعية، وتؤمن المساندة في الانتقال من مجموعة قديمة من القيم إلى مجموعة جديدة منها، فالقائد في هذه الحالة هو مصدر الشجاعة والاقدام والرغبة في نبذ القديم والحماس من أجل التغيير ومن أجل تثبيت الجديد، وعندما يختفي القائد الكاريزمي من المسرح يشغل الفراغ قائد جديد يستمد بعض الصفات من القائد الأصلي، وبمرور الوقت تتحول الحركة الكاريزمية إلى بناء بيروقراطي أو بناء تقليدي ويقصد بالبناء البيروقراطي ذلك الذي يتصف بدرجة عالية من تقسيم العمل والتخصص الدقيق أما البناء التقليدي فهو أقل من البيروقراطي ويقترب من شكل التضامن العضوي.

ومع ذلك ينبغي أن ننتبه إلى أن فيبر حين يتحدث عن دور الكاريزما فإنه لا يغيب دور الظروف التي يظهر فيها القائد، وخصائص الفترة التاريخية التي تشهد ظهوره، معنى ذلك أن القائد الكاريزمي قد لا ينجح في بعض الأحيان لأن الفترة التاريخية التي قد يظهر فيها تكون غير مواتية لنجاحه.

وهكذا فالعوامل الإيديولوجية غير مقتصرة على النواحي السياسية بل تتعدى ذلك إلى النواحي الدينية والعسكرية والاجتماعية والفكرية، وهذه كلها مجتمعة تتأثر من جراء هذا التغيير فالإيديولوجيا توجه العوامل الأخرى مثل الموقف من البيئة أو السكان أو سبل الاستفادة من التكنولوجيا، وهذه كلها قد تسبب الإسراع في عملية التغير، لأن الناس فيها يكونون في قلب الحركة، وتنعدم بالتالي أو تضعف عوائق التغير.

والتاريخ حافل بالكثير من الحركات الفكرية التي نادت بمبادئ وقيم غيرت من طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع، إن التغيرات الثقافية تغير وتعديل النماذج السلوكية، وغالبية التغيرات الثقافية تحدث نتيجة الاختراع والابتكار والاستعارة والمحاكاة، ومن الطبيعي أن تختفي بعض العناصر القديمة أثناء عمليات التغيير ولكن أيضا من الممكن أن تعيش وتتساكن جنباً إلى جنب مع العناصر الجديدة بصورة تختلف أو تتغير وفقاً لها أنماط السيادة أو التساند بينهما.

4.2 دور الاتصال في عملية التغير:

لا شك في أن الاحتياجات المستجدة تشجع التغير وتوجهه ما قد يؤدي إلى إنتاج وسائل جديدة تلبي المستجد من هذه الحاجات والاحتياجات، إلا أن ما تستمر من هذه الوسائل والاختراعات هو المرتبط بالحاجات الدائمة التي تقدرها الجماعة فكثير من الوسائل اختفت تماماً، أو قل استخدامها إلى الحد الأدنى عندما انتهت الحاجة إليها نتيجة لتغيرات اجتماعية لاحقة، وتكمن أهمية الاتصال بين الأصناف الثقافية أو كما يطلق عليها سوروكين التلاقح المختلط كما يمدنا به العناصر اللازمة للمخترعات الاجتماعية، إذ كل منها يكمل تطوره بالاعتماد على محصلة السابقين والمعاصرين لهم، والرأي السائد عند علماء الاجتماع أنه عندما تتقابل ثقافتان مختلفتان فإن القيم المادية والاقتصادية والتكنولوجية هي التي تتسرب أولاً، ثم يأتي بعد ذلك القيم السياسية وأخيراً القيم اللامدية والايديولوجية، إلا أن هذا التسلسل ليس حتمياً كما يقول سوروكين ذلك أنه عندما تحتك مجموعة من الثقافات فإنها تتداخل معاً ومن ثم تنشأ اجتماعياً مجموعات مختلفة وعديدة من القيم معاً، الأمر الذي يستلزم أن تستعير إحداها من الأخرى السمات الاقتصادية ثم الأفكار السياسية وأخيراً القيم الإيديولوجية¹

وثمة اتجاهات أخرى ركزت على عملية الانتشار الثقافي بوصفها أساس عملية التغير الاجتماعي التي تنشر بواسطتها السمات أو الأنماط الثقافية من منطقة إلى أخرى إلى أن تعم أنحاء العالم، لأن من سمات الثقافة الانتشار.

والواقع أن التقدم الكبير الذي حققته وسائل الاتصال الحديثة، مادية وفكرية قد ساهم بدور ملحوظ في تسهيل عملية الانتشار الثقافي وسرعته في الوقت نفسه ويميز هذا الاتجاه بين انتقال الثقافة وانتشارها فالأول يعني انتقال الثقافة داخل المجتمع من فرد إلى آخر ومن جيل

¹ زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، الشروق، بيروت، ص109

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

لآخر، أما الثاني فيعني انتشار سمات ثقافية من مجتمع لآخر وبمعنى آخر يعمل الانتقال وفق عامل الزمن، بينما يعمل الانتشار وفق عامل المكان.

ولتحقيق عملية الانتشار الثقافي يجب توافر عدة عوامل، منها وجود عناصر جديدة ونماذج ثقافية مستحدثة بالنسبة لبيئة الاجتماعية المتنقلة إليها.

ومنها تقبل المجتمع الجديد لهذا الأنماط ووجود قاعدة أو أكثر للترابط الثقافي بين البيئتين ويجب أن ننبه إلى أن عملية انتشار الثقافة عملية معقدة وليست ميكانيكية، وإن كانت سببا في التغير الاجتماعي و الثقافي وهي ليست لوحدها فلا يجب التركيز فقط على العامل الخارجي في عملية التغير الاجتماعي أو نفس العوامل الداخلية الأمر الذي يردى إلى إلغاء فاعلية المجتمع و آليات التغيير فيه وهذا ينافي الحقيقة و الواقع.

وهناك اتجاه آخر في الصراع الثقافي (conflit culturel) والتناقض الاجتماعي الذي ينتج عنه هو العامل الفاعل في عملية التأثير وللصراع أوجه متعددة، سياسي، طبقي، ديني عرقي وهو في النهاية عملية اجتماعية توجد بأوجه مختلفة في الحياة الاجتماعية و بالتالي فإن التناقضات الثقافية تتبع من الداخل المجتمع، وتؤدي إزالة هذه التناقضات إلى تغيرات اجتماعية فيه، ويشبه ذلك إلى حد كبير نظرية فرويد النفسية أي يتم حسم الصراع بإنهاء جانب من العناصر الثقافية على حساب عنصر آخر.

ويكون ذلك إما استبدال عناصر جديدة أو بتمتية العنصر الغالب في الثقافة في كلتا الحالتين يؤدي الأمر إلى التغير في النهاية.

ويذهب هذا الاتجاه إلى القول أن الصراع يمنع تحجر النظام الاجتماعي وذلك بإيجاد ضغط من الابتكار و الإبداع فلا بد لنظام الاجتماعية من صراع لكي يحدد على الأقل طاقاته ويعيد المياه إلى قواه المبدعة¹.

¹ خضور، التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق ،مرجع مذكور، ص 143.

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

ولكن ماذا لو تحول هذا الصراع إلى توتر حاد ثم إلى إخلال التوازن بين البنى و النظم الاجتماعية، وبالتالي تحل على الأفراد الفاعلين حالة من الفزع والخوف والقلق الاجتماعي والثقافي قد تسفر في أحيان كثيرة إلى حالات مرضية تحتاج إلى الرعاية والمساعدة وهذا ما نود أن نصل إليه من خلال موضوع بحثنا، والذي يتمثل في الكشف نظريا أو فكريا أو الاعتراف بحالات السسيوباتولوجية الناتجة عن حالة اللاإشباع و اللامعيار ما تقدمه لنا الثقافة الخاصة بالمجتمع وبين ما يأتي من الخارج، وكيفية التصدي لها مستقبلا وتنقل إلى العوامل التكنولوجية والمخترعات الجديدة التي تترك أثرا بارزا في المجتمعات الإنسانية وتعتبر الإبداعات التكنولوجية لثقافة ما محركا أساسيا في عملية التغير فقد أدت الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم تكنولوجي إلى إحداث تغيرات جوهرية ومهمة في نمط المعيشة بوجه عام وفي النظم الاجتماعية بوجه خاص.

إن أهم ما يميز الإنسان هو قدرته على الاختراع، فمنذ القدم اخترع الإنسان البدائي أشياء تتلاءم مع بيئته ووقته و ظروفه وعند ظهور أي اختراع فانه تستمر كجزء من الثقافة طالما بقي يحقق الفائدة المرجوة منه، حتى يظهر اختراع جديد يقلل من فائدة الأول ويضفي عليه. ولا نقصد بالاختراع ما هو مادي فحسب بل كل تجديد في ميادين العلوم والفنون والنظم الاجتماعية وهناك عاملا أساسيان يعملان على تعويق النمو الثقافي والاجتماعي، الأول هو ركود حركة الاجتماع أو النشاط الإبداعي والثاني هز نزعة المعارضة التي ترفض كل جديد خوفا من تشوه معطيات تطيح عليه من مكاسب ومنافع أو تقاليد وعادات ومن خلال النزعة ينشأ التعصب و التزمّت والتمسك بكل قديم بغض النظر عن أهميته ووظيفته في المجتمع.

إلا أن انتشار تقنيات الاتصال الحديثة سهل عمليات التواصل، بحيث أصبح الناس أكثر قدرة على الاختيار والاستعارة وهو ما ينتج عنه أيضا ازدياد التوتر والحذر بين العناصر القديمة و الحديثة للثقافة.

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

ومع كل هذا يمكن القول بأن التغير التكنولوجي يصبح دائما تغير اجتماعي وهذه حقيقة سسيولوجية ولكن ما طبيعة العلاقة بينهما وكيف تتم عملية التتابع والتأثر بينهما هل يكون التغير الاجتماعي سابقا أم مصاحبا أم لاحقا للتغير التكنولوجي؟ لقد تعددت الآراء حول هذه التساؤلات فقد رأى كثير من العلماء أن العامل التكنولوجي السبب الأساسي وراء التغير الاجتماعي وأن طوال التاريخ كان للاكتشافات والاختراعات والصناعات تأثيرات اجتماعية وسياسية بعيدة المدى.

وتبنى وليم أوغبرن هذا الاتجاه، وصاغ منه نظرية عن الهوية الثقافية أو التخلف الثقافي يؤكد فيه "أن التغير في الجانب المادي للثقافة سبق دائما وأبدا التغير في الجانب اللامادي ما ينتج عنه الهوية الثقافية وهي الفترة الزمنية التي تقع بين المرحلة الأولى التي تم فيها التقدم التكنولوجي إلى أن ينتقل إلى المرحلة الثانية التي يتم فيها التغير الاجتماعي¹ هذه الفترة تتم ببعض المظاهر التي من بينها الاضطراب والصراع فاستعمال الأدوات الجديدة لا يقتصر على طريقة استخدامها وصيانتها، لكنه سيتبع مجموعة من الممارسات والتعديلات تمس العادات و الفلسفات والقوانين ونظم الحكم ومجمل المؤسسات الاجتماعية وسيما ما يسميه أوغبرن "الثقافة التكيفية وتمثل بالجانب اللامادي الذي يتكيف أو يتعدل حسب الظروف المادية وفي هذا الجانب اللامادي² هناك عناصر سريعة التكيف مثل القدرة على تعلم استعمال الآلة لكن هناك عناصر لا تتكيف سريعا أو تتكيف جزئيا مثل الأسرة والدين ويرى أوغبرن أسباب التخلف اللامادي في عملية التغير كما يلي:

- الميل بالمحافظة على القديم.
- الجهل بحقيقة الجديد وعدم معرفة طريقة استخدامه.
- النزعة المحافظة لدى كبار السن وإستاتيكية العادات والتقاليد.

¹ عبد الغني عماد ، سسيولوجيا الثقافة، مرجع مذكور، ص 205

² نفس المرجع، ص 206

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

هذه العقبات تقف بقوة أما التغير اللامادي في حين إن الماديات لا تعترضها مثل هذه العقبات، لذلك يتأخر التغير في الجانب اللامادي مدة من الزمن، قد تطول أو تقصر بها المؤثرات التي يتركها في المظاهر الاجتماعية.

لا شك في أن التكنولوجيا تعد عنصر أساسيا في النسق الاجتماعي لكن النظر إليها على أساس المجتمع و أساس عملية التغير الاجتماعي نقلها إلى دائرة الحتمية وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر في تفسير التغير، فيمكن القول لأن الكثير من المجتمعات تقدمت في النواحي اللامادية دون أن يصاحبها تقدم في الجوانب المادية، فضلا عن صعوبة قياس مدى هذه التغيرات، وتحديد المدة الزمنية الفاصلة بين كل من التغير المادي و اللامادي مما قد يؤدي إلى الأحكام القيمة و إطلاق النظرة النسبية.

5.2 العوامل الاقتصادية:

وأخيرا نصل إلى العوامل الاقتصادية المؤثرة في التغير الاجتماعي، ولعل أهم وأشهر النظريات التي فسرت ظواهر التغير في المجتمع بردها إلى عوامل اقتصادية هي النظرية الماركسية، التي تعتبر أن الإنسان ظاهرة من الظواهر الطبيعية، وهو يخضع لقوانينها في الوسط الذي يعيش فيه وهذا الوسط الطبيعي يتصف بأنه مترابط عضويا ومحكوم بالحركة الدائمة والتغير المستمر بالإضافة إلى عدم قابلية المادة التي يتشكل منها على الفناء والزوال، وذلك بسبب قدرتها غير المحدودة على التغيير و التحول من صورة إلى صورة.

قاعدة التحليل في الفكر الماركسي هي الإنسان باعتباره عضوا عاملا في المجتمع والعمل هو الذي يعطي الإنسان حقيقته الواقعية انطلاقة من انتمائه إلى طبقة اجتماعية، لم ينظر ماركس إلى الإنسان إلا بصفته منتهيا إلى طبقة محددة من خلال موقعه في عملية الإنتاج الطبقة إذن هي المفهوم الأساسي في النظرية الماركسية ووحدة التحليل التي منها ينطلق ماركس في تحديده العلاقات الاجتماعية القائمة على ملكية وسائل الإنتاج، وعلى علاقات الإنتاج من جهة أخرى، وموقع المالك والعامل في هذه العلاقات.

يتألف تاريخ البشرية إذا بحسب المادية التاريخية والتحليل الماركسي من تركيبات اجتماعية متلاحقة يتصل كل منها بأسلوب واضح من الإنتاج الاقتصادي يتحدد بالقوى المنتجة وبالعلاقات التي تفرضها كقوى مهيمنة، بالإضافة إلى ما تفرزه هذه القوى وعلاقتها من أشكال التنظيمات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتي يطلق عليها البنى الفوقية.

هذا هو الجوهر التفسير الاقتصادي للتغير الاجتماعي الذي تعتبر القوى الاقتصادية هي المسؤولة إلى حد كبير عن التطورات والأحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني لدرجة تصبح معها جميع العوامل الأخرى عديمة الأهمية ومما لا شك فيه أن إغفال التفسير الاقتصادي للتاريخ يغفل جانبا حيويا من جوانب التاريخ ويؤدي إلى تفسير ناقص ومشوه

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

للتغير الاجتماعي و بالتالي ينبغي أن يكون التفسير الاقتصادي أداة تحليلية يهتدي بها الباحث، لكنه لا يستطيع أن يفسر كل التغيرات الجارية في المجتمع.

في الخلاصة لا يمكن القول أن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي يمكن تحليلها بعامل وحيد العامل الأساسي فالواقع بين تساند عدة عوامل لإحداث التغير وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعا لاختلاف المرحلة والظروف فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية لذلك هي تتميز بالنسبية تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة.

وتبعا للسرد النظري لمختلف عوامل التغير الاجتماعي واختلافها وعلتها في أن تكون السبب في التغير الاجتماعي وتأثيرها على كل من المجتمع والفاعل الاجتماعي (الفرد) وفي تداخل علاقتهما وتأثير كل ناحية منها في الأخرى حتى يوجد في المجتمعات البشرية كلها اختلاف في شتى المجالات الحياة بين الخطاب الثقافي و السلوك الثقافي، وبين الخطاب الديني و السلوك الديني و بين خطاب أصحاب السلطة الرسمية وغير الرسمية و سلوكهم وبين الخطاب القومي أو الوطني والسلوك القومي أو الوطني¹ أي بين المادة وبين الفاعل بين المادة كمصدر و منبع للأفكار وبين الفاعل كمنتج، كعامل، يأخذ من هذه المادة سواء بالضغط أو القسر والإكراه، أو بالرضي و الإقناع ويقل هذا الاختلاف أو يقوى تبعا لطبيعة المحيط الثقافي والاقتصادي والنفسي الذي يعيش فيه الفرد يتوقف هذا الاختلاف أو قوته على عوامل الثقافة والسلطة والاقتصاد والتاريخ والنفس وهذه العوامل تتفاعل بعضها مع بعض تفاعلا مستمرا وتتأثر ببعض تأثرا مستمرا ونتيجة هذا التأثير والتأثر تسهم إسهاما كبيرا في تقرير قوة أو ضعف الاختلاف وتختلف هذه العوامل أيضا بعضها عن بعض في مدى تأثيرها في العوامل الأخرى وتأثرها بها.

فالبرغم من التعاريف الجديدة و المتباينة من عالم إلى آخر ومن مغزى إلى آخر إلا أننا نحاول من خلال عملنا (موضوع بحثنا) أن نجعل منها مفاهيم إجرائية تخدم موضوع البحث يربطها بالفكرة العامة للموضوع، وهي تحديد خصائص و مشكلات الشخصية بين

¹ د. تيسير الناشف، النشاط الفكري و التغير الاجتماعي، أزمنة للنشر و التوزيع، الأردن، ط 1، 2005، ص 71.

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

تناول الثقافة الخاصة بالمجتمع وبين الفعل الاجتماعي من حيث هو عملية تؤدي إلى التغير عن طريق التفاعل الاجتماعي والثقافي معاً، وبما أننا بصدد دراسة هذا الموضوع، الذي لطالما شغل فكرنا (أعضاء البحث) واهتماماتنا فنحن من خلاله نحاول الكشف عن ما نسميه نحن أعضاء البحث بالباتولوجيا الاجتماعية، فإذا كان علم النفس كعلم قائم بحد ذاته قادراً على حل واستيعاب وتقدير المشاكل النفسية للأفراد داخل جماعاتهم أو هم في عزلة فإن علم الاجتماع الثقافي هو أيضاً قادراً كعلم قائم بذاته أن يكشف عن الأمراض الاجتماعية وعن الحالات المرضية (باتولوجيا) التي لطالما نتفقم داخل المجتمعات الحديثة وذلك بسبب المتطلبات الغربية والمركبة والعصرية التي للأسف الشديد تتضارب مع ثقافتنا مادة وروحاً.

تمر على العالم اليوم موجة بالغة الأثر مثل الموجة الأولى التي هبت منذ عشرة آلاف عام باختراع الزراعة وما أحدثه من أثر بالغ على الحياة الإنسانية والموجة الثانية التي جاءت منذ بضع مئات من السنين والتي سميت بالثورة الصناعية ونحاول أن نلتمس الكلمات التي توصف الموجة الآتية بكل ما تحتويه من قوة وما ستجنيه من تغير عظيم غير محدود.

" إن الحياة القادمة ستدخل حياتنا بنعومة وسير بينما المجتمع المستقبلي سيقترح الحياة اقتحاماً ويفجرها تفجير بكل العنف والصراع والضغوط المختلفة ولا تحمل أي من تلك العبارات القوة الهائلة والمدى الفسيح والديناميكية المتقلبة للتغيرات المقبلة بكل سرور علينا ولا الضغوط والانفجارات التي سنتعرض لها"¹.

تستعد الإنسانية لقفزة هائلة للأمام وتواجه أكبر تغيرات اجتماعية تتعرض لها والتي ستعيد تركيب المجتمع بشكل لم نعهده من قبل وبدون معرفة واضحة بهذه التغيرات ننهمك في بناء حضارة جديدة كل الجدة علينا.

¹ د. محمد صادق صبور، مستقبل الحضارة الإنسانية، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص 08.

ملخص:

اقتربت كلمة التغير الاجتماعي لكلمة التقدم، والتغير الثقافي، ولها أسبابها العديدة وارتبطت كلمة الفعل الاجتماعي (نبض الحياة الاجتماعية) بكل انواع السلوك البشري التي تحتمل المعاني التي يكونها الفاعل عن العالم الخارجي وإن الخاصية الجوهرية للفعل هي حساسية الفاعل لمعاني الأفراد والأشياء من حوله وإدراكه لهذه المعاني وردود فعله اتجاه المؤثرات التي تنقلها.

فهي إذن علاقة أكثر دياكتية بين الفاعل -الفعل- الأشياء المحيطة به داخل الجماعات التي ينتمي إليها وهي الأنماط الثقافية، وأن تفسيره لهذه الأشياء تفسيراً ذاتياً تتدخل فيه المشاعر والأفكار والدوافع التي تشكل أفعاله وردود أفعال الآخرين تجاه هذه الأفعال. إنها بالفعل علاقة متشابكة، وإنها قد تكون علاقة، إنسانية ذات أبعاد نفسية إجتماعية أكثر منها علاقة ساكنة أو محافظة، قد يكون الهدف من هذه العلاقات والهدف الأساسي هو الحفاظ على البناء الاجتماعي العام، ولكن قد يطرأ على هذه العلاقات عمليات تغييرية وتحويلية تؤثر قبل كل شيء على سلوكيات الأفراد.

خلاصة الباب النظري:

نقدم خلاصة الباب النظري بالمقاربة النظرية للعلاقة المتبادلة بين المجتمع والثقافة والشخصية للربط بين الفصلين النظري و الميداني

يوجد علاقة متبادلة بين الثلاثي (المجتمع والثقافة والشخصية)، وسوف نوضح هذه العلاقة من خلال تناول: تعريف المجتمع ووظائفه، وتأثيره على الثقافة والشخصية ؟ وكيف تؤثر الثقافة على الشخصية ؟ وكيف تؤثر الشخصية على الثقافة؟

أولا : تعريف المجتمع

ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لمصطلح المجتمع؛ فقد اختلف العلماء في تحديد مفهوم المجتمع، والنماذج التي يصح إطلاق المجتمع عليها ، إلا أنهم وضعوا تعريفات عديدة منها :

- **تعريف إميل دوركايم :** " جماعة من الناس يعيشون على قطعة محددة من الأرض لفترة من الزمن ، بحيث يكونون معا ثقافة مشتركة تميزهم عن غيرهم من المجتمعات "
- **تعريف آلان جونسون :** " نظام اجتماعي له خصائص ثقافية وبنائية وسكانية واقتصادية وأهم ما يميز المجتمع هو وجوده في منطقة جغرافية محددة ، وله ثقافة محددة ، ونمط حياة ، وحكم ذاتي نسبي ، واستقلالية واكتفاء ذاتي "
- **تعريف مصطفى النجار :** " الاطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه في هيئة وحدات أو جماعات ، ويجب ان تكون هذه العلاقات مستقرة وقائمة بصفة مباشرة "
- **يرى عاطف غيث :** ان التعريفات المتعددة للمجتمع تتبع من استخداماته الثلاثة وهي:
 - مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس
 - تجمع بشرى يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيائها ونظمها وثقافتها المتميزة

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

- النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس.
- يمكننا تعريف المجتمع بأنه " مجموعة من الأفراد يعيشون معا في بقعة محددة من الأرض، ولهم ثقافة مشتركة، ويكونون معا شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تجمعهم في مصالح وأهداف واحدة ، ولهم تاريخ مشترك يميزهم عن غيرهم من الأفراد."
- يمكننا أن نميز بين نوعين من المجتمعات:
 - المجتمعات الصغيرة التقليدية : وتتميز بالبساطة مثل مجتمعات الرعي والزراعة
 - المجتمعات الكبيرة : وتتميز بالتعقيد وعدم التجانس مثل المجتمعات الحضرية.

ثانيا : وظائف المجتمع

- المجتمع ضروري لبقاء الانسان
- استطاع الانسان التكيف وتجاوز الصعاب في البيئة المحيطة به لوجوده في المجتمع ولتعاونه مع الآخرين في سبيل اشباع احتياجاته الطبيعية ، فقد ادرك الانسان بفطرته انه لكي يكتب له البقاء والاستمرار لابد وان يعيش في سلام مع الآخرين فتنازل بمحض ارادته عن جزء من حريته للآخرين مقابل حمايته ومساعدته على توفير احتياجاته .
- كما أدرك الانسان انه لكي يعيش لابد أن يتعلم بعض المهارات التي تساعده على التكيف مع البيئة الطبيعية المحيطة به ، ومن هنا كان المجتمع الإنساني نتاج طبيعي لعملية التكيف مع البيئة.

• المجتمع ضروري لتحديد هوية الفرد

يقصد بالهوية " الصورة الذهنية التي يكونها الفرد عن ذاته عندما ينفصل عن والديه وأسرته ويصبح عضوا في المجتمع " ويستمد الفرد هويته الاجتماعية من خلال المجتمع فهو يتعرف على ذاته من خلال الجماعة التي ينشأ فيها، والجماعات التي ينتسب لها كالأسرة التي ينشأ فيها ، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها ، والدين الذي يعتنقه .

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

والفرد لا يستطيع التعرف على نفسه ، وماهي مكانته في المجتمع الا من خلال وضعه مع الآخرين من حوله ، لذا فالمجتمع هو البوتقة التي تحدد هوية الفرد.

• المجتمع مهم لتحديد مكانة الفرد في المجتمع

المجتمع هو المسئول الأول عن تحديد مكانة الفرد في المجتمع ، ومكانة الفرد هي التي تحدد الدور المتوقع من الفرد أدائه في وضع اجتماعي معين ، وتختلف الأدوار الاجتماعية باختلاف المراكز الاجتماعية التي يشغلها الفرد ، كما تختلف الأدوار من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى.

• المجتمع يساعد على خلق ثقافة مشتركة

من أهم وظائف المجتمع انه يساعد على تكوين ثقافة مشتركة لأبنائه ، فوجود الأفراد مع بعضهم البعض لفترة طويلة من الزمن وفي بقعة محددة من الأرض ساعدهم على تكوين ثقافة واحدة تميزهم عن الثقافات الأخرى.

ثالثا : أثر الثقافة على الشخصية

الثقافة هي البوتقة التي تحيط بالطفل منذ الصغر وتجعل منه انسانا ؛ فالفرد يتعلم كيف يتصرف كإنسان من خلال الثقافة السائدة في مجتمعه ، والثقافة هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها في سنوات حياته الأولى .

وجدير بالذكر أن أساليب التنشئة الاجتماعية ليست واحدة في كل المجتمعات ، بل تختلف من مجتمع لآخر وتختلف في نفس المجتمع من وقت إلى آخر .

ويأتي الانسان الى الوجود مثله مثل الحيوانات الأخرى يحتاج الى اشباع الاحتياجات الغريزية (كالغذاء والشراب والجنس ... الخ) لكن الانسان يتميز عن غيره من الحيوانات بالعقل الذي أهله لاختراع الثقافة التي تساعد على اشباع احتياجاته بوسائل مقبولة اجتماعيا ، فالثقافة هي التي تشكل شخصياتنا كأفراد ، ويمكن تحديد أهم آثار الثقافة على شخصية الفرد فيما يلي :

1- أثر الثقافة في الناحية الجسمية

تؤثر الثقافة السائدة في كل مجتمع على السمات الجسمية لأفرادها؛ فالسمنة والرفع ولون البشرة وشكل الشعر وغيرها من مواصفات الجمال تتأثر بنظرة المجتمع وتقييمه للجمال ففي الماضي كان ينظر الى السمنة على انها من مواصفات الجمال في المرأة العربية، اما في وقتنا الحالي فان الرفع وقله الوزن أصبح من مواصفات المرأة الجميلة. وهكذا نجد ان الثقافة السائدة تلعب دورا كبيرا في تشكيل أجسام أفرادها.

2- أثر الثقافة في الناحية العقلية

تؤثر ثقافة المجتمع على النواحي العقلية والمعرفية للأفراد ؛ فهناك مجتمعات تشجع أفرادها على المعرفة العلمية واستخدام التفكير المنطقي والعقلاني ، في حين نجد ان هناك مجتمعات أخرى تشجع أبناءها على ارجاع الأمور والظواهر الى الغيبيات والقوى الخفية والسحر ، وعدم محاولة البحث عن الأسباب الرئيسية للمشكلة.

كذلك فان الابداع يتأثر بثقافة المجتمع فبعض المجتمعات تشجع على التخيل والابداع عن طريق توفير مساحة من الحرية لأفرادها، وتشجيعهم على الابداع الفكري والأدبي؛ بينما نجد مجتمعات أخرى لا تحث أفرادها على التخيل فهم يعرفون ما يرون فقط .

3- أثر الثقافة في الناحية المزاجية

اثبتت كثير من الدراسات أن العوامل الوراثية ليست وحدها التي تشكل مزاج الشخص وانفعالاته ، وان الثقافة لها أثرا كبيرا في الصفات المزاجية للفرد ؛ فان كانت الطبيعة الانفعالية شيء فطري لدى الفرد إلا أن الثقافة تلعب دورا هاما في تشكيل طريقة التعبير عن الانفعالات والمشاعر ، والفرد يكتسب هذه السمات من الأسرة التي ينشأ فيها فهي سمات مكتسبة لا وراثية .

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

وتشجع بعض الثقافات أفرادها على التحكم في عواطفهم وانفعالاتهم ، في حين نجد أن هناك ثقافات تحث أفرادها على اظهار عواطفهم ومشاعرهم بلا تحفظ.

4- أثر الثقافة في الناحية الأخلاقية

هناك صلة كبيرة وتداخلا بين النواحي الخلقية والعقلية والمزاجية للشخصية، ومن الصعوبة الفصل بينهما، غير ان الناحية الخلقية أقرب النواحي الى عوامل البيئة والوسط الاجتماعي والثقافة المهيمنة على الفرد ، فالأخلاق السائدة في المجتمع هي المحصلة الناتجة عن تفاعل النواحي المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية .

القيم الأخلاقية نسبية وتختلف من ثقافة الى أخرى ، فالثقافة هي التي تحدد النسق القيمي للأفراد ؛ فما يعتبر حلالا في مجتمع ، قد يعتبر حراما في مجتمع آخر ، والصواب والخطأ يختلف باختلاف الثقافة السائدة.

وهكذا فليس صحيحا ان الصفات الخلقية ترجع إلى الفطرة والوراثة فقد أثبتت الأدلة الحديثة أن كثير من الصفات الخلقية ترجع الى حد كبير إلى فوارق الثقافة، ومن ثم فان الصفات الخلقية يجب تفسيرها في اطار الثقافة التي تخضع لها.

رابعا : أثر الشخصية على الثقافة

قد يتصور البعض أن الثقافة مجموعة من المعارف والمهارات والعادات والاتجاهات التي يكتسبها الفرد بشكل تلقائي من المجتمع المحيط به ، وان الفرد يتقبلها ويستسلم لها دون أي مقاومة أو رفض .

ولكن الحقيقة أن الانسان لا يتقبل الثقافة ولا يكتسبها بشكل تلقائي سلبي دون اختيار أو تعقل فاكتساب الثقافة يختلف من فرد الى آخر باختلاف العوامل الوراثية والنفسية الخاصة بكل فرد وباختلاف أساليب التفاعل الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد، ومن ثم فان اكتساب الثقافة وتعاملنا معها يختلف من فرد إلى آخر .

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

أي ان الانسان يختار من الثقافة ما يناسب تكوينه الفيزيقي والنفسي وما يتناسب ومفاهيمه وتفكيره واتجاهاته، فهو يأخذ من الثقافة ويضيف اليها، وكل منا يؤثر على الثقافة بشكل مختلف عن الآخر.

والثقافة تحاول الحفاظ على نفسها من التفكك والانحلال بفرض العموميات على ابنائها وهذه العموميات هي التي تحافظ على استمرارية الثقافة.

ويمكن للشخصية أن تؤثر على الثقافة من خلال عدة جوانب هي :

- الاكتشافات

أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى هو العقل الذي مكنه من اختراع الثقافة واكتشاف الثروات الطبيعية والاستفادة منها مثل النفط والطاقة الشمسية. .. الخ.

الاكتشاف يعنى أن الشيء موجود ولكنه مخفي ، والانسان هو الكائن الذي تمكن من الكشف عنه بواسطة العقل، أما الحيوانات فهي غير قادرة على ذلك؛ فالشمس موجودة منذ الأزل لكن الحيوانات لم تستطع ان تكتشف هذه الطاقة ، فهي تستفيد من الشمس بشكل سلبي ، بينما نجد أن الانسان استطاع تحويل هذه الطاقة إلى طاقة أخرى واستغلها في توليد الكهرباء. كما استطاع اكتشاف النفط واستغله في العديد من الصناعات.

- الاختراعات

من اسهامات الانسان في الثقافة اختراعه لأشياء وأدوات جديدة غيرت حياة الانسان وغيرت علاقته بالبيئة المحيطة له ، ومن هذه الاختراعات : اللغة ، الكهرباء ، الطاقة البخارية والسيارة ، الطائرة ، الكمبيوتر ... وغيرها من الاختراعات التي أدت الى رفاهية الانسان.

- ظهور الأنبياء والرسل

لا يقتصر تأثير الانسان في الثقافة على الجوانب المادية فقط ، بل يمتد الى الجوانب المعنوية فقد استطاع الانسان أن يغير الكثير من الثقافات بأفكاره ومبادئه ؛ فظهور الأنبياء

الفصل السادس التغير الاجتماعي ومدى تقييمه من حيث العوامل المسببة فيه

والرسل في العصور المختلفة كان له الأثر الكبير في تغيير مجرى التاريخ، وفي تغيير حياة الناس وعاداتهم وتهذيب أخلاقهم ، والاجابة على التساؤلات التي تدور في عقل الانسان.

وكان للرسالات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والاسلام) الأثر الكبير في تغيير حياة ملايين البشر وانتقالهم من حياة الفوضى إلى الاستقرار، ومن الظلم إلى العدالة، ومن الكفر إلى الايمان .

- الحركات الاصلاحية

كان للحركات الاصلاحية التي قام بها بعض الفلاسفة والمفكرين الأثر الكبير في اصلاح المجتمعات وتعديل الكثير من المفاهيم والأفكار الخاطئة لديهم ورفع الظلم عن الآخرين مثل أفكار مارتن لوثر كنج في أمريكا، وأفكار غاندي في الهند، وافكار نيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا ، وغيرهم .

- الثورات والحروب.

لم يقتصر تأثير الانسان على الثقافة وعلى أفكاره فحسب، بل على الأفعال كذلك؛ فقد قاد الانسان الثورات وأسس الدول التي غيرت مجرى التاريخ مثل: الثورة الفرنسية، والثورة في الجزائر ومصر.

ولم يكن تأثير الانسان على الثقافة والمجتمعات ايجابيا في جميع الأحوال، بل كان سلبيا في الكثير من الأحوال، فالإنسان أكثر الكائنات الحية اضرارا بالبيئة من خلال التلوث البيئي الذي أحدثه في هذا الكون.

كما قاد الانسان العديد من الحروب التي دمرت البشرية، وأزهقت الأرواح؛ مثل: الحرب العالمية الأولى الثانية التي حصدت ملايين الأرواح البريئة من النساء والشيوخ والأطفال.

ونخلص من ذلك كله إلى: أن العلاقة بين الشخصية والثقافة والمجتمع علاقة متبادلة وكل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر، والفرد كجزء من هذا العام يؤثر ويتأثر بكل منها.

الجزء الثاني

الباب الميداني

الفصل السابع: تحليل جداول الفرضية الأولى

تقوم الأسرة الجزائرية على مساندة أفرادها اجتماعيا وثقافيا وتؤيد التركيب الاجتماعي والثقافي العصري من خلال القيام بوظائفها

الفرضية الأولى:

الشخصية هي عبارة عن حقيقة مستنبطة وبناء متواصل فالعلاقة بين شخصية الفرد وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه هي علاقة وطيدة لأن شخصية كل فرد كما يرى لينتون (تتشكل وتعمل في اتحاد تام مع ثقافة المجتمع¹، كما أن للثقافة دور كبير في تحديد مضمون الشخصيات إذ أنها تؤثر في نظره على العلاقة التي تربط الأفراد فيما بينهم داخل المجتمع كما تؤثر على النشاطات الأساسية والحيوية مثل الرضاعة والعناية الموجهة للأطفال الصغار.

وبما أن النمو النفسي التكويني هو الذي يمكن الشخصية من التواصل إلى الاستقلال الذاتي الذي لا يمنع الاتصال بالغير ولكن يعطي لهذه العلاقة طابعاً خاصاً. هذا النمو النفسي بالنسبة للشخصية الجزائية نجده يتميز بمواصفات خاصة إذ أن المراحل التي يمر بها ليست مقيدة بنفس المدة المعروفة في مجتمعنا، وبالتقريب فإن الطفل في السن المبكرة يكون قد ألم بكل مميزات شخصيته وبعديها الفردي والجماعي، وذلك عن طريق الوظائف التي تقوم بها الأسرة كمؤسسة أساسية وأولية في تربية الطفل إلى حين سن الرشد، وتلمه بجميع المحدودات الثقافية التي في نظرها يجتاح الفرد إليها عبر مجمل مراحل حياته الاجتماعية ونستعرضها في النقاط الآتية :

1. الدين:

هذا الواقع الاجتماعي الذي يروج فيه أحياناً لكثير من القيم الدخيلة، تفرض على الشخص أنماطاً من السلوكات تسعى من خلالها إلى تحقيق نوع من التوافق والانسجام مع التغيرات الثقافية والاجتماعية ومع متطلبات الحياة المعاصرة، ولكن هذا المسعى قد يترتب عنه توترات وصراعات يمكن أن تحل بوحدة الفرد واستقراره النفسي بسبب المعايير الثقافية

¹ شاكر صطفى سليم، قاموس الانتربولوجيا، مرجع مذکور، ص 144

المتناقضة فيلجأ من جديد إلى الدين وشعائره للتخلص من الشعور بالذنب والتخفيف من حدة هذا التوتر.

2. اللغة:

فهي التي تسهم في تشكيل الذات الفردية في بنية متماسكة ومنسجمة، وبفضلها تتحقق تنشئة الفرد الاجتماعية وتتشكل ذاته، وتجعله في اتصال مع الآخرين وتقحمه في عملية ثنائية يحصل بفضلها على الاعتراف به كفرد وكعضو في جماعة.

كما تتولى الأسرة وظائف عديدة أخرى كتشبيع الفرد بالقيم والمعايير الاجتماعية، المعتقدات، العادات والتقاليد، الأشكال الاجتماعية كلها الرسمية وغير الرسمية، كالدخول في علاقات الصداقة والأشياء المسموح بها داخل هذه العلاقات وغير المسموح بها أي المحظورات والممنوعات الاجتماعية، الحلال والحرام، الحياء، العيب، النزاهة والأمانة، الحب، الاحترام، التقدير، الفشل والنجاح، القدرة على المواصله والمثابرة، التقيد بالأشكال الاجتماعية العامة في المناسبات والأفراح والأعياد ... الخ.

وقمنا بطرح مجموعة من الأسئلة وهي : س4، س5، س6، س7، س8، س9، س10، س11 على أفراد العينة، حتى نستطيع تجريب هذه الفرضية من خلالها، وقياس أبعاد هذه الفرضية (قياس استنتاجي).

وفي تحليل الجداول الخاصة بكل سؤال تابع لمحور الفرضية استطعنا استنتاج بعض الملاحظات العامة.

جدول رقم 01: البيانات الأولية للعينة.

أفراد العينة	العدد
قسم رجال (أ)	15
قسم نساء (ب)	15
مجموع	30

نريد أن نوضح أن أفراد العينة هم مجموعة من الأطباء بمستشفى الأمراض النفسية والعصبية وكما ذكرنا سابقا لقد إتجهنا إلى هذه العينة بحثا عن ما نريد تسميته بالسسيوباتولوجيا، على الرغم من أن الصفة الغالبة على المرض أو الاضطراب في مجتمعنا هي النفسي أو العقلي،

ولقد وجدنا هذه العينة ملمة بجميع الجوانب الطبية و الاستشفائية، وتعتمد عليها اعتمادا وثيقا في تشخيص الحالات الآتية إليها ولكنها في نفس الوقت تعترف اعترافا صريحا بأن سبب الاضطرابات والأوبئة راجع إلى خلفيات ثقافية وإلى مشاكل اجتماعية تعترض حياة الفرد وخاصة منها وخاصة منها الأسرية، وتثقل كيانه وتصعب عليه امتثال السلوكات السوية، ولهذا فنحن لم نهتم كثيرا إلى تفاصيل تخص البيانات الأولية لأفراد العينة كالجنس والسن، بالرغم من اننا بدأنا بها استمارة المقابلة وكان ذلك لمجرد الدخول في الحوار مع أفراد العينة بطريقة محترمة وعلمية، ولكن في الحقيقة لا يهمننا تماما هذه التفاصيل ولقد أخذنا 15 طبيب من قسم الرجال، و15 طبيبة من قسم النساء، وكان كل اهتمامنا هو التعرف على أسباب الاضطرابات التي يتعرض لها الأفراد في مجتمعنا، وإن كان من قسم الرجال أو قسم النساء فنحن لم نضع أي مؤشر للتفريق بين القسمين وللمقاربة بين الرجال والنساء من حيث المرض، أو أي منهما أكثر عرضة للمرض والاضطراب.

ونؤكد على أن اهتماماتنا كانت تدور حول تناول مفهوم الشخصية بين ازدواجية الثقافة كمادة وبين الفعل القائم على التبادل والتفاعل وعمليات التأثير و التأثير داخل الجماعات الاجتماعية، ومدى قياس استقرار الشخصية الاجتماعية من هذا المنظور.

ونقصد بقسم الرجال (أ) هو القسم الاستشفائي الخاص بالرجال أي لاستقبال وإقامة استشفائية لمرضى الرجال

وقسم النساء (ب) هو القسم الاستشفائي الخاص بالنساء أي لاستقبال وإقامة استشفائية للنساء.

جدول رقم 02 : المستوى الاجتماعي لعائلات الحالات :

س 4	فقر	متوسطة	غنية	مج أفراد العينة
أطباء قسم الرجال (أ)	12 %40	3 %10	/	15 %50
أطباء قسم النساء (ب)	13 %43	2 %7	/	15 %50
المجموع	25 %83	5 %17	/	30 %100

يبدو للملاحظ وللوهلة الأولى أن المستوى الاجتماعي للحالات و الذي صنفناه بين فقيرة -متوسطة- غنية، يتغلب عليه صنف العائلة الفقيرة بالنسبة للقسمين رجال (أ) و قسم نساء (ب).

نسبة 83% من أفراد العينة يقرون على أن العائلات من مستوى اجتماعي فقير، وكما لنا شخصيا رئيس قسم المرضى رجال (أ) بالعبرة التالية حرفيا

La Maladie Mental Et Psychologique Est La Maladie Des Misérables.
و أنه منذ بداية عمله بهذا القسم ، لم يستقبل و لو حالة واحدة من عائلة غنية، وذلك لأن الخلفيات الاقتصادية للعائلات ذات المستوى الراقى، تتجه نحو المراكز و المستشفيات الخاصة لسرية ولخطورة الموقف لديهم كما تم استقبال عدد معقول جدا 17 % من الحالات من مستوى العائلات المتوسطة وحتى المثقفة والتي لطالما يكون لديها مرجعية علمية للحالة.

جدول رقم 03 : الحالة الاجتماعية لأولياء المرضى

أفراد العينة	س 5	متزوجون	مطلقون	حالات أخرى	المجموع
أطباء قسم الرجال	6 %20	5 %16	4 %14	15 %50	
أطباء قسم النساء	3 %10	8 %27	4 %13	15 %50	
المجموع	9 %30	13 %43	8 %27	30 %100	

من القراءة الأولية لهذا الجدول نلاحظ أن نسبة المطلقين ترتفع عن النسب الأخرى (43%) من الحالات التي تعيش حالة طبيعية للأولياء أي المتزوجين، بينما هناك نسبة 27 % من الحالات الأخرى للأولياء كالزوجة الأرملة أو الزوج الأرملة، حالات من هجران الزوج للحياة الزوجية.

وهذا دليل على التفكك الأسري التي تعيشه الحالات أي في حالة الطلاق (43%) مما يؤدي إلى ظهور حالات مرضية و لكنه ليس دليلا قاطعا أن نسبة 30 % نسبة هائلة تبرهن على أن المرض قد يظهر في ظل استمرار العلاقة الزوجية للأبوين، و لكن تختفي من وراء حالات من القطيعة بين أحد الأبوين والابن المريض وخاصة العلاقة الأبوية، في حالة إذا كان الأب إنسانا شديدا، صارما في معاملاته مع الابن أو الابنة .

حيث يعيش المريض حالة من الصراع الداخلي الأسري، ويشتهي بصورة مستمرة من عدم تفهم الأولياء لعقليته ولمشاريعه المستقبلية، بحيث لا يكون على وفاق معهم، وهذا ما يؤدي به إلى الوصول للمرض.

جدول رقم 04 : علاقة المريض بأهله

المجموع	جيدة	متوسطة	ضعيفة	س 6 أفراد العينة
15 %50	02 %7	04 %14	09 %30	أطباء قسم الرجال
15 %50	05 %16	03 %10	07 %23	أطباء قسم النساء
30 %100	07 %23	07 %23	16 %53	المجموع

53% من أفراد العينة بين القسمين تقر بضعف علاقة المريض بأهله وتستدل إلى ذلك بالشكاوي التي يقدمها المريض لهم وأنهم يعاملونه على أساس أنه مجنون غير صالح للمجتمع، وأنه غير قادر على الشفاء و بأنهم لا يسمحون له بالمشاركة في الحياة الاجتماعية ونلاحظ هنا قصور العائلة الجزائرية في مساندة المريض والتسليم بأن الحالة مستعصاة وبأن الله قدر لهم هذا الوضع، وكل ما يطلبونه من الأطباء تزويد مريضهم بالدواء و بتكثيفه

حتى لا تتقهقر الحالة. أنهم يسهرون على تتبع الحالة بتزويد الدواء، وفي حالات كثيرة يرغبون في ترك المريض بالمستشفى.

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الفرد السيكوباتولوجي في مجتمعنا لا يجد السند الاجتماعي الكافي حتى يخرج من الحالة التي مر عليها.

ونسبة 32% من أفراد العينة (07 أفراد) من أصل 30 يجدون أن العلاقة بين الأسرة والمريض علاقة جيدة وهي نسبة معقولة من الأصل الكلي للعينة يتقاسمها مع (23%) تدلي بأن العلاقة متوسطة.

وفي هذه الحالات نستطيع أن نقول بأن المريض يجد السند الاجتماعي من عائلته ومن الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها.

جدول رقم 05 : مدى تواصل الحالة بالعائلة

المجموع	هل هم على تواصل دائم بعائلاتهم			س 8 أفراد العينة
	نوعا ما	لا	نعم	
15 %50	02 %07	08 %27	05 %16	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	04 %13	07 %24	04 %13	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	06 %20	15 %51	09 %29	المجموع

تتبعنا لمحتوى الجدول السابق (جدول رقم 04) و للتأكيد على علاقة المريض بأسرته أو عائلته أضفنا هذا السؤال المتعلق بمدى تواصل الحالة العائلية، فوجدنا أن النسب متقاربة جدا بين الجدولين، وهذا لتأكيد مسألة السند الاجتماعي و تغيبه لدى المريض.

فوجد نسبة 51 % من أفراد العينة أي 16 فرد من أصل 30 يقرون بأن الحالة ليست على تواصل دائم مع العائلة وبالعكس فإن الحالات على استمرار تشتكي من عدم تفهم العائلة لحالتهم بالرغم من كل الجهود التي تبذلها العائلة في العناية بالمريض ولكن كلها جهود خارجية و مادية مثل العناية بنظافة المريض، نظافة ملابس، الاهتمام بالشكل الخارجي مع الابتعاد تماما عن الوقاية الوجدانية التي يكون المريض بحاجة إليها.

بينما 29 % أي 09 أفراد من أصل 30 من أفراد العينة يلاحظون أن الحالات على تواصل جيد مع عائلاتهم وبأنهم سيتمتعون بعناية خاصة جدا من طرفهم، كذلك نسبة 20 % أي 6 أفراد من أصل 30 فرد من أفراد العينة، يلاحظون تقارب نوعي بين الحالات وأسره و هذا دليل على وجود نسبة معينة من السند الاجتماعي و المساعدة الأسرية.

جدول رقم 06 : مدى تقبل الحالة للعيش مع العائلة

المجموع	مدى تقبل الحالة للعيش مع العائلة			س 9 أفراد العينة
	نوعا ما	لا	نعم	
15 %50	04 %13		11 %37	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	05 %17		10 %33	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	09 %30		21 %33	المجموع

من المقابلات التي قمنا بها مع أفراد العينة، و من قراءة هذا الجدول نلاحظ أن 70 % أي 21 من أصل 30 يقرون على تقبل الحالة للعيش مع العائلة من جديد ولنوضح بأن هذا لا يعني التواصل مع العائلة.

لأن الحالات تحاول التقرب مع أسرها، ولكن لا تتواصل معها ولقد شرحنا من خلال قراءة الجدول السابق بأن الحالة لا تبحث عن التواصل المادي لكنها تبحث عن التواصل الوجداني والعاطفي وكذلك الاجتماعي لأنها تريد المشاركة في الحياة الاجتماعية من جديد وتحاول أن توضح الأفكار المستقبلية التي تحملها وان كانت مخالفة للنظم الاجتماعية السائدة فانها تبحث عن حلول أسرية تسمح لها بالاستقرار في الحياة، ولذلك فهي تتقبل بصورة هائلة العيش مع العائلة. ولقد لاحظنا (الباحثة) من خلال الزيارات التي قمنا بها بأن كل مريض يسأل عن عائلته ويحاول الاستفسار عن المدة التي سيقضيها ويريد الخروج من المستشفى بأقصى سرعة (هذا بالنسبة للمرضى القائمين بالمستشفى) وأن لديهم أمل كبير في تحسين سلوكهم وصورتهم أما عائلتهم من جديد.

جدول رقم 07 : مدى تضارب الحالة بين المعطيات الثقافية وبين المتطلبات الاجتماعية
العصرية.

والسبب في الحالة التي وصلوا إليها.

(أ)

المجموع	الحالة تعيش تناقض بين مكتسبات العائلة وبين ما يحدث اليوم			س 10 أفراد العينة
	نوعا ما	لا	نعم	
15 %50	/	02 %07	13 %43	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	/	02 %07	13 %43	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	/	04 %14	26 %86	المجموع



(ب)

المجموع	هذا التناقض سبب الحالة التي وصلوا إليها			س 11 أفراد العينة
	نوعا ما	لا	نعم	
15 %50	/	02 %07	13 %43	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	/	02 %07	13 %43	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	/	04 %14	26 %86	المجموع

نحاول أن نقدم قراءة مزدوجة للجدول رقم 07 الذي قسمناه إلى قسمين (أ) و(ب) وذلك لتطابق الجدولين من ناحية النسب لارتباط السؤالين ببعضهما البعض.

وفي قراءة الجدولين المتطابقين نلاحظ أن 86 % أي 26 فرد من أصل 30 من أفراد العينة يقرون بأن الحالات تعيش تضارب وصراعا بين المكتسبات و المعطيات الثقافية حسب المواقف التي يعيشونها، وذلك بسبب الضغوط التي تملئها الحياة العصرية و عادة ما يعود ذلك إلى أسباب مثل الخجل، الحياء، الانضباط الشديد و يجد أفراد العينة (الأطباء) هذه الحالات لا تتمتع بالمرونة الاجتماعية التي تسمح لهم بالاندماج في الحياة العصرية المتفتحة على العالم وهذا راجع لخلفيات اجتماعية وثقافية قد تتضارب في كثير من الأحيان مع متطلبات حصرية جديدة، وتدفع بالحالة إلى المرض أي أنها سببا صارما في الحالة التي يصلون إليها (التناقض ← المرض).

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية الأولى توصلنا إلى:

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية الأولى:

تعتبر الأسرة مؤسسة اجتماعية لها وجود في كل المجتمعات البشرية، وهي كذلك الوحدة الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع، وتؤدي وظائف ضرورية للمجتمع لكي يحافظ على توازنه واستمراره فهي مؤسسة تقوم على تسيير العلاقات بين الأجيال.

في ظل التغيرات الاجتماعية السارية، فهل تعرضت الأسرة هي الأخرى إلى تغير في الإستراتيجيات التي تعتمد عليها في نقل مكتسباتها إلى أفرادها وهل استطاعت أن تطور من شبكه علاقاتها داخل نسقها وخارجها، وأفعالها ونشاطاتها، هذه الوظائف والنشاطات التي تتوجه بفعل المبادئ (القيم والمعايير، العادات والتقاليد.... الخ) وهل تتجاهل هذه الأفعال كل المستحضرات البيئية العصرية والحديثة، هل تتضارب معها، أم تحاول التقرب منها في سياق شبكة علائقيه تستطيع جعل الفرد في قالب اجتماعي حديث وتساعد أكثر في عملية إدماجه داخل الأسرة نفسها وخارج ذلك أي إلى الجماعات الاجتماعية الأكبر، وهل تقدم على مساندة أفرادها كمؤسسة تنشئية هامة تعمل على نقل المنتج الثقافي وإعادة بناء وظيفي للروابط التي تنتج بين أفرادها. ومن خلال عملنا توصلنا إلى ما يلي:

- مما تسبب في ظهور وانتشار الاضطرابات النفسية، بعد هذه الأسرة عن تحقيق اندماج عصري للفرد في حياته الاجتماعية العصرية، ومحافظتها على نمط الثقافي التقليدي من قيم ومعايير اجتماعية تحاول الأسرة أن تعلمها لأفرادها، ولكن ما يحدث أن ينتقل الأفراد في سن معينة (الشباب) للحياة الاجتماعية خاصة في العمل، وعلاقات اجتماعية أخرى، ويحصل للفرد تضارب بين ما أخذه من قيم ومنتج ثقافي وبين ما تمليه عليه حياته الاجتماعية.

- وينتج عن هذا نوع من الباتولوجيا الاجتماعية عندما لا يجد الفرد السند الاجتماعي من الأسرة ونحن نقصد السند الاجتماعي الوجداني والعاطفي وأكثر منه السند المادي.
- بصورة عامة يعيش الفرد حياة ازدواجية متناقضة شاقة ومتعبة قد تنتهك جهازه العصبي وتوقع به في اضطرابات نفسية اجتماعية خطيرة فهو من جهة يواجه حياة عصرية بكل ملابسها تزوده بطاقة يحتاج إليها ينعش نظام حياته الاجتماعية ومن جهة أخرى يريد الاحتفاظ على ثقافته التقليدية بكل تفاصيلها والتي في نفس الوقت يعتبرها غير قادرة على تحقيق رغباته وأهدافه.
- والتي تجبره الأسرة على إتباعها والخضوع لها ففي موقف ضاغط كهذا (الأسرة – الفرد) يتعرض الفرد إلى اضطرابات نفسية تعيق من حركته وسلوكه الاجتماعي. وتجعله يعيش حالة من القطيعة الأسرية لأنه يعتبرها أسرة ضاغطة ولا تهتم لمشاكله الخاصة ولا لميوله، ولا لرغباته، وأن كل ما يهمها هو الامتثال لمعايير اجتماعية عامة تحدد النظام العام للأسرة الجزائية، ولا يحق الابتعاد عنها وأن عملية الخضوع والطاعة تعتبر عملية مهمة للفرد.
- تعمل بعض الأسر على إحباط روح الابتكار والتقدم لدى أطفالهم خاصة الأسر المتخلفة – مما يؤدي في المستقبل على سلوكيات هذه الأفراد، والانزلاق في أمراض سيونفسية معقدة.
- لا تتجاوز فعالية القيم الاجتماعية والثقافية حدود العائلة، وهي تتميز بالتعسف والجبر والإكراه والحرمان الوجداني والعاطفي، وهذا ما يجعل بالفرد يتخلى عنها وينفر منها، وقد يتعرض بعض الأفراد لشدة حساسية موقفهم النفسي اتجاهها إلى نوع من المشاكل الاجتماعية.

- كونت الحياة العائلية الجزائرية حلا لهشاشة الأشخاص أمام الأخطار التي كانت وما زالت تهددهم بدرجات متفاوتة، حياة اجتماعية لم تعتمد الشروط العصرية لتخلص الفرد من قيوده النفسية والاجتماعية وليشارك في صنع نموذج لحياته الخاصة به يشعر فيه بالتححرر والإنسانية، إنه نظام اجتماعي خانق وبليد، عرض أفراداه إلى حالات اضطرابية تنتشر يوما بعد يوم في مجتمعنا.

الفصل الثامن: تحليل جداول الفرضية الثانية

الرفض مع المؤسسات الثقافية ناتج عن حالات عدم إشباع الأنا الثقافي
الإجتماعي جعل الفرد يعيش حالة من اللامعيار سبب في نشأة
الاضطرابات الإجتماعية

الفرضية الثانية :

بالنسبة للباحث الذي يسعى إلى فهم الشخصية فهما دقيقا ومعقولا، الاهتمام بعامل الإشباع أمر ضروري كما يصعب الاستغناء عنه، لأن الشخصية لا تغدو أن تكون في الغالب من منظور كثير من علماء النفس سوى منتجاً وحالة نهائية لتفاعل دائم ومستمر بين الشخص (الفرد) ومحيطه (المؤسسات الثقافية السائدة) فمفتاح تفسير عملية الإشباع يكمن في التعرف على التبادلات الفعالة القائمة بين الفرد ومحيطه، وإعطاء الصورة الإيجابية أو السلبية لهذه العملية (الإشباع) أو هذه النهاية.

ولعل ما يميز هذه الشخصية من خصائص وسمات يكتسبها الطفل عبر مراحل متتالية متميزة من خلال تفاعله مع أوساط اجتماعية وتربوية تسعى إلى تزويده بالمبادئ والخبرات الضرورية لاندماجه وتكيفه مع جماعة بصفة خاصة ثم في المجتمع بشكل عام.

وفي المنطلق العام تكون هذه العلاقة بديهية ترسم إلى تحقيق أهدافها، (الفرد ← المحيط الذي ينتمي إليه) وكأنها علاقة دائمة إيجابية سباقة إلى جعل الفرد يعيش حياة متوازنة.

ولكن إذا تحدثنا عن حالات الرفض، أي الحالة السلبية التي قد تنتج عن اختلال سير هذه العلاقة، بصورة جيدة ومتفق عليها، وقد يدخل الفرد في حالة من اللامعيار وكأنه يقف حائراً أمام نفسه وأمام العمل الذي تقوم به المؤسسات الثقافية.

وكانه غير راض عنها، فيرفضها ويتهمها بعدم الإشباع، وقد لا ينجح في وضع مبررات ودلائل في تفسير حالة عدم الإشباع لكنه سيعاني لا محال اجتماعياً وسلوكياً من هذه الحالة حتى لو لم يستطع تفسيرها لفظياً أو مادياً، ولكن سيعيشها من خلال أبعاده النفسية والاجتماعية وقد يصل في أحيان كثيرة إلى حالات مرضية مؤسفة.

و لهذا خصصنا بعض المفاهيم التي تدور حول مضمون الفرضية و أهمية تناولها و هي عبارة عن مفاهيم تحمل معنى النظري و الميداني في نفس الوقت و ارتباطه ارتباطاً وثيقاً بكامل انشغالاتنا حول موضوع البحث.

مفهوم القيم الاجتماعية (مقاربة نفسية اجتماعية):

للقيم الاجتماعية دور كبير في ارساء دعائم المجتمع واتزانها. إذ أن المجتمع فقد قيمته فقد اتزانه فالقيم الاجتماعية بالنسبة للمجتمع كأعمدة البناء التي تحمله.

فهي تعتبر خاصية من خصائص المجتمع الانساني، وبما ان الانسان هو موضوع القيم وأنها عملية اجتماعية تختص بالجنس البشري تشتق أهميتها ووظائفها من طبيعته وجودها في المجتمع فلا وجود للمجتمع الإنساني بدون قيم، كما أنها تشكل بروفيل ضمير المجتمع ووجدانه وتعمل على تكوين الفرد ونسقه المعرفي وتشكل الطابع القومي وتهدف إلى الحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها.

فهي ضرورة اجتماعية باعتبارها معايير وأهداف نجدها في المجتمعات باختلاف مستوياتها الحضارية.

لهذا يعد غرس القيم في النشئ أحد الأهداف الرئيسية التي يجب أن تعتني بها التربية، ذلك أن الفرد الذي يفقد قيمه يفقد إترانه ويكسب الفرد قيمة ابتداء من الأسرة والمدرسة، فجماعة الأصدقاء وكذلك وسائل الاعلام والجامعة وفي عمله ووسائل أخرى ضمن حياته الاجتماعية.

يعرف **شاكر مصطفى سليم** القيمة على أنها **معياري** عام ضمني وصريح فردي أو جماعي تتخذ وفقا له القرارات من قبل الأفراد والجماعة للحكم على السلوك الاجتماعي قبولاً أو رفضاً، فالقيم مقاييس اجتماعية خلقية أو جماعية تقررها الثقافة التي ينتمي إليها الفرد وفقاً لتقاليد المجتمع واحتياجه وأهدافه في الحياة¹ وكان هذا الجانب الأنثروبولوجي لتعريف القيمة.

أما التعريف السوسيولوجي للقيمة وتعدد التعريفات في هذا المجال، إلا أننا سنذكر تعريف كل من **إميل دوركايم** ويذهب إلى أن لكل مجتمع من المجتمعات البشرية نظاماً أخلاقياً يمثل حقيقة اجتماعية وقد لعب هذا النظام الأخلاقي دوراً في نظام تقسيم العمل، كما أن القاعدة الأخلاقية

¹ شاكر مصطفى سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت ، ط1 ، الكويت، 1981، ص113

لا تنبثق عن الفرد ولكن المجتمع هو لسان القيم ومصدر القيم العليا وأنها أي القيم نتاج اجتماعي لعوامل اجتماعية، ويعتمد النظام الأخلاقي على البناء الاجتماعي للمجتمع الذي يوجد في إطاره وليس هناك نظام أخلاقي واحد لكل المجتمعات ولكن لكل مجتمع نظامه الأخلاقي الذي يجتاحه والذي يتحدد من خلال ما هو مرغوب فيه اجتماعيا.

ثم ننتقل إلى التعريف الآخر والذي نرى أنه يقترب من التصورات العلمية والتجريبية التي حددناها في إطار موضوع بحثنا وهو تعريف **فؤاد بهي السيد**: في ربطه للقيم بالمعايير في تعريفه ويشير إلى أنها معايير اجتماعية ذات صيغة انفعالية قوية وهامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية ويقوم منها موازين يزن بها أفعاله¹.

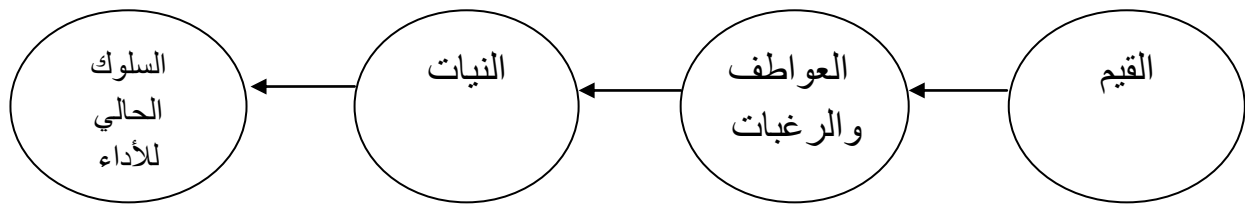
ومن هذه التعريفات نعود مرة أخرى إلى محتوى الفرضية، لنسقط النظر على فكرة أخرى في غاية الأهمية وهي الفرق بين الاتجاهات والقيم ويكمن الفرق في أن القيم لا يمكن أن تكون اتجاها مع أن الاتجاهات (التقويم الايجابي أو السلبي أو الأشخاص أو ..) يمكن أن تكون وظيفة للقيم أو وسيلة للتعبير عنها .

وقد تكمن الفروقات أيضا في علاقة القيم ببعض المفاهيم النفسية الاجتماعية الأخرى كالفرق بين القيم والحاجات فإذا كانت القيم تتضمن الوقائع المعرفية التي يعد الانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يمكنه عملها، بينما الحاجات لا تحتوي هذا الأمر، فهي موجودة لدى جميع الكائنات الحية على حد السواء.

- أما الفرق بين القيمة والمعيار، فإن المعيار يمثل السلطة الخارجية أما القيم فهي بمثابة السلطة الداخلية.

¹الجموعي مومن بكوش، القيم الاجتماعية مقارنة نفسية واجتماعية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، دورية دولية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - جامعة الوادي-، العدد 8، سبتمبر 2014، ص76

- أما عن القيم والسلوك، فالقيم تعد أكثر تجديدا من السلوك، فهي ليست مجرد سلوك انتقائي بل تتضمن المعايير التي يحدث التفضيل على أساسها كما يرى <لوك> أن السلوك يتحدد بالقيم والأهداف كما هو مبين في الشكل التالي¹



شكل رقم 13 : علاقة القيمة بالسلوك

مفهوم الأنا الاجتماعي والثقافي :

ونقصد هنا (أعضاء البحث أو الباحثة) بالأنا من حيث هو كائن شبع وترعرع وتربى على كل ما هو إرث ثقافي اجتماعي، فنحن إذن بصدد التكلّم عن القيمة الاجتماعية الثقافية، وكل ما يجعل من الفرد كائن مركب متزن، مشبع بالقيم والمبادئ التي تربى عليها، عن طريق عملية التنشئة القائمة من طرف الأسرة، المدرسة، ووسائل أخرى قد سبق ذكرها، والمقصود من الفرضية هو ما إذا حدث اصطدام بين المؤسسات القائمة على إشباع هذه الأنا والأنا الاجتماعية الثقافية في حد ذاتها وهذا ما يجعلها تعيش حالة من عدم الاتزان، والاحتلال، والمرض الاجتماعي، وقد يبدو عليها ذلك من خلال ممارستها الاجتماعية اليومية.

¹بوخريسة بوبكر، المفاهيم والعمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة باجي مختار، 2006، ص4

مفهوم اللامعيار:

ونقصد به (الباحثة) حالة من التذبذب، من القلق، وأحيانا كثيرة من الخوف والارتباك، قد تجعل الفرد يصل إلى حالات مرضية كالإكتئاب الحاد مثلا، والوسواس القهري، ونريد أن نبين من خلال بحثنا هذا بل وتؤكد على نقطة في غاية الأهمية، وهي أن هذه الحالات تنتشر بسرعة داخل مجتمعنا،.. لو أننا نرفض بوجودها ولا نعترف بخطورة سرعة تفاقم عددها بيننا وهذا راجع أصلا لتخوفنا الشديد من تأثير هذه الحالة من اللامعيار على حياتنا اليومية

مفهوم الصراع:

ولعل أقرب التعريفات التي تقترب إلى مفهوم الصراع بسبب خاصية موضوع البحث هو التعريف الذي قدمه دي بونو في كتابه الصراعات (أفضل السبل لحلها) ويقصد به :

تصادم المصالح، القيم، الأفعال أو الاتجاهات تعود كلمة صراع إلى مثل هذا النوع من التصادمات، حتى عندما نقول ان هناك صراعا متوقعا فنحن نوحى بأن هناك في الأصل صراعا في الاتجاهات حتى لو أن الصدام لم يحدث بعد ¹

وهذا فعلا ما نقصد به من نشأة الصراع داخل الشخصية بحكم عدم انسجامها بين المعطيات الموجودة والمتطلبات المعقدة التي نحتاجها في حياتها اليومية، وكيفية قدرة هذه الشخصية للتصدي لهذا الصراع، ولماذا يحدث، وكيف يحدث، كل هذه تساؤلات لا بد من الإجابة عنها ومن المؤسف أن الحياة العصرية اليوم، تملي علينا أشياء كثيرة، قد لا تتوفر لنا، لا نقصد فقط المتطلبات المادية، ولكن نقصد بالأحرى المتطلبات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تتماشى مع الحياة العصرية.

¹ أدوار دي بونو ، الصراعات، أفضل السبل لحلها، ترجمة فاطمة السنوسي، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1996، ص7.

ولقد خصصنا لهذه الفرضية الأسئلة التالية: س12، س13، س14، س15، س16.

للقيام بتجريبها حسب أفراد عينة البحث.

وفيما يلي عرض لأهم الجداول التي تناولت محاور الفرضية:

جدول رقم 08 : تفسير وجود نمط ثقافي اجتماعي لكل حالة.

س 12 أفراد العينة	نعم	لا	المجموع
أطباء قسم الرجال أ	11 %37	4 %13	15 %50
أطباء قسم النساء ب	13 %43	02 %07	15 %50
المجموع	24 %80	06 %20	30 %100

يبين هذا الجدول من القراءة الاولى على أن الحالات تتمتع بأنماط ثقافية والتي سنعرف المنتشر منها في مجتمعنا من قراءة الجدول الموالي فبنسبة 80% أي معدل 24 من أصل 30 فرد من افراد العينة يقرون بوجود نمط ثقافي للحالات و قد يكون الامر مختلف من حالة إلى أخرى.

و إن كان المهم بالنسبة للحالات كيفية تناول هذا النمط و ليس تواجده فحسب فالمشكل بالنسبة للحالات يقع على مستوى السلوكات التطبيقية لهذه الأنماط و مدى تقبلها من خلال استجابتها لرغباتهم و أهدافهم و مشاريعهم المستقبلية.

و إن كانت نسبة 20% أي معدل 06 أفراد من أصل 30 من أفراد العينة يقرون بأن هذه الحالات لا تمتلك أصلا نمطا ثقافيا بعينه و أنها تعاني من هذا النقص و هذا ما سبب لها الوقوع في اضطرابات اجتماعية نفسية تؤثر على سلوكياتها بالمرض والسلبية و تغير أسلوب حياتها إلى الأسوأ فتعاني من مشاكل اندماجية و علائقية داخل الجماعات التي تنتمي إليها بغض النظر عن نوع هذه الجماعات.

جدول رقم 09 : تصنيف الأنماط الثقافية لكل الحالات :

س 13 أفراد العينة	نمط عربي	نمط إسلامي محافظ	نمط جزائري تقليدي	نمط معاصر	جد المجموع
أطباء قسم الرجال أ	/	07 %23	08 %27	/	15 %50
أطباء قسم النساء ب	/	05 %17	10 %33	/	15 %50
المجموع	/	12 %40	18 %60	/	30 %100

من قراءة هذا الجدول نلاحظ أن النمط الثقافي السائد لدى الحالات حسب النسب المعروضة بأنه نمط ثقافي جزائري أي خاص بمجتمعنا وبكل ما شعبنا به من طفولتنا داخل الأسرة الجزائرية من معايير وقيم (الشهامة، الرجولة، الحياء، السترة بالنسبة للمرأة، الاحترام، النزاهة، الشرف....) والتي قد نجدها في النمط المحافظ أيضا، لأنه من المسلم به أن الدين الاسلامي له دور فعال في تربيته وفي تكوين شخصيته.

وتكون نسبة 60 % أي 18 فرد من أصل 30، قد أكدوا على أن النمط الثقافي السائد لدى هو جزائري، خاص بمجتمعنا، و 40% أي 12 من أصل 30 فرد من أفراد العينة، يقرون بأنه محافظ و إسلامي و كانت الاجابة بالنسبة لهم تقارب النمطين من بعضهما البعض.

جدول رقم 10 : مدى انتماء الحالات إلى النمط الثقافي.

أفراد العينة	س 14	الحالات غيرت من انتمائها	الحالات لم تغير من انتمائها	المجموع
أطباء قسم الرجال أ	06 %20	09 %30	15 %50	
أطباء قسم النساء ب	07 %23	08 %27	15 %50	
المجموع	14 %47	16 %53	30 %100	

من قراءة الجدول نلاحظ أن نسبة 53% من أفراد العينة تقر بأن الحالة لم تغير من انتمائها وذلك لأنها لا تمتلك ميكانزمات هذا التغير بل عكس العكس فهي تقف عاجزة على التغيير أو حتى على التفاعل مع النمط الذي تنتمي اليه بصورة سوية.

اما نسبة 47% أي 14 فرد من أصل 30 من أفراد العينة بالقسمين تقر بأن الحالة تغيرت من انتمائها و ذلك بسبب الرفض الذي تعيشه مع النمط الثقافي الذي تنتمي إليه وهي حالات جزئية قادرة على التغيير و ان كانت لا تمتلك الميكانزمات الصحية للقيام بهذا التحول، وهذا ما قد سبب لها الاصطدام و الصراع و الاحساس بعدم التكافؤ و التكامل و الاندماج لهذا النمط، الذي تستدعي فيه نقائص عديدة : و سلبيات يجب تغييرها أو على الأقل تحسينها،

وفي أحيان كثيرة لا تطلب الحالة تغيير النمط بسبب المخاوف، و حالات القلق الذي تعيشها في موقعها مع الآخرين ، داخل الجماعة الذي تنتمي إليها.

جدول رقم 11 :تقييم الحالة من البعد النفسي الاجتماعي.

أفراد العينة	س 15	نعم تعيش حالة لامعيار	لا تعيش حالة من اللامعيار	المجموع
أطباء قسم الرجال أ	14 %47	01 %03	15 %50	
أطباء قسم النساء ب	13 %43	02 %07	15 %50	
المجموع	27 %90	03 %10	30 %100	

حددنا اللامعيار كمتغير في تقييم الحالة من البعد النفسي والاجتماعي، ونلاحظ من خلال تحليل الجدول أن نسبة 90% أي كل أفراد العينة وهم أطباء قسم الرجال (أ) وقسم البناء (ب) من مستشفى الأمراض النفسية والعصبية يقرون بأن المرضى يعيشون حالة من اللامعيار ونقصد باللامعيار اختلال التوازن بين الفرد ونمط الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي والاقتصادي أي على جميع المستويات التي ترتبط بأسلوب الحياة اليومية للفرد.

وأن أسلوب الحياة الذي نتكلم عنه تربطه ارتباطا وثيقا بالحياة العصرية، وإذا كنا قد وصلنا من خلال تحليل الجداول السابقة الى أن الأفراد يعانون من حالة تصادم و تناقض مع المتطلبات الاجتماعية العصرية في ظل المكتسبات الثقافية والاجتماعية فانهم يؤكدون اذن على حالة اللامعيار التي يعيشها الأفراد، و التي تتسبب عن عجز الفرد في ربط أسلوبه حياته العصرية، بمكتسبات ثقافية اجتماعية لم تعد في خدمة مصالحه ورغباته الذاتية وفي

محاولته للتنقل من أسلوب حياة آخر يتعرض الى هذه الاضطرابات النفسية و العقلية والسبب في ذلك محددات اجتماعية محضة.

جدول رقم 12 : السببية اللامعيارية في المرض.

س 15 أفراد العينة	وجود أسباب لامعيارية	عدم وجود أسباب لامعيارية	المجموع
أطباء قسم الرجال أ	08 %27	07 %23	15 %50
أطباء قسم النساء ب	06 %20	09 %30	15 %50
المجموع	14 %47	16 %53	30 %100

تتبعاً للجدول السابق، تنتقل الى أهمية السببية اللامعيارية في وجود المرض لدى الفرد الذي يعاني من اضطرابات نفسية وعصبية.

ونود تفسير نقطة في غاية الأهمية وهي أن الجدول السابق الذي تبين تقييم الحالة من البعد النفسي الاجتماعي من أنها تعيش حالة لا معيار إزاء ما تمتلكه من مكتسبات ثقافية واجتماعية لا يعني اعتبار حالة اللامعيار هذه سبباً وحيداً في المرض، بل يمكن اعتبار أسباب أخرى كثيرة تتدخل في الاضطرابات النفسية والعقلية لكننا ركزنا في المقابلات التي قمنا بها مع أفراد العينة عن تناول الأمراض والأوبئة النفسية التي تسبب الى الأسباب الاجتماعية والثقافية والنفسية أكثر منها الى المرض العقلي، العضوي والوراثي.

وهذا ما يوضحه تحليل هذا الجدول لأن أفراد العينة فهموا السؤال على أنه يتعلق بسببه المرض و حصرها باللامعيار كمحدد واحد للمرض، مع أننا (أعضاء البحث) حاولنا شرح

السؤال بأنه لا يعني أن اللامعيار هو السبب الرئيسي للمرض، فأكد هناك أسباب أخرى عديدة و لهذا نجد اجاباتهم بنسبة 53% وهي اعلى نسبة أي 16 فرد من أصل 30، يقرون بعدم وجود اسباب اللامعيارية مقارنة بـ 47 % أي 14 فرد من أصل 30، يعتبرون اللامعيار سببا في المرض وذلك لأن 53 % بدؤوا يتكلمون عن أسباب أخرى قد تكون السبب في المرض كأسباب وراثية ، عضوية مع أن المقصود من السؤال كان كما شرحنا يتعلق بسببية اللامعيارية في المرض، باعتبارها حالة يعيشها الفرد الذي يعاني من اضطرابات نفسية و ليس باعتبارها السبب الوحيد في المرض.

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية الثانية نتوصل إلى :

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية الثانية:

نجد أن هناك دائما خطوطا وملامح وسمات وخصائص يضعها الفرد لتحديد ذاته وشخصه (السوي) بتاريخ فردي وعائلي بكل ميوله وانتماءاته الثقافية والدينية والرمزية كل هذه السمات يعمل الفرد على تعبئتها وجعلها قريبة من تحقيق أهدافه ورغباته في الحياة الاجتماعية ويستمدّها جميعها من الأنماط الثقافية التي نشأ عليها عن طريق التنشئة الاجتماعية أو عن طريق التفاعلية الرمزية التي تفسر جميع الرموز التي تكون في خدمة الحياة الاجتماعية اليومية للفرد الفاعل داخل الرموز التي تكون في خدمة الحياة اليومية للفرد الفاعل داخل مجتمعه والذي يعمل على تحسين حياته ولا يهدف إلا لانتقاء أفضل الأصناف الفعلية ويطورها بهدف التغير والتقدم .

- وإذا ما تعرضت هذه العلاقة (المؤسسة الثقافية مهما كان نوعها- الفرد) لأي نوع من الرفض أو النفور بسبب اتهامها بالتقليدية والفاشلة أو العاجزة قد تؤدي أحيانا إلى نشوء بعض الاضطرابات النفسية والاجتماعية لدى مجموعة من الأفراد.

- إن الاهتمام بتسيير المشروعات الثقافية نابع في الحقيقة من الأهمية التي تحظى بها المؤسسات الثقافية في المجتمع باعتبارها تعكس شخصيتها الاجتماعية والثقافية من خلال محتوياتها (قيم، أفكار.....) أو من خلال الأشكال والوسائل التي تستعملها أو قوة حضورها وقدرتها على الاستجابة لمتطلبات الحياة العصرية ومشاركة الأفراد في الفعل الاجتماعي والثقافي، حتى يستهلكها بطريقة تخدم مصالحه في تطوير حياته الاجتماعية بطريقة سوية تحكم سلوكاته وتجعله يسلك مسلكا اجتماعيا ونفسيا سليما وسويا وفي تطوير علاقته بمجتمعه .

- ولكن تبقى وظائف المؤسسات الاجتماعية تقليدية لا تخدم التطورات الاجتماعية ولا تأخذ البعد الوجداني والعاطفي للفرد ، فهي كما ذكر سابقا، تميل إلى الإلزامية والإجبارية .
- تخلق هذه الإجبارية والإلزامية والقوة التسلطية لدى بعض الأفراد نوعا من الاضطرابات والصراعات، قد تهدد سلامة كيانها الاجتماعي والنفسي وتملي سلوكات غير سوية.
- كشفت الدراسات والبحوث في ميادين العلوم الاجتماعية أن هناك دوافع أساسية تدفع الفرد على قبول المادة الثقافية (النمط الثقافي) التي تحيط به أو رفضها بعمل جميع المؤسسات الثقافية وهي الدافع للحاجة الثقافية التجميلية والإبتكارية والتي تعتبر من قيم الجمال والفن لدى الفرد ، والدافع للحاجة الاجتماعية في تحقيق حياة اجتماعية زهيدة مستقرة تعزز قيم الاحترام والتقدير لدى الفرد ، والدافع للحاجة الانفعالية والعاطفية (الحب ، الزواج الجنس ...) والتي تعزز القيم الوجدانية لدى الفرد فهو دائم البحث عن تحقيق هذه الرغبات والميل للمؤسسات الثقافية التي تساعد في تحقيق هذا وأن اي رفض لها قد يسبب لبعض الحالات في اضطرابات سيكولوجية لأنها لا تقدر على تحقيق هذه الأهداف.
- إن تنشيط الطاقة الإبداعية مهمة شاملة ، ومسؤوليتها تتوزع بينالأشخاص والأسرة والمدرسة والمجتمع والثقافة السائدة ، تنشيط هذه الطاقة يساعد على تنمية العلاقة بين الفرد ومجتمعه من خلال مؤسساته الثقافية وبيتيح الفرص للتفاعل الاجتماعي وتدعيم الفعل الاجتماعي للتغير والرقي ، ورسم معالم حياة اجتماعية سوية سليمة تعزز قيمة الفرد الذاتية والجماعية ، وتبعده عن أي ملاسبات قد تؤثر على صحته الاجتماعية والنفسية .وهكذا يصبح الدور الفعال للثقافة ومؤسساتها ، إما أن تكون حافزا على نمو الإبداعية وتحسين العلاقة بين الفرد ومجتمعه ، وتوفر له نوع من

المعيارية والثبات، أو تكون عائقا لذلك النمو ، وكذلك سببا في وضع بعض الأفراد في مواقف ضاغطة ، متعبة ، تخل توازن سلوكياتهم ، بما تمثل لهم من خيبات أمل وحالات محبطة عندما ترفضها ولا تحقق لها الإشباع اللازم الذي تحتاج إليه ومنها في تحقيق أهدافها ورغباتها ومشاريعها المستقبلية التي تخطط لها وفق سير حياة اجتماعية متطورة وسوية

- عمل الثقافة الجزائرية (من خلال جميع مؤسساتها) يشهد نوعا من التبعية والتقليد ، وتبتعد عن الإبداع و تعيش حالة صراع وتناقض مستمر، تسقطها على بعض الأفراد الذين يعانون من هذه الصراعات والتناقضات في صورة اضطرابات اجتماعية نفسية تعيق سير حياتهم بسلام.

ملاحظة: نحن نقصد دوما البعد العاطفي والوجداني للثقافة أكثر منها البعد المادي، لأن ما نلاحظه أن البعد المادي للثقافة يعرف نوعا من التقدم والازدهار ولكنه لا يكثرث للبعد النفسي والوجداني وهذا ما يضع بعض الأفراد موضع الاضطراب والصراع النفسي والاجتماعي.

الفصل التاسع: تحليل جداول الفرضية الثالثة

عدم الانسجام بين رغبات الأفراد وبين ما تمليه عليهم الجماعات
الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الأفراد سبب
في اضطراب توازن الشخصية و نشأة صراعاتها

الفرضية الثالثة :

يقود بنا للحديث ولو بإيجار عن فكرة الحادثة وهي واحدة من المقولات الإشكالية التي شغلت المشهد الثقافي الوطني والعربي في الآونة الأخيرة أو بالأحرى منذ عقدين من الزمن.

ونقف متسائلين : هل هناك حادثة دون تغريب؟؟

وهل شرط الحادثة ألا نتواصل مع التراث؟؟

وهل فعلا سبب غياب الشخصية الوطنية ولا نريد أن نقول "الهوية" حتى لا نبتعد كثيرا عن موضوع بحثنا فهو شائك الأطراف والمحاور واسع النطاق، وأن صراع الشخصية حاليا ناتج عن الصدام الواقع بين الحاضر والماضي، بين التراث والحادثة، بين الغرب وهيمنته وبين الحادثة الجاهزة التي تجعلنا نستهلك الثمرة دون أن نكلف أنفسنا عناء البحث عن أصلها. لقد اتسم الخطاب الثقافي لدعاة الحادثة بالانحياز التام وغير المبرر إلى كل ما هو غربي وأضحت كل السجلات والاحتجاجات التي تبث في التصادم الفكري والفني والأدبي ترمز إلى مرجعيات غربية، فيما يتم طمس وتجاوز كل ما يمت إلى الشرق وحضاراته بصلة ما¹. لقد استعار دعاة الحادثة عندنا مرآة الآخر، لذا أصبحوا غير قادرين على رؤية "الأنا" على حقيقتها، بل قاموا بنفيها وتدمير مقومات الإبداع فيها.

نحن نتكلم هنا بصورة عامة عن دعاة الحادثة من الناحية الفكرية، والفنية والنفسية والأدبية العلمية، وهذا قد يخص طبقة معينة من المفكرين والمبدعين، في حقيقة الأمر لا يهمنا كثيرا التصدي لهذا الموضوع، بجل تفاصيله النظرية ولهذا قلنا نطيل الحديث عنه، فقد كانت مجرد نبضة تمهيدية لا أكثر، ولقد سبق وأشرنا في حديثنا بأنه لا نريد أن نأخذ موضوع الحادثة

¹ عبد المجيد عطار، الحادثة في سياق التواصل، مجلة النقد الثقافي، مجلة علمية محكمة يصدرها مجموعة من أساتذة جامعة تلمسان، العدد الأول، ديسمبر 2013، ص70.

والأصالة كموضوع بحث مفصل حتى لا ننزلق في تشعبات هذا الموضوع العميق، ونبتعد عن جوهر موضوعنا (موضوع البحث).

وما يهمنا أكثر هو إسقاط فكرة الحداثة على سلوكيات الأفراد وممارساتهم الاجتماعية اليومية، وكيفية تبني هذه السلوكيات بين الإيجاب والسلب، وكيف يقف الفرد أحيانا كثيرة موقف المستنسخ، الذائب في الآخر وما يدعو للدهشة هو تعاون الأنا مع الآخر في نفيها لذاتها وتغيب شخصيتها ونشأة صراعاتها، الذي قد يجرى مجرى الحياة الهنيئة، ويفكك رموز الأمل في اتخاذ الفرد قرارات قد تكون خاطئة، تعيب بسير حياته الاجتماعية، ويقف موقف الحائر بين ما تتطلبه حياته العصرية وبين ما لديه من تراث ثقافي وروحي ترعرع عليه، ويصبو إلى تحقيقه خطوة خطوة، حتى لا يعاني مستقبلا من أي خلل أو كسر.

الحياة الاجتماعية العصرية في كل أفاقها، تتطلب من الفرد معطيات ثقافية جديدة، يفتقر إليها، لا يجدها، فيذهب إليها ويبحث عنها بعيدا فهي ضرورية بالنسبة إليه، لا يستطيع التخلي عنها أبدا، فيجد نفسه يعيش حالة من الصراع، في تدمير الأنا والاحتراس من وهم النظام الاجتماعي القائم، وتجاوز الوعي الذي شكل فيه الإنسان المحور والجوهر الأساس لانطلاقه نحو إثبات ذاته الموضوعية يوم اعترف الإنسان بنظامه الخاص وفق معايير الذاتية (الأنانية)، وقد ينتج من هذا الاعتراف سلوكيات خارجة عن النظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه، إن الإنسان في طريقه لتحقيق أهدافه بأي ثمن، حتى لو كان ذلك يؤدي إلى تدمير كل القيم والمعايير التي نشأ عليها.

ولكن السؤال المطروح؟؟ والذي يرتبط ارتباطا جوهريا بالفرضية المطروحة، أي يمكن لهذه العملية التي تحمل معها معاني التمزق الثقافي والاجتماعي في انسلاخ الفرد عن قيمه ومعاييرها أن تعبر في أمان، من غير أن تترك مواقف كارثية لدى الفرد؟؟؟

هذا ما نريد أن نبينه في الطرح الفرضي من خلال تحليل الجداول المرتبطة به:

س17، س18، س20، س22، س23، س24.

جدول رقم 13 : مدى اقتناع الحالة بميولها الثقافية الاجتماعية

س 17	نعم	لا	نوعا ما	المجموع
أفراد العينة				
أطباء قسم الرجال (أ)	07 %24	04 %13	04 %13	15 %50
أطباء قسم النساء (ب)	09 %30	03 %10	03 %10	15 %50
المجموع	16 %54	07 %23	07 %23	30 %100

من قراءة هذا الجدول نلاحظ أن 54 % من أفراد العينة أي 16 طبيبا من أصل 30 طبيب يقرون على أن المريض على اقتناع بميوله الثقافية والاجتماعية وأنه لا ينكرها و أن 23 % أي 7 أطباء من 30 طبيب يقرون بأن المريض ليس على اقتناع تماما بميوله الثقافية والاجتماعية، ونفس النسبة منهم تعترف بأنه على اقتناع متوسط بميوله.

ويؤكد القسم الأول وهو يمثل النسبة الأعلى على أن الفرد على اقتناع بميوله الثقافية وأن الاشكال ليس في اقتناعه بها او عدم اقتناعه ولكن السبب هو في فقدان المريض لميكانزمات الدفاع. فيختل توازنه أمام المؤثرات الخارجية ويعجز عن إقامة توازنه وتختل استجابته لما يحمله ضميره (الأنا الأعلى) وما يمتلكه هذا الضمير من محددات ثقافية و اجتماعية فيقف موقفا سلبيا و يدخل في حالة مرض و ينحل سلوكه و يفقد قدرته على أن يعيش حياة سوية.

جدول رقم 14 : التسليم بوجود الثقافة الغربية العالمية المهيمنة.

المجموع	نوعا ما موجودة	لا ليست موجودة	نعم موجودة	س 18
				أفراد العينة
15 %50	/	02 %07	13 %43	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	/	03 %10	12 %40	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	/	05 %17	25 %83	المجموع

من الملاحظة الأولى يبدو أن 83% من أفراد العينة أي 25 طبيب من أصل 30، يقرون بأن الحالة تعترف بهيمنة الثقافة العالمية، و أن الحالة اذا كانت تعيش اضطرابات نفسية و اجتماعية تؤثر على سلوكها، فإنها لا تؤثر على معتقداتها و يؤكدون أي الأطباء على أن الحالة السيكوباتولوجية التي يستقبلونها تعاني من خلل في الدفاع عن الذات إزاء هذه المتطلبات الاجتماعية لكن في الحقيقة تعترف بكل ما يحيط بها و تشير الاتهام إلى هذه الثقافة المهيمنة باعتبارها ثقافة خارجية عنا و عن نمط الثقافي الجزائري الذي تشعبنا به مند طفولتنا.

ونسبة 17 % من أفراد العينة أي 05 أفراد من أصل 30 و هي نسبة ضئيلة مقارنة ب 83% يقرون بان المريض لا يسلم بوجود ثقافة عالمية مهيمنة و ان السبب في حالته يرجع الى أسباب أخرى و ربما يرجع الى الشخص في حد ذاته، باعتباره ضعيفا غير قادر على تحسين سلوكه و انضباطه.

جدول رقم 15 : تقييم صراع الخالة بين الثقافة التقليدية والعصرية.

المجموع	لا تعيش هذا الصراع	نعم تعيش هذا الصراع	س 18
			أفراد العينة
15 %50	04 %13	11 %37	أطباء قسم الرجال (أ)
15 %50	05 %17	10 %33	أطباء قسم النساء (ب)
30 %100	09 %30	21 %70	المجموع

نلاحظ أن 70% أي 21 طبيب من أصل 30- يعتبرون بأن الحالة (المريض) يعيش صراعا بين الثقافة التقليدية و العصرية وهذا ما يؤكد إجاباتهم على الأسئلة السابقة في أن المريض يعيش حالة من التناقض واللامعيار وكذلك الصراع وأن هذه أسباب لا بأس بها، بل وموضوعية تدخل الفرد في حالة من المرض، بحيث ما ذكر سابقا يفقد الفرد القدرة على التوازن و يعجز عن وضع آليات الدفاع في صالحه.

ونسبة 30% وهي نسبة صغيرة بالنسبة إلى 70% يقرون بان الفرد لا يعيش هذا الصراع القائم بين الثقافة التقليدية والعصرية، وان الفرد يتعرض للمرض سبب ذاتي و خاص يعاني منه لوحده و أيضا يميلون الى ذكر الأسباب الوراثية و العضوية في التشخيص حتى لو كانت الحالة تبدو لهم سيكوباتولوجية بحته.

جدول رقم 16 : التأكيد على أن الصراع سبب في مشكلات الشخصية

س 22 أفراد العينة	نعم سببا	ربما سببا	لست أدري	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	33% 10	05 %17	/	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	10 %33	05 %17	/	15 %50
المجموع	66 %20	10 %34	/	30 %100

تتبعاً لسابقه، فإن تحليل هذا الجدول، يتقارب مع الجدول السابق من حيث النسب إن كانت 34% أي 10 أطباء من أصل 30 يقرون بأن الصراع القائم بين الثقافة التقليدية و الثقافة العصرية لا يمكن أن يكون سببا في مشكلات الشخصية و كما أوضحنا سابقا هي مجموعة من الأطباء الذين ينسبون المرض النفسي و العصبي لأسباب عضوية و وراثية و لكنها نسبة قليلة مقارنة ب 66% أي 20 طبيب من أصل 30، يقرون بأن الصراع بين الثقافة التقليدية و الثقافة العصرية سببا في مشكلات الشخصية و هذا أيضا يعتبر تأكيدا على كل ما سبق من اعتبار التناقض و اللامعيار الصراع أسبابا في المرض أو الاضطراب النفسي، أي الخلفيات الثقافية التي تكون الشخصية و عدم التكامل و التكافؤ و الاندماج معها سببا في الاضطرابات النفسية و الاجتماعية.

جدول رقم 17: أسباب الصراع

س 23	أفراد العينة	عدم إشباع الأنا الثقافي الاجتماعي	تنوع الثقافات الخارجية	نقص في البنى الثقافية الوطنية	الإبداع والتغيير الشخصي	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	07 %23	02 %07	/	06 %20	15 %50	
أطباء قسم نساء (ب)	08 %27	/	/	07 %23	15 %50	
المجموع	15 %50	02 %07	/	13 %43	30 %100	

نلاحظ من هذا الجدول تقارب بين أفراد العينة في إنسابهم سبب الصراع بعدم إشباع الأنا الثقافي والاجتماعي ب 50% أي 15 فردا من العينة من أصل 30 وهي تمثل النصف بالنسبة للعدد الكلي للأطباء الذين قمنا بمقابلتهم مقارنة ب 43 أي 13 من أصل 30 طبيب، يقرون بأن الإبداع والتغيير الذاتي سببا رئيسيا في الصراع لدى الحالة ولم يدلي أفراد العينة أي اهتمام لنقص في البنى الثقافية الوطنية، سببا في حدوث الصراع ونجد نسبة صغيرة ب 7% أي 02 أفراد من أصل 30 فرد من أفراد العينة ينسبون الصراع إلى تنوع الثقافات الخارجية.

وتقر جماعة أفراد العينة التي تنسب السبب في الصراع إلى عدم إشباع الأنا الثقافي والاجتماعي، أنه سببا حتميا وموضوعيا يعتبر أيضا سببا مباشرا فمعظم الحالات التي تمر تعاني من هذا النقص وعدم الإشباع والسبب في ذلك يرجع إلى التفكك الذي يحصل بين المريض وبين مكتسباته الثقافية والاجتماعية، إما بحالة التناقض أو بحالة اللا معيارية، وقد يرجع ذلك إلى فقدان أو خلل في ميكانزم الانتقال من الانماط الثقافية التي شب عليها إلى التحولات الاجتماعية التي هي حقيقة قائمة لا يمكن إنكارها.

وقد يرجع السبب إلى نقص تقنيات الأسرة في تشجيع أطفالها بالنمط الثقافي الذي يحيط بها، أو قد يقوم بهذه العملية بالجبر والإكراه، كعملية ميكانيكية ينقصها العامل الوجداني والمعنوي.

أما عن الإبداع والتغير الذاتي فهذا يحدث نتيجة لعدم الإشباع والمحاولة في استنباط تقنيات جديدة عصرية تتلاءم مع متطلبات المجتمع العصري، ويكون هذا سببا في صراع الفرد مع كل ما يحمله من مرجعيات ثقافية واجتماعية لا تعمل على تحقيق رغباته وأهدافه الآنية والمستقبلية.

جدول رقم 18: ارتباط التقليد الآلي للغرب بعدم إشباع الأنا الثقافي الاجتماعي

س 24 أفراد العينة	عدم إشباع الأنا سببا في التقليد الآلي للغرب	عدم إشباع الأنا ليس سببا في التقليد الآلي للغرب	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	09 %30	06 %20	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	07 %23	08 %27	15 %50
المجموع	16 %53	14 %47	30 %100

يتبين من الجدول رقم 18 والذي ينص على مدى ارتباط التقليد الآلي للغرب بعدم إشباع الأنا الثقافي الاجتماعي إلى تقارب كبير من حيث النسب ف 53 % أي معدل 16 فرد من أصل 30 يقرون بأن عدم إشباع الأنا الاجتماعي سببا في التقليد الآلي للغرب بحثا عن حلول بديلة عصرية يفتقدها المريض (السيكوباتولوجي) في البنى الاجتماعية والثقافية التي تحيط به، ويجد في الثقافة الغربية نمودجا بديلا جاهزا يلبي جميع مطالبه ويحقق له جميع رغباته من غير أي تعب أو مشقة، وأنه بحاجة إلى هذه الثقافة البديلة في حياته اليومية لأن الفرد يتغير ويفتح على الحياة العصرية، ونسبة 47% أي 14 فرد من أصل 30 من أفراد العينة لا ينسبون التقليد الآلي للغرب كسببا في عدم إشباع الأنا الثقافي والاجتماعي بل يقرون بأن

المريض (الحالة) يريد الانتقال من حياة تقليدية إلى حياة عصرية لأسباب ذاتية خاصة ولا يهتم التقليد الآلي للغرب بقدر ما يهتم تحسين الحياة الاجتماعية له، وتحسين سلوكه في ظل الحياة الاجتماعية الجزائرية بكل محدداتها وخصائصها، أي أنه يبحث عن البديل الثقافي داخل ثقافته نفسها، وهذا ما يحاول جاهدا الوصول إليه

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية الثالثة توصلنا إلى :

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية الثالثة:

تبين لنا ان لا بد أن نشكل في بناء معين، وأن التفاعل المباشر بين أفرادها أمر أساسي وجوهري وتمتاز بالارتباط الشعوري الذي يقوم على أساس الميول والعادات المشتركة، ولا بد من توفر التجانس بين أعضائها.

- والشعور بالانتماء والرغبة والدخول في علاقات وأنشطة وأفعال اجتماعية يقوم دائما من أجل تحقيق أهداف هذه الجماعة، فالإدراك الحسي والشعور بالانتماء الى الجماعة هي صفات ضرورية وأساسية.

- أي أن كل ما يفرض على الفرد داخل الجماعة بالإكراه والتسلط مهما كان نوع هذه الجماعة، قد يعرض بعض الافراد الى نوع معين من الاضطرابات الاجتماعية النسبية لعدم انسجامهم معها، لما تمليه من سلطوية، وما يبتعد عن رغبات ذلك الفرد وأهدافه، فينفر منها، وقد يتعرض لنوع من الصراع بسبب تضارب الأهداف والنيات والرغبات.

- يرمي الأفراد بانضمامهم الى الجماعة لتحقيق أهداف رسموها لأنفسهم، وبما أنهم فرادى لا يستطيعون تحقيق هذه الأهداف ينظموا الى تشكيل أنفسهم داخل الجماعات، بكل ثقة وانتماء وان حدث العكس أي تضارب في الأهداف فهذا يعني تضارب وصراع على مستوى الأفراد.

- عند ما تعجز الجماعة عن تحقيق أهدافها، يزداد التوتر بين الافراد، فيعرضون أنفسهم لنوع من التوتر ولقلق، خاصة عجزها في تحقيق الأهداف الشعورية والوجدانية والعاطفية للفرد، وعادة ما يكون من الصعب تحقيقها.

- يعيق ويرتبط على الفعل الاجتماعي للفرد على الجماعة بصورة كبيرة، فإذا التوفر الجماعة الرعاية والعناية اللازمة للفرد وتدعيمه وسنده ماديا وخاصة معنويا

وشعوريا تضمحل هذه الجماعة وكذلك الفرد، يبدع أو أن يطور و يحسن من حياته، فحياته مرتبطة بتلك الجماعة و تلعب دورا أساسيا في كل أفعاله الابداعية والتغيرية.

- وعملية الفعل الاجتماعي، وان بدت فردية تعتمد على الفاعل الاجتماعي في موقف اجتماعي معين، فهي تحمل كل معاني الاجتماعية والجماعية وكلما كانت الجماعة هادفة وسلمية و نستجيب لمطالب الفرد و رغباته، كلما تناول الفرد سلوكنا اجتماعية تحاول أن تعيق عمل الفعل الاجتماعي للفرد، و ابتكاراتها و انجازاته لتحسين مستوى حياته الاجتماعية.

- ان الحياة الاجتماعية السلمية وحدها القادرة على ضبط سلوكات الأفراد (الفردية) وجعلهم يقومون ادوارهم ووظائفهم بصورة سلمية وصحية وهادفة الى ثبات المجتمع وتقدمه، يربطهم بناء اجتماعي متكامل، وروح اجتماعية عالية، عندما يتفاعل أفراد لهم نفس المشكلات وكلما اقتربت أعضاء الجماعة من بعضها البعض من حيث القيم والمعايير والأهداف، كلما انتظم سلوك الأفراد داخلها (الاحساس بالمعيارية).

- والعكس صحيح، فكلما ابتعدت أفراد الجماعة عن بعضها البعض من حيث القيم والمعايير، كلما تضاربت النيات، ومنها نشوء الصراع الذي يتعرض له بعض الأفراد بدرجات متفاوتة، مما يتعرضون للقلق والاضطرابات الاجتماعية.

- عجز الفرد عن حماية نفسه امام الضغوطات الاجتماعية كلما احتاج أكثر للسند الاجتماعي ليحميه من هذه الأخطار التي تهدد سلامة كيانه الاجتماعي والنفسي ولهذا أعطيت الأولوية للجماعة على حساب الأفراد.

- يعجز الفرد عن الافصاح العلني عن رغباته و حاجاته و شهواته وطموحاته الخاصة في محيط اجتماعي يمنعه من الافصاح العلني عن رغباته و محاولة إشباعها وفي عملية المواجهة التي يقوم بها الأفراد لهذه العقبات الاجتماعية قد يعيش نوعا من

الصراع و الاضطراب الاجتماعي، في حين قد يسلك بعض الأفراد سلوكا منافقا فيدبرون خططا و طرق ملتوية لتحقيق رغباتهم سرىو و للحصول على مبتغاهم بدون أن يندوا صراحة بأي بند من بنود النظام الاجتماعي القائم، وان كان هؤلاء لا يتعرضون مباشرة لنوع من الاضطرابات الاجتماعية و النفسية لا أنهم يعتبرون حالات سيوباتولوجية من نوع آخر، فان الكذب و الحيلة و النفاق من السمات المنبوذة اجتماعيا، وقد تصل أحيانا الى حالات مرضية لأنها شخصيات طفيلية تعترض جميع بنود النظام الاجتماعي للوصول الى رغباتها ان كانت تسمى في أيامنا شخصيات ذكية ناجحة اجتماعيا لأنها عموما تصل الى تحقيق أعلى المناصب والمراتب الاجتماعية في حين النوع الآخر الفريط الحساسة قد يتعرض الى نوبات واضطرابات قد تعيق سير حياته يلام و أمان.

- حالة الاضطراب الاجتماعي ترجع الى اضطرابات في البنى الاجتماعية والهياكل الثقافية المحلية، والى أسباب فردية في تناول هذه الأنماط الثقافية، وضرورة التعبير من أجل حياة اجتماعية سلمية، وليس فقط لهيمنتها الثقافية الغربية العالمية، فالإشكالية محلية قبل كل شيء.

الفصل العاشر: تحليل جداول الفرضية الرابعة

يقوم الفعل الإجتماعي بنقد التنظيم الإجتماعي القائم و طرح تنظيم
إجتماعي بديل يخدم مصالح الفرد و رغباته

الفرضية الرابعة:

للمسألة الثقافية في الجزائر، قديما وحديثا، أهمية بالغة وتأثير في تصور الذات ومدلول الانتماء، وتعيين الخاص والمشارك من التراث، والنظر إلى الآخر في العالم المحيط بنا أو على الأصح الموجود في مزيلتنا أو في واقع الحال.

يظهر ذلك التأثير حتى بين عامّة الناس في تصنيف الماضي الثقافي إلى مقاطع منفصلة، يمكن بترها افتراضيا أو بتر وجودها أصلا (التعامل مع تراث ما قبل الفتح الإسلامي وما بعد، تراث ما قبل الاحتلال، وما خلفته الكولونيالية، وملامح البناء الثقافي بعد التحرير).

من الواضح أن المعطيات الثقافية والاجتماعية غير كافية بمدى تأثير وتأثير المجال الرمزي الذي يستغرق كل أشكال التعبير الثقافي وسياقاته المحلية وإشكاليات التصادم مع الآخر وظاهرة التنازعية مع الذات وتأثير العلاقة بالآخر وانتقالها إلى تصادم واشتباك مع الذات في مجتمع يكتشف حركية الزمن وعلاقة الجذور بالفروع ويحاول طرح تنظيم اجتماعي بديل أو شبه بديل، ينادي ويلبي استجابات ومتطلبات الواقع العصري، فيحاول أن يدخل في مواجهات نقدية لنظام اجتماعي كلاسيكي يمتد إلى ماض قديم، بالتركيز على عملية الفعل الاجتماعي باعتباره نبض حركة وتقدم وتغير للمجتمع، وقد تحمل هذه العملية بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية عيوباً إستراتيجية وتنظيمية لتعود إلى بعض العراقيل الاجتماعية التي تعيق سير التقدم أو التغيير لما تمليه علينا من طابوئية (Les tabous) ومن ستاتيكية الهياكل الاجتماعية والثقافية التي شبّ عليها أفراد مجتمعنا وربما قد تؤدي هذه المعوقات إلى التسبب في باتولوجيا اجتماعية-ثقافية-نفسية.

ولقد حددنا الأسئلة: س25، س26، س27، س28، س30، س31، س42.

التي تتعلق بمحاور هذه الفرضية، وسنقوم بعرض لتحليل وتفسير الجداول.

جدول رقم 19: التبادل الثقافي سبب في تغيير النمط الثقافي

س25 أفراد العينة	نعم قد يكون سببا	ليس سببا	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	11 %37	04 %13	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	13 %43	02 %7	15 %50
المجموع	24 %80	06 %20	30 %100

يبين لنا الجدول رقم 19 والذي يرمي إلى اعتبار التبادل الثقافي سببا في تغيير النمط الثقافي الخاص إلى أن نسبة 80% من أفراد العينة أي معدل 24 من أصل 30 يقررون بأنه سببا مباشرا في تغيير النمط الثقافي وأن الحياة العصرية الاجتماعية تملي علينا عمليات من التفاعل والتبادل وأن العالم كله أصبح بين يدينا وذلك بسبب التكنولوجيا العصرية وأنه عن طريق مواقع الانترنت يستطيع الفرد منا التجول في هذا العالم الواسع الضيق في نفس الوقت.

وإذا كنا نحمل مكتسبات معينة، فنحن نحمل معها ميكانزمات التغير والتحول وكما ذكرنا سابقا بأن الحياة الاجتماعية تتميز بالحركة والديناميكية لما تضيفه علينا يوميا من تبادل ثقافي وتفاعلات مستمرة بين أفراد الجماعة داخل المؤسسات..... الخ

إذن فالفرد يتعرض لمؤثرات خارجية، تبادلية تؤدي به في نهاية المطاف إلى تغيير في النمط الثقافي بهدف تحسين مستوى الحياة اليومية، وتحسين سلوكياته على الصعيد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ولكن قد تحمل هذه التغيرات البعد النفسي والاجتماعي مأخذ التجربة فنحن كأفراد نختلف فيما بيننا في درجة التعامل مع هذه التبادلات وفي أخذها

كعمليات تستجيب لمطالبنا، فمننا من يفقد توازنه أمامها، ويعجز عن أخذها بصورة صحية لأنه لا ننسى بأنها نماذج غريبة عنا، ومن يأخذها بصورة مرضية سوف يتعرض لاضطرابات نفسية لأنه يفتقد كما ذكرنا سابقا ميكانزمات الدفاع عن الذاتية ويصبح الأمر ليس مجرد تجربة منفعية للتبادل الثقافي بل تصبح عملية مرضية سلبية.

مقارنة بـ 20% أي معدل 6 أفراد من أصل 30 طبيب، وهي نسبة قليلة مقارنة بسابقتها لا تعتبر التبادل الثقافي سببا في تغيير النمط الثقافي، وتقول بأن السبب الحقيقي في تغيير النمط يرجع إلى مشاكل الفرد الذاتية أي هذه الفئة تحاول دائما تفسير الحالات الاضطرابية بالتفسير الذاتي للحالة، عموما هي تبتعد عن المدلولات النفسية الاجتماعية التي نحن بصدد البحث عنها في عملنا هذا.

جدول رقم 20: إمكانية قياس استقرار الشخصية

المجموع	لا ليس ممكنا قياس استقرار الشخصية	نعم يمكن قياس استقرار الشخصية	س26 أفراد العينة
15 %50	09 %30	06 %20	أطباء قسم رجال (أ)
15 %50	08 %27	07 %23	أطباء قسم نساء (ب)
30 %100	17 %57	13 %43	المجموع

عندما قمنا بإعداد هذا الجدول رقم 20 والذي يبين إمكانية قياس استقرار الشخصية حسب البعد النفسي والاجتماعي وليس العضوي فقد دهشنا عندما وجدنا نسبة 57% أي معدل 17 فرد من أصل 30 من أفراد العينة لا يقرون بإمكانية هذا القياس مع أنهم يعترفون تماما بأهمية هذا البعد وبأن الأسباب السسيوباتولوجية موجودة لدى معظم الحالات التي

يستقبلونها إلا أنه من الصعب جدا قياس الاستقرار لديهم، ويقر الأطباء على أن عملية التشخيص تتم عموما على المستوى العضوي للحالة عن طريق الأشعة وعن طريق الأدوية، وكأنهم ينسون تماما الأسباب الحقيقية الداعية للمرض وأن المهم لديهم هو تشخيص الحالة وعلاجها عن طريق الأدوية وأن هذا من اختصاص الطب النفسي الإكلينيكي أو التحليل النفسي وأنه غير موجود تماما داخل المستشفى وتبقى الحالات الموجودة مصنفة دائما تحت العلاج الطبي العقلي بالرغم من أن الكثير من الحالات لا تتطلب هذا العلاج بل هي في حاجة إلى الطب النفسي.

ونسبة 43% منهم أي معدل 3 أفراد من أصل 30 يقرون بأنه يمكن قياس الشخصية من البعد النفسي الاجتماعي وذلك عن طريق تكثيف العلاج النفسي وهذا فيه تأكيد على الصنف الأول من أفراد العينة، ويدعون إلى ضرورة القيام بهذا العمل، وأنهم في أحيان كثيرة يستعصى عليهم تشخيص بعض الحالات بسبب تغييب هذا التخصص داخل المستشفى.

جدول رقم 21: مستويات الشخصية في ظل التغير الاجتماعي

س27	صارمة	ضعيفة	غير قادرة على الاتزان	متغيرة	مريضة	المجموع
أفراد العينة						
أطباء قسم رجال (أ)	/	05 %17	03 %10	02 %07	06 %20	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	/	03 %10	02 %07	04 %13	05 %17	15 %50
المجموع	/	08 %27	05 %17	06 %20	11 %36	30 %100

يبين هذا الجدول رقم 21 والمرتبطة بتمثيلات مستويات الشخصية في ظل التغيرات الاجتماعية لدى أفراد العينة على أنه كالآتي:

شخصيات ضعيفة:

نسبة 27% أي معدل 08 أفراد من أصل 30 يقرون على أن الشخصية تتميز بالضعف بحكم عملهم بمستشفى الأمراض النفسية والعقلية فإنهم يلاحظون تمادي الأفراد في الضعف، وأنهم يتميزون بالاستسلام والمحاولة في التعايش مع هذا الضعف وكأنهم يحكمون على أنفسهم بالمرض من دون محاولة في التصدي له، وعادة ما تكون هذه الحالات مستسلمة أيضا للخضوع التام للأدوية لدرجة أنها تستمتع بالعلاج وهذا راجع لضعف الشخصية واستسلامها.

شخصيات غير قادرة على الاتزان:

نسبة 17% أي معدل 05 أفراد من أصل 30 طبيب يقرون أن الشخصية غير قادرة على الاتزان ونقصد بهذا الاتجاه الشخصية التي تحاول التصدي للاضطرابات النفسية التي

تتعرض لها، ولكنها تفتقد الإمكانيات في القيام بذلك أي ضعف ميكانيزمات الدفاع، مما يؤدي إلى عدم توازن الحالة لدى المريض وترى أن هذه الحالات تعاني من محاولات فاشلة في العلاج والتخلي عن حالته الاضطرابية ولكنها لا تزال تحاول بنية العلاج والشفاء التام هي ليست شخصيات مستسلمة بل هي جريئة نوعا ما، لكنها تعاني من عدم توازن داخلي.

شخصيات متغيرة: نسبة 20% أي معدل 06 من أصل 30 طبيب يقرون بأنها شخصيات متغيرة، أي أنها مرة تعيش حالة من اليأس وعدم المثل أمام التغيرات الاجتماعية لدرجة أنها تحدث قطيعة مع الواقع وتعيش في عزلة اجتماعية (Aliénation Sociale).

ومرة أخرى تجدها شخصيات تحب الحياة من جديد وعلى أمل المثل أمام هذه التغيرات وتجدها أيضا بالرغم من تغييرها بين حالة وأخرى ولكنها ليست مستسلمة، بل هي تحاول الخروج للحياة الاجتماعية.

شخصيات مريضة:

بنسبة 36% أي معدل 11 فرد من أصل 30 طبيب، وهي أكبر نسبة يقرون بأنها شخصيات مريضة وإن كانت الأسباب النفسية الاجتماعية بحتة ولكنها تعرض الحالة إلى أمراض سيكوباتولوجية تؤثر على سلوكياتهم وعلى صحتهم العقلية وهي حالات منتشرة جدا في مجتمعنا اليوم، وكما ذكرنا سابقا، بالنسبة لهذه الفئة من أفراد العينة (الأطباء) هو تشخيص للمرض أكثر منه اهتماما بالأسباب أيا كانت ولا ننسى كما ذكرنا أنهم يعتبرون بأن الإنسان بنسبة كبيرة جدا ترجع السباب نفسية اجتماعية اقتصادية أكثر منها أسبابا عضوية ووراثية.

وقد يتم تشخيص الحالات وأن أكبر نسبة منهم تصنف تحت اسم مرض الفصام، (Schizophrénie) حالات الاكتئاب الحاد، الهستيريا الحادة الخ. وهي حالات منتشرة جدا في مجتمعنا الجزائري.

جدول رقم 22: قدرة الدين على التحكم في السلوكيات الفردية

أفراد العينة	نعم يتحكم	لا يتحكم	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	11 %37	04 %13	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	10 %33	05 %17	15 %50
المجموع	21 %70	09 %30	30 %100

يبين الجدول رقم 22 والذي يربط بقدرة الدين على التحكم في السلوكيات الفردية لدى أفراد العينة . بأن نسبة 70% منهم أي معدل 21 طبيب من أصل 30 طبيب، قمنا بإجراء المقابلة معهم، يقرون بقدرة الدين على التحكم في السلوكيات ويقول أفراد العينة بأنه كثيرا من الحالات التي يستقبلونها تتكلم كثيرا على الدين الإسلامي وعن العلاقة بين الله والفرد وكأنهم يفقدون كل القيم وكل الإتزان النفسى والاجتماعية إلا علاقاتهم بالله وهذا ما لاحظناه (الباحثة أعضاء البحث) من خلال الفحوصات الكشفية التي قمنا بها مع الأطباء خاصة في قسم الرجال (أ) عندما قمنا باستجواب بعض الحالات عن حالتهم وأسبابها وجدناهم يتكلمون كثيرا عن علاقتهم بالدين، حب الله، الصلاة، الدعاء، ومدى امتثالهم لهذه العلاقة وأن أملهم كثيرا في الله وفي الطبيب من أجل الشفاء من اضطراباتهم النفسية وهذا راجع لرسوخ الدين في العقل لدرجة لا تؤثر عليه الاضطرابات النفسية، فإنما التأثيرات تبدو على الجانب السلوكي الاجتماعي ولكن الدين يبقى بعيدا على هذه الاضطرابات.

وبهذه المناسبة استجوبت بعض الأطباء وطرحت عليهم بعض الأمور فيما يخص حالات نادرة جدا، وغير معلن عنها فيما يرتبط ببعض الحالات التي تغير من دينها الإسلامي إلى

ديانات أخرى وأخبرنا الأطباء بوجود حالات لكنها نادرة لم يعلن عنها، والسبب يرجع إلى خطورة الوضع بالنسبة للحالة.

وأخبرنا أحد الأطباء أنه من بداية عمله بالمستشفى لم يصادف هذه الحالة إلا مرة واحدة عندما حضر لديه شخص يعاني من اضطرابات نفسية حادة، من انتقاله من الدين الإسلامي إلى الدين المسيحي الكاثوليكي وأنه وجد راحته عندما زار الكنيسة في جولة، ووجد هناك القديس أوالبابا وتكلم معه وأحس بالراحة التامة بعد ما كان يعاني من مشاكل نفسية اجتماعية وأخبر الطبيب بأنه حينئذ قرر تغيير ديانته وأخبره أيضا أنه لم يجد السند الاجتماعي في الجماعات التي ينتمي إليها حتى عندما ذهب إلى المسجد وحاول الحديث مع الإمام ولم يهتم هذا الأخير لحالته ومشاكله التي كان يعاني منها بل وجد القديس في الكنيسة مهتما أكثر.

ونطرح هنا سؤال ما: ألم نجد هذه القصة المؤلمة التماسا بالحس الوجداني والمعنوي للحالة السيكوباتولوجية.

وهذا ما نريد أن نؤكد عليه في موضوع بحثنا وهو تناول البعد النفسي الاجتماعي والوجداني في تقييم صحة الشخصية.

جدول رقم 23: مدى مثول الرصيد الفكري والعلمي أمام التفككات الثقافية

س29 أفراد العينة	مثول قوي	مثول متوسط	مثول ضعيف	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	/	09 %30	06 %20	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	/	11 %37	04 %13	15 %50
المجموع	/	20 %67	10 %33	30 %100

يبين لنا الجدول رقم 23 والذي يرتبط بمدى مثول الرصيد الفكري والعلمي أمام التفككات الثقافية السائدة، فنسبة 67% أي معدل 20 فرد من أصل 30، يقرون بأنه مثول متوسط ، ويشير أفراد العينة أن الفرد إذا تعرض إلى ضغوطات نفسية وأمراض نفسية واجتماعية بغض النظر عن مثوله أمام التفككات الثقافية، وبغض النظر عن مستواه الفكري والعلمي، وبغض النظر عن مستواه الاجتماعي، وبغض النظر عن المنصب أو الدور الذي يقوم به في الحياة الاجتماعية، ويؤكد هنا أفراد العينة، على أن الضواغط النفسية والمؤثرات الخارجية تلعب دورا كبيرا في الاضطرابات النفسية ضف إلى ذلك درجة ضعف الشخصية، وضمف إلى ذلك اتجاه عدم إشباع الأنا الثقافي والاجتماعي، وحالة الصراع والتناقض واللامعيار التي يعيشها الفرد .

فكل هذه مؤشرات ضاغطة على الفرد الفاعل تضعه في موقف (ضاغط) قد يؤدي في النهاية اضطراب الحالة والوقوع في المرض النفسي.

ونسبة 33% أي معدل 20 فرد من أصل 30 طبيب تقرر بأن المثول ضعيف، ويقرر بأن أفراد العينة على الشخص يعاني أصلا من اضطرابات نفسية، سلوكية، اجتماعية فإن

الرصيد الفكري والعلمي لديه سيتأثر أيضا بهذه الحالة الاضطرابية، ولا يعد يجدي نفعا ولا يستطيع المثل أمام التفككات والمؤثرات الخارجية .

ملاحظة: لا ينطبق الأمر إذا على الدين كعامل يقدر على التحكم في السلوكات الفردية، وذلك راجع للخصوصيات والمحددات الهامة للدين ومدى رسوخه في العقل.

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية الرابعة نتوصل إلى :

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية الرابعة:

- إزدادت قيمة الجماعة في العصر الحالي، فأصبحت تشكل أهمية بالغة للفرد والمجتمع على حد سواء، فهي حلقة وصل بين الفرد والمجتمع، وبالتالي إزدادت أهمية الفعل الاجتماعي باعتباره نبض الحياة الاجتماعية، وباعتبار الجماعة المكان الذي تعقد فيه العلاقات الاجتماعية وتطورت بتطور الحياة الاجتماعية، وأصبحت تحقق رغبات الفرد الذي ينتمي إليها.
- قد يقودنا الفعل الاجتماعي الذي يستجيب لحركة الأفراد نحو حياة اجتماعية متغيرة ومتطورة إلى الانضمام إلى جماعات عديدة.
- ولكن الجماعات ليست وحدة متجانسة وأعضاؤها ليسوا من فئة واحدة، ولا يسودهم الانسجام والتعاون في كل الأحوال فهناك من ينزع للعوانية ويريد التسلط على بعض أعضاء الجماعة، وهناك من يدعو للألفة والمحبة وبهذا تكون وحدة الجماعة ليست مستقرة، وقد يحدث داخلها تنافس وصراع، وعدم التكيف، وقد يؤدي هذا ببعض الأفراد إلى الحساسية البالغة، وقد ينهار نفسيا واجتماعيا لعدم تحقيق عضويته للجماعة، وعدم الانتماء، ويصل به الأمر إلى التعرض لاضطرابات نفسية اجتماعية.
- ينجذب الفرد إلى الجماعة بفعل الحكم الاجتماعي إلى النقد الهادف بتنظيم البناء الاجتماعي المعاصر، لأنه يبحث عن إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية، ويتأثر بالتبادل الثقافي، وتحسين رصيده الفكري والمعرفي لتأكيد ذاته داخل هذه الجماعة.
- هل تساعد الثقافة الفرد من البعد النفسي والاجتماعي على أن يفهم أكثر متجليات الحياة العصرية، وتفصيلها وأبعادها، وملابساتها عن طريق مراكز توعية للشباب تهدف الى نشر الأمل في حياة اجتماعية مستقرة . أم أنها تترك الفرد بنزعه الذاتية

يتخبط بين مخاوفه المستقبلية وبين عجز نظامه الاجتماعي المحلي القائم على ترويج المادة الثقافية بحيث تستجيب لمطالبه.

انم أنها ثقافة مهمشة لا تقوم على مبادئ الفعل الاجتماعي اذ تحمل الحيوية الكافية للابداع والتشغيل وخلق الثروات الاقتصادية .

- ان شروط نجاح اعادة صياغة العلاقة بين الفرد و مجتمعه مرهون بتطور الفعل الاجتماعي وبادراك الأفراد لهذا التطور . وفسح المجال للأفراد بالعمل بديناميكية جماعية .يتفق أفرادها على جملة معينة من الأهداف الاستراتيجية التي تخدم مصالحهم . بدعمهم بأدوات معينة ادارية تنظيمية ارشادية ولتحقيق مشاريع ثقافية جديدة .

- تساعد هذه المشاريع الثقافية للأفراد بالمشاركة بالفعل الاجتماعي والثقافي معا تسمح لهم بتحقيق ذواتهم وكذلك تحقيق النزعة الجماعية و التماسك وصلابتهم أمام تجليات الحياة العصرية و مثلهم أمام تعقدها وتشابكها.

وان حصل تغيب في هذه البنى والمشاريع الثقافية يجعل من الفرد يعيش حالة من الحرمان الثقافي والوجداني مما يؤدي به أحيانا كثيرة الى التعرض لاضطرابات اجتماعية نفسية مؤلمة تثقل سير حياته بسلام و أمان اجتماعي.

الفصل الحادي عشر: تحليل جداول الفرضية الخامسة

الثقافة المحلية تسمح بإعادة صياغة العلاقة بين الفرد ومجتمعه من خلال تطور نظرية الفعل الاجتماعي وأهمية وظائفه

الفرضية الخامسة:

تتبعاً للفرضية الرابعة، والتي كان محتواها يدور حول كيفية نقد التنظيم الاجتماعي وطرح تنظيم اجتماعي بديل عن طريق الفعل الاجتماعي باعتباره نبض الحياة الاجتماعية فإننا نطرح الفرضية الخامسة كتخصيص لسابقتها، وكما توضح مجمل محاور الفرضيات التي تشتملها إشكالية البحث في علاقتها بالواقع الاجتماعي الثقافي، وأهمية التجانس الاجتماعي في ظل احترام الخصوصيات الثقافية المحلية، بالرغم مما يحمله من شبهات مثقلة وأهمية الآليات السيكلوجية التي تسهل أو تعطل هذا التجانس الاجتماعي، ولكن التجانس لا يمنع- كما جاء في رأي بورديو- تنوع السلوك وأساليب الحياة، وقد تنبه إلى ما توحى إليه كلمة عادة من سكون فوضعها في إطار ما سماها المدار الاجتماعي Trajectoire Social يعني به الحراك الثقافي الاجتماعي الذي يعيد تنظيم التراكم الموروث عن عدة أجيال، مما يسمح بتغيير نسبي وهامش اختيار للأفراد ينبغي أخذه بعين الاعتبار في أي تحليل لأنساق الثقافة، وملاحظة ما يحدث فيها من حركية أو ثبات.

ومن خلال هذه التغيرات النسبية يفسح المجال للشخص لحياة عصرية، جديدة وهذا لا يعني التناقض مع ثقافته أو الاستغناء عنها، ولكن هو يحاول أن يجدد من سير حياته الاجتماعية استجابة لرغباته ومتطلباته العصرية.

وقد يتعرض حينئذ إلى معنى مثقل المشاعر وهو الضغوطات النفسية و ما يمكن أن تقوم به وما تتركه كأثر على سلوكيات الأفراد .

ونظراً للحوار الذي دار بيننا (الباحثة) وبين الأطباء (أفراد العينة) وبتسليماً لفكرة أن الإنسان اجتماعي بطبعه ونظراً لتمييز العصر الذي نعيش فيه من سرعة المنافسة ومحاولة التقدم وانتهاز الفرص في الربح السريع وتجديد الحياة اليومية، ما جعل حياة الإنسان مليئة بالضغوطات بمختلف أنواعها وأحياناً كثيرة تعيق هذه الضغوطات نمط حياته وتؤثر على صحته النفسية والاجتماعية تسبب له الاحباط والكآبة لعدم قدرته على الاستجابة لمتطلباتها.

لكن استجابة الأفراد تختلف من شخص لآخر، أو نفس الشخص قد تختلف استجاباته من موقف ظاغط لآخر، وهنا تختلف معاني الازدواجية (الثقافة والشخصية) (الثقافة والفعل الاجتماعي) (الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي) (الشخصية بين التفاعل الاجتماعي والثقافة) من شخص لآخر بحسب محددات هذه الشخصية ومقوماتها ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة.

ونود في هذا النطاق أن نوضح بعض النقاط تدور حول مفهوم الضغط النفسي وأنواعه:

1- مفهوم الضغط النفسي اصطلاحاً:

ليس من السهل أن نجد تعريف شاملاً متفق عليه للضغط النفسي فالمصطلح قد تناولته الأفراد والجماعات بمعاني مختلفة تبعاً لمجالاتهم وموضوعاتهم.

فقد عرفه هانس سيللي بأنه استجابة جسمية عامة وغير محددة ضد موقف الضاغط¹ و يعرفه لازاروس بأنه يحدث عندما تفرض على الفرد متطلبات تفوق مصادره التكيفية ومميز بين الضغوط الفيزيائية مثل الحرارة والبرودة الشديدة والاصابات الجسمية وبين الضغوط النفسية الاجتماعية التي تضر بالذات².

و بالنسبة لـ Lazarus فإنه قائمة أهم الضغوطات هي كالآتي:

- المشاغل الصحية:

تشمل المرض العضوي القلق حول العلاج الطبي والتأثيرات الجانبية للأدوية.

- هموم شخصية:

منها الوحدة والخوف ومواجهة المسؤوليات.

¹ Hans Selye, Le Stress De La Vie, Edition Gallimard, 2^{eme} Ed, 1975, p 03.

² Lazarus, From Psychological Stress To The Emotions, A History Of Changing Outlooks, Annual Review Of Psychology, 1993, p 47.

- هموم العمل:

تتضمن عدم الرضى الوظيفي، انخفاض الدافعية، العلاقات السلبية مع زملاء العمل.

- هموم مستقبلية:

منها الضمان الوظيفي، احتمال تدهور الحالة الصحية، التقاعد، المسؤوليات المالية

تسديد القروض - الديون.

- البيئة:

تتضمن المشكلات الاجتماعية، حركة المرور، الضجيج والفوضى.

- مشكلة الوقت:

انجاز أمور أكثر مما يسمح به الوقت المتاح للفرد، مسؤوليات متعددة، عدم وجود وقت كافٍ.

وما من الصعب حصر مصادر الضغوط النفسية تحت تصنيف معين هذا نتيجة تعددها واختلافها من فرد لآخر ومن بيئة لأخرى لأهمية الدور الذي تلعبه في تقييم الفرد للموقف الضاغط.

2- أنواع الضغوطات النفسية:

يظهر الضغط النفسي بأنواع متعددة تختلف تبعا لاختلاف المواقف الضاغطة كما تختلف الاستجابة تبعا للموقف الضاغط او تبعا لشدة الضغط النفسي وتبعا للضغوط الفردية في الاستجابة للضغط ومن هذه الأشكال تميز ما يلي:

1-2 الضغط النفسي المتوقع Anticipatory Stress

وهو استجابة الفرد لضغط نفسي متوقع فيحضر الذهن والجسم سلفاً للتغيير ولتغيير مفاجئ نحو الأفضل أو ربما الأسوأ مثل ذلك: التوتر قبل الدخول الى الامتحان و الخوف من عقاب الأهل عند خرق قوانين معينة يتميز هذا الضغط بأنه يحضر الجسم و الذهن قبل وقوع الحدث لكنه قد يكون ضاراً عندما تضخم الأحداث نتائجها السلبية و تعطى لها أهمية أكبر مما يستحق.

ملاحظة: وهما ما نشاهده في حياتنا اليومية لدى العديد من الأشخاص وتعتبر هذه الأشخاص متميزة بصفة السلبية، وقد تؤثر أحياناً كثيرة على نفسها وحتى على الجماعة التي تنتمي إليها وهي أشخاص تتميز بكثرة الشكاوي والمخاوف و التوقعات أو التنبؤات الكارثية لمجرى الحياة عموماً وعلى مستوى جميع الأصعدة.

2-2-الضغط النفسي المتبقى (Résiduel Stress)

هو الضغط النفسي الذي يتراكم أو يبقى بعد انتهاء تجربة الموقف الضاغط اذ يبقى الجسم في حالة من اليقظة لبعض الوقت بعد انتهاء الموقف الضاغط، أي فرط الاثارة سواء أكانت سارة أم غير سارة لها النتائج نفسها على الفرد.

ملاحظة: من المستحب تجاوز هذه الفترة بسرعة، ولكن في الحقيقة هي نتيجة منطقية ومتوقعة بعد انتهاء تجربة الموقف الضاغط وعلى الفرد تقبلها وعدم الاستياء منها، وهي مارة وقد تطول الفترة من شخص الى آخر بحسب قوة الشخصية وتقبلها في انتهاء هذه التجربة ونسيانها ولكن للأسف الشديد منهم من يتماطلون في هذه الفترة وكأنهم لم يجتازوها البتة.

3-2- الضغط النفسي الحاد (Acute Stress)

هو الاستجابة الفورية لحادث يهدد أو موقف ضاغط سريع الحدوث وربما سريع الانتهاء مثل حادث سيارة، أو طرد من العمل، أو فقدان شخص عزيز وما شابه وتكرار المواقف الحادة للضغط النفسي فان تأثيراته السلبية تظهر لتأخذ دورا مهما من خلال الأغراض النفسية والجسدية والسلوكية أي أن الضغط النفسي الحاد هو ما ينتج عن تهديد فوري ومباشر لحياة الفرد.

ملاحظة: مع أنه من الطبيعي جدا لمثل هذه الضغوطات في الحياة ومن المستحسن أن يتوقع كل فرد منا امكانية تعرضه لمثل هذه المواقف الضاغطة، لكن للأسف الشديد تترك آثار سلبية حادة لذي الفرد خاصة عند تكرارها، ودائما كما ذكرنا سابقا، تختلف درجة التأثير بالمواقف الضاغطة من فرد لآخر حسب درجة الصلابة والقوة درجة والتفاؤل والتشاؤم لدى كل فرد.

4-2- الضغط النفسي المزمن:

هو دور طويل من الانهالك تتلاحق فيه أحداث صغيرة أحيانا، لكنها تتراكم مع الزمن لتشكل سلسلة من الضغوط المتواصلة و التي تجعل الجسم **مستنزفا قواه** غير قادر على الاستمرار في المقاومة بل تضعف مقاومته و هذا ما يحدث مثلا في العمل، الزواج.....الخ.

إن استجابات الفرد للضغط النفسي المزمن تكون على شكل أمراض جسدية كثيرة تتسلل تدريجيا وتزداد لتؤدي إلى هلاك مبكر أي أنها عملية تراكم للضغوطات النفسية عبر الزمن.

ملاحظة: الضغط المزمن والذي هو عبارة عن مجموع ضغوطات تتراكم على المدى الطويل، فهو من أخطر أنواع الضغوطات النفسية، وقد يضع صاحبه موقف استحالة التصدي، فهو قد يؤدي الى إنهالك نفسي مسؤولا عن مرض أو أمراض عضوية التي قد تصيب الفرد بسببه ولذلك يجب على كل فرد الاعتناء بنفسه طيلة مسار حياته، باستتطاق

واستخراج كل الحالات الوبائية النفسية التي قد تمر عليه، وينتهي منها، حتى لا تصل الى حالة المرض النفسي المزمن.

3- مصادر الضغوط النفسية:

سوف تنتقل الآن للحديث عن بعض مصادر الضغوط النفسية ونعني بالضغوط تلك الظروف المرتبطة بالتوترات الشديدة الناتجة عن المتطلبات التي يستلزم نوعا من اعادة التوافق عند الفرد، وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية ونفسية وتقرض الضغوط على الفرد متطلبات قد تكون فسيولوجية او اجتماعية أو نفسية أو تجمع بين هذه المتغيرات الثلاث. ورغم أن الضغوط جزء من حياتنا، الا أن مصادرها تختلف من فرد لآخر.

سنقدم قائمة أهم الضغوطات حسب الدكتور سولي بنصابات Soly Bensarbat في كتابه الضغط سنة 1980 باتفاق وتعاون مع الدكتور هانس سيللي ومنها ضغوطات نفسية انفعالية، ضغوطات جسدية و بيولوجية و أخرى¹

3-1- الضغوطات النفسية الانفعالية:

- الاحباط
- عوامل الرضا، الملل، الخوف والارهاق.
- خيبة الأمل
- الخجل والغيرة.
- الشعور بالفشل أو عدم النجاح.
- الانفعالات القوية (السلبية أو الايجابية).
- (وفاة شخص عزيز، الافلاس، النجاح المفاجئ،).
- الهموم والانشغالات المادية والمهنية.

¹ Soly Bensabat Avec La Collaboration De Hans Selye, Stress, Edition Hachette, 1980, P(30-35).

- المشاكل العاطفية (الحب، الزواج، الطلاق).
- الأرق.
- التغيرات المتكررة للبيئة، كتغير مقر السكن، الترقية المهنية.

2-3 الضغوطات الجسدية:

- الجوع.
- الارهاق الجسدي والتعب
- المرض.
- التغيرات المناخية والمتكررة.
- التلوث البيئي.
- الضجيج.
- الكوارث الطبيعية.

3-3 الضغوطات البيولوجية:

العوامل الغذائية (المكونات)

- اختلال النظام الغذائي كزيادة (نسبة السكر، الدهون، الإفراط أو الافتقار في البروتينات).
- الإفراط في تناول القهوة.
- التدخين وتناول الكحول (أو المخدرات).

4-3 الضغوطات اللاشعورية:

وهي عوامل ليست دائماً معروفة، ويقال عنها لا شعورية و يتم الكشف عنها بعد المقابلات والتحليل و نذكر منها:

- القلق.
- الفوبيا

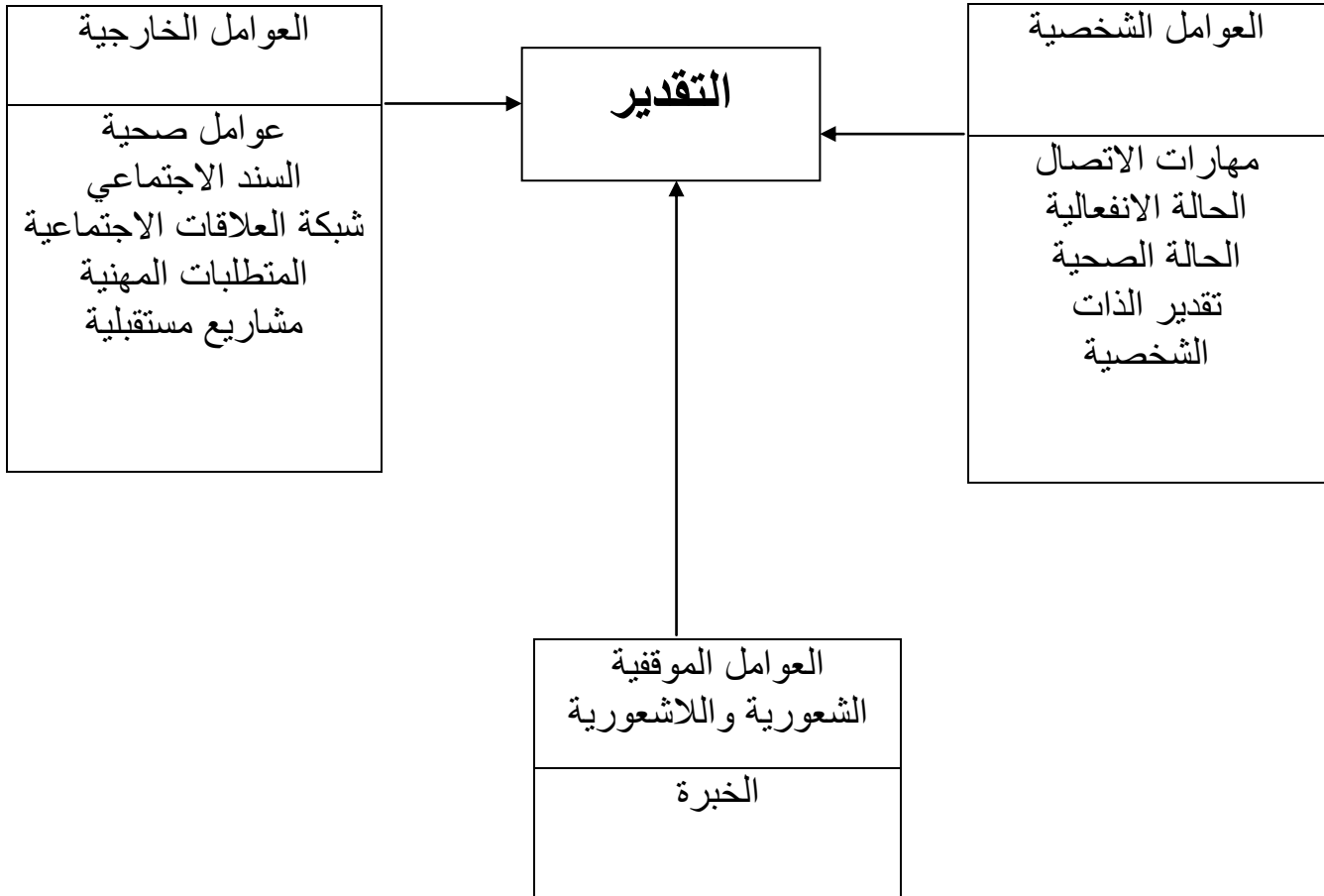
- الوسواس

و مصدرها في الغالب لا شعوري و ترتبط بصدمات جسدية أو صراعات نفسية وجدانية، وقد تذهب أحيانا بعيدا وتكون روحانية (كالمس ، الجن و السحر الخ).

و في هذا الصدد و بعد إنهاء الحديث عن الضغوطات النفسية بأنواعها و أسبابها ، ننتقل إلى نقطة هامة جدا و هي جوهر موضوع بحثنا، والصورة الانتقالية من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي، وإذا كان موضوعنا يحمل عنوان مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي، فلا بد إذن من الحديث عن ما يسميه بالسيكوباتولوجيا والثقافة هادفين إلى الإشارة إلى أهم الأمراض الوبائية النفسية في مجتمعا، والتي ترتبط بموضوعنا ونحاول الوصول إلى استخلاص هذه العلاقة "ثقافة -سيكوباتولوجيا- شخصية" بما نريد أن نسميه بالسيكوباتولوجيا.

شكل رقم 12:

نظرية التقدير المعرفي للضغط



يتضح من هذا الشكل أن ما يعتبر ضاغطا بالنسبة لفرد لا يعتبر ضاغطا بالنسبة لفرد آخر، ويتوقف ذلك على سمات الفرد وخبراته الذاتية و مهاراته في تحمل الضغوط، وحالته الصحية و على درجة تفاؤله أمام حياته المستقبلية، كما يتوقف على العوامل ذات صلة بالموقف نفسه قبل نوع التهديد والحاجة التي تهدد الفرد، وأخيرا عوامل البيئة الاجتماعية كالتغير الاجتماعي و متطلبات الوظيفة.

وإذا أردنا إسقاط هذا الطرح الفرضي على مجتمعنا وحاولنا في جملة من الأسئلة استنتاج بعض الملاحظات التي تجيب على محاور هذه الفرضية وكانت الأسئلة كالآتي:

س32، س33، س34، س43، 46، س47.

ونقدم الآن عرضاً لتحليل وتفسير الجداول المرتبطة بمحور هذه الفرضية.

جدول رقم 24: إمكانية وجود عمل للمجتمع المدني

س32 أفراد العينة	نعم موجود	لا ليس موجودا	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	12 %40	03 %10	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	13 %43	02 %07	15 %50
المجموع	25 %83	05 %17	30 %100

يبين الجدول رقم (24) والمرتبط محتواه بإمكانية وجود عمل ذا بعد نفسي واجتماعي، معنوي ووجداني يقوم به المجتمع المدني داخل مجتمعنا، أن نسبة 83% وهي نسبة ساحقة أي معدل 25 طبيب من أصل 30 طبيب من أفراد العينة، يقرون بغياب عمل وجداني يحمل بعد نفسي واجتماعي يقوم به المجتمع المدني، ويؤكدون على أنه غير موجود تماماً بمجتمعنا مقارنة بالمجتمعات الغربية التي تحدد مؤسسات قائمة على هذا العمل من خلال الجمعيات والمراكز، وأن عمل المجتمع المدني وإن وجد في مجتمعنا فقد يكون قائم على أهداف سياسية أو أكثر.

أننا لم نصل بعد إلى مستوى التقدم والازدهار خاصة فيما يتعلق بالمرض النفسي والبحث في أسبابه وطرق علاجه، نوهت الاهتمام بالحالات التي تنتشر يوماً بعد يوم أكثر فأكثر.

ونسبة 17% أي معدل 05 من أصل 30 من أفراد العينة، لديهم أمل قيام بعض الجمعيات بهذا العمل ولكنها عمليات ترتبط أكثر بمعالجة الإدمان على المخدرات والكحول، في نشر الوعي بين الشباب وهم الفئة الأكثر تأثراً بهذه الحالات.

جدول رقم 25: إمكانية قيام الطبيب بعمل إصلاح اجتماعي أمام مريضه

أفراد العينة	نعم ممكن القيام به	غير ممكن القيام به	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	06 %20	09 %30	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	07 %23	08 %27	15 %50
المجموع	13 %53	17 %57	30 %100

يبين لنا الجدول رقم 25 والتمثل في إمكانية قيام الطبيب بعمل تحليل نفسي اجتماعي أمام الحالة التي يستقبلها بغرض التشخيص، ان نسبة 57% وهي معدل 17 طبيب من أصل 30، يقرون بعدم إمكانية القيام بهذا العمل التحليلي لأنه أولاً ليس من اختصاصهم ولأنه لا يهتموا كثيراً بالأسباب التي أدت بالمريض للوصول إلى الحالة، وأن ما يهمهم هو تقديم العلاج للمريض والقيام بفحوصات وكشوفات عضوية.

أما نسبة 53% أي معدل 13 فرد من أصل 30 يقرون بإمكانية القيام بهذا العمل بالرغم من أنه ليس من تخصصهم، بالإضافة إلى الكشوفات والخصوصيات . وهذا يدخل في إطار تشخيص الحالة.

تشير الفئة الأولى (نسبة 57%) أنها غير مسؤولة على هذا العمل، وهذا ليس راجعاً إليها، وإنما المستشفى كما ذكرنا سابقاً تقتصر إلى هذا النوع من العلاج (الطب النفسي التحليلي)، وأن جميع الحالات المستقبلية، برغم اختلافها أو لا أنها في النهاية تنتهي إلى نفس التشخيص.

جدول رقم 26: دعم الحكومة الوطنية لعمل المجتمع المدني

أفراد العينة	نعم هناك دعم	ليس هناك دعم	المجموع
س34 أطباء قسم رجال (أ)	04 %13	11 %37	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	03 %10	12 %40	15 %50
المجموع	07 %23	23 %77	30 %100

يبين هذا الجدول والذي يرتبط محتواه بدعم الحكومة الوطنية لعمل المجتمع المدني في تحسين صورة المرض النفسي فنسبة 77% وهي نسبة غالبية أي معدل 23 طبيب من أصل 30، يقرون بتغيب تام لهذا العمل، ويؤكدون على غياب الطب النفسي داخل المستشفيات، فبالنسبة لقسم الرجال (أ) توجد طبيبة نفسانية واحدة، ونفس الشيء بالنسبة لقسم النساء (ب) وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن ليس هناك أي دعم، من طرف الدولة أو المجتمع المدني، أو أي اهتمام أصلاً للمرض النفسي، ولهذا يلجئ الكثير من متوسطي الدخل، والعائلات المعنية إلى المراكز الخاصة بالطب النفسي، لأن الامكانيات هناك ستكون أحسن، ونسبة 23 % أي 07 أفراد من أصل 30 طبيب، يقرون بدعم الحكومة الوطنية لعمل المجتمع المدني، من خلال الجمعيات.

جدول رقم 27: تقييم عملية الاتصال الاجتماعي

أفراد العينة	س43	عملية تقليدية	عملية عصرية	عملية مرنة	عملية غير تقنية	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	07 %23	/	/	/	08 %27	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	08 %27	/	/	/	07 %28	15 %50
المجموع	15 %50	/	/	/	15 %50	30 %100

نحاول من خلال هذا الجدول رقم (27) تقييم عملية الاتصال الاجتماعي لدى أفراد العينة تقييماً إسقاطياً لما يتعرضوا له من حالات مستقبلية وكانت النسب متساوية (50%) بين اتجاهين:

عملية تقليدية:

نسبة 50% أي معدل 15 طبيب من أصل 30 يقرون بأن عملية الاتصال الاجتماعي والجماعي عملية تقليدية مرماها تحقيق أهداف ورغبات الفرد داخل مجتمعه، العيش في حياة اجتماعية سليمة، الحصول على عمل محترم، الحصول على منزل، الزواج، كلها مؤشرات تشير إلى حياة كلاسيكية أو تقليدية، سليمة، ويصبح الهدف الوحيد للفرد الوصول إلى تحقيق هذه الرغبات.

عملية غير تقنية:

نسبة 50% أي معدل 15 طبيب من أصل 30 يقرون بأن عملية الاتصال الاجتماعي عملية غير تقنية ونقصد بها فقدان الفرد لتقنيات بديهية لعملية الاتصال، يرجع ذلك لأسباب ذاتية

خاصة تخص كل فرد على حدى، تجعله غير قادر على الاندماج في الجماعات المحيطة به، تؤدي إلى عدم القدرة على تحقيق أهداف عملية الاتصال، الروتينية، التي تدخل حياتنا كل يوم. هما تعرضه إلى اضطرابات نفسية واجتماعية.

جدول رقم 28: غياب أو وجود عمل اجتماعي نفسى على تقوية العلاقة بين الفرد ومجتمعه

س46 أفراد العينة	نعم موجود	ليس موجود	نوعا ما	المجموع
أطباء قسم رجال(أ)	02 %07	08 %27	05 %16	15 %50
أطباء قسم نساء(ب)	03 %10	07 %24	05 %16	15 %50
المجموع	05 %17	15 %51	10 %32	30 %100

يبين الجدول رقم 28 والمرتبطة محتواه بغياب أو وجود عمل اجتماعي نفسي قائم على تقوية العلاقة بين الفرد ومجتمعه على أن نسبة 17 % أي معدل 05 أطباء من أصل 30 يقرون أن هناك عمل اجتماعي نفسي قائم على تقوية العلاقة بين الفرد ومجتمعه وينسبون ذلك العمل إلى الأسرة كبنية اجتماعية أساسية، ثم يتكلمون عن بعض الجماعات كجماعة الأصدقاء، الزملاء داخل العمل، وأن هذه العمليات كفيلة بتقوية الفرد على تكوين شخصية قوية وسليمة تندمج مع المجتمع الذي يحيط به.

ونسبة 32% أي معدل 10 من أصل 30 يقرون بأنها موجودة نوعا ما، وهذا راجع إلى صلابه العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الفرد باعتماده على السند الاجتماعي وأنه كلما ارتفع السند الاجتماعي ارتفعت معه وجود عمليات اجتماعية نفسية تهدف لتقوية العلاقة بين الفرد ومجتمعه والعكس صحيح.

أما النسبة الأعلى وهي 50 % أي 15 طبيب من أصل 30، يقرون بعده وجود هذه العمليات، وأن الحياة العصرية التي يعيشها الأفراد، تملي عليهم نوع من الأنانية، والمنفعة الذاتية، ضيق الوقت، الاهتمام بالعمل وربح المال كلها مؤشرات تعمل على شكل العمليات الاجتماعية وعن ابتعاد الفرد عن جماعته وضعف علاقته بمجتمعه، وفقدان السند الاجتماعي وحتى القرابي، وهذا ما قد يؤدي بهم إلى الوقوع في اضطرابات نفسية راجعة لخلفيات سسيوثقافية.

جدول رقم 29: مدى ارتباط تغيب العمليات الاجتماعية الهادفة من طرف المؤسسات والجماعات المنظمة بالتسبب في الأمراض السسيونفسية

أفراد العينة	نعم هناك ارتباط	ليس هناك ارتباط	المجموع
س47			
أطباء قسم رجال (أ)	09 %30	06 %20	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	11 %37	04 %13	15 %50
المجموع	20 %67	10 %33	30 %100

يرتبط هذا الجدول رقم (29) والمرتبب محتواه بمدى ارتباط تغيب العمليات الاجتماعية الهادفة من طرف المؤسسات والجماعات المنظمة بالسبب في الاضطرابات النفسية ذات الخلفيات السسيوثقافية، بالجدول السابق جدول رقم (28) ارتباطا وثيقا، (علاقة تعدي)

ونجد نسبة 67% أي معدل 20 طبيب من أصل 30، يقرون بأن هناك ارتباط بين تغيب العمليات الاجتماعية وبين الاضطرابات النفسية ذات الخلفيات السسيوثقافية، وهنا تبين بعد عمل الفعل الاجتماعي لدى الفرد باعتباره نبض الحياة الاجتماعية في عمليات تغييرية وتحويلية تحسن من حياة الشخص وسلوكاته الاجتماعية، وفي تحقيق أهدافه ورغباته، والتسليم بأن صحة الفرد النفسية والاجتماعية دائمة الارتباط بعامل الرضا، والنشوة في تحقيق الرغبات لديه على جميع المستويات (العائلة، العمل، الصحة، الجنس...).

وأن أي نقص في تحقيق هذه الرغبات وبعملية تراكمية، قد يؤدي بالفرد إلى اضطرابات نفسية، لما يتعرض له من مواقف ضاغطة، خاصة وأنه لا يجد السند الاجتماعي من طرف المؤسسات والجماعات المنظمة (العائلة، النادي، العمل...).

ونسبة 33% أي 10 من أصل 30 يقرون بأن ليس هناك ارتباط بين تغيب العمليات الاجتماعية والسبب في الاضطرابات النفسية ذات المرجعية السسيوثقافية، ويشيرون إلى أن السبب في هذه الاضطرابات يعود للفرد، ولا للجماعة التي ينتمي إليها

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية الخامسة توصلنا إلى:

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية الخامسة:

- تشكل الثقافة الوطنية أحد المكونات الأساسية لثقافة المجتمع بأسره، بوصفها مجموعة من العناصر تفسر طرق التفكير وسلوكات أعضاء المجتمع، وتبين ارتباط النشاط الاجتماعي والمؤسساتي بالقيم الثقافية للمجتمع.
- تمثل الثقافة الوطنية مجموع القيم والأساطير والطقوس، ويتضمن القيم والأفكار والمعتقدات الأساسية والأخلاق التي تنتقل من جيل إلى آخر وتقوم الأساطير بتقوية القيم المشتركة، و...الطقوس إحياء الاحتفالات والأعياد.
- إن الثقافة الوطنية ضرورية من أجل بقاء المجتمع، وهي رابط اجتماعي يمكننا من بناء ذواتنا، وتساعدنا على أن نفهم من نحن وما نحن عليه الآن في هذا المجتمع.
- هل هذه الثقافة الوطنية تقوم اليوم، بعمل اجتماعي بناء يساعد في تقوية العلاقة بين الفرد ومجتمعه ؟ هل تساعد على الاندماج في حياة عصرية بشكل صحي وسليم؟ هل يقوم المجتمع المدني باعتباره جملة من المؤسسات التي تعمل بمبادئها المختلفة في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة ثقافية واجتماعية تهدف إلى نشر الوعي وفقا لاتجاهات أعضاء كل جمعية، والعمل الاجتماعي لتحقيق التنمية (ولكن للأسف الشديد لا نلاحظ تواجد لهذه الأعمال بمجتمعنا)
- فالجماعة بهذه الصيغة تحقق للفرد إشباع الحاجات التي لن يستطيع تحقيقها وهو منفرد، وهي تشكل له وسطا اجتماعيا يشبع كل حاجاته السيكولوجية والاجتماعية، لهذا ينجذب الفرد للوسط الذي لا يستطيع أن يحققه وهو منفرد.
- يمكننا قياس مدى صحة الشخصية وتماسكها من خلال التصرفات التي يسلكها الأفراد داخل الجماعة، من حيث السواء أو العكس.

- فإذا تماسك الفرد في تصرفاته داخل الجماعة بأنظمة هذه الجماعة، وقوانينها وقواعدها، فهذا دليل على أنها تستجيب لمطالبه، وتحقق له نوعاً من الاشباع والرضى ليحقق توازنه واستقراره.
- وقد ينعزل وينفر منها في حالة عكسية أي أنها لا تستجيب لمطالبه الخاصة ومن الجماعية، ولا تلائم مطالبه حسب رغبته في الحصول على حياة عصرية.
- حتى لو استطاع الفعل الاجتماعي طرح نظام اجتماعي بديل، لكنه غريب عنا، يحمل معه معاني الانكسار وأحياناً كثيرة الاحباط النفسي، والازدواجية بين التقليد والحدثة سببت لأفراد كثيرة أوبئة واضطرابات نفسية، ليست هينة .
- استحالة بعث أي نشاط لفعل اجتماعي جديد، من غير التحكم في الممارسات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية القائمة وإعادة توظيفها وبعثها من جديد على أسس جديدة مبنية على رصد الحياة الاجتماعية المحلية.
- يتبين لنا أن أهم العناصر التي لها تأثير كبير على هذه الشخصية هي الدين، باعتباره عامل أساسي وجوهري يضمن للفرد التكيف والاندماج والاستقرار النفسي.

الفصل الثاني عشر: تحليل جداول الفرضية السادسة

نستطيع في ظل التغيرات الاجتماعية القائمة قياس مدى صحة الشخصية من خلال ازدواجية الثقافة و الفعل الاجتماعي من منظور الاضطرابات الاجتماعية والنفسية المنتشرة (من خلال البعد الاجتماعي - النفسي)

الفرضية السادسة:

في ظل الحياة العصرية وما تملّيه علينا من تغيرات اجتماعية وثقافية، قائمة من خلال التبادل الثقافي، والتفاعل الاجتماعي، تتعرض حياة الفرد لجملة من الضغوطات النفسية القاهرة، ويصعب عليه سلوك عمليات اجتماعية سوية، وأنه لفهم الشخصية واستيعاب مدلولات هذه السلوكيات لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال نظرة تكاملية متعددة الجوانب تتجاوز تناولاتها الاهتمام بالفرد، بمعالم قيمة واتجاهاته ومعتقداته ورموزه وطوقسه وكل ما له علاقة بالمرجعية الثقافية.

وأن الحكم على قياس مدى صحة الشخصية يرتبط ارتباطاً بالغ الأهمية بالعوامل النفسية الاجتماعية والوجدانية التي من خلالها يتم تقييم الشخص وتقديره والحكم على توازنه ونضجه وتوافقه مع محيطه الاجتماعي والثقافي وللوسط الاجتماعي بمؤسساته المختلفة وخصائص أبعاده النفسية والاجتماعية وأساليب تنشئته الاجتماعية تأثيره الواضح إذ يمثل القلب الذي بفضلته تتحقق طموحات الفرد ومشاريعه المستقبلية وتفتح وعيه على الحياة الاجتماعية العصرية.

ففي ظل هذه الأوساط المختلفة التي تتمثل في الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء والأقارب يسعى الفرد من خلالها إلى تحقيق مبتغاه من أجل إثراء شخصيته وتطويرها والاستفادة من مختلف التجارب التي يتفاعل معها.

وبالتالي فإن التعرف على هذه الأوساط المختلفة التي ينتمي إليها الفرد وتسهم في تشكيل شخصيته أمر ضروري ومطلوب من أجل معرفة هذه الشخصية معرفة دقيقة وكاملة.

وجاءت هذه الفرضية التي تحمل معنى قياس صحة الشخصية وفهمها بعامل لا يمكن الاستغناء عنه وهو النمو النفسي الاجتماعي في إطار ازدواجية الثقافة والفعل الاجتماعي وما يميز هذه الازدواجية من خصائص وتغيرات وتفاعلات .

حددنا الأسئلة التي تتعلق بمحور الفرضية وهي: س 37، س 38، س 32، س 49.

وجميع الأسئلة المفتوحة الموجودة باستمارة المقابلة وهي س 19، س 21، س 30، س

41 س 44، س 45، س 48، س 50.

وستقوم بعرض وتحليل للجداول التي ترتبط بمحتوى الفرضية:

جدول رقم 30: أسباب تصنيف الشخصية مرضيا

س 37 أفراد العينة	الوراثة	العلاقة بين الثقافة و الفرد	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	05 %17	10 %33	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	06 %20	09 %30	15 %50
المجموع	11 %37	19 %63	30 %100

جدول رقم 31: إمكانية فصل الوراثة عن البيئة في تشخيص المرض

س 38 أفراد العينة	ممکن	غير ممکن	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	10 %33	05 %17	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	09 %30	06 %22	15 %50
المجموع	19 %63	11 %39	30 %100

يبين كل من الجدول رقم (30) والجدول رقم (31) والمتعلق كل منهما بأهمية تصنيف المرض وإرجاع أسبابه إلى وراثية أو سسيوثقافية (اجتماعية نفسية)، أنه كلما كانت تصنيفات المرض تذهب إلى أسباب ثقافية اجتماعية كلما كان جائزا فصل الوراثة عن البيئة الاجتماعية، والعكس صحيح.

فنسبة 63% أي معدل 19 طبيب من أصل 30 يقرون بتصنيف الشخصية إلى أسباب ثقافية اجتماعية يعاني منها الفرد هي السبب في اضطراباته ومرضه، وهي نفس النسبة التي تقرر بإمكانية فصل عامل الوراثة عن البيئة الاجتماعية، لأن معظم الحالات التي يستقبلونها تمتاز إلى هذا النوع من التصنيف.

هذا لا يعني أن نسبة 37% من أفراد العينة أي معدل 11 طبيب من أصل 30 يقرون بأن عامل الوراثة هو العامل الأساسي في تصنيف المرض ومن تم تشخيصه، لأنه حتى لو وجدت عوامل بيئية سسيوثقافية يحملها المريض، لا نأخذها بعين الاعتبار ويتم التشخيص على أسس عضوية وهذا هو عملنا الذي نقوم به داخل المستشفى.

جدول رقم 32: تشخيص الحالة وأسبابها

س40 أفراد العينة	وراثية عضوية	اجتماعية نفسية	اقتصادية	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	10 %33	05 %17	/	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	09 %30	06 %20	/	15 %50
المجموع	11 %37	19 %63	/	30 %100

يبين الجدول رقم (32) والذي يرتبط محتواه بتشخيص الحالة وأسبابها إلى نسبة 63% من أفراد العينة أي معدل 19 طبيب من أصل 30 يقرون بأن التشخيص يتم على أسس عضوية ووراثية، طبية محضة، من غير أن يعيروا أي اهتمام للأسباب الاجتماعية النفسية، حتى لو أنهم يرون فيها أسباب مباشرة للاضطرابات النفسية، ولكن اهتماماتنا تكون مائلة أكثر للصحة العقلية للفرد (عن طريق الأشعة والفحوصات) وحتى يتمكنوا من علاج المريض، وهذا لأسباب ذكروها سابقا وهي أنه ليس من اختصاصهم تشخيص الحالة من البعد النفسي التحليلي وإنما من البعد العضوي المرضي، مع أنهم لم ينكروا أبدا أهمية هذا البعد في الدراسة .

ونسبة 37 % أي معدل 11 طبيب من أصل 30 يعتمدون على البعد الاجتماعي والثقافي في تشخيص الحالة، استنادا إلى الفحوصات الطبية اللازمة. وذلك لأهمية هذا البعد في تشخيص الحالات المرضية.

جدول رقم 33: إمكانية وجود علاج اجتماعي نفسي أكثر تطورا في تشخيص الحالات

س49 أفراد العينة	نعم ممكن إيجاد علاج اجتماعي نفسي	غير ممكن إيجاد علاج اجتماعي نفسي	المجموع
أطباء قسم رجال (أ)	09 %30	06 %20	15 %50
أطباء قسم نساء (ب)	10 %33	05 %17	15 %50
المجموع	19 %63	11 %37	30 %100

من خلال المقابلة حاولنا التقرب أكثر من طرح موضوعنا على أفراد العينة (الأطباء) وهو موضوع البحث عن السسيوباتولوجيا، استنادا إلى السسيوباتولوجيا والطب العقلي، بإضافة حتمية للعامل الاجتماعي كعامل يختلف عن العامل النفسي ويرتبط به في نفس الوقت في تحديد معالم وخصائص المرض النفسي والاجتماعي ولهذا جاء السؤال رقم 49 يبحث عن إمكانية وجود علاج نفسي اجتماعي أكثر تطورا في حل وتشخيص الحالات استنادا لتدخل العامل الاجتماعي بقوة وكانت نسبة 63% أي معدل 19 طبيب من أصل 30 يقرون بإمكانية وجود هذا العلاج، وأن تدخل العامل الايجابي استنادا إلى العامل النفسي الفردي سيكون عملا جبارا يؤدي إلى حلول أكثر موضوعية، هادفة في حل الاضطرابات النفسية، وأن دراسة الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها ودراسة جميع الابعاد التي ترتبط بهذا الفرد سيكون عملا هادفا، دقيقا يؤدي إلى تطور العلاج النفسي والعقلي في الجزائر.

ونسبة 37% أي معدل 11 فرد من أصل 30 يقرون بأنه غير ممكن الحصول على هذا النوع من العلاج، لأننا لا نمتلك الامكانيات للقيام بهذا العمل إضافة إلى ضعف العلاج النفسي في الجزائر عموماً، وعدم الاهتمام به، وهذا ما زاد من خطورة المرض وانتشاره، لدرجة أننا لم نعد باستطاعتنا التحكم في الاضطرابات النفسية باعتبارها مرض يعود إلى خلفيات ثقافية معقدة، مشابهة، وأن هذا العمل يتطلب إمكانيات مادية وبشرية هائلة ليست بحوزتنا.

كما أن استمارة البحث (المقابلة) تحتوي على عدد معين من الأسئلة المفتوحة وكان هدفها ليس فقط للحصر ولتجريب الفرضيات كغيرها من الأسئلة ولكن كان الهدف منها الوصول الى فكرة معينة أو أفكار ماحول نضرة الطب النفسي والعقلي لمستقبل الشخصية الجزائرية حول ما كانت هذه الشخصية أكثر اترانا في المستقبل وأن المرض النفسي والعقلي ليس من اهتماماته التنبؤ لمثل هذه الأمور مادام يقوم بدوره ازاء مرضاه وهو العلاج عن طريق الأدوية والحبوب المهدئة لا أكثر.

كما نود تقديم ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن المستشفى تفتقر الى الطب النفسي ففي عديد الزيارات التي قمنا بها الى المستشفى لطالما طرحنا سؤال حول تواجد مختصين نفسيين لمعالجة الحالات وخاصة منها بعض الحالات التي تحتاج فعلا الى بعض المساعدة من مختصين نفسانيين مثل أخصائيين في التحليل النفسي والطب النفسي الاكلينيكي ولكن للأسف الشديد لاحظنا غياب هذا النوع من المختصين. وكان الطبيب المعالج المختص في الطب العقلي يقوم خلال الكشف عن الحالة بدور المختص النفسي في نفس الوقت وقد أخبرنا الأطباء بأنهم بحاجة ماسة الى هذا النوع من المختصين

وأن دورهم هو العلاج الطبي عن طريق الأشعة والأدوية لا أكثر ولكنهم يقومون بجهد أكبر كلما لاحظوا أن الحاجة تحتاج الى مثل هذه المساعدة وخاصة أن هناك حالات كثيرة تتردد عليهم في السنوات الأخيرة وخاصة من فئة النساء التي تحتاج الى هذا النوع من المختصين وأنهم ليس لديهم الامكانيات الكافية المادية لزيارة المختصين النفسيين في

عياداتهم لأن ذلك يتطلب الكثير من المال ونحن نأسف كثيرا لهذا الوضع وأن السبب راجع الى الإدارة أي السلطة الادارية التي تتحكم في مناصب العمل داخل المستشفى وأن الأمر لا يقرب من بعيد أو قريب الى الأطباء.

ولاحظنا أيضا أن المرضى يترددون بصورة هائلة كل أحد وكل ثلاثاء من الأسبوع على المستشفى.

ولقد أخبرنا أحد الأطباء وهو من الأوائل الذي عملوا بالمستشفى أنه سابقا لم يكن له ليلاحظ هذا العدد وهذا الكم الهائل من الحالات فقد كان من العيب ومن العار أن يأتي أحدهم بمريض الى المستشفى ليعترف بأنه يعاني من مرض عقلي وأن المجتمع في تطور هائل لأنهم اليوم يميلون الى الطب والعلم بدون خجل لحل مشاكلهم النفسية والعصبية وقد أكد لنا نفس الشخص (الدكتور داودي)بأنه منذ بدأت عهدة ما بعد الارهاب أي الفترة العصبية التي مرت بها مجتمعاتنا تزايد عدد المصابين بالمرض العقلي لأنها كانت فترة صعبة جدا تركت ذكريات سيئة وبشعة . والكثير لم يستطيعوا تحمل ما مر عليهم من ذبح ودماء وخدش حياء نسائهم. وقتل أفراد عائلتهم. أمام أعينهم فنلاحظ اذن تزايد هائل في عدد الحالات.

كذلك ماخلفته الكارثة الطبيعية كزلزال عام 2003 والفيضانات التي تركت ورائها أفات اجتماعية واقتصادية كارثية وهنا فتحنا المجال للحديث عن أهمية الطب النفسي أكثر فأكثر واعترف لنا الطبيب بأن هذه الحالات تصنف ضمن الطب النفسي (La Névrose)(أكثر ما تصنف ضمن الطب العقلي (La Psychose)

فهي حالات ناتجة عن اختلال الجهاز العقلي وعم القدرة على التحكم في السلوكات والمواقف ولكن الأسباب نفسية محضة وأنه بمساعدة الطب النفسي قد تصل الحالة الى نسبة هائلة من العلاج وتتقدم خطى نحو الشفاء كاملة.

ونأسف ثانية عن تغيب هذا الاختصاص أو بالأحرى هو ليست تغيباً فشكلاً (أي الشكل الإداري) هو متواجد ولكن فعلياً وعملياً ليس موجود وفي هذه الحالة يلجأ الأطباء عادة إلى التعامل مع جميع الحالات بنفس المنظور العلمي أي العلاج عن طريق الأدوية الحبوب المهدئة. الأشعة الخ. وغيره من أساليب العلاج.

كانت الإجابة على الأسئلة المفتوحة داخل استمارة المقابلة عبارة عن إجابة للقسم الثاني من إشكالية البحث وهي:

مدى استطاعة قياس معايير الصحة النفسية والسيو ثقافية للفرد داخل المجتمع.

وكان ذلك عن طريق تحليل مضمون الإجابات التي قدمت من طرف الأطباء وقد استطعنا التوصل لبعض النقاط الأساسية من خلال هذا التحليل ومنه استنتجنا المفاهيم والتصورات التي قدمها أفراد العينة.

- أن المرض النفسي في الجزائر لا يزال يعاني نقصاً شديداً من حيث الإمكانيات المادية ففي المستشفى نقوم فقط بالعلاج الطبي عن طريق الأدوية مع أنه هناك حالات كثيرة تحتاج إلى الطب النفسي ونحاول عادة توجيههم إلى بعض المراكز القائمة على ذلك.
- المريض عندما يأتي إلينا يكون في حالة استسلام تام وله استعداد نفسي وبيولوجي على أخذ الدواء وبالنسبة له الطب النفسي وحده ليس كافياً على علاجه هذا دليل على أن أفراد المجتمع بصورة عامة لا يعترفون بالطب النفسي لدرجة تسمح لهم بالاعتماد عليه كعلم للعلاج التام للحالات المستقبلية داخل المستشفى.
- إن أهالي المرضى يصرون على العلاج وفي أحيان كثيرة يصرون على ترك مرضاهم داخل المستشفى وبالنسبة لهم فإن حالة المريض قد تزداد خطورة مع أنه في كثير من الأحيان لا يتطلب الأمر أكثر من الجلسات الطبية. جلسات معاينة لسلوك المريض والتساؤل حول السبب في الحالة التي عليها (اكتئاب، قلق، نرفزة، محاولة الخروج من البيت ليلاً بسبب ضيق في التنفس، أرق، الامتناع عن الأكل).

- يكون المريض عامة على مستوى من الارتباك والتخوف من حالاتهم ويعانون بصورة كبيرة من مشاكلهم مع عائلاتهم. وتكون أول الاسباب عدم تفهم الأبوين لسلوك المريض ويرجع هذا الى الزمن بعيد جدا (الطفولة ثم مرحلة المراهقة) والأخطر أن أهالي المريض لا يعترفون بذلك أساسا. ويهتمون المريض بالمبالغة في حين يتهم المريض أهله بالتقصير والاهمال لمتطلباته ولتصوراته الفكرية ولمشاريعه المستقبلية منذ صغره.

- هناك أشخاص ليس لديهم القدرة لتحمل الصراع الموجود بينهم وبين الأهل ونركز على الوالدين وخاصة (الأب) فنستنتج عندهم حالات نفسية غير سوية فكثير منهم يلجأ الى الهروب. وللأسف الشديد تؤثر على الصحة العصبية وتؤدي الى محال تفاقم الوضع ان حالات السكيزوفرينيا في معظم الحالات التي استقبلناها بنسبة 80 %.

- وتكون هنا نهاية الطريق بالنسبة للمريض. ولكن كيف وصل الى هذا. إن الأسباب نفسية أكثر منها وراثية وعضوية ولكن للأسف تشخيص المرض بالنسبة لنا كأطباء يملئ علينا العلاج عن طريق الأدوية بنسب متفاوتة حسب الحالات.

- في ظل هذه الأجواء يصعب علينا تقديم معيار ثابت للصحة النفسية (السيو ثقافية) وما تقدمه هو معايير للصحة العقلية والعصبية لا أكثر وفي أحيان كثيرة جدا تتجاهل الأسباب التي أدت الى المرض... وهذا ما لاحظناه (أعضاء البحث) من خلال المقابلة التي قمنا بها ومن خلال الفحوصات التي حضرناها مع المريض بحضور الأطباء وكانت معظم الأسئلة موجهة إلى الحالات هي:

(هل تنام جيدا. هل تحس بصداع بسبب الادوية)

- الطبيب ليس مسؤولا عن حالة المريض بعد نهاية الكشف أو مرحلة الاستشفاء داخل المستشفى فالعائلة فيما بعد لديها مهمة المراقبة وتتبع مريضها ومعاودة الكشف عليه فيما بعد بفترة ما بين شهر الى ثلاثة أشهر ونحن نطلب من أهالي المريض ذلك ونصرح بتقارير تخص ملف كل مريض.

- معظم أهالي المريض يفشلون في هذه المهمة مما يؤدي بالمريض الى الاستسلام أكثر فأكثر للحالة وقد تزداد خطورة ونجدهم يأتون مرة أخرى يحاولون ترك مريضهم بالمستشفى بحجة أنه لايتحسن وكأنهم يستغنون عن مريضهم.
- ان العائلة تلعب دورا كبيرا في تحسين حالة المريض وفي مراقبته وتتبعه وخاصة إذا حاول التقرب منه وجعله واحدا بغض النظر عن الحالة التي وصل اليها فهذا يرفع من معنويات المريض ويحفزه على الشفاء ويحسن من سلوكه وممارسته اليومية.
- كما أخذت التقارير العلمية والطبية الى الدور الهام الذي يلعبه السند الاجتماعي بأبعاده العاطفية والمادية والمعنوية في وقاية الفرد من الآثار السلبية للضغوطات النفسية وفي تخفيف الاصابة من الاضطرابات النفسية والفيزيولوجية في تحقيق التكيف الاجتماعي.
- ويشير مفهوم السند الاجتماعي بأبعاده العاطفية والمادية والمعنوية في وقاية الفرد من الآثار السلبية لضغوطات النفسية في تحقيق التكيف الاجتماعي.
- ويشير مفهوم السند الاجتماعي الى مشاعر ايجابية مختلفة منها:
 - احساس الفرد بالقيمة
 - احساس الفرد بتقدير الذات
 - واحساس بالاحترام والعناية من خلال السند العاطفي أو المادي أو المعنوي الذي يستمد من الآخرين في بيئته الاجتماعية والثقافية.
- ويتمثل في مساعدة الوالدين والأقارب والأصدقاء للفرد خلال الأزمات باعتبار هؤلاء يمثلون المصادر الأساسية للمساندة الاجتماعية مع أنه هناك نوعين من الدعم الاجتماعي

وهما الدعم الانفعالي وتتمثل في استجابات سلوكية مثل الاستماع و اظهار التعاطف مع المريض (صاحب المشكلة)

والدعم المادي والذي يعبر عن تقديم المساعدة اللفظية المادية وتعد إذن المساندة الاجتماعية متغيرا في الوقاية وتنمية الصحة بجوانبها النفسية والعضوية.

بعد عرض وتحليل نتائج الجداول المرتبطة بالفرضية السادسة نتوصل إلى:

الإستنتاج الميداني الخاص بالفرضية السادسة:

- إن السلوك الإجتماعي مستمد من تصور الحياة الاجتماعية تصور قد أدى إلى نظام اجتماعي قوامه العجز الفردي والجماعي عن التحكم في وسائل المعيشة وبناء المستقبل بالمعنى السليم للحياة .
- سلوك بيرهن على أن هذا النظام متحكم في المجتمع وأنه المتسبب الرئيسي في المشاكل التي تعاني منها الأفراد .
- سلوك يبين أن المشاكل الاجتماعية هي التي تثقل عاتق الناس وتحبط مزاجهم وتعكر حياتهم .
- هو سلوك يتجسده الفرد بصفة تلقائية وعادية .
- قد يتعرض هذا السلوك للإضطراب - المرض - إن عجز في تناول المواقف الضاغطة على تغيير نمط الحياة الاجتماعية من تقليدية إلى عصرية، وإن اعترف هذا الفرد بأن النظام الاجتماعي غير صالح وأنه عن طريق الفعل الاجتماعي كعملية تؤدي إلى التغير والتقدم، يعرض منتوجه الثقافي إلى اتهامات خطيرة بعدم الصلاحية، وعدم القدرة على الإستجابة لأهدافه ورغباته، وعلى أنها بالية، تقليدية، غير بناءة فإنه يقف أمام ازدواجية خطيرة (الثقافة - الفعل الاجتماعي) ويعرض نفسه لمواقف اجتماعية ونفسية حرجة، قد تؤدي بعض الأحيان إلى تعرضه لاضطرابات نفسية واجتماعية .
- يعطي نمط الحياة الاجتماعية التقليدية الأولوية للجماعة على حساب الأفراد، يعود هذا الترتيب، كما راينا لعجز هؤلاء عن تغطية حاجياتهم بدون سند اجتماعي، لهذا فهم يبحثون عن اشباع حاجياتهم ودعم الجانب النفسي والوجداني أيضا، ويتهكلون ليمثلوا للشروط الاجتماعية طمعا في تحقيق هذا.

- شرط أن تحمي هذه الجماعة أفرادها، وأن تعطي لهم نوع من الحرية، لأنه يستحيل مراقبتهم ومتابعتهم وفق الشروط التقليدية وهم يشاركون في أوساط جديدة كل أملهم فيها تحقيق مطالبهم ورغباتهم.
- إن الآليات النفسية الاجتماعية التقليدية آليات عقلانية ، تستعمل للحصول بدون المشاركة في الإنتاج ، والضغط والتسلط على الأفراد ،بينما هؤلاء الأفراد يريدون التغيير من ذواتهم نحو الأحسن وهذا ما يسبب صراعات إجتماعية .
- المشاكل الاجتماعية التي نعيشها هي التي تثقل عاتق الناس وتعرضهم للإحباط وتجعلهم يعانون، هي مشاكل نابعة لسلوك اجتماعي يجسده الفرد بصورة تلقائية وعادية: إنها مشاكل سسيوبولوجية.
- انتشار الحالات السيكوباتولوجية، على جميع المستويات التي ترتبط بالحياة الاجتماعية الفاشلة ، المتفجرة، على المستوى التصنيفي والوبائي ، نذكر أهمها الإكتئاب، اضطرابات القلق، الفصام، الهستيريا والنوبات الهذانية.
- إن الشخصية الجزائرية في تكوينها وأفعالها تستند إلى واقع اجتماعي وثقافي خاص وبالتالي فهي لا تكشف على نفسها إلا من خلال نتائج نفسية وسيكولوجية وسسيوباتولوجية خاصة جدا.
- تعاني الممارسات الإكلينيكية والطبية من تأطير الحالة (المرض) وتشخيصها تشخيصا دقيقا لعدم إستلاءها على الخلفية الاجتماعية الخاصة بكل حالة على حدى ومعاناتها ومشاكلها يبصرها بالأبعاد والمقومات الأساسية لهذه الشخصية ويعينها على استيعاب حقيقة الوحدات المرضية ومدلولاتها لانه كما ذكرنا، لا تهتم أصلا هذه الممارسات الإكلينيكية والطبية بالأسباب وتنتقل مباشرة إلى التشخيص الطبي بغض النظر عن أسباب المرض التي تحمل خلفية اجتماعية ثقافية حتى وان اعترف بسببها وذلك راجع لنقص الامكانيات والوسائل المادية داخل المؤسسة الإستشفائية القائمة على هذا العمل.

الاستنتاج الميداني العام :

- من المهام الأساسية التي حاولنا تقييمها في هذه الدراسة هي أن الشخصية في تكوينها وبنيتها وديناميتها تستند إلى واقع اجتماعي وثقافي خاص، وبالتالي فهي تكشف عن نفسها من خلال نتائج نفسية واجتماعية معينة.
- بعد التحديد النظري الذي عرض من خلال فصول البحث بيننا أهمية دراسة موضوع الشخصية من خلال الازدواجية القائمة بينه وبين الثقافة التي ينتمي إليها الفرد، ويعتبرها مصدرا أساسيا لتكوين شخصية وتحديد معالمه .
- نظرة المجتمع للشخص (علاقات اجتماعية) تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف الثقافات، وأن رسم الملامح المعبرة عن الشخص في مجتمعنا، ولإيضاح صورته واستبيان مدلولاته، وادراك أنه مفهوم يختلف في مضمونه وشكله وطبيعته .
- الإهتمام بالعوامل الخلفية (النفسية الاجتماعية) ومدى تقييمها وتقديرها في الحكم على توازن الفرد وتوافقه مع المحيط الاجتماعي والثقافي .
- أهمية الأدوار التي تقوم بها المؤسسات من الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات الثقافية في جعل الفرد فردا سويا يقيم علاقات اجتماعية متوازنة مع العالم المحيط به والحرص على القيام بهذه الأدوار من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بوضع المعالم الثقافية في أذهان الأفراد من قيم ومعايير وأهمية الدين في تشكيل العقول وتحسين النفسيات ووجدانها، إذ يمثل بالنسبة لمجتمعنا قاعدة أساسية يركز عليها مستقبل الحياة الاجتماعية للفرد.
- أهمية الأوساط الثقافية والاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد ومدى تعلقه بها وتأثيره بها ينمي من الأبعاد النفسية والاجتماعية، ويحسن من سلوك الفرد ويزيد من احساسه بالرضا والراحة والطمأنينة عن طريق مشاعره الوجدانية بالحب والوفاق والسلام. وقد يؤدي أي خلل بمشاعره الوجدانية نحو جماعته، في تفهقر حالته النفسية

واضطرابها الاجتماعي والاحساس بمنازعات وصراعات، قد تؤدي به إلى المرض النفسي والاجتماعي .

- الوصول إلى مدلول الاضطرابات النفسية والعقلية يؤدي بنا إلى الوصول إلى مدلول الاضطرابات الاجتماعية والحرص على التمييز بين مجمل الحالات السيكوباتولوجية في محتواها، وأهمية دراسة الأسباب المؤدية إلى هذه الاضطرابات قد يحسن من طرق العلاج وأساليبها، قد نستطيع في النهاية تشخيص الحالة تشخيصا دقيقا، يؤدي إلى علاج المريض، هذه الأسباب في غاية الصعوبة وذلك لتشابك وتعقد العلاقات الاجتماعية والعجز أمام تفكيك صورة المرض، وللأسف قد يلجئ الطب النفسي والعقلي في الجزائر إلى التشخيص الخاطئ للمرض، ينجم عنه خطورة الموقف وهذا ناتج عن تغيب دور الطب النفسي و الاكلينيكي والتحليل النفسي في مجتمعنا يرجع هذا لخلفيات وهمية مختلفة، لدى أفراد مجتمعنا، وكثيرا منهم ما يخطئ ويلجئ إلى الطب العقلي والعلاج عن طريق الأدوية، في حين لا تستلزم الحالة هذا النوع من العلاج.

- العلاج الذي يتم عن طريق الطب النفسي أو الاجتماعي أو الاكلينيكي قد يكون على مستوى الجماعات، ودراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد عن طريق القياس الاجتماعي، وأهمية السند الاجتماعي في تحسين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والغرض القضاء على أي خلل قد ينجم بينها، وقد يتم العلاج عن طريق أساليب بسيطة ونفعية، كأن يوضع مجموعة من الأفراد مع بعضهم البعض، داخل مجال مكاني وزماني معين، بإشراف أخصائيين اجتماعيين ونفسيين، وعرض كل فرد لمشكلته، ومحاولة استنطاق هذه الأفراد، وتوفير لهم نوع من الراحة والحرية في التكلم وأن يكون هذا العمل قائم على تحقيق شرط الجماعة وليس كل فرد على حدى، وبالتالي يستطيع كل منهم ائصال إلى الأفراد الآخرين معاناته والسبب في آلامه واضطراباته، وقد تكون هذه الطريقة في العلاج حديثة وبسيطة في نفس الوقت، بحيث يتعرض كل فرد داخل الجماعة إلى أن يصادف بمشكلته إزاء

الآخرين ويتعرض لها وجهها لوجه، وقد يفصح عنها بكل حرية واستقلالية من غير إلزام وقد يذهب إلى هذه الطريقة في العلاج برغبته الخاصة وليس بفرض من الأسرة كما يحدث مع المرض العقلي حين تستجد الأسرة في النهاية بالطب العقلي والنفسي بعدما نلاحظ اضطرابات حول سلوك مريضها، وقد تكون في غاية الخطورة .

- مفهوم السسيوباتولوجيا والذي أردنا الوصول إليه من خلال دراستنا يرتبط ارتباطا شديدا بمفهوم السيكوباتولوجيا داخل مجتمعنا وقد لا يبدو منتشرا على الإطلاق، مع أن لديه الأهمية البالغة في تشخيص الحالات المرضية، وفي دراسة وتكوين الشخصية لارتباطه بالبعد النفسي والثقافي في دراسة الشخصية الجزائرية ولما تعرفه من تعقد وتباين واختلاف من حيث البنى الاجتماعية الثقافية والخلفيات الثقافية المتعددة (الاستعمارية) ولما تمليه عليها الحياة الاجتماعية العصرية.

الخاتمة:

إن تناول موضوع الشخصية من خلال العلاقة بينه وبين الثقافة من خلال الفعل الاجتماعي، قد يؤدي بالكشف لا محال عن مدلول الاضطرابات العقلية والنفسية.

ولهذا تم التركيز على البعد النفسي والاجتماعي في هذا التناول النظري وهذا الاشكال المطروح.

- ويعتبر الكشف عن مدلول الاضطرابات النفسية من الأهداف الأساسية التي ترمي السيكيوباتولوجيا للوصول إليها، وأن هذا الأمر لا يمكن تحقيقه في نظرة متجزئة تهتم ببعد وتنكر أبعاد أساسية مكونة للشخصية، وإنما تهتم به في ظل نظرة شاملة تشغل بأهمية العامل الثقافي في تكوين هذه الشخصية.

ولقد حاولنا في هذا البحث، بعد المقاربة النظرية السسيولوجية للموضوع، ومن خلال جل فصوله التي تناولت المعالم الكبرى التي ترتبط بموضوعنا، من أهمية الفعل الاجتماعي، التفاعل الاجتماعي إلى التغير الاجتماعي، إلى الكشف عن مدلول جديد وهو السسيوباتولوجيا، وبما أن الفرد يدخل في علاقات اجتماعية ذات أبعاد نفسية، ثقافية، يؤثر فيها ويتأثر بها، فهذا دليل على أهمية الجماعة الاجتماعية وأنها قد تؤثر على سلوك الفرد الذاتي بما تجبره وتلزمهم سلوكات معينة، تحقق له الانتماء إليها، وشدة صلابته في هذه العلاقة، وأنه ينتقل من الفردية إلى الجماعة وهذا ما حاولنا طرحه من خلال الفصول خاصة عندما أخذنا موضوع التفاعل والانتقال من الأفراد إلى البنى الاجتماعية والعكس.

- أهمية تأثير الجماعة الاجتماعية من خلال عملية الفعل الاجتماعي وفكرته في أنه لا يأخذ فقط نظرة الفاعل الذاتية، بل العكس فإن الانتباه إلى دراسة الذاتية يؤدي إلى تحليل الفعل الاجتماعي في ضوء ثنائية الموقف والفعل.

- وهي ثنائية هامة في الفعل، فالفاعل يعيش موقفا معينا، لأن فعله ماهو إلا نتاج لإدراكه لمركب من الاشارات التي يتلقاها من بيئته ويستجيب إليها.

ولقد حاولنا تحديد مفهوم الشخصية في دراستنا من خلال السند الاجتماعي وإسقاط بسيط لمفاهيم بعض الأوبئة النفسية المنتشرة في مجتمعنا، لنبين للقارئ أهمية الأبعاد الاجتماعية والنفسية لدراستنا، ونقصد أكثر أهمية للبعد الاجتماعي الذي لايزال لم يأخذ قيمة أهميته من خلال البحوث والدراسات المقدمة لهذا الموضوع.

وأن مجمل الدراسات التي قدمت من خلال البحوث السابقة وكثيرا ما تكلمت عن الجدلية بين الثقافة والشخصية، باعتبار الأنماط الثقافية سببا رئيسيا في تكوين الشخصية، وأخرى تكلمت عن البعد الثقافي الذاتي والوصول إلى اضطرابات نفسية وعصبية وانتشار الأوبئة النفسية ولكن البعد الاجتماعي المحض لم يأخذ حيزا كثيرا من الدراسة والبحث.

- ولهذا حاولنا في دراستنا، التطرق إليه من خلال ما قدمناه في الفصول السابقة في التركيز على أهمية الفعل الاجتماعي الذي يؤدي إلى تغيرات اجتماعية هامة ومن خلال التفاعل الاجتماعي وكل ما يتكون من عمليات تأثير وتأثر متبادلة بين الفرد وجماعته التي ينتمي إليها في أمل الوصول إلى مفهوم السسيوباتولوجيا

(Sociopathologie)

وتطبيقها داخل مجتمعنا الجزائري والاعتراف بهذه الحالات وانتشارها داخل مجتمعنا، باعتبارها تهتم بدراسة مدلول الاضطرابات الاجتماعية للفرد التي ترتبط لا محال بالأنماط الثقافية وبالأبعاد النفسية، ارتباطا شاملا إلى درجة بعيدة جدا.

- فالحديث عن الاضطرابات الاجتماعية، يؤدي بنا إلى دراسة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعات، في ظل التفاعلات القائمة، وفي ظل الفعل الاجتماعي الذي يؤدي إلى التغير الاجتماعي ومنه التغير الثقافي في أمل تحقيق أهداف ورغبات الجماعة، بدون انكار أي أهمية للأبعاد الأخرى الثقافية، النفسية، الاقتصادية... الخ، وأن هذا الشخص (**Sociopathe**) بحاجة إلى طرف علاج معينة وأساليب معينة تساعد في تخطي هذه الاضطرابات التي تعرض إليها، ويجب أن تطور من هذه التقنيات داخل مجتمعنا الذي لا يزال لحد الآن يخلط بين المرض النفسي والعقلي والاجتماعي ويعاني من نقص لدراسات علمية محكمة هادفة إلى طرف علاج معينة ترمي إلى تحسين سلوك الفرد وليس السلوك الذاتي فقط وإنما سلوكه الاجتماعي داخل الجماعة التي ينتمي إليها.

قائمة المراجع باللغة العربية:

المنهجية:

1. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، 1970.
2. اميل دوركايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، ترجمة سعيد سبعون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008.
3. اميل دوركايم، قواعد المنهج الاجتماعي، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961.
4. تركي رابح، مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
5. حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية، نسق منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1962.
6. عبد الباقي زيدان، قواعد البحث الاجتماعي، مطبعة السعادة، ط2، 1974.
7. محمد علي محمد، مقدمة في البحث الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

علم الاجتماع والفكر العربي:

8. ادواري بونو، الصراعات أفضل السبل لحلها، ترجمة فاطمة السنوسي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1996.
9. الزبير بن عون، نظرية الصراع في علم الاجتماع، جامعة الأغواط، الجزائر، 2012.
10. السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر.
11. بيار أنصار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ترجمة نخلة فريز، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
12. تيسير الناشف، النشاط الفكري والتغير الاجتماعي، أزمة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005.
13. جون ميزونوف، دينامية الجماعة، ترجمة فريد انطونيو، منشورات عويدات، بيروت، 1974.

14. حسن الساعاتي، علم الاجتماع القانوني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1946.
15. رالف لينتون، دراسة الانسان، ترجمة عبد الملك الناشف، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1946.
16. روبرت نيسبت وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جويس خوري، دار النضال، بيروت، 1990.
17. زولتان تار، النظرية الاجتماعية ونقد المجتمع، ترجمة على ليلة، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، مصر، 2004.
18. زينب زهري وصالح الزين، دراسات في علم الاجتماع والانتربولوجيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، بنغازي، ليبيا، 1985.
19. سامية محمد الجابري، الفكر الاجتماعي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1983.
20. ضياء الدين ابراهيم نجم، الجماعات الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، 2000.
21. عبد الغني دبله، مدخل الى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر، الجزائر، 2011.
22. غي روشيه، مقدمة في علم الاجتماع العام، ترجمة مصطفى دندستلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.
23. غي روشيه، علم الاجتماع الأمريكي، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، 1981.
24. فؤاد خليل، المجتمع، النظام والبنية في موضوع علم الاجتماع وإشكالياته، دار الفارابي للطباعة والنشر.
25. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سوريا.
26. محمد اسماعيل قباري، أسس البناء الاجتماعي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر.
27. محمد اسماعيل قباري، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1982.
28. محمد رياض، الانسان دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974.
29. محمد صادق صبور، مستقبل الحضارة الانسانية، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر.
30. محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة، بيروت، 1981.
31. مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية والهوية، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1976.
32. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، الدار القومية، القاهرة، 1966.
33. معن خليل عمر، البناء الاجتماعي، دار الشروق للنشر، عمان، 1912.

34. نديم البيطار، فكرة المجتمع الجديد في المذاهب السياسية والايديولوجيات الدينية، بيان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، 2000.

35. يوسف خضور، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، منشورات جامعة دمشق، 1994.

الشخصية:

36. أوزيد ابراهيم أحمد، سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1987.

37. بن عبد الله بن محمد، سكيباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

38. خير الله السيد، مفهوم الذات وأسسه النظرية والتطبيقية، دار النهضة للنشر، السعودية، 1981.

39. ريتشارد لازاروس، الشخصية، ترجمة محمد غنيم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

40. سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

41. سيد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار المعرفة، الاسكندرية، 1987.

42. صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 1998.

43. عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، الشخصية ومحدداتها الثقافية، دار النهضة العربية، 1981.

44. عبد الرحمن الوافي، في سيكولوجية الانسان والمجتمع، مطبعة دار هومن، الجزائر، 2011.

45. عبد المنعم شحاته، أنا والآخر (سيكولوجية العلاقات المتبادلة)، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

46. عشارتي سليمان، الشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

الثقافة والانترولوجيا:

47. ابراهيم ناصر، الانترولوجيا الثقافية، جامعة عمان، الأردن، 1982.
48. أمينة رشيد، التبعية الثقافية، دار الأمين للنشر، مصر، ط1، 1999.
49. جمال مجاهد وآخرون، مدخل للاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006.
50. رشيد زوراتي، إشكالية الثقافة في التنمية بالبلدان النامية، دار عياش للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.
51. زكريا فؤاد، الثقافة العربية والاعتماد على الذات، دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، 1988.
52. زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، الشروق، بيروت، 1979.
53. عاطف وصفي، الانترولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت.
54. عاطف وصفي، الانترولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.
55. عبد الغني عماد، سسيولوجيا الثقافة، دراسات الوحدة العربية، لبنان.
56. لويس دوللو، الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
57. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، 1997.
58. محمد اسماعيل قباري، الانترولوجيا العامة، دار المعارف، القاهرة، 1971.
59. محمد حسن الغامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1989.
60. محمد سعيد الجندي، القلق في الثقافة، منشورات عويدات، بيروت، 1960.
61. محمد عابد الجابري، المتفقون في الحضارة العربية الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

علم النفس وعلم النفس الاجتماعي:

62. ابراهيم عبد الستار، الاكتئاب (اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1988.
63. ستور أنطوني، فن العلاج النفسي، مكتبة النهضة المصرية، 1987.
64. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الطبي، منشأة الناشر والمعارف، مصر، 1990.
65. علي كمال، النفس انفعالياتها وأمراضها وعلاجها، دار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
66. فؤاد حيدر، علم النفس الاجتماعي، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الفكر الغربي، بيروت، 1994.
67. فهمي مصطفى، التكيف النفسي، دار الطباعة الحديثة، مكتبة مصر، مصر.
68. فهمي مصطفى، علم النفس الاكلينيكي، مكتبة مصر، القاهرة، 1967.
69. نوال محمد عطية، علم النفس والتكيف النفسي والاجتماعي، دار القاهرة للكتاب، مصر، 1990.
70. محمد مسلم، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، منشورات قرطبة، الجزائر، 2002.
71. معتز سيد عبد الله وآخرون، علم النفس الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

القواميس:

72. بوخريسة بوبكر، المفاهيم والعمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.
73. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، 1984.
74. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانتربولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981.
75. عبد الله الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1988.
76. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية، مصر، 1979.
77. معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، 2006.

الأطروحات والرسائل:

78. إقبال صليحة، السند الاجتماعي وعلاقته بتخفيض الاضطرابات النفسية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، (2001-2002).
79. براخلية عبد الغني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بأساليب التعامل مع الضغوط النفسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعلم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر (2014-2015).
80. حسين حماش، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1993.
81. عبد الله الحربي، أساليب التنشئة الأسرية وعلاقتها بكل من التفاؤل والتشاؤم، رسالة ماجستير، السعودية، 2010.
82. موسى نجيب موسى، أساليب المعاملة الوالدية للموهوبين، رسالة ماجستير، جامعة مصر، 2003.
83. هدى كشرو، دراسة العلاقة بين المعاملة الوالدية والإكتئاب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر (2002-2003).

المجلات والمنشورات:

84. بن عبد الله فوزية، اضطراب القلق العام، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد رقم 09، ديسمبر 2014.
85. تلي عبد الرحمن، تحقيق الذات نهاية سلم الحاجات أم بداية للتعاون، مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة البليدة، العدد 11، مارس 2014.
86. جنيدي عبد الرحمن، القلق واستراتيجيات التغيير، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن جامعة غرداية، جوان 2015.
87. خيرى منصور، مثاقفة الغالب والمغلوب بين المحور والاثبات، تقرير المؤتمر الثامن عشر للإتحاد العام للأدباء العرب، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ديسمبر، 1992.

Ouvrages en langues etrangeres :

88. Abou Selim, L'identité Culturelle, Presses De l'Université Saint Joseph, France, 1995.
89. Bajoit Guy, Pour Une Sociologie Relationnelle, PUF, paris, 1992.
90. Bouilloud Jean -Philippe, Sociologie et Societé, PUF, 1997.
91. Boutefnouchet Mostefa, Introduction a La Sociologie, Office Des Publications Universitaire, 2012.
92. Boutefnouchet Mostefa, Introduction a La Sociologie, Office Des Publications Universitaire, 2012.
93. Bardin Laurence, l'Analyse de Contenu, PUF, 2eme édition, 1980.
94. Bastide Roger, Diffusionnisme, Encyclopedia Universel, Op, Cit, Volum5.
95. Bensabat Soly Avec La Collaboration De Selye Hans, Stress, Edition Hachette, 1980.
96. Caire Denis et Autres, Individue et Société, Chenelière/ Mcgrawhill, Montréal, 2eme édition, 1995.
97. Dehunk jean, l'Institution Social de l'Esprit, PUF, paris, 1999.
98. Goldren Roger- Heine, Cultural Diffusion, International Encyclopedia of The Social Science, the McMillan Company and the Free Press, USA, 1968.

99. Herskovits Melville- Jean, Les Bases De l'Anthropologie Culturelle, Traduit par Francoitvandan, Payot, Paris, 1952.
100. Huntington Sammuel, Le Choc Des Civilisations, Traduit De l'Anglais Par Fidel Jean Luc, éditions Odile Jacob, Paris, 1997.
101. Larouche Jean –Trad, Psychologie Sociale, Groupes et Situation, Payot, Paris, 1954.
102. Lazarus, From the Psychological Stress to the Emotions, A history of Changing Outlooks, Annual Review of Psychology, 1993.
103. Linthon Ralph, Le Fondement Culturel de la Personnalité, Impression Dumas, France, 1995.
104. Mattelart Armand, l'Invention de la Communication, édition la découverte, paris, 1994.
105. Mead George- Herbert, The philosophy of The Present, the University of Chicago, Press, New York, 1932.
106. Mead George -Herbert, l'Esprit le Soi et la Société, PUF, France, 1930
107. Megherbi Abdelghani, La Culture Et La Personnalité Dans La Societe Algérienne De Massinissa à Nos Jours, Enal, Alger, 1986.
108. Megherbi Abdelghani, La La Pensee Sociologique D ibn Khaldoun, Edition Casbah, Alger, 2010.

109. Mercier Paul, Historie De l'Anthropologie, PUF, Paris, 1966
110. Morin Edgard, Sociologie, librairie Artheme fayard, 1994.
111. Rocher Guy, Introduction a la Sociologie Générale, Le Changement Social, édition Dunod, 1968.
112. Selye Hans, le Stress De la Vie, édition Gallimard, 2eme édition, 1975
113. Sapir Edward, Anthropologie (culture et personnalité), Op, Cit, Paris.
114. Sleim Ammar, Ethnopsychiatrie et Psychiatrie Transculturelle, Introduction Aux Problèmes Posés Par l'Impact De l'Acculturation Sur La Santee Mentale Au Maghreb, Tunisie, 1975
115. Sleim Ammar, Schizophrénie et Facteurs Culturels, l'information psychiatrique, 1976.

SITE INTERNET:

116. WWW.ARANTHROPOS.COM
117. WWW.ALGAZEERA.NET-KNOWLEDGEGATE-2006

الملاحق

ملحق رقم (1)

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر - 2 -

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم علم الاجتماع

استمارة بحث لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان:

مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي

مقاربة نفسية إجتماعية لمفهوم الشخصية

دراسة ميدانية بمستشفى الأمراض النفسية و العقلية

فرانز فانون - البليدة -

تحت إشراف الأستاذ:

عبد الغني مغربي

من إعداد الطالبة :

نواري ريم

السنة الدراسية 2015 - 2016

☐ أنثى

☐ ذكر (1)- الجنس:

(2)- السن:

(3)- التخصص: (أذكر أكثر الحالات التي عالجتها).

(4)- هذه الحالات: ما هو المستوى العائلي الذي نشأت فيه:

فقيرة ☐ متوسطة ☐ غنية ☐

(5)- الحالة الاجتماعية لأوليائهم:

متزوج ☐ مطلق ☐ حالات أخرى ☐

(6)- حسب تشخيصكم لهذه الحالات، كيف تصنف علاقة الحالة بالأسرة:

ضعيفة ☐ متوسطة ☐ جيدة ☐

(7)- كيف تنظر الى ما قدمته العائلة من مساندة ؟

(8)- هل هو على تواصل دائم مع عائلته؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

(9)- هل ترى أنه من الممكن أن يتقبل العيش مع عائلته من جديد؟

نعم ☐ لا ☐

(10)- هل تعتقد أن الحالة تعيش، تناقض بين ما اكتسبته من العائلة من معارف و عادات و تقاليد و بين ما يحدث اليوم في الواقع ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

(11)- هل تعتقد أن هذا سببا مباشرا أو غير مباشر في الحالة التي وصلوا إليها؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

(12) هل تعتقد أن لهذه الحالة نمط ثقافي اجتماعي نشأت عليه ؟

نعم ☐ لا ☐

(13)- كيف يمكن أن تصنف لنا ، النمط الذي تنتمي إليه ؟

عربي ☐ إسلامي ☐ جزائري ☐ معاصر ☐

(14)- هل تعتقد (حسب الحالات) أنها غيرت من انتمائها الثقافي العائلي الى نمط اخر خاص بها بسبب ما يحدث من تغيرات اجتماعية ؟

نعم ☐ لا ☐

في حالة نعم أذكر بعض الأسباب .

15- حسب رأيك، هل تعيش الحالة نوعا ما من اللاتوازن الاجتماعي؟

نعم ☐ لا ☐

16- هل هذه الأسباب، موجودة فيهم حاليا؟

نعم ☐ لا ☐

17- هل هم على اقتناع تام بميولهم الاجتماعية الثقافية؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

18- هل يؤمنون بوجود ثقافة عالمية مهيمنة؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

19- بماذا تستطيع تصنيف أو وصف الحالة النفسية الاجتماعية التي وصلوا إليها؟

.....

20- هل تعيش (هذه الحالات) صراعا بين الثقافة التقليدية و العصرية؟

نعم ☐ لا ☐

21- بماذا يفسرون هذا الصراع؟

.....

22- هل تعتقد أن هذا الصراع سببا صارما في مشكلات الشخصية؟

نعم ☐ لا ☐ لست أدري ☐

23- حسب رأيك هل هذا الصراع يرجع إلى؟

☐ عدم إشباع الأنا الثقافي الاجتماعي

☐ تنوع الثقافات الآتية من الخارج

☐ نقص في البنى الثقافية الوطنية

☐ الإبداع و التغيير الشخصي

..... أسباب أخرى، أذكرها.....

24- حسب رأيك هل يمكن اعتبار التقليد الآتي للغرب راجع لأسباب نفسية اجتماعية متعلقة بعدم إشباع

الأنا الثقافي الاجتماعي؟

نعم ☐ لا ☐ لست أدري ☐

25- هل تعتقد أن للشخصية إمكانية تغيير النمط الثقافي المنتمي إليه بسبب التبادل الثقافي؟

نعم ☐ لا ☐

26- هل تعتقد أن هناك مقاييس لاستقرار الشخصية ؟

نعم ☐ لا ☐

في حالة نعم أذكرها

27- كيف تنظر الى مستوى الشخصية الجزائرية في ظل التغيرات القائمة ؟

صارمة ☐ غير قادرة على الاتزان ☐

ضعيفة ☐ متحيزة ☐ مريضة ☐

28 هل ترى أن الدين فقد قدرته على التحكم وضبط السلوكات الفردية ؟

29 حسب رأيك كيف ينظر المرضى للدين ؟

30 حسب رأيك ماهي القيم التي تراها تسيطر على شخص المرضى ؟

31 هل ترى أن رصيدك الفكري العلمي سببا في مثولك أمام التفككات الشخصية الثقافية القائمة ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

32 هل ترى أن العمل الذي يقدم عليه المجتمع المدني في صياغة علاقة سليمة متوازنة بين متطلبات الأفراد ومجتمعهم عملا ساري المفعول ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

33 بحكم عملكم هل ترى أنه بإستطاعتكم القيام بهذا العمل ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

34 هل ترى بأن الحكومة الوطنية تدعم عمل المجتمع المدني ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

35 هل ترى أن الثقافة في الجزائر تسمح بإعادة صياغة علاقة الفرد بمجتمعهم ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

36 هل ترى أن الفروق الفردية بين الناس (سواء الحسية العقلية أو المزاجية) عاملا في تحديد سمات الشخصية لذلك الفرد وتصنيفه (سوي) (غير سوي)

(37) من الناحية العلمية كيف تصنف الشخصية المريضة اجتماعيا نفسيا ؟

- الوراثة

- العلاقة بين الثقافة و الفرد

(38) هل ترى أن فصل الوراثة عن البيئة أمرا مقبولا علميا ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

(39) كيف تفسر الحالات الغير منسوبة لأسباب علمية بحة ؟

(40) ماهي التوقعات الأكثر علمية التي تطرحها في تصنيف أو تشخيص الحالة لدى مرضاك ؟

- وراثية علمية - اقتصادية - اجتماعية ثقافية - نفسية اجتماعية

(41) إن معظم الناس عندما يواجهون بمواقف جديدة غريبة عليهم يميلون إلى التحفظ في السلوك أو الإنسحاب أما في المواقف المألوفة فإنهم يكونون عادة أكثر فاعلية ونشاطا وتعبيرا عن أنفسهم وفي ضوء هذه الحقيقة فإننا نميل إلى تحقيق ذواتنا وإذا عجزنا عن ذلك فإننا نميل إلى الإنسحاب

ما رأيك في هذا مقارنة بما يحدث حاليا ؟

.....
.....
.....

(42) إذن هل ترى أن هيمنة الثقافة العالمية ,سبب مباشرا في تحديد مشكلات الشخصية الجزائرية ,

هل تعترف ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

(43) كيف تنظر إلى عملية الاتصال الاجتماعي ؟

-عملية تتميز بالتقليدية ☐

- عملية تتميز بالعصرنة ☐

- عملية تتميز بالتمرن ☐

- عملية تتميز بالضعف التقني اجتماعيا ثقافيا ☐

- عملية تتميز بالربط بين المحددات التقليدية والعصرنة ☐

(44) إذا طلبنا منك تحديد سمات الشخصية الصحيحة الفاعلة في المجتمع ماذا تحدد لنا ؟

.....
.....
.....

45) أن الشخصية لا تنمو وتتطور في الفراغ، مستقلة عما حولها والفرد لا يصبح شخصا إلا عن طريق الحياة الاجتماعية لو أننا عزلنا طفلا رضيعا بعد ولادته عن جميع العلاقات الإنسانية الاجتماعية لما نكون له شخصية وليبقى مجرد كائن حي ؟
محمد عزيز الجبالي - من الكائن إلى الشخص
إستناد لهذه المقولة ، هل يمكن أن نحدد قيمة الفعل الاجتماعي في إنشاء وتطور المجتمع المدني؟

نعم ☐ لا ☐

46) هل تعتقد أن هذا العمل المعتمد في إعادة صياغة العلاقة بين الفرد و ثقافته قائما في الوقت الحالي ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

47) هل هذا حسب رأيك سببا مباشرا في الأمراض النفسية الاجتماعية (حسب الحالات الموجودة لديكم ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

48) حسب رأيك ما هو السبب الأكثر فاعلية، في هذه الأمراض (حسب الحالات الموجودة لديكم) أو اذكر بعض الأسباب الأكثر تصنيفا للأمراض؟

.....
.....
.....
49) هل تعتقد أن هناك (حسب تشخيصكم) علاج معين لهذه الحالات ونقصد العلاج على حسب الأسباب النفسية الاجتماعية وليس بالضبط العلمية ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

50) حسب خبرتكم اذكر في بضع اسطر تصنيف علمي قائم عن الأسباب النفسية الاجتماعية وعلاقتها بمشكلات الشخصية (حسب الحالات الموجودة لديكم)؟

.....
.....
.....
.....
.....
.....

ملحق رقم (02)

قائمة الجداول:

البيانات الأولية لأفراد العينة.	جدول رقم 01
المستوى الاجتماعي لأسرة المريض (الحالة).	جدول رقم 02
الحالة الاجتماعية لأولياء المريض (الحالة).	جدول رقم 03
علاقة المريض (الحالة) بأهله.	جدول رقم 04
مدى تواصل الحالة بالأسرة.	جدول رقم 05
مدى تقبل الحالة للعيش مع أسرتها.	جدول رقم 06
مدى تضارب الحالة بين المكتسبات الثقافية و بين المتطلبات الاجتماعية العصرية.	جدول رقم 07
ارتباط تناقض المكتسبات الثقافية بالمرض النفسي والاجتماعي.	جدول رقم 08
تصنيف الانماط الثقافية للحالة.	جدول رقم 09
مدى انتماء الحالة إلى نمط الثقافة	جدول رقم 10
تقييم حالة اللامعيارية.	جدول رقم 11
السببية اللامعيارية في مرض الحالة.	جدول رقم 12
مدى اقتناع الحالة بمكتسباتها الثقافية.	جدول رقم 13
التسليم بوجود الثقافة الغربية المهنية.	جدول رقم 14
تقييم صراع الحالة بين الثقافة التقليدية والعصرية.	جدول رقم 15
التأكيد على أن الصراع سببا في مشكلات الشخصية.	جدول رقم 16
اسباب الصراع لدى الحالة.	جدول رقم 17
ارتباط التقليد الألي للغرب بعدم اشباع الأنا الثقافي الاجتماعي.	جدول رقم 18
التبادل الثقافي سبب في تغيير النمط الثقافي	جدول رقم 19
امكانية قياس استقرار الشخصية (حسب البعد النفسي الاجتماعي وليس العضوي).	جدول رقم 20
مستويات الشخصية في ظل التغيرات الاجتماعية.	جدول رقم 21
قدرة الدين على التحكم في السلوكات الفردية.	جدول رقم 22
مدى مثول الرصيد الفكري و العلمي أما التفككات الثقافية.	جدول رقم 23
امكانية وجود عمل للمجتمع المدني.	جدول رقم 24
امكانية قيام الطبيب بعمل التحليل النفسي أمام مريضه.	جدول رقم 25
دعم الحكومة الوطنية لعمل المجتمع المدني	جدول رقم 26
تقييم عملية الاتصال الاجتماعي.	جدول رقم 27
غياب أو وجود عمل اجتماعي نفسي قائم على تقوية العلاقة بين	جدول رقم 28

الفرد و مجتمعه.	
مدى ارتباط تغيب العمليات الاجتماعية الهادفة من طرف المؤسسات و الجماعات المنظمة بالسبب في الأمراض السسيونفسية.	جدول رقم 29
تصنيف الشخصية مرضيا.	جدول رقم 30
امكانية فصل الوراثة عن البيئة في المرض	جدول رقم 31
تشخيص الحالة و أسبابها.	جدول رقم 32
امكانية وجود علاج اجتماعي أكثر تطورا في حل و تشخيص الحالات السسيوباتولوجية.	جدول رقم 33

ملحق رقم: 03

قائمة الأشكال:

المخطط العام لأسس الدراسة وأبعادها	شكل رقم 01
التقدير النظري للشخصية السوية.	شكل رقم 02
علم الاجتماع التفاعلي اتجاهاته ومصادره.	شكل رقم 03
علاقات التجاذب والتنافر أو الرفض داخل الجماعة	شكل رقم 04
التصور العام لظهور الاضطرابات وفقا لمفهوم القابلية.	شكل رقم 05
عناصر موقف الاتصال	شكل رقم 06
أنماط الاتصال بين الأعضاء	شكل رقم 07
شبكة التفاعلات	شكل رقم 08
العلاقات بين متغيرات النمط والأبعاد الوظيفية لأنساق الفعل.	شكل رقم 09
الأنساق الفرعية لنسق الفعل العام	شكل رقم 10
التدرج السبرنيطقي والنسق العام للفعل.	شكل رقم 11
التقدير المعرفي للضغوط.	شكل رقم 12
علاقة القيمة بالسلوك	شكل رقم 13

ملحق رقم (4):

قائمة الكوبين للوضعية الضاغطة (CISS)

تعليمات:

يرجى منك الاجابة على كل واحدة من النماذج المقترحة التالية وذلك بوضع دائرة حول الاجابة المناسبة لطريقة استجابتك المعتادة لما تمر بموقف ضاغط (stressant).

طريقة الاجابة عبارة عن سلم من 1 (لا أبدا) إلى 5 (كثيرا) ويمر بإجابات متوسطة (2، 3، 4) تسمح لك بتوضيح أكثر لحالتك.

في المواقف الضاغطة أميل عادة إلى:

لا أبدا كثيرا

1	أنظم وقتي بشكل أفضل (أحسن)	1	2	3	4	5
2	أركز على المشكلة وأرى كيف أستطيع حلها	1	2	3	4	5
3	أعيد التفكير في الأوقات الجميلة (الحلوة) التي عرفتھا	1	2	3	4	5
4	أسعى إلى أن أكون برفقة أشخاص آخرين	1	2	3	4	5
5	ألوم نفس يعلى تضییع الوقت	1	2	3	4	5
6	أقوم بما أظن أنه صحيح	1	2	3	4	5
7	أقلق وأنزعج لمشاكلي	1	2	3	4	5
8	ألوم نفسي على أنني وجدت في هذه الوضعية	1	2	3	4	5
9	أخرج للتسوق (shopping) ورؤية الواجهات (lèche vitrines)	1	2	3	4	5
10	أحدد وأبين أولوياتي	1	2	3	4	5
11	أحاول النوم	1	2	3	4	5
12	أتناول طبقا أو غذاء مفضل لدي	1	2	3	4	5
13	أشعر أنین قلق (ة) وليس بمقدوري تجاوز الموقف	1	2	3	4	5
14	أصبح جد متوتر (ة) أو منقبض (ة)	1	2	3	4	5

5	4	3	2	1	أعيد التفكير ف بالطريقة التي حللت بها مشاكلي السابقة والتي تشبه مشكلتي الحالية	15
5	4	3	2	1	أقول بأن هذا لا يحدث لي حقيقة (في الواقع)	16
5	4	3	2	1	ألوم نفسي على أنني حساسا (ة) كثيرا، انفعاليا(ة) اتجاه ما يحدث لي	17
5	4	3	2	1	أذهب إلى المطعم أو أتناول شيئا	18
5	4	3	2	1	أشعر بالضيق أكثر فأكثر	19
5	4	3	2	1	أذهب لشراء أي شيء لنفسي	20
5	4	3	2	1	أحاول تحديد طريقة عمل واتبعها	21
5	4	3	2	1	ألوم نفسي على أنني لا أعرف ما يجب أن أقوم به	22
5	4	3	2	1	أذهب للسهر، إلى "حفلة" عند الأصدقاء	23
5	4	3	2	1	أجهد لأحلل وأفهم الوضعية التي تواجهني	24
5	4	3	2	1	أعجز ولا أعرف ماذا أفعل	25
5	4	3	2	1	أسرع في اتخاذ قرارات تساعدني على التكيف مع الموقف	26
5	4	3	2	1	أفكر في ما حدث لي حتى أستفيد من أخطائي	27
5	4	3	2	1	أنتمى لو كان باستطاعتي تغيير ما حدث لي أو ما شعرت به	28
5	4	3	2	1	أذهب لزيارة صديق (ة)	29
5	4	3	2	1	أقلق وأرتبك للأمور التي سأقوم بها	30
5	4	3	2	1	أبقى لفترة مع شخص قريب	31
5	4	3	2	1	أخرج للتنزه (التجول)	32
5	4	3	2	1	أقول في نفسي أن هذا لن يحدث لي ثانية أبدا	33
5	4	3	2	1	أتكلم مرارا (أكرر الحديث) عن نقائصي وعدم تكيفي العام	34

5	4	3	2	1	أتحدث مع شخص أحترم وأقدر نصائحه	35
5	4	3	2	1	أحاول فحص المشكلة وفهمها قبل أن أستجيب	36
5	4	3	2	1	أتصل بصديق هاتفيا	37
5	4	3	2	1	أغضب	38
5	4	3	2	1	أضبط أولوياتي	39
5	4	3	2	1	أشاهد فيلما	40
5	4	3	2	1	أتحكم في الوضعية التي أمامي	41
5	4	3	2	1	أقوم بجهد إضافي حتى "تمشي الأمور"	42
5	4	3	2	1	أحاول وضع مجموعة من الحلول المختلفة للمشكلة	43
5	4	3	2	1	أحاول إيجاد وسيلة حتى لا أفكر وأتجنب هذه الوضعية	44
5	4	3	2	1	أصب غضبي على أشخاص آخرين	45
5	4	3	2	1	انتهز الفرصة حتى أبرز ما يمكن أن أقوم به	46
5	4	3	2	1	أحاول تنظيم أموري حتى أتحكم أحسن في الوضعية	47
5	4	3	2	1	أشاهد التلفزة	48

ملحق رقم (5):

مقياس بيك للاكتئاب (عرض عام)

ويعرف هذا الاختبار باختصار بقائمة بيك للاكتئاب (Beck depression inventory) (BDI) وهو عبارة عن قائمة للتقرير الذاتي أعدت خصيصا لقياس درجة الاكتئاب على العيّنات المكتتّبة وكذلك معاينة الأعراض الاكتئابية على العيّنات المعافاة، وأعد هذا المقياس في الأصل الطبيب النفسي الأمريكي أرو نبيك وآخرون (Beck, ward, 1961, Merdeson, Mochet et Erbaugh) و عرف نجاحا عالميا واسعا حيث تم الاستعانة به حتى سنة 1988، في حوالي 1000 بحث، كما تم ترجمته إلى عدة لغات (Beck 1988, et al)

يتكون المقياس في الأصل من 21 مجموعة من الأعراض تتضمن كل مجموعة أربعة عبارات، تصف كل عبارة أعراضا متدرجة من أقلها شدة إلى أكثرها شدة، وهذه الأعراض:

- 1-الحزن
- 2-التشاؤم
- 3-الاحساس بالفشل
- 4-عدم الرضا
- 5-الشعور بالذنب
- 6-توقع العقاب
- 7-مشاعر سلبية اتجاه الذات
- 8-اتهام الذات
- 9-الأفكار الانتحارية
- 10- البكاء
- 11- سرعة الانفعال
- 12- الانسحاب الاجتماعي

- 13- التردد
- 14- تغير صورة الذات
- 15- صعوبة العمل
- 16- الأرق
- 17- سرعة التعب
- 18- فقدان الشهية
- 19- فقدان الوزن
- 20- الانشغال بالصحة الجسمية
- 21- فقدان الليبيدو، (Beck et al, 1988)

وفي عام 1972 قام بيك واحد معاونة باستخراج نسخة مختصرة للمقياس تتكون من 13 مجموعة من الأعراض السابقة وهي:

- 1-الحزن
- 2-التشاؤم
- 3-الشعور بالفشل
- 4-عدم الرضا
- 5-الشعور بالذنب
- 6-مشاعر سلبية اتجاه الذات
- 7-اتهام الذات
- 8-الانسحاب الاجتماعي
- 9-التردد
- 10- تغير في صورة الذات
- 11- صعوبة العمل
- 12- التعب
- 13- فقدان الشهية

ملحق رقم (6)

مقياس بيك للاكتئاب (BDI)

(عرض مفصل)

تعليمة:

إليك مجموعات من العبارات، الرجاء أن تقرأ كل مجموعة على حدى، ثم قم بوضع دائرة حول رقم العبارات (0 أو 1 أو 2 أو 3) والتي تصف حالتك خلال الأسبوع الحالي بما في ذلك اليوم.

إن وجدت أنه في المجموعة الواحدة تبدو لك عدة عبارات ملائمة، فضع دائرة على الأرقام الموافقة.

تأكد من قراءة عبارات كل مجموعة قبل أن تختار واحدة منها، وتأكد أنك قد أجبت على كل المجموعات.

1	0 أنا لا أشعر بالحزن 1 أنا أشعر بالحزن والكآبة 2 أنا مكتئب أو حزين طول الوقت ولا أستطيع الخروج من هذه الحالة 3 أنا حزين وغير سعيد لدرجة أنني لا أستطيع تحمل ذلك
2	0 أنا لست متشائماً على وجه الخصوص، أو لست مثبط الهمة فيما يتعلق بالمستقبل. 1 أنا أشعر بأن المستقبل غير مشجع 2 أنا أشعر أنه ليس لدي شيء أتطلع إليه في المستقبل 3 أنا أشعر بأن المستقبل لا أمل فيه وأن الأشياء لا يمكن أن تتحسن
3	0 أنا أشعر بأنني شخص فاشل

	1 أنا أشعر بأنني فشلت فيحياتي أكثر من الشخص المتوسط 2 كلما رجعت بذاكرتي إلى الوراء، فلا أستطيع أن أرى إلا الفشل 3 أنا أشعر بأنني شخص فاشل تماما
4	0 أنا لا أشعر أنني غير راضي 1 أنا أشعر بالملل في أغلب الوقت 2 أنا لا أحصل على الاشباع أو الرضا في أي شيء بعد الآن 3 أنا غير راض عن كل شيء
5	0 أنا لا أشعر بأنني آثم أو مذهب 1 أنا أشعر بأنني رديء أو لا قيمة لي في أغلب الوقت 2 أنا أشعر بالذنب أو الاثم تماما 3 أنا أشعر كما لو أنني رديء جدا أو عديم القيمة
6	0 أنا لا أشعر بخيبة الأمل في نفسي 1 أنا فاقد الأمل في نفسي 2 أنا مشمئز من نفسي 3 أنا أكره نفسي
7	0 أنا ليست لدي أفكار للإضرار بنفسي 1 أنا لدي أفكار للإضرار بنفسي ولكن لا أنفذها 2 أنا أشعر بأنه من الأفضل أن أموت 3 لو استطعت....لقتلت نفسي
8	0 أنا لم أفقد إهتمامي بالناس 1 أنا أقل إهتماما بالناس مما تعودت أن أكون عليه من قبل 2 أنا فقدت أغلب إهتمامي بالناس، ولدي مشاعر قليلة اتجاههم 3 أنا فقدت كل إهتمامي بالناس وأصبحت لا أبالي بهم على الإطلاق
9	0 أنا أتخذ القرارات بنفس الجودة كما تعودت أن أتخذها من قبل 1 أنا أحاول تجنب إتخاذ القرارات 2 أنا لدي صعوبة شديدة في إتخاذ القرارات

3 أنا لا أستطيع إتخاذأيام قرار بعد الآن	
0 أنا لا أشعر بأنني أظهر أسوأ مما أعدت أن أظهر به من قبل 1 أنا مشغول وقلق على أنني أظهر كبير السن أو غير جذاب 2 أنا أشعر بأن هناك تغييرات ثابتة في مظهري تجعلني أظهر بطريقة غير جذابة 3 أنا أشعر بأنني قبيح أو منفر	10
0 أنا أستطيع العمل بنفس الجودة كما تعودت من قبل 1 لا بد علي أن أبذل جهدا إضافيات حتى أبدأ العمل في بعض الأشياء. 2 يجب علي أن أدفع نفسي بقوة لأقوم بأي شيء. 3 أنا لا أستطيع أن أقوم بأي عمل على الإطلاق	11
0 أنا لا أتعب أكثر مما تعودت من قبل 1 أنا أشعر بالتعب بسهولة أكثر مما تعودت من قبل 2 أنا أشعر بالتعب لدرجة أنني لا أستطيع عمل شيء 3 أنا في منتهى الإجهاد والتعب لدرجة أنني لا أستطيع عمل شيء	12
0 شهيتي للأكل ليست سيئة عن المعتاد 1 شهيتي للأكل أسوأ من المعتاد 2 أصبحت شهيتي للأكل أسوأ الآن 3 أنا ليست لي شهية للأكل نهائيا.	13

Concepts concernant le sujet :

ACCULTURATION : Mécanisme de transformation culturelle déclenché par le contact continu ou, direct ou indirect, de cultures différentes

AGENTS DE SOCIALISATION : Ensemble des individus et des groupes qui modèlent nos comportements, notre perception de la réalité et de l'image que nous avons de nous-mêmes

APPROCHE : Vision qui détermine les questions qui préoccupent le sociologue de même que la façon dont elles seront traitées

ASSIMILATION : Processus qui entraîne l'abandon des traits culturels d'un groupe et la perte de son identité

CONFLIT SOCIAL : Approche macrosociologique selon laquelle la société est un système caractérisé par les tensions sociales ; les tensions proviennent de la lutte des différents groupes et classes de la société pour l'appropriation du pouvoir et de la richesse

CONTEXTE SOCIAL : Milieu d'un groupe ou une société régie par des normes et des valeurs, la culture, dans lequel évolue un individu

CONTROL SOCIAL FORMEL : Moyens directs et explicites (lois et règles) qu'on utilise pour contraindre un individu à agir selon les normes de la société

CONTROL SOCIAL INFORMEL : Moyens directs presque inconscients, de faire pression sur un individu pour obtenir de lui la conformité

CONTROLE SOCIAL : Ensemble de mécanismes utilisés par la société pour standardiser l'ensemble des façons de penser, d'agir et de ressentir des individus

COUTUMES : Normes et règles de la vie quotidienne qui peuvent être facilement transgressées.

CULTURE : La totalité de ce qui est appris, transmis, produit, et créé par la société

DETERMINISME SOCIAL : Perspective sociologique selon laquelle la structure sociale a une influence cruciale sur la vie des individus

DEVIANCE : Violation des normes d'un groupe ou d'une société

DIFFERENCIATION SOCIALE : Processus qui établit pour une personne ou un groupe, se place dans la société selon une hiérarchie de valeurs propre de cette société

DISCRIMINATION : Acte individuel ou collectif de rejet systématique et répété d'une personne ou d'un groupe qui entraîne la perte de droit pour la victime ou les victimes

DYNAMIQUE DES GROUPES : Rassemblement d'un groupe restreint d'individus dans un espace commun pendant une brève période

La dynamique de groupes est une expérience permettant de mesurer une option ou les interactions des individus .Il s'agit d'un groupe construit par opposition au groupe naturel

DYSFONCTION SOCIAL : Effets susceptibles de dérégler un système social et de diminuer sa stabilité

GROUPE SOCIAL : Catégorie sociale établis en fonctions de traits physiques réels ou imaginés par des personnes qui ne font pas partie de ce groupe

INTEGRATION SOCIAL : Interdépendance des différents membres d'une société et des groupes sociaux, ce qui entraîne la cohésion de la société

MODELS SOCIAUX : Attentes de comportements relativement uniformisées qui guide la conduite en société

MŒURS : Normes et règles que les membres une société jugent hautement désirables

PERSONNALITE SOCIALE : Ensemble des caractéristiques d'un individu qui lui sont fournis par sa culture

PSYCOSE : Troubles entraînent la désorganisation de la personnalité et la perte de contact avec la réalité

ROLE SOCIAL : Ensemble de normes et obligations auxquelles est assujetti un individu à l'intérieur d'un groupe ou d'une collectivité ce à quoi les autres s'attendent de sa part

STATUT ACQUIS : Position sociale que l'individu assume involontairement et qui reflète ses habiletés et ses efforts

STATUT ASSIGNE : Position sociale que l'individu assume involontairement à la naissance ou à un autre moment de sa vie

STATUT SOCIAL : Place qu'une personne ou une catégorie de personnes occupent dans un groupe tel que ce groupe l'évalue.

STRUCTURE SOCIAL : Mode d'organisation des différentes parties de la société

SURCONFORMITE : Situation où l'individu est placé devant une autorité suprême ou devant la pression d'une majorité dans un groupe qui le conduit à une soumission totale

SYMBOLE : Ensemble des gestes, d'objets, de paroles, qui constituent la base de la communication entre les gens et leurs participations à leur environnement culturel ; cet ensemble est considéré comme un idéal. Aussi représentation figurée d'une chose en vertu d'une correspondance analogique ; une chose qui tient la place d'une autre chose.

TRANSGRESSION : Comportement de rejet systématique des règles ou des valeurs d'un groupe ou d'une société.

VALEURS : Conception collective qui décrit ce qui est bon, désirable ou idéal au sein d'une culture.